الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة جيلالي اليابس- سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

تخصص : تاريخ

فرع : تاريخ الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه نظام ل.م.د في التاريخ الحديث و المعاصر

الموسومة بـ :

الفكر الوطني و التحرري عند الأمير عبد القادر

إعداد الطالب :

❖ بسابيس قويدر

إشراف الأستاذ الدكتور :

* مجاود محمد

لجنة المناقشة

أ.د. ولد نبية كريم	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د. مجاود محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفاً ومُقَرِّراً
د. لعوج لصر الدين	أستاذ محاضر(أ)	جامعة سيدي بلعباس	عضواً مناقشاً
أ.د. قدوسي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضواً مناقشاً
أ.د. ودان بوغوفالة	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	عضواً مناقشاً
د. بلمهدي علي بشير	أستاذ محاضر(أ)	جامعة معسكر	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية :2015-2016

شكر خاص

أتوجه بالشكر والعرفان إلى أستاذي الكريم الدكتور لعوج نصرالدين على إرشاداته القيمة وتوجيهاته السديدة وعلى ما بذل من جهد ووقت في تصحيح هذه الرسالة وأسأل الله أن يوفقه في مساره المهني والعلمي.

الإهداء

إلى الوالد رحمه الله إلى الوالدة أطال الله عمرها

أهدي هذا الجهد المتواضع

مقدمة

من أبرز الشخصيات التي شكل ظهورها منعطفا حاسما في تاريخ عبد القادر يعد الأمير بحكم تأثيراتها في مسار التحولات التي شهدتها الجزائر في الجزائر الحديث والمعاصر ،لقد تباينت أدوار هذه الشخصية وتعددت إنجازاتها وتنوعت الفترة التي تلت سقوط الإيالة مؤهلاتها،فقد جمعت بين السياسة والمقاومة وزاوجت بين الفقه والتصوف وأبدعت في للعديد من الدارسين والباحثين الذين تناولوا الشعر والفلسفة،مما جعل منها محل استقطاب سيرة الأمير من زوايا مختلفة ووفق رؤى متعددة ،ورغم ما حظيت به هذه الشخصية من

كتابات فلا تزال جوانب عديدة من سيرة الأميرعبد القادر وتراثه الفكري والأدبي تحتاج إلى مزيد من الدراسات والتي من شأنها المساهمة في إثراء تاريخ الأمير و بناء معرفة متكاملة حول هذه الشخصية، ضمن هذا الإطارجاء هذا الجهد الموسوم ب "الفكر الوطني عبد القادر". والتحرري عند الأمير

إن اختيارنا لموضوع البحث يرجع إلى جملة من الأسباب الذاتية والموضوعية،فمن الوجهة الذاتية حرك تأثرنا بشخصية الأمير عبد القادر رغبتنا في التعرف على سيرته ودراسة عبد تراثه،كما دفعنا اطلاعنا المتواضع على العديد من الدراسات التي أنجزت حول الأمير إلى الاهتمام بهذه الشخصية،كما وجدنا في اقتراح المشرف الأستاذ الدكتور مجاود القادر محمد المجال المناسب لتجسيد هذه الرغبة،أما من الناحية الموضوعية فإن الدافع من وراء اختيارنا لموضوع الدراسة يكمن في طبيعته من منطلق أنه يشكل الإطار االنظري للمقاومة الوطنية بمختلف أبعادها وفي توفر المادة التاريخية.

تتجلى أهمية الدراسة في كونها مقاربة نظرية تنطلق من قراءة تحليلية في تراث الأمير عبد ودوره في وضع الإطار الفكري للدولة الجزائرية القادر بغية التعرف على إسهام الأمير الحديثة اعتمادا على تصوره للوطن في عمقه السياسي و الاجتماعي والثقافي وفي بعده الجغرافي ،كما تستمد الدراسة أهميتها من كونها تسعى لبناء نظرية التحررعند الأمير عبد القادرمن خلال رؤيته للظاهرةالإستعماريةوتعامله مع الواقع الجزائري والظرف الخارجي وفق هذا المنحى فقد حاولنا من خلال الدراسة تسليط الضوء على البناء الفكري الذي ارتكزعليه المشروع الوطني والتحرري للأمير عبد القادروالذي يعد مرجعا أساسيا للثورة التحريرية الكبرى التي استلهمت منه مبادئها وفلسفتها،إنطلاقا من هذا التصور فقد تمحورت إشكالية موضوع البحث حول الخصائص البنيوية للفكر الوطني والتحرري عند الأميرعبد القادر وللوقوف على أبعاد هذه الإشكالية قمنا بطرح جملة من التساؤلات،فمن خلال قراءتنا في التراث الفكري للأمير عبد القادر حاولنا رصد معالم التحررفي فقهه وأدبه وتصوفه من خلال الإجابة على السؤال التالي ماهي معالم التحرر في فكر الأمير عبد القادر ؟ ومنطلق أن إسقاطات الفكر الوطني والتحرري عند الأمير عبد القادر تجاوزت مساحة العرش إلى جغرافية الوطن وهيمنة القبيلة إلى سيادة الدولة فقد جاء تساؤلنا على الشكل التالي ماهي

مظاهر الفكر الوطني والتحرري عند الأمير عبد القادر؟لقد سعت الدراسة إلى إبراز مظاهر فكره الوطني والتحرريمن خلال الإجابة على مجموعة من التساؤلات منها ما تركز حول دور المقاومة في ترسيخ البعد الوطنيوأخرى تناولت سمات الفكر الوطني في بعده المؤسساتيوطبيعة العلاقات الدبلوماسية للدولة الجزائرية الحديثة،واستنادا إلى أن المقاومة التي خاضها الأمير عبد القادر تأثرت بخصوصية الواقع الداخلي ومعطيات الظرف الخارجي،فقد وقفت الدراسة علىمختلف العوامل التي حالت دون استكمال المشروع الوطني والتحرري للأمير عبد القادر إنطلاقا منالتساؤل التالي ماهي العقبات الداخلية والخارجية التي اصطدم بها الفكر الوطني والتحرري للأمير عبد القادر؟ ضمن هذا السياق حاولنا الإجابة على الأسئلة الآتية: ماهي ردود ومواقف المجتمع الجزائري بمختلف مركباته من المشروع الوطني والتحرري للأمير عبد القادر؟ وماهي الإستراتجية التي تبناها المستعمر للتصدي لهذا المشروع؟ وماهي الظروف الدولية التي أعاقت تجسيد هذا المشروع؟

لقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي المبني على جمع المادة التاريخية وتحليلها ومن منطلق أن تعدد الرؤى والإتجاهات في كتابة تاريخ الأمير عبد القادر أنتج الكثير من المغالطات وجعل من هذا التاريخ أسير بعض القراءات التي كرست التناقض في المسار النضالي للأمير عبد القادر، فقد بحثنا موضوع الدراسة في إطار رؤية شمولية تعالج المتغير في ظل الثابت من سيرة الأمير وتحلّل الجزئيات في إطارها الكلي وتقرأ الحدث التاريخي في بعده الزماني والمكاني وتلحق الفروع بالأصول من خلال دراسة مقارنة في إنتاج الأمير الفكري وفيما كتب عنه،وانطلاقا من أن موضوع الدراسة والمعنون ب الفكر الوطني والتحرري عند الأمير عبد القادر هو نتاج تقاطع جملة من المفاهيم خصت الفكر، الوطن والتحرر، فقد حاولنا ضبط هذه المفاهيم بغية تحديد مجال الدراسة،فمن حيث اللغةالفكر هو إعمالالخاطرفي الشئ[1]،أما الوطن فهو موطن الإنسان ومحله[2]والتحرر لغة هو الإنعتاق[3]، وفيما يخص الجانب الإصطلاحي فقد يقصد بالفكرآليات التفكير أو نتائج عمليات التفكير[4]بمعنى آليات إنتاج المعارف والتصورات أو هي المعارف والتصورات في حد ذاتها،أما الوطنإصطلاحا فقد تعدد مفهومه بتعدد المدارس والإتجاهات،ورغم حداثةهذا المفهوم وارتباطه بالتحولات التي عاشتها أروبا الحديثة فقدتطور وأخذ أبعادا إيديولوجية

وفلسفية،وانسجاما مع أبعاد الدراسة اعتمدنا المفهوم الآتي: الوطن هو الحيز الجغرافي الذي تعيش فيه مجموعة بشرية معينة تربطها جملة من القواسم المشتركة،وأماالتحرر إصطلاحا فهو مقاومة المستعمر بهدف تحرير الأرض.

ومن منطلق صعوبة الإلمام والإحاطة بفكر الأمير عبد القادر فقد حاولنا في دراستنا للمادة التاريخية استقراء الثوابت والمتغيرات ومعالجتها من خلال رؤية مرجعية معيارية تأخذ بعين اللإعتبار طبيعة الواقع الظرف وخصوصية فقه الأمير ومميزات شخصيته

لقد استدنا في دراستنا في على مجموعة من **الوثائق الأرشفية** بعضها موجود ضمن الأرشيف الوطني سلسلة خط هاميون والبعض الآخرضمن أرشيف المكتبة الوطنية قسم المخطوطات المجموعة 3190 والمجموعة 1647 والمجموعة 1642 وتكمن أهمية هذه المادة الأرشفية فيما حوته من معطيات ساعدتنا في بناء واقع الإيالة أواخر الحكم العثماني،إلى جانب بعض أرشيف المكتبة الوطنية الخاص بالأمير ضمن ملف وثائق الأمير ورسائل الأمير عبد القادر.

أما فيما يخص **المصادر** فقد اعتمدنا على مؤلفات الأميرعبد القادر من منطلق ثرائها الفكري والعلمي وبحكم خصوصية وطبيعة موضوع الدراسة فقد شكلت هذه المؤلفات المادة

---

(2):ابن منظور،محمد،لسان العرب،ج13،ط1، دار صادر،بيروت،1300ه،ص.451.

(3):):فياض ،عامرحسن،مدخل الى الفكر السياسي القدم والوسيط،دار الفكر،بنغازي،2004م،ص.160

الأساسية لمجال البحث،ضمن هذا الإطار فقد عكس مؤلف " وشاح الكتائب وزينة الجند المحمدي الغالب" الذي ألف في سنة 1833م الجانب العسكري من فكر الأمير ،أما مؤلف"المقراض الحاد لقطع لسان المنتقص لدين الله بالباطل والإلحاد" فتضمن فلسفته ومنهجه في الإستدلال ،كما تناولت رسالته "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" جوانب علمية،كما اعتمدنا على كتاب "المواقف" الذي يعد من أشهر ما ألف الأمير عبد القادر بحثه فيه مسائل متنوعة في مجال التصوف،ومن المصادرالتي أرخت لسيرة الأمير المؤلف الجماعي

"مذكرات الأمير" الذي ألف في سنة 1848م قام بتحقيقه صغير بناني،محفوظ سماتي ومحمد صالح جون وتكمن أهمية هدا المصدر في كونه من تأليف جماعة من المقربين للأمير الذين شاركوا في المقاومة وعاينوا أحداثها كما أن تأليفه جاء مباشرة بعد إنتهاء المقاومة،ومن المصادرالتي استندنا عليها "نزهة الخاطر في قريضالأميرعبد القادر" الذي عكس الجانب الإبداعي للأمير ،ومن المصادر الأجنبية المترجمة إلى العربية مؤلف "حياة الأميرعبد القادر"لشارل هنري شرشل،ترجمة وتعليق وتقديم أبو القاسم سعد الله وتكمن أهمية في كونه تناول جوانب عديدة من سيرة الأمير،ومن بين المصادر التي ساعدتنا على بناء واقع المجتمع الجزائري " خاتمة أنيس الغريب والمسافر"لإبن عبد القادر مسلم،تحقيق رابح بونار وكتاب "المرآة"لحمدان خوجة ومؤلف "رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري للجنوب الصحراوي " لأحمد بن هطال،و بالنسبة للمصادر الأجنبية فقد تنوعن وتعددت الكتابات التي اهتمت بالأمير كقائد مقاومة و سياسي وكمفكر ،في هذا السياق اعتمدنا على مؤلفات بعض العسكريين والساسة والمفَكريين والرحالة منها ما غلب عليها الطابع السردي الوصفي ومنها ما تميز بالطابع التحليلي، تتجلى أهمية هذه المصادر في حجم المعلومات التي تضمنتها عن الأمير عبد القادر وعن الواقع الجزائري بمختلف أبعاده من بينها مؤلف" ليون روش"

Trente- deux ans à travers l’islam (1832-1864).

الذي تناول فيه جوانب هامة من حياة الأمير وسيرته الجهادية بحكم قربه وعلاقته بالأمير،إلى جانب مؤلف "أوجان دوماس "

Correspondances du capitaine Daumas, consul à Mascara (1837 - 1839) par Georges yver.

الذي تضمن تقارير عن أوضاع الإمارة والمقاومة،كما اعتمدنا على مراسلات ومذكرات العسكريين الذين عايشوا المراحل الأولى للإحتلال من بينها:القادة

Correspondances du marichal Valee.

إضافة إلى مؤلف "ألكسندر بلمار":

Abd - El-Kader sa vie politique et militaire.

الذي صدر عام 1863م إلا أنه اقتصر على الجانب السياسي والعسكري،وفيما يخص **المراجع** باللغة العربية مؤلف "مرسلات الأمير عبد القادر ودي ميشل" لعبد الحميد زوزو الذي احتوى مادة أرشيفية معتبرة تخص رسائل الأمير إلى ديميشل في فترة الهدنة حيث تضمنت معطيات هامة عن استراتجية الأمير وأسلوبه في التعامل مع المستعمر،ومن المراجع كذلك مؤلف "الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان" لنخبة من الباحثيين الجزائريين تكمن أهمية هذا المرجع في كونه جهدا جماعيا تناول تاريخ الأمير من زوايا مختلفة من جهة وفي ما تضمنه من وثائق أرشيفية من جهة أخرى،كما اعتمدنا على بعض مؤلفات يحي بوعزيز في سيرة وكفاح الأمير عبد القادر من بينها "مراسلات الأمير مع إسبانيا وحكامها العسكريين" وإسماعيل العربي " المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر" وأبو القاسم سعد الله" تاريخ الحركة الوطنية" أين عالج المؤلف تاريخ الأمير في إطار رؤية شمولية ترى فيه حلقة فاعلة في مسار النضال الوطني ،إضافة إلى بعض مؤلفات العربي زبيري وعلى الأخص "الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر" إلى جانب مؤلف" الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية " لشريف ساحلي الذي قدم قراءة نقدية للرؤية الأجنبية في تعاطيها مع تاريخ الأمير،أما المرجع بالأجنبية فقد لاحظنا وجود تقاطع في الرؤي مبني على قراءة تفكيكية لسيرة الأمير تعكس ازدواجية المواقف وتكرس ثنائية المقاومة والصداقة وتركز على الجانب التصوفي في حياة الأمير ونظرته للآخر ومن أبرز هذه الكتابات مؤلفات "بول أزان" من بينها :

L'EmirA bdEl -.Kader(1808-1883) du fanatisme musulmanau patriotisme francais.

إلى جانب مؤلفات مجموعة من المؤرخين أمثال شارل أندري جوليان وإمريت مرسال وغيرهم ،أما فيما يتعلق **بالمقالات** فقد قمنا بعملية مسح لمجموعة من المجلات من بينها الأصالة ،الثقافة،مجلة التاريخ،الرؤية، مجلة الدراسات التاريخية ،إضافة إلى المجلة التاريخية المغاربية التي قامت بنشر العديد من الدراسات لكوكبة من الباحثين أمثال أبو القاسم سعد الله ،سعيدوني ناصر الدين ،المهدي بوعبدلي بلحميسي مولاي ويحي بوعزيز

والتي تناولت تاريخ الأمير عبد القادر على ضوء الوثائق الأرشفية ،ومن المجلات التي استدنا إليها مجلة المواقف العدد الخامس إضافة إلى المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية عدد خاص مارس 2012م، وفيما يخص المجلات الأجنبية اعتمدنا على المجلة الإفريقيةRevue Africaineالتي أرخت للأمير من خلال بعض الدراسات ل Emerit Marcelو Yver Georgesكشفت عن جوانب هامة من حياته السياسية والعسكرية إلى جانبمقالاتPierre Boyerفي:

la revue de l’occident musulman et de la méditerranée

وعن الدراسات الأكادمية التي اعتمدناعليها فقد تنوعت وتعددت مجالاتها لذا فقد قمنا بترتيبها وتصنيفها وفق رؤيتنا ومعالجتنا لمباحث موضوع الدراسة،ضمن هذا الإطار ومن أجل فهم الواقع الجزائري بأبعاده السياسية والإقتصادية والإجتماعية استندنا إلى رسائل الدكتوراه التالية "المجتمع الجزائري فعالياته أواخر العهد العثماني(1519م-1830م) لصاحبها شويتام أرزقي إضافة إلى رسالة "أوضاع الريف في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني" لكمال بن صحراوي وأيضا "الأوضاع الاجتماعية والإقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية إبان الاحتلال الفرنسي(1847م-1954م) و"التراتبية الاجتماعية لبايلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر (1830م - 1847م)" للباحث سلطانة عابد، ساعدتنا هذه الرسائل في الوقوف على حجم التحديات التي اصطدم بها المشروع الوطني والتحرري للأمير عبد القادر ومن ثم بناء تصور حول الحراك الإجتماعي وعلاقته بالتحولالسياسي الذي اختزله بروز الدولة الوطنية، وفيما يتعلق بالوضع العسكري فقد اعتمدنا على رسالة الماجستير"المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي(1830م - 1930م) لصاحبها بجاوي محمد،وبغية الوقوف على مختلف أبعاد فكر الأمير عبد القادر اعتمدنا على رسائل الرسائل التالية:في مجال الفكر العسكري للأمير"أسلحة الأمير(1248ه - 1263ه/1836م -1847م) دراسة نقدية وفنية " لشعباني بدر الدين إضافة إلى "إستحكامات الأميرعبد القادر(1252ه -1258ه/1836م -1842م) دراسة وصفية تحليلية" ل دحدوح عبد القادرإلى جانب "دراسة لموقع تازا برج الأميرمن خلال المصادر التاريخية والأبحاث التاريخية" ل بكاي لخضر وفي المجال الصوفي اعتمدنا على " الحدث التاريخي

في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر" أطروحة دكتوراه في الفلسفة لصاحبها بلغراس عبد الوهاب و" نظرية التجلي في فكر الأميرعبد القادر دراسة أنتروبولوجية" للباحث فرعون حمو، تكمن أهمية الأطروحتين في بحثهما الحقيقة الصوفية عند الأمير عبد القادر في بعدها التنظيري، إلى جانب رسالة "الإصلاح والتصوف عند الأمير عبد القادر دراسة نقدية وتحليلية" لأحمد ملاح وأيضا" لغة الشعر الصوفي قراءة في صوفيات الأمير عبد القادر الجزائري"ل برادعي بيدار وفيما يتعلق بالفكر السياسي للأمير" الدولة في فكر الأمير عبد القادر(1832م -1847م) ل قاسمي فريدة،وفي الجانب الفلسفي رسالة "فلسفة الإختلاف عند الأميرعبد القادر"لصاحبها فرعون حمو، وفيما يخص مواقع الأنترنت فقد اطلعنا على بعض الوثائق الأرشفية الخاصة بالفترة (1830م -1947م) ضمن أرشيف أكس بروفانس عبر موقعه الرسمي منها الأرشيف Gouvernement الخاص: conseil et ral de l’Algerielegislation ,assembleesénég documents annexes(1830/1847)

وأيضا: Bureaux arabes de l’Algerois registres (1830/1847)

بالإضافة الى: Bureaux arabes de l’Oranie registres (1830/1647)

أما عن صعوبات البحث فقد تعلقت أساسا بطبيعة الموضوع من منطلق أن البحث في الفكر الوطني والتحرري عند الأمير عبد القادر وضعنا أمام إشكالية إسقاط المفاهيم بغيةتكييفها مع لإطار الزماني والمكاني للأحداث التاريخية،كما أن شمولية فكر الأمير وتنوع مجالاته تتطلب الإلمام بجملة من التخصصات الأدبية والفلسفية والدينية ،من جانب آخر فقد أثرتإرتباطات العمل على أدائنا و تفرغنا للرسالة،كما واجهتنا جملة من الصعوبات حالت دون تنقلنا إلى خارج الوطن.

لقد عالجنا موضوع البحث في مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة،ففي المدخل تناولنا العوامل الداخلية والخارجية التي ساهمت في سقوط الحكم العثماني في إيالة الجزائر في الفترة الممتدة من 1800م إلى غاية 1830م ،في هذا الإطار أبرزنا مظاهر الضعف

الداخلي في جانبها السياسي أين ركزنا على فساد النظام السياسي وفي الجانب العسكري تعرضنا إلى أوضاع المؤسسة العسكرية وفيما يخص الجانب الاقتصادي فقد سلطنا الضوء على تأزم الأوضاع الاقتصادية أما إجتماعيا تحدثنا عن تردي المستوى المعيشى والصحي للسكان الإيالة،كما بينا تأثير التحولات الأروبية على أوضاع الإيالة سياسيا وعسكريا واقتصاديا،أما في الفصل الأول فتطرقنا فيه لخصائص فكر الأمير عبد القادر أين تناولنا في العنصرالأول أهم العواملالمؤثرة في فكره وفي الثاني عرضنا نماذج في فكر الأمير من خلال قراءة في أهم مؤلفاته،ففي المجال العسكري تناولنا خصائص فكره العسكري استنادا إلى ما ورد في مؤلف "وشاح الكتائب وزينة الجند المحمدي الغالب" وفيما يخص رسائله العلمية فقد وقفنا على مؤلفيه "المقراض الحاد" و"ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" وفي النثري مؤلف السيرة الذاتية للأمير عبد القادر،كما أوضحنا خصائص شعر الأمير من خلال ديوانه الشعري وفي الجانب الصوفي اعتمدنا على كتاب المواقف لاستجلاء فكره الصوفي و تمحور العنصر الثالث حول قراءة في أبعاد فكر الأمير عبد القادر،ضمن هذا الإطار تطرقنا إلى البعد الحضاري والبعد الإنساني والبعد التجديدي في فكر الأمير عبد القادر أين حاولنا إبراز أهمية فكره كمرجعية محلية وعالمية، أما في الفصل الثاني فتناولنا معالم التحرر في فكر الأمير عبد القادر ضمن ثلاثة عناصر خصصنا العنصر الأول لسمات الفقه التحرري عند الأمير عبد القادر و العنصر الثاني للتحرر في أدب الأمير عبد القادرمن خلال إبراز مظاهر التحرر في شعر الأمير ورسائله وخطبه،وتحدثنا في العنصر الثالث عن التحرر في تصوف الأمير عبد القادر استعرضنا فيه مميزات الأنموذج الصوفي التحرري للأمير عبد القادر،أما في الفصل الثالث فبحثنا فيه مظاهر الفكر الوطني والتحرري عند الأمير عبد القادر،حيث تناولنا في العنصر الأول مقاومة الأمير عبد القادر كمظهر من مظاهر الفكر الوطني،أما العنصر الثاني فخصصناه لنظام الحكم في دولة الأمير عبد القادر تحدثنا فيه عن مبادئ ومميزات المشروع السياسي للأمير عبد القادروالسلطة من منظور وممارسة الأميرعبد القادر ثم بينا البعد الوطني في نظام حكم الأمير،وعن العنصر الثالث فقد عنوناه ب دبلوماسية الأمير عبد القادر بين المقاومة السياسية والحضور الدولي أين تناولنا إستراتجية الأمير عبد القادر في رفع الحصار عن المقاومة كما تطرقنا إلى

مرتكزات الحراك السياسي المتوسطي عند الأمير عبد القادر،أما في الفصل الرابع فقد تحدثنا عن التحديات الداخلية والخارجية التي حالت دون استمرارية المشروع الوطني والتحرري للأمير عبد القادر أين تناولنا طبيعة التركيبة الاجتماعية ومواقفها من مقاومة الأمير ثم تطرقنا إلى أليات وأبعاد المواجهة مع المستعمر،أما العنصر الثالث فخصصناه للتحديات الخارجية أين تناولنا التحولات في حوض البحرالأبيض المتوسط وتداعياتها على المشروع الوطني والتحرري للأمير عبد القادر وأنهينا البحث بخاتمة استعرضنا فيها أهم النتائج.

المدخل

سقوط إيالة الجزائر بين عوامل الضعف الداخلي

و

إنعكسات الظرف الأروبي

يعد سقوط إيالة الجزائرحدثا مفصليا ومنعرجا حاسما في مسارالدولة الجزائرية الحديثة من منطلق ما ترتب عنه من إنعكسات داخلية أفضت إلى تغييرات جدرية أعادت تشكيل الواقع الجزائري بمختلف أبعاده ووضعت حدا للحكم العثماني الذي دام من سنة 1519م[1]إلى غاية 1830م ومن خلال ما نجم عنه من تحولات جيوسياسية في حوض البحرالأبيض المتوسط كرست التفوق الأروبي في مقابل تراجع العالم الإسلامي تحت لواء الخلافة العثمانية التي تمخض عن تحالفها مع سكان الجزائرتأسيس دولة فرضت وجودها وهيبتها الدولية وامتد نفوذها ليشمل إقليم تونس وطرابلس[2] واستطاعت بسط سيطرتها في منطقة المتوسط مما أهلها للعب أدوارمحورية في الأحداث التي شهدتها المنطقة، كما تمكنت بفضل موقعها الإستراتيجي وقدراتها العسكرية وإمكاناتها المادية الدخول كفاعل أساسي في الصراع الإسلامي الصليبيوكطرف في معادلة التوازن الإقليمي،وفق هذا المنظورفإن سقوط الإيالة وإنهيارنظامها في مدة قياسية يطرح الكثيرمن التساؤلات عن الأسباب الحقيقية الكامنة،عن الأوضاع الداخلية للإيالة،عن طبيعة الظرف الخارجي الذي عجل بسقوطها.

إن إعادة قراءة الأوضاع الداخلية للإيالة منذ مطلع القرن التاسع عشروإلى غاية سقوطها كفيل من وجهة نظرنا بتحديد مواطن الضعف ومراكزالخلل،نظرا لخصوصية الفترة كونها مرحلة حرجة من تاريخ الإيالة تسارعت فيها الأحداث الداخلية وتغيرت فيها الأوضاع الدولية في هذا الإطارفإن تركيزنا على طبيعة الوضع الداخلي إضافة إلى الإنعكسات التحولات الأروبية على منطقة البحر الأبيض المتوسط كعوامل محورية عجلت بسقوط إيالة الجزائر من شأنه إعطاء صورة عن نظام الإيالة وطبيعة علاقاته الداخلية والخارجية والتي من وجهة نظرنا كانت السبب الرئيس في إنهياره،تأسيسا على ماسبق رأينا من المناسب بحث هذا

---

(1):صلابي،علي محمد،الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط،ط4،ج1،دارالمعرفة،2006م ص.84.

(2):السليماني،أحمد،النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، دارالكتاب،الجزائر،1993م،ص.10. الموضوع في أربعة محاوربغرض معرفة الأسباب الجوهرية التي أدت إلى سقوط الإيالة.

أولا: عوامل الضعف الداخلي

شكلت الأوضاع التي عاشتها إيالة الجزائرفي الفترة الممتدة من بداية القرن التاسع عشر إلى غاية سقوطها بيد الفرنسيين الإطارالواقعي لرصد العوامل التي سهامت في إنهيارها إنطلاقا من رؤية شمولية تربط بين تطورات السياسية والتحولات الإقتصادية وتأثيراتها على الوضع الإجتماعي وبين الأوضاع الدولية وأثرها في الأوضاع الداخلية وبالتالي يمكن القول أن مظاهرالضعف التي شهدتها الإيالة هي نتاج التفاعل بين هذه التغيرات.

لقد وصلت إيالة الجزائرإلى مراحل متقدمة من الضعف والتراجع في الفترة التي سبقت الغزو الفرنسي،فقد تجلت ملاح التدهورفي مختلف القطاعات الحيوية،ويرجع ذلك إلى جملة من العوامل التي تباينت أبعادها وتعددت نتائجها.

1- العامل السياسي

1-1 - تطورالنموذج السياسي العثماني في إيالة الجزائر

إختلف الدارسون لتاريخ الجزائرالعثمانية حول طبيعة نظام الحكم العثماني في إيالة الجزائرمنذ تأسيسها سنة 1519م[1]بعد طلب النخبة الجزائرية من الخليفة العثماني سليم[2] الأول الإنضمام إلى الخلافة العثمانية[3]وإجماعهم على تولي خيرالدين[4] حكم الإيالة[5]،ومنشأ الإختلاف

---

(1): السليماني،أحمد، مرجعسابق،ص.10.

(2): التميمي،عبد الجليل،أول رسالة من أهالي مدينة الجزائرإلى السلطان سليم الأول،المجلة التاريخية المغاربية،ع6،جويلية 1976م،ص.118. للتعرف على حياة سليم الأول ،راجع: عزلتلو يوسف بك آصاف،تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن،ط1،مكتبة مدبولي،القاهرة، مصر،1995م،ص.ص.56 - 60.

(3): الصلابي،علي،محمد،مرجع سابق،ص.84.

(4):خيرالدين بربروس (1470م – 1546م)،قائد الأساطيل العثمانية ولد في جزيرة لسبوس في اليونان،وتوفي في الأستانة،إسمه الأصلي خضربن يعقوب، ولقبه خيرالدين باشا،عرف لدى لأروبيين ببرباروسا أي ذو اللحية الحمراء: ينظر،بسام العسلي،خيرالدين بربروس،ص.06

يرجع أساسا إلى طبيعة العلاقة بين النظام السياسي القائم في الإيالة والخلافة العثمانية وطبيعة إرتباطه بالسكان المحلين في مختلف مراحل تطوره، ضمن هذا الإطارفقد عكست مرحلت البيلربايات (1519م -1587م) مظاهرالإرتباط بالباب العالي والإنسجام مع سكان الإيالة،لقد استطاع البيلربايات تحقيق العديد من الإنجازات المحلية والإقليمية فتمكنوا من طرد الإسبان[1] وتحقيق الوحدة السياسية والجغرافية وامتد نفود الإيالة في عهدهم ليشمل طرابلس وتونس وفاس[2] في المغرب وساهموا في دعم الخلافة وتثبيت الوجود العثماني فى حوض البحر الأبيض المتوسط ،كما أنشأوا مؤسسات الحكم السياسية والإدارية والقضائية ورغم بعد سكان الجزائرعن مراكز القرارطوال هذه الفترة فقد تفاعلوا وانسجموا مع حكام الإيالة إلى غاية قيام الخلافة بإنهاء حكم البيلربايات وتعويضه بحكم الباشوات (1588م – 1659م)، الذين حددت مدة حكمهم بثلاث سنوات[3] من بين أبرزسيمات هذه المرحلة تراجع المكانة التي كانت تحظى بها الخلافة لدى سكان الإيالة بسبب السياسة التي انتهجها البشاوات القائمة علىالفساد السياسي والإداري[4]،كما شهدت هذه المرحلة البذورالأولى للصراع بين طبقة الرياسالفاقدة لإمتيازاتها السياسية وبين الإنكشارية التي قوت من نفوذها،الأمرالذي سيؤثرعلى طبيعة النظام السياسي في المراحل الاحقة ،في هذا الإطارتمردت الإنكشارية على إبراهيم باشا وقام قائد الإنقلاب البوكباشي خليل بتعيين أغا الإنكشارية[5] لحكم الإيالة مدشنا بذلك عهد الأغوات

---

(1):للإطلاع أكثرعلى خيرالدين،راجع غزوات خيروعروج،تصحيح وتعليق عبد القادرنورالدين المطبعةالثعالبية والمكتبة الأدبية،الجزائر،1934م.

(2):الناصري،أحمد السلاوي،الإستقصاء في أخبارالمغرب الأقصى،ج3،مكتبة الدارالبيضاء،المغرب، 1954م،ص.295م.

(3):سبنسر،وليام،طائفة رياس البحر،تعريب وتقديم،عبد القادرزبادية،الشركة الجزائرية للنشروالتوزيع، 1980م،ص.63.

(4): وولف،جون،الجزائروأوربا (1500م – 1830م)،ترجمة وتعليق،أبوالقاسم سعدالله،دارالرائد، الجزائر، 2009م،ص.118.

(5):عباد،صالح،الجزائرخلال الحكم التركي(1514م -1830م)،ط2،دارهومة للطباعة والنشر،الجزائر

2007م،ص.127.

في الفترة ما بين (1659م -1671م) التي اتسمت بالفوضى ولا إستقرار[1]مما دفع برياس البحر للتدخل وإنهاء حكم الأغوات[2]،لقد تمكن الأغوات من تقويض النفود العثماني على الإيالة وإعادة صياغة العلاقة العثمانية الجزائرية والعلاقة بين الطبقة السياسية والمؤسسة العسكرية، تجلى ذلك في فترة الدايات التي دامت من 1671م إلى غاية 1830م والتي تعد مرحلة هامة في المسار التطوري للنظام السياسي في الإيالة ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى مرحلتين ومرحلة القوة والإستقرار والتي إستمرت إلى غاية نهاية القرن الثامن عشر ومرحلة الضعف والإنهيار مع بداية القرن التاسع عشروالتي شكلت موضوع دراستنا حاولنا من خلاله إعطاء رؤية نقدية للمشهد السياسي بغية فهم أسباب إنهيار الحكم العثماني في إيالة الجزائر.

1-2- الحكم العثماني أواخرعهد الدايات(1800م -1830م) : قراءة في مؤشرات الإنهيار

اتسم الوضع السياسي في هذه الفترة بجملة من الخصائص صنعتها الممارسة السياسية والإدارية والتي أصبحت فيما بعد من ثوابت الحكم وتقاليد السياسة.

أ - حكام الإيالة : معايير الإختيار

إن أهم ما ميزنظام الحكم في هذه الفترة غياب الكفاءات السياسية مما فتح المجال لوصول حكام لا يمتلكون الخبرة والأداء السياسي كالداي علي خوجة الغسال[3](1808م - 1809م)وأخرين ذوي طبائع إجرامية كالداي أحمد باشا (1805م – 1808م)[4]، إن فقدان بعض الدايات لمؤهلات الحكم حال دون إدراكهم لطبيعة التحولات الخارجية والمتغيرات الداخلية الأمرالذي أدخل الإيالة في مواجهة مستمرة مع الخارج والداخل.

ب - المؤامرات والإغتيالات

---

(1):الميلي،مبارك،تاريخ الجزائرالقديم والحديث ،مكتبة النهضة الجزائرية،الجزائر،1964م،ص.173.

(2): عباد،صالح،المرجع السابق،ص.132.

(3): ألتر،عزيز سامح ،الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية،ترعلي عامر،ط1 ،دار النهضة،ش.و.ن.ت الجزائر،1975م،ص.593.

(4): دودو،أبوالعيد،الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830م – 1855م،ش.و.ن.إ،الجزائر،1975 ص.47.

لقد طبعت المؤامرت والإغتيالات المشهد السياسي لهذه الفترة،حيث أغتيل أغلب الدايات، كأحمد باشا وعلي باشا الذي ثارت عليه الإنكشارية[1] وقتلتهنفس المصيرلقيه الداي الحاج علي باشا الخزناجي(1809م – 1815م) الذي وجد مخنوقا في حمامه في 22مارس 1815م[2] وقتل خليفته محمد باشا أسبوعين بعد تعيينه في أفريل 1815م[3]كما أغتيل الداي عمرالباشا على يد الإنكشارية سنة 1817م[4]،مما سبق يمكن القول أن الفترة التي سبقت الغزو الفرنسي للإيالة تميزت بالتوتروالصراعات والإنقلابات السياسية مما أدي إلى إنتشار الفوضى والإضطرابات الداخلية الأمرالذي ساهم في إضعاف النظام وفشله في إدارة شؤون الإيالة.

ج - الفساد السياسي والإداري

إنتشرت أواخرعصرالدايات مظاهرالفساد السياسي والإداري وعمت كافة أجهزة الدولة ففي عهد أحمد باشا(1805م-1808م) أصبحت المناصب تباع وتشترى وصارالبايات يعينون على أساس ثروتهم[5] مما أدى إلى بروز طبقة فاحشة الثراء من الموظفين السامين جعلوا من جباية الأموال أساس سياستهم الداخلية وحتى الخارجية وفي هذا الإطارشن الحاج علي باشا الخزناجي(1809م- 1815م) سلسلة من الحروب على إيالة تونس لإجبارها على دفع الضريبة[6]،كما رفض حكام الإيالة توقيف النشاط البحري رغم تغير موازين القوى في حوض البحر الأبيض المتوسط[7]وتراجع الدورالريادي للخلافة العثمانية.

---

(1): للتعرف على الجيش الإنكشاري،ينظر:أماني بنت جعفر بن صالح المغازي،دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية،دار القاهرة،2007.

(2):الزهاز،أحمد الشريف،مذكرات،تح،توفيق المدني،ش.و.ن.ت.الجزائر،1972م،ص.111.

(3):المصدرنفسه،ص.106.

(4):قنان،جمال،دراسات في المقاومة والإستعمار،المرجع السابق،ص.264.

(5): خوجة،حمدان،المرآة لمحة تاريخية وإحصائية لإيالة الجزائر،تحقيق وتعريب محمد العربي الزبيري ش.و.ن.ت،الجزائر،1975م،ص.122.

(6):ألتر،عزيز سامح ،مرجع سابق،ص.598.

(7):نفسه،ص.622.

2- العامل العسكري

تعد المؤسسة العسكرية شريان الحكم العثماني في إيالة الجزائر من منطلق مساهمتها في إرساء دعائم الحكم وإستقرارالدولة والعامل الذي استمد منه النظام العثماني إستمراريته قرابة الثلاثة قرون،لذا فإن الوقوف على أوضاع الإنكشارية في الفترة التي سبقت الغزوالفرنسيمن شأنه إعطاء صورة عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى السقوط الإيالة.

2-1- تراجع أعداد المجندين

شهدت هذه الفترة تناقصا ملوحظا في صفوف الإنكشارية ففي سنة 1816م بلغ عدد المجندين 1312 مجندا ليتراجع في سنة 1817م إلى 181 مجندا وقدر ب17مجندا عام 1821م كما توقففت عملية التجنيد في سنة 1828م و1830م[1]ويقدرشالرعدد أفراد الجيشالإنكشاري يسنة 1826م ب5000 جندي وضابط[2]،أما بفايفرفيذهب إلى القول ان أتراك الجزائرلم تصلهم الإمدادات منذ أربع السنوات حتى وصل عددهم إلى ستة ألاف جندي[3]، ويرجع التذبذب في عدد المجندين إلى الحصارالفرنسي إضافة إلى توترالعلاقات مع الأستانة وفرارعدة فرق إنكشارية كما أدت إصلاحات علي خوجة إلى القضاء على 1200 جندي[4] حسب دوقرامون و1500جندي حسب شالر[5].

2-2- التمرد في صفوف الإنكشارية

إنتشرت في صفوف الإنكشارية أواخر عهد الدايات ظاهرة الهروب من الجيش ويؤكد هذا الرسالة التي بعث بها أغا نوبة مستغانم إلى الداي جاء فيها أن إثنين وأربعين جنديا

---

(1):حماش،خليفة،تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخرعهد الدايات، مجلة الأداب والعلوم الإنسانية،جامعة الأميرعبد القادر،قسنطينة،عدد2،مارس 2003م،ص.37.

(2):شالر،وليام،مذكرات وليام شالرقصل أمريكا في الجزائر(1816م – 1824م)،تع،إسماعيل العربي ش،و،ن،ت،الجزائر،1984م،ص.51.

(3):بفايفر،سيمون،المصدر السابق،ص.73.

(4):-Grammont (H.D de), Histoire d'Alger sous la domination Turcs (1515-1830,Ed ,E .leroux ,Paris, 1887,p.p.381-382.

(5): وليام شالر،المصدر السابق،ص.176.

لم يلتحقوا بوحدتهم[1] كما بعث أغا محلة الشرق في 21 جوان 1821م رسالة إلى الداي يخبره فيها عن غياب أربعة عشر جنديا[2]،لمحاصرة هذه الظاهرة بعث السلطان محمود باشا فرمانا إلى باي تونس[3] يطلب منه القبض على الجنود الفارين من وفرقهم وتسليمهم إلى وكيل الجزائرمما سبق فإن العزوف عن الإنخراط في الإنكشارية يرجع إلى تردي أوضاع هذه المؤسسة والتوترالداخلي الأمرالذي أدخل الجيش في مواجهة مع القبائل المنتفضة

2-3- فساد المنظومة الأخلاقية للإنكشارية

أصبح الجيش الإنكشاري أواخرعهد الدايات عبأ على الدولة بحكم ممارساته وسلوكاته التي تتنافى مع القيم العسكرية وتقمصه أدورا أخلت بمكانته وأبعدته عن مهامه الطبيعية في الدفاع عن الإيالة والحفاظ على الدولة وإرساء الأمن والإستقرار،لقد ثارت الإنكشارية من أجل تحسين أوضاعها المادية وحبكت المؤمرات ودبرت الإغتيالات التي راح ضحيتها ستة دايات من بين ثمانية حكموا الإيالة خلال الفترة (1798م – 1830م)،فالجند كانوا على أهبة التمرد لفرض رئيس [4]كما اتسمت سياستهم تجاه السكان بالتسلط والنهب والسلب من خلال الإغارة القبائل والإستلاء على ممتلكاتهم و يرجع ذالك إلى جملة من العوامل أهمها سيطرة أفراد الإنكشارية على مفاصل الدولة وعدم الإلتزام بمعايير التجنيد المعمول بها سابقا إضافة إلى تردي الوضع المالي لهذهالمؤسسة وفي هذا الإطاريقول حمدان خوجة:"بعد أن إستقر للحكومة التركية أمرها في هذا البلد وبعد أن وسعت نفوذها وحصلت على طاعة هذا الشعب كان من بين أسباب التقهقرأنها أرسلت إلى إزمير وكلاء عنها لجلب الجنود فبدلا أن يتبعوا النظام القديم ويختاروا رجالا نزهاء،جندوا بدون تروي حتى الرجال الذين وقعوا تحت التأديب

(1):المكتبة الوطنية الجزائرية،قسمالمخطوطات،المجموعة 3190،الملف الأول،وثيقة.320.

(2):نفسه،وثيقة.238.

(3):نفسه،وثيقة.190.

(4): Julien,Ch,A,op,cit.p.12.

(5): حمدان بن عثمان خوجة (1775م – 1840م)،ينظر:نويهض،عادل، معجم أعلام ،ط1،المكتب التج التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1971م،ص.136.

وأصدرت في حقهم أحكام ومن بين هؤلاء يهود إغريق بعد أن أجري عليهم الختان"[1]،مما سبق يمكن القول أن فساد[2] الإنكشارية و أوضاعهمالمتدهورة كانت من بين أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط الإيالة في ظرف وجيز.

3- العامل الإقتصادي

تميزالوضع الإقتصادي بداية القرن التاسع إلى غاية سقوط الإيالة بالإستقرار ويرجع ذلك إلى جملة من العوامل:

3-1- ترجع مداخيل الإيالة

لقد وفرت عائدات النشاط البحري دخلا ثابتا للإيالة منذ تأسيسها،حيث شكلت غنائم الجهاد البحري ورسوم الملاحة نصف مداخيل الخزينة[2]ولكن مع تغيرالوضع الدولي وتحطم معظم القطع البحرية الجزائرية إثرالمعارك التي خاضتها إلى جانب الدولة العثمانية وعلى إثرالهجمات الأروبية بدأت القوة البحرية للإيالة تتضائل شيئا فشيأ وفي نهاية القرن الثامن عشرلم تكن للجزائر سوى عشرة أو عشرين سفينة[3]،لقد أدت هذه العوامل إلى تدني مداخيل لإيالة حيث جلب القراصنة في سنة 1801م أربع غنائم وفي 1803م غنيمة واحدة كما وصل مبلغ ما يجلب من القرصنة سنة 1812م إلى 2136675 فرنك وفي سنة 1813م وصل بصعوبة إلى عشر[4]،الأمرالذي إنعكس على إقتصاد الإيالة وتدهورالمستوى المعيشي للسكان ودفع بالسلطة إلى زيادة الضرائب لتدارك الإختلال المالي.

3-2- الهيمنة اليهودية على إقتصاد الإيالة

---

(1): سماتي،محفوظ،الأمة الجزائرية نشاتها وتطورها،تر،محمد الضغيربناني،عبد العزيزبوشعيب،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2012،ص.89.

(2): ومما يؤكد فساد الإنكشارية رسالة أحمد باي إلى الخزناجي يخبره بهروب آغا دايرة الحضنة

بالأموال في: المجموعة 1674،رسالة رقم 07،المكتبة الوطنية.

(2): Merad,Boudia,La formation sociale algerienne precoloniale,Essai d'analyse theorique,o,p,u,Alger,1980,p.382 .

(3): Valensi,L,op.cit,p.63.

(4): Ibid,p.68.

لقد دفعت الحاجة إلى تسويق غنائم البحرية حكام الإيالة إلى التحالف مع أكبر العائلات اليهوديةوالتجاراليهود[1]ومن بين الأسراليهودية التي أثرت في الحياة الإقتصادية والسياسيةعائلة بوشناقي[2] التي استقرت في الجزائرسنة 1723م،وعائلة بكري 1770م،لقد تمكنت العائلتان من ربط علاقات مع دايات الجزائرسمحت لهم بإحتكار التجارة والتأثير على حكام الإيالة،حيث يذهب شارل أندري جوليان إلى أن نفطالي بوشناق الذي قاد السياسة والإقتصاد في الجزائرمدة ربع قرن (1780م - 1805م)،كان يستقبل المبعوثين الأروبيين بإسم الدايوالقناصلة كانوا يخشونهم[3] وكان يتصرف في السفن لنقل الحبوب إلى بلاد النصاري من ميناء وهران وعنابة بإذن من الداي والخزناجي كما تعدى تأثيرها المجال الإقتصادي فأضحت لوبي سياسي يعين ويبعد البايات والموظفين السامين،لقد أصبحت شركة الإخوة بكري وبوشناقي التي تأسست في 1792م عصب إقتصاد الإيالة نتيجة إحتكارها التجارة الخارجيةوبفضل مساندة الدايات لها جمعت أموالا طائلة[4] حتى صارت تجارة البحرالابيض المتوسط خاضعة لليهود الذين أصبحوا يصنعون السلم والحرب على حد قول القنصل الفرنسي جون بون صان أندري[4]،إن تحول هذه الشركة إلى عملاق إقتصادي كان نتيجة القروض[5] الضخمة من خزينة الإيالة وعمليات الإحتيال التي كانت سببا في توتر العلاقات مع فرنسا وتدهور الإنتاج بعد مقاطعة السكان وإنتفاضتهم ضد الهيمنة اليهودية[5].

---

(1):الزهار،أحمد الشريف، مصدر سابق،ص.87.

(2):لمزيد من الإطلاع على الدور الإقتصادي لليهود أواخر العهد العثمانييينظر:الزبيري العربي تأسيس شركة بكري وبوجناح،مجلة لأصالة،عددأفريل-مارس،1975م،الجزائر،ص.222.

وأيضا: شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني،(1518م – 1830م)،رسالة دكتوراه،غير مطبوعة،جامعة الجزائر،2006م -2007م،ص.ص.245 - 256 .

(3):جوليان،شارل،أندري،تاريخ الجزائرالمعاصر،المرجع السابق ،ص.12.

(4): Venture,De paradis,Alger au 18emeciecle,Fagnan,Alger1898,p.87.

(5):بوعزيز،يحي،علاقات الجزائربممالك ودول أوربا فيما بين القرن 16م ومطلع القرن19م،الشركة

2-3- تضاعف الرسم الجبائي

أدي التراجع في مدخيل البحرية إلى لجوء حكام الإيالة إلى مضاعفة الضرائب لسد العجز المالي[1]،في هذا الإطارفقد طالب ديات الجزائرحكام الأقاليم تدعيم الخرينة المركزية من خلال إيجاد مصادربديلة لتحصيل الضرائب مما دفع بالبايات إلى شن حملات عسكرية لتحصيل الإلتزمات المالية،الأمرالذي أدخل الإدارة المحلية في مواجهة مباشرة مع القبائل في هذا الشأن يتعرض ابن هطال لدوافع حملة محمد بالكبيرالجنوب الصحراوي:" إِرى أنها بلدان غزيرة إلأ أنها لم تنلها أيدي السلطة ولم يكن منها مصلحة ولا منفعة معينة"[2]،لقد ارتكزت السياسة الضريبية على تنويع مصادرالجباية وفق معاييرمحددة تؤخد بعين الإعتبارالعامل الجغرافي وعامل الثروة وفي بعض الأحيان لا تستند على أي معايير،فعلى تجارالمدينة فرضت رسوم قدرت بثلاثين سنتيما شهريا،كما فرضت ضريبة دارالسلطان على المدن التي تتواجد بها حاميات عسكرية إضافة إلى ضريبة "المكوس" على السلع التي تدخل السوق[3]،وزيادة على الضرائب الشرعية الثابة (عشور،زكاة،خراجرض) فقد فرضت ضرائب إستثنائية (اللزمة)لتدعيم الجيش في الحالات الطارئة كما أرغمت قبائل الرعية على دفع (الغرامة) و في هذا الشأن يقول سعيدوني ناصرالدين"فكل منطقة كانت تفرض عليها ضريبة خاصة حسب طبيعتها وأحوالها المناخية "،كما فرضت ضريبة على كل محراث يجره ثوران،إلى جانب ضريبة "العوائد" التي تقدمها قبائل الرعية مرتين في السنة وضريبة "الحصة"التي تقدمها و ضريبة "الضيفة" التي تقدمها القبائل عند مرورالحاميات على أراضيها[4]مما سبق يتضح أن

---

(1):سعيدوني،ناصرالدين،تدعيم الحكم التركي في الجزائر،مجلةالأصالةع32 الجزائر،1976م،ص.56.

(2):التلمساني،ابن هطال،رحلة الباي محمد الكبيرإلى الجنوب الصحراوي،تحقيق محمد بن عبد الكريمدارالكتب،القاهرة،ص.36.

(3):الراشدي،ابن سحنون،االثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،تحقيق وتقديم البوعبدلي،مطبعة البعث،قسنطينة،1973م،ص.105.أنظرأيضا:الزياني،المرجع السابق،ص.420.

(4):سعيدوني،ناصرالدين،النظام المالي أواخر العهد العثماني(1792 – 1830)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985م،ص.118.

حكام الإيالة تفننوا في إيجاد مصادرللجباية كما أنهم أبدعوا في أساليب تحصيلهابحكم أنها شكلت الشريان الذي ظل يقتات عليه نظام الإيالة تأكيدا على هذا الطرح يقول الباي حسن"إن أهل الجزائرأكلوني لذا تراني آكل الرعية"[1] ويقول آخر"إن حكام الجزائر أخذوا كل ثروتي ولهذا تراني أخرب البلاد"[2]،لقد انعكست السياسة الضريبية سلبا على الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية كنتيجة لتجاوزات البايات،حيث يذكر الورتلاني أن العثمانين لما دخلوا بسكرة أضروا بأهلها وأجحفوا لهم في الخراج،لذا اجتمعت عليهم غارات العرب من الخارج وظلم الأتراك[3]،ويقول الزهار"[4]هكذاوضع الأوائل الجباية عل منهج شرعي والأواخر يخرجون المحلات لإستخلاص المغارم وظلمات ونهب أموال المسلمين... فجارا والأمراء ظالمين". ومما يؤكد معاناة الأهالي من السياسية الضريبية رسالة أحمد باي إلى أغا النوبة يطلب منه رفع الطام الذي لحقه من الشاوش الذي ضاعف الضراب عليهم[5]،وعليهيمكن القول أن سياسية الضريبية عكست عمقت الأزمة الإقتصادية التي شهدتها الإيالة أواخرعهد الدايات وعكست هشاشة إقتصادها وكانت عاملا مباشرا في في تردي الأوضاع الإجتماعية.

4- العامل الإجتماعي:

4 -1-الإنتفاضات الشعبية

لقد أثارت السياسة العثمانية أواخرعهد الديات ردودا إجتماعية واسعة جسدت الرفض الشعبي لتسلط الحكام وإستبدادهم وترجمتها مظاهر السخط عن تردي الأوضاع وسوء الأحوال الإجتماعية التي جعلت من الإيالة بيئة خصبة لمختلف الحركات الثورية والموجات التمردية،فيهذا الإطارفقد شهدت الإيالة أواخرالحكم العثماني تصدع في الجبهة الداخلية

(1):المزاري، بن عودة،طلوع سعد السعود في أخبارمدينة وهران والجزائروإسبانيا وفرنسا أواخرالقرن 19م،تحقيق يحي بوعزيز،دارالغرب الإسلامي،ج2 ،بيروت،1990م،ص.241.

(2):الزهار،أحمد الشريف،مصدر سابق،ص.40.

(3):الورتلاني،الحسن،نزهة الأنظارفي فضل علم التاريخ والأخبار،فونتانا،الجزائر،1907م،ص.89.

(4):الزهار،الحاج أحمد الشريف،المصدرالسابق،ص.35.

(5):المكتبة الوطنية،المجموعة 1642،رسالة رقم 06.

ميزته المواجهة بين نظام الإيالة وشرائح واسعة من المجتمع الأمرالذي أدخل الحكام في حرب إستنزاف أدت إلى إضعاف السلطة الحاكمة وإضطراب أوضاع الإيالة،وفق هذا المنحىفقد تركزت دراستناعلى نموذجين ثوريين أثرا من وجهة نظرننا على حاضرومستقبل الإيالة.

4 -1-1- الثورة الدرقوية

تعد الطريقة الدرقاوية من أهم الفاعلين في جبهة المعارضة والرفض ضد السلطة العثمانية حيث ناصبت العداء للسلطة[1] خصوصا في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني تأسست هذه الطريقة في فاس وامتدا نفوذها إلى الغرب الجزائري[2] ،وصل عدد أتباعها في سنة 1796م إلى 9567 مريد موزعين على عشرزوايا [3]تفرعت عنها عدة طرق أهمها الطريقة العلوية للشيخ أحمد بن مصطفي والطريقة الهبرية للشيخ محمد الهبري ،ومن أقوى الثورات الدرقوية التي واجهها حكام الإيالة:

أ- ثورة إبن الأحرش في الشرق الجزائري

إندلعث هذه الثورة ببايلك الشرق تحت قيادة ابن الأحرش وهو فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة درعي النسب[4].

أ-1-عوامل إندلاع الثورة

أ-1-1- شخصية ابن الأحرش

فقد عرف بشخصيته الثائرة وشجاعته و بدهائه وفصاحة لسانه[5] وقدرته على الإقناعوتفقهه في الدين ومعرفته بأحوال الناس حيث إستغل سذاجة أهل الريف وتمكن بحيله من

(1): De neuveu,Khouanes,ordre religieux chez les Musulmants de l'Algerie,2emeEd,Imp,de A. Guiyot,Paris,1846,p.175.

(2): Rinn,Louis,Marabouts,et Khouanes,etude sur l'Islam en Algerie,A,Jourdan,Alger,1884, p.75

(3): Depont,Octave,Coppolani.Xavier,Les confreries religieuse musulmanes,A,Joujourdan,Alger,1897,p.23.

(4):المزاري،بن عودة،المصدرالسابق،ص. 299.

استدرجهم للإنخراط في صفوف حركته،فقد اعتقدوا في ولايته حتى شاع بينهم أنه بإمكانه تحويل التراب إلى ذهب[1]،وأنه صاحب الوقت الذي سيخلصهم من ظلم الأتراك وجورهم.

أ-1-2 - الدعم الأجنبي

تشيرالمصادرإلى إتصال ابن الأحرش بالإنجليزوأغروه بالهدايا والأسلحة[2] للثورة على العثمانيين للحد من النفوذ الفرنسي[3] في الجزائر،كما تكشف الوثائق الإسبانية عن إتصال زعماء الثورات بالحكومات الأجنبية[4] طلبا للدعم مقابل حصول هذه الاخيرة بإمتيازات كما قامت فرنسا بتزويد القبائل الشرقية بالسلاح[5] لدعم التمرد ضد سلطة العثمانية إضافة للمساندة التونسية لإبن الأحرش حيث يذكر الزهارأن حمودا باشا حاكم تونس حرضه على الثورة[6]

أ-1-3- تاييد القبائل

حظي مشروع ابن الأحرش تأييد شريحة واسعة من القبائل، كعيدوني وبني مسلم وبني خطاب[6]،ويرجع ذلك إلى المكانة التي وصل إليها إبن الأحرش بين القبائل بفضل نشاطه الديني حيث أسس معهد بنى فرقان وساهم في نشر الوعي الديني الأمرالذي أكسبه ثقة القبائل التى التفت حوله[7].

ب - مراحل الثورة

ب-1- حصارقسنطينة

(1): Mercier,Ernest,Histoire de Constantine,S.N.D.Alger,1903,p.309.

(2): Mercie,,ErrnestHistoire,de l'Afrique sptentrional berberie de puis les temps les plus recules jusqua la conquete Francaise,E,leroux,T_3,Paris,1891,p.457.

(3):بلحميسي،مولاي،الثورة على الأتراك في الجزائر شواهد مشتقات من رسائل اسبانية منشورة مجلة الثقافة،عدد 48،الجزائر،1978م،ص.47.

(4):الزبيري،العربي،مقاومة الجزائر للتكتل الأروبي قبل الإحتلال،مج الأصالة،ع12، 1983م،ص.14.

(5):الزهار،الحاج أحمد الشريف،المصدر السابق،ص.85.

(6): العنتري،محمد صالح،مجاعات قسنطينة،تحقيق رابح بونار،ش.و.ن.الجزائر،1974م،ص.29.

(7): Feraud,Charles,les cherifs kabyles de 1804-1809,dans la province de Constantine,In R.A,n^{0}13,1869 , p.212.

بدأ ابن الأحرش ثورته بإخضاع القل ثم عنابة[1] التي فرت منها الحامية التركية ثم اتجه بعد ذلك إلى قسنطينة أين حاصرها في قوة عسكرية تعددها عشرة ألاف[2] إلا أنه لم يتمكن من سيطرة على المدينة نظر لإستماتة السكان في الدفاع عنها وخسرحوالي مائتي من مقاتليه[3].

ب-2- معركة وادي الزهور

تمكن ابن الأحرش من إستدراج باي قسنطينة إلى وادي الزهورأين استطاع التغلب على جيش الباي المتكون من 4000 جندي و3500 مقاتل من القبائل[4].

ب-3- القضاء على الثورة

أرسل الداي مصطفى الحاج علي أغا مع الباي الجديد عبد الله بن إسماعيل لملاحقة ابن الأحرش الذي إنهزم أمام قوات علي أغا في ميلة[5] ليتم القضاء على أتباعه في بجاية على يد العثمانين وحلفاءهم آل المقراني[6]،أما مقتله فكان على يد ابن الأشرف[7].

4-1-2- ثورة إبن الأشرف في الغرب الجزائر

قاد الثروة الدرقاوية بالغرب الجزائري محمد بن عبد القادربن الشريف الفليتي من قبيلة كسانة جنوب غريس درس في القيطنة ثم ارتحل إلى المغرب أين أخذ مبادئ الطريقة على يد الشبخ محمد العربي وبعد إجازته رجع إلى مسقط رأسه حيث عمل على نشرالطريقة[8]

(1): Berbrugger,Louis,Un cherif kabyle en 1804 , In R.A,N^{0}3,1858,p.21.

(2): De neuveu,op.cit,p.126.

(3): شعيب،محمد المهدي،أم الحواضر في الماضي والحاضر،مطبعة البعث،1980م، ص.391.

(4): Esterhazy,Wilson,de la domination turque dans la regence d'Alger,Paris,1840,p.201.

(5): Vayssette,Histoire des dernier bey de constantine de puis 1793 jusqua la chute d'Ahmed bey,in R.A,N^{0}4,1860,p.265.

(7): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر،تعليق،ممدوح حقي ج1،دار الثقافة العربية ،دمشق،1964م،ص.118.

(8):لمزيد من الإطلاع ينظر:عمار،هلال،الطرق الصوفية ونشرالإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1988م.

ترجع أسباب إندلاع هذه الثورة وإنتشارها إلى:

أ-1- مكانة ابن الشريف

تمتع إبن الشريف بمكانة ونفوذ واسع خاصة لدي قبائل الصحراء حيث تذكرالمصادر أنهم كانوا يمدونه بالعطايا والهدايا[1] ويستشيرونه في أمورهم ويرفعون إليه شكواهم وما يلقونه من جور وظلم الأتراك، بحكم الدورالديني الذي اطلع به وتنقلاته المستمرة بين القبائل.

أ-2- المساندة المغربية

تجلى الدعم المغربي لإبن الشريف من خلال الرسالة التي وجهها له السلطان المغربي جاء "وصلتني رسالتك وأسأل الله أن يجازيك على أفعالك الحسنة إتجاها المسلمين...وعندما تأتي سأطلب رأيك فيما يجب إتخاذه وعمله في البلاد التي أنت فيها[2]"،إلا أن صاحب الإستقصاء يذهب إلى أن سلطان المغربي حاول تهدئة الأوضاع والإصلاح لا إستغلال الظروفوالتدخل لدعم الثورة،إضافة إلى ذلك فقد دعم زعيم الدرقاوية الشيخ محمد العربي بعد أن أفتى لمقدمه بوجوب قتال العثمانيين حيث نقل الزياني قوله لإبن الأحرش" عليك بجهادهم وقتالهم والله ينصرك عليهم[3]".

أ -3- سياسة الباي مصطفى العجمي

اتسمت سياسته بنهب الأموال وعدائه لمشايخ الطرق حيث أورد الزياني وصف ابن الأشرف للوضع متهما رجال الحكم بالبغي على الناس وتهميش العلماء كما يشير حمدان خوجة إلى استحكام العداء بين الحكام ومشايخ الطرق[4]لقد كانت من نتائج الممارسة التعسفية لسلطة البايلك إلتفاف القبائل حول ابن الشريف ودعمهم ومساندتهم للثورتهضد الحكم_____

(1):المزاري،بن عودة،المصدرالسابق،ص.302.

(2): الناصري،أحمد السلاوي،الإستقصاء في أخبار المغرب الأقصى،تحقيق وتعليق ،جعفر الناصري محمد الناصري،دار الكتاب،دار البيضاء،1956م،ص.308.

(3):الزياني،محمد بن يوسف،دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران،تقديم وتحقيق،المهدي البوعبدلي،ش،و،ن،ت،الجزائر،1971م،ص.108.

(4): حمدان،بن عثمان خوجة،المرآة ،تح،العربي الزبيري،ش.و.ن،ت،الجزائرالمصدر السابق ،ص.168.

ب - مراحل الثورة

ب-1- مرحلة الإستعداد

تمكن إبن الشريف جمع أكبرعدد من الأنصارمن مختلف المناطق كما نال مشروعه تأييد القبائل المتمردة ودامت هذه المرحلة من 1800م إلى غاية 1805م وتميزت هذه المرحلة بتظيم الصفوف وإعداد المعسكرات وجمع الدعم المادي وتوفير السلاح.

ب-2- مرحلة القوة والإنتشار

أهم ماميز هذه المرحلة إنهزام جيش الباي[1] في معركة فرطاسة 1805م،حيث وصف عبد لقادربن مسلم ما آلت إليه المعركة قائلا:"...فأمسى الباي ومخزنه في نكد وأصبح الدرقاويوأتباعه في رغد[2]"،لقد ترتب عن هذا الإنتصارإنضمام المزيد من القبائل المتمردة والتفافها حول ابن الشريفا لذي استطاع دخول معسكرأين عرفت الثورة منعرجا هاما اتضحت فيه الأهداف السياسية للثورة بعد أن راسل القبائل للمبايعته،فقد ذكرالزياني"...فالواجب عليكم مبايعتنا،فوافقه جمغفيروخلق كثير"[3] ، إضافة إلى تنسيق إبن الشريف مع السلطان المغربي وزيارة زعيم الدرقاوة التي أعطت دعما قويا للثورة حيث

يذكر صاحب الإستقصا " زدات العرب بذاك تظاهرا على الترك وتكالبا"[4] لقد شهدت هذه المرحلة ازدياد شدة الثورة وإتساع رقعتها من مليانة إلى تلمسان [5]وكادت تقضي على الوجود العثماني في المنطقة لولا توفرجملة من العوامل منها ما تعلق بالإستراتيجية التي تبنتها الثورة وأخرى تعلق بالإمكانيات التي سخرتها حكومة الإيالة للقضاء على الثورة.

ب -3- مرحلة التراجع

تبدأ هذه المرحلة بتعين الباي محمد المقلش سنة 1805م،والذي بفضل الإستراتجية التي

---

(1):الزياني،محمد بن يوسف،المصدر السابق،ص.208.

(2): بن عبد القادر،مسلم،خاتمة أنيس الغريب والمسافر،ش.و.ن.ت،الجزائر،1974م،ص.73.

(3): الزياني،محمد بن يوسف،المصدرالسابق،ص.209.

(4):الناصري ،أحمد السلاوي،المصدرالسابق،ص.110.

(5):المزاري،بن عودة،المصدر السابق، ص،315.

اعتمدها والمبنية على قمع أنصارالدرقاوي وملاحقتهم والتحالف مع أكبرقبائل المساندة لابن الشريف[1]،تمكن من إلحاق هزائم متوالية بالدرقاوة أهمها معركة أولاد زايرأين قام الباي بإرسال ستمائة رأس من أنصارابن الشريف إلى الداي ومعركة عين السدرة ومعركة تافنة التي هلك فيها خلق كثيرمن طلبة[2] ورغم هذا التراجع فقد استمرت الثورة إلى عهد الباي علي قارة بغلي والباي بوكابوس حيث أثار ابن الشريف قبائل الجنوب الوهراني لكن محاولاته باءت بالفشل لينسحب بعدها إلى بني سناسن ومات هناك بالوباء سنة 1809م[3]،إلا أن هناك بعض المصادرذكرت ظهورابن الشريف مجددا سنة 1816م وأثارقبائل الأحراردون نتيجة لينسحب نهائيا إلى فقيق[4]لتنتهي بذلك الثورة التي أرقت الحكام العثمانيين بالإيالة.

4 -1-3- الثورة التجانية

تنسب الطريقة التجانية إلى أبو العباس أحمد بن مختارالتيجاني[4] المولود بعين ماضي سنة 1773م درس في بلدته ثم التحق بفاس 1758م واحتك بعلمائها ومكث سنتين في المشرق ولما رجع تعلم مبادئ الطريقة الخلوتية وبعد أن أصبح مقدما[5] لها رحل مجدد إلى فاس

وكرس وقته لنشرطريقته تتميزالتيجانية بقوة نفوذها حيث إنتسب إليها أمرء مناطق صحراوية وإفريقيا[6].

أ- عوامل إندلاعها

من بين أبرز الأسباب الجوهرية التي أدت إلى إندلاع هذه الثورة السياسة العثمانية التعسفية إتجاه التيحانين تجلى ذلك من خلال الحملات العسكرية التي قادها البايات على عين ماضي لتحصيل أموال الجباية بإستعمال مختلف أساليب القهر والإضطهاد ومن أهم الحملات حملة

---

(1):مسلم،بن عبد القادر،المصدرالسابق،ص.69.

(2):بن عبد القادر،محمد،المصدر السابق،ج1،ص.115.

(3): Esterhazy,op.cit,p.207.

(4):Simian,Marcel,Les confreries,islamique en Algerie,A,Jourdan,Alger,1910,p.69.

(5):Rinn,Louis,opcit, p.419.

(6): Merad, Boudia,opcit, p.370.

الباي محمد الكبيرعلى عين ماضي الأولى في 1782م والثانية سنة 1784م حيث دفع سكان المنطقة للباي الخيل والخدم والمال وفرض عليهم ضريبة تقدرب188ريال رغم الضيق والحاجة[1] وحملة الصالح باي 1785م والحملة التي قادها الباي محمد بن عثمان لإخضاع المنطقة في 1777م حيث فرض على أهلها ضريبة تقدر ب 18ألف ريال[2]وفي سنة 1820م قاد الباي حسن بحصارعين ماضي إنتهى بعد تقديم أهلها مبلغ مائة ألف ألف بوجو ليجدد الباي حصاره لعين ماضي في سنة 1825م[3] مما إضطرالسكان إلى دفعغرامة والقبول بضريبة سنوية تقدر ب500 ريال[4]،لقد ترتب عن المعاملة المجحفة في حق التيجاني إلى ردفعل عنيف من قبل أتباع وأنصارالطريقة التي تبنت الخيار المسلح للدفاع عن نفسها.

ب - المواجهة مع السلطة العثمانية

ردا على الإعتداءات المتكررة قام تيجاني بإعلان الثورة إتصل بسكان غريس الذين بايعوه واتفقوا معه على محاربة الباي حسن[5]كما اتصل بقبيلة الحشم التي وافقت على الإنضمام إلىصفوفه مما جعلها عرضة لإنتقام الباي[6] الأمرالذي دفع بالتيجاني إلى تجهيز جيش قوامه 600 مقاتل واتجه نحو معسكرإلا أن الباي حسن تمكن من هزيمته بعد إنسحاب قبيلة الحشموورد في بعض المصادرأن الباي اغراهم بأموال كثيرة ففروامنه[7] وانتهت المواجهة بمقتل التيجاني رفقة ثلاثمائة من أتباعه[8].

4 -2- الحركات التمردية

---

(1): ابن هطال،أحمد التلمساني، المصدر السابق،ص.73.

(2): Esterhazy,Wilson,op.cit,p .199.

(3):.Rinn.louis;op.cit,p.423

(4):.Ibid,p.423

(5): االزهار،أحمد الشريف،المصدر السابق،ص. 159.

(6): Boyer, Piere Contrubtion a l'etude de la politique religieuse des Turcdans la regence, d'Alger,16eme -19eme ciecle in R;O.M.M,N^{0}1,1966, p.71.

(7):المزاري،بن عودة،المصدرالسابق، ص.47.

(8):بن عبد القادر محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدرالسابق، ص.135.

بالإضافة إلى الثورات فقد شهدت الإيالة تمرد بعض القبائل التي تحصنت بالجبال والمناطق الوعرة كتمرد قبائل فليسة في جرجرة بين سنة 1767م و1769م وفي سنوات 1773م و1800م وكذلك سنة 1807م،1810م و1820م[1] وتمرد قبائل الأطلس البليدي بني صالح وصوماته في 1805م وبني جعاد 1824م وفي الشرق قبائل الأوراس 1797م والنمامشة 1803م والحنانشة 1805م ووادي سوف 1825م وفي الهضاب أولاد عبد النوروعامروفي الغرب قبائل الأنقاد[2]التي تمكنت السلطة العثمانية من التغلب عليهاوإخضاعها.

4 -3 - قراءة في خصائص الإنتفضات الشعبية

إن أبرز ما ميز هذه الإنتفاضات أنها:

أ- ذات طبيع ديني أطرها رجال الدين المعارضين للسياسة حكام الإيالة وطابع شمولي شعبي ويرجع ذالك إلى نفود زعماء الطرق الذينع ارضوا السياسة الضريبية والإمتيازات واحتكار اليهود وهيمنتهم على إقتصاد الإيالة.

ب - أحدث هذه الثورات قطيعة بين النظام وحكام الإيالة وتصدع الحلف القائم بين الحكام والمرابطين الذين ساهموا في إضفاءالشرعية على النظام العثماني منذ تأسيس إيالة الجزائر

ج - ساهمت هذه الثروات في تردي الوضع الإقتصادي وسوء الأحوال المعيشية وفقدانالأمن و كما أدت إلى استنزاف إمكانيات الإيالة وإضعاف جيشها و تقويضسلطتها

د- فتحت المجال أمام الأطماع الإستعمارية والتدخل الأجنبي

4 -3- تردي الأوضاع الإجتماعية

عاش مجتمع الإيالة أوضاعا متردية نهاية القرن الثامن عشروبداية القرن التاسع عشرويعود ذالك إلى جملة من العوامل أهمها الصراعات الداخلية التي كرست الأ إستقرار ولا أمن

---

(1):سعيدوني،ناصرالدين،عصرالأمير،مؤسسة عبد العزيز سعود البا بطين للإبداع الشعري،،الكويت 2000م،ص.117.

(2):نفسه،ص.118.

مما أدى إلى تراجع الأنشطة الإقتصادية ضف إلى ذالك الحصار البحري وهيمنة اللوبي اليهودي على مفاصل الإقتصاد[1]،الأمرالذي أفضى إلى تدهورالوضع المعيشي لسكان كما ساهم العامل الطبيعي في تدهورالمستوى المعيشي والصحي،فقد إنتشرت المجاعة بسبب الجفاف الذي ضرب الإيالة من 1804م إلى 1808م ومن 1816م إلى غاية 1822م،أدى إلى إنعدام المؤن مما أجبر حكومة الإيالة على إستراد القمح من موانئ البحر االمتوسط في عهد الداي مصطفى باشا وفي سنة 1819م قام حسين باشا باستراد القمح من موانئ البحر الأسود ،وتعد مجاعة 1816م من أخطر المجاعات التي شهدتها الجزائر بسبب إنعدام الغداء و إختفاء المزروعات من مناطق التل والساحل إضافة لتعرض مناطق مختلفة من الإيالة لزلال متوالية في عنابة سنة 1810م،حيث ذكر"فلانسي" إعتمادا على أحد

المراسلين من عنابة "لن ندرك أثار الدمارإلا إذا نظرنا إلى مكان المدينة التي أغلقت في ثلثيها" في مدينة الجزائر 1818م،و متيجة 1825م،وعرفت مدينة الجزائرمن 1800م إلى 1824م زحف الجراد مما أدى إلى إتلاف المحاصيل الزراعية والجفاف الذي عرفته الجزائر في سنوات 1800م،1800م،1816م،1819م، في مناطق متعددة بالإضافة إلى الفيضانات والعواصف البحرية مما أدى إلى إنتشار الأمراض المعدية والأوبئة التي فتكت بالألاف من السكان[3]،حيث يذكر حمدان خوجة:"...عندما كان الطاعون يجتاح الجزائر في فترات متالية وقد دامت هذه المحنة عشرين سنة فعيرت من مظاهرالمدينة...ووأبيد الجنود الذين يحرسون الأمان الحضرية"[4]،مما سبق يمكن القول أن الكورات الطبيعية تسببت في إضعاف مقدرات الإيالة المادية والمعنوية الأمرالذي ساهم في ضعفها وبالتالي عجزها عن مواجهة الغزو الفرنسي.

ثانيا : إنعكاسات التحولات الأروبية على أوضاع الإيالة(1800م – 1830م)

شهدت أوربا تغيرات جوهرية مطلع القرن التاسع شكلت البدورالأولي لنظام دولي جديد

---

(1):الميلي،مبارك،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج3،د.ت،مكتبة النهضة،الجزائر،ص.310.

(2):سماتي،محفوظ المرجع السابق،ص.37.

(3):سعيدوني،ناصرالدين،ورقات جزائرية،دار الغرب الجزائري،بيروت،2000م،ص.ص.561-565.

(4): Khodja,,H,Ithafmunsafan wa al udaba,SNED,Alger,1986,p.47.

تأسس على أنقاض التحولات السياسية والإقتصادية والصراعات العسكرية والتطورات الإجتماعية والإسهامات الفكرية وحددت طبيعته سياسة التحالفات والمؤتمرات التي صنعت الوفاق الأروبي وبلورت رؤى ومواقف القوى الأروبية إتجاه العالم الإسلامي الذي بدأ في الإنحسار والتفكك وفي المقابل بسطت أوربا هيمنتها ونفوذها على حوض البحرالأبيض المتوسط،الأمرالذي أدخل الإيالة في مواجهة مستمرة مع القوي الغربية أدت إلى إضعاف الإيالة وبالتالي تراجع الدورالريادي للجزائري في المنطقة،لقد تجلت تأثيرات التحولات في حوض البحرالأبيض المتوسط في أوضاع الإيالة منذ مطلع القرن التاسع عشرمن خلال الحصارالسياسي والإقتصادي والهجمات المتكررة على سواحل الإيالة.

1- التأثيرالسياسي:المسألة الجزائرية في المؤتمرات الأروبية

بعد إنتهاء الحروب النابليونية (1789م – 1789م) إجتمعت القوى الأروبية في مؤتمر فيينا لإعادة رسم الخريطة الأروبية بعد إنهزام نابليون بونابرت كما بحث المؤتمرمسألة الأمن في حوض البحرالأبيض المتوسط من خلال الإقتراح الذي تقدم به فرسان مالطة حول نشاط القرصنة التي تمارسه الدول البربرية وعلى رأسها الجزائروطالبت بإتخاذ إجراءات صارمة على المستوى الأروبي لمعاقبة هذه الدول،لقد تباين مواقف الدول الأروبية من المشروع فبينما رأت بريطانيا أن الوقت قد حان لمعقابة الدول المغاربية الداعمة للقرصنة[1]،سعت فرنسا جاهدةلعرقلة هذا المشروع[2] من خلال بعث العلاقات الدبلوماسية بينها وبين الإيالة وفي هذا الإطار فقد عينت بياريفال قنصلا لها بالجزائرفي 28 أوت 1815م الذي حاول إعادة العلاقات الفرنسيةالجزائرية إلى سابق عهدها وفي مؤتمرأكس لاشبيل[3] الذي انعقد واخرسبتمر1818ماتفق المجتمعون على إصدارتصريح موجه للدول المغاربية يحمله مبعوث إنجليزي وفرنسي لإبلاغ ما توصلت إليه الدول الأروبية وافتكاك تعهد كتابي للحد من القرصنة في الشأن فقد سلم للداي حسين التصريح في 5 سبتمبر1819م جاء فيه"إن الدول المجتمعة في أكس لاشبيل

---

(1):قنان،جمال، معاهدات الجزائرمع فرنسا (1619م -1830م)،م.و.ك،الجزائر،1987م،ص.208.

(2):قنان،جمال،قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر،ص.55.

(3):بوعزيز،يحي،الموجزفي تاريخ الجزائر،الحديث والمعاصر،ج1، م.و.إ.ن.ت،الجزائر،1994مص.357.

عقدت العزم على وضع حد لنظام القرنصة الذي هوليس مضرا بالمصالح العامة للدول فقط وإنما مخربا لكل أمل في الرخاء للذين يستخدمونه وإذا استمرت الإيالات في إتباع نظام هو عدوالتجارة الآمنة فسيؤدي ذلك إلى قيام عصبة من الدول الأروبية ضدها[1]"،و في مؤتمرلندن المنعقد في(1816م -1817م) أعيد طرح المسألة الجزائرية أين طالبت الدول الأروبية بإلغاء نظام الأتاوات وإطلاق الأسرى والكف عن ناشاط القرصنة[2]، تأسيسا على ماسبق فإن إيالة الجزائرمن وجهة نظرالأروبين شكلت عائقا أمام المشروع الأروبي الهادف للهيمنة على حوض البحرالأبيض المتوسط والذي لا يتحقق إلا بالسيطرة على الإيالة،كما

أن تباين المواقف بين فرنسا وبريطانيا يندرج في إطار التنافس الإستعماري حيث إستطاعت فرنسا بفضل سياستها إتجاه الإيالة إبعاد الدول الأروبية عن التدخل في المسألة الجزائرية.

2- التأثير العسكري

تميزت العلاقات الجزائرية الأروبية بالمواجهة المستمرة نتيجة النشاط البحري للإيالة ومشاركتها في الحروب العثمانية،لقد تجلت إنعكاسات الوضع الأروبي مطلع القرن التاسع عشر على أداء وقدرات جيش الإيالة من خلال:

2-1- النشاط الإستخباراتي

اتسمت العلاقات الجزائرية الفرنسية بالإنسداد بعد غزو نابليون بونابرت لمصر 1798محيث أعلنت الجزائر الحرب على فرنسا بطلب من الباب العالي[3]،وأزداد التوترفي العلاقات بعد مطالبة ديوان الإيالة الحكومة الفرنسية بتسديد ديونها[4] الأمر الذي دفع بفرنسا إلى التفكيرفي إحتلال الجزائر،في هذا الإطار قام نابليون بونابرت بإرسال بعثات إستكشافية إلى الإيالة بغرض جمع المعلومات حيث قام بتكليف القنصل جون سان أندري بإعداد مشروع لإحتلال

---

(1):قنان،جمال،قضايا ودراسات ،مرجع سابق،ص.213.

(2):سعيدوني،ناصر الدين،عصر،مرجع سابق،ص.122.

(3):كوران،أرجمند،السياسة العثمانية إتجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر(1827م-1847م)،ترجمة عبد الجليل التميمي،ط2،الشركة التونسية لفنون الرسم،تونس،1974م،ص.19.

(4):للإطلاع على الغزو الفرنسي للجزائر،ينظر:أبو القاسم،سعدالله،الحركة الوطنية،ج1،ص.ص.5-21.

الجزائروفي 1808م كلف الضابط بوتان[1] لإعداد تقريرمفصل عن تحصينات الإيالة وعن الوضع الإقتصادي والإجتماعي ساعد في نجاح عملية الغزو سنة 1830م.

ب - الهجمات الأروبية

تنفيدا لقرارات مؤتمرفيينا الخاصةبمحاربة القرصنة وتجارة الرقيق قامت إنجلترا بارسال حملة عسكرية بحرية[2] تحت قيادة اللورد اكسماوث انطلقت يوم 28 جولية 1816م

من ميناء بلايموث إنضم إليها الأسطول الهولندي[3] بعد ذلك،وصل التحالف الأروبي إلى سواحل الإيالة في 17 أوت 1916م وبدأ الهجوم بالمدافع التي دكت الحصون الدفاعية مما أرغم الداي عمرباشا على الإستسلام[4]، ليتجدد بعد ذلك الإعتداء الإنجليزي بقيادة السيرهاري نيل دون تحقيق نتيجة وفي 24 جويلية 1824م أغارالإنجليزعلى مدينة الجزائروانتهى الهجوم بعقد صلح بشروط إنجليزية مقابل إستبدال السفيرماك دونالد[5].

ج - تحطم الأسطول الجزائري في معركة نافارين

تمكن التحالف الأروبي المكون من إنجلترا وفرنسا بمساعدة روسيا من تدمير الأسطول الجزائري المشارك في معركة خليج نافارين 20 أكتوبر1827م جنوب غرب اليونان إلى جانب الأسطول العثماني والمصري و طرابلس وتونس أين شاركت إيالة الجزائر بستة سفن[6]بقيادة مصطفى باشا،لقد شكلت المعركة منعرجا خطير في تاريخ البحرية الجزائرية بتحطممعظم سفن الإيالة[7]مما أدي إلى تدهور قدراتها الحربية ومهدفيما بعد للحصار البحري

---

(1):زوزو،عبد الحميد،نصوص ووثائق في تاريخ الجزائرالمعاصر،دارهومة للنشروالتوزيع،الجزائر 2013م،ص.331.

(2): سبنسر،وليام،المصدرالسابق،ص.155.

(3):بوعزيز،يحي،علاقة الجزائرالخارجية مع دول ومماليك أوربا ،مرجع سابق ص.121.

(4):التميمي،عبد الجليل،مرجع سابق،ص.65.

(5):الزبيري،محمد العربي،مقال سابق.ص.129.

(6):سعيدوني،ناصرالدين،ورقات،مرجع سابق،ص.324.

(7):نفسه،ص.324.

معظم سفن الإيالة[1]مما أدي إلى تدهور قدراتها الحربية ومهد فيما بعد للحصار البحري الفرسي بداية من سنة 1827م[1] والذي بدوره حال دون وصول العتاد الحربي والدخيرة للإيالة وساهم في تعطيل التجنيد وبالتالي تناقص الإنكشارية.

3- التأثيرالإقتصادي

أدى إختلال التوازن في حوض البحرالأبيض المتوسط إلى بروز نسق دولي جديد ترسخت معالمه بعد إنتهاء الحروب النابليونية وجنوح الدول الأروبية إلى سياسة التكتلات والوفاق التي حددت أهدافها المؤتمراتالأروبية[2]بداية من مؤتمرفيينا الأمرالذي إنعكس على الأوضاع المنطقة حيثهيمنت القوى الأروبية على المتوسط فسيطرت على طرق المواصلاتوحركة التجارة الدولية،لقد أثرهذا المناخ الدولي الجديد على الوضع الإقتصادي للإيالة من عدة أوجه

أ - تراجع الدورالإقليمي للإيالة

لقد ترتب عن سياسة الوفاق الأروبي إنحصارالنفوذ التي تمتعت به الإيالة طيلة العهود السابقة في حوض البحرالأبيض المتوسط ويرجع ذلك أساسا إلى الحصارالذي ضربه التحالف الأروبي على بحرية الإيالة وعدم صمود أسطولها أمام الهجمات المستمرة للبحرية الأروبية التي استفادت من الثورة الصناعية فطورت من أدائها وقدراتها الحربية مما ساهم في إنخفاض الدخل البحري وتوقف الدول الأروبية عن دفع الإتاوات تناقص عدد الأسرى وبالتالي عدم الإستفادة من أموال الفدية ومن أرباح تجارة الرقيق،مما يعني فقدان مصادردخل هامة لدعم الخزينة العامة للإيالة.

ب - إضطراب التجارة الخارجية

صرح القائم بأعمال فرنسا في مالطا سنة 1790م "إن الهدف من معاهدة مالطة يتمثل أساسا في الحيلولة دون تمكين الأتراك من شحن سفنهم بالبضائع لكي يضلوا تابعين[3] لنا"

---

(1):بوعزيز،يحي،علاقة الجزائر الخارجية،مرجع سابق،ص.310.

(2):الجيلالي،عبد الرحمان،تاريخ الجزائر العام ،ج4 ،ط1 ،ديوان المطبوعات الجزائرية،الجزائر، 1994م،ص.212.

(3): Valensi,L,Le Magreb,op.cit,p.63.

من هذا المنطلق فقد فرضت السياسة الأروبيةحصاراعلى التجارة الخارجية للإيالة التي تشكل جزءا معتبرامن دخل الخزينة كما أدت الهجمات الأروبية على موانئ الإيالة إلى تحطيم الأسطول التجاري وبالتالي إعتماد التجارة الخارجية على السفن الأجنبية،من جهة

أخرى دفع توترالعلاقات مع الدول الأروبية حكومة الإيالة إلى توكيل وسطاء أجانب الأمر الذي أدي إلى إنخفاض المداخيل التجارية رغم إحتياجات أوربا المتزايدة للصادرات الجزائرية والمتمثلة أساسا في القمح والجلود والصوف والأبقار والأغنام والخيول[1].

ج -أبعاد الإمتيازات الفرنسية في الإيالة

لا يمكن فهم حالة الصدام بين إيالة الجزائر وفرنسا دون الوقوف على طبيعة العلاقة بين البلدين والتي تعود جذورها إلى المعاهدة الثلاثية التي عقدت في باريس بين خيرالدين باشا وفرنسوا الأول ومبعوث السلطان سليمان القانوني والتي عين على إثرها أول قنصل فرنسي سنة 1538م،لتصل بعدها عدد الإتفاقيات بين فرنسا والإيالة إلى 85 معاهدة وإتفاقية أغلبها ذات طابع إقتصادي وتعاقب على رعاية المصالح الفرنسية في إيالة الجزائر60 قنصلا ونائب قنصلمما يدل على الشراكة الإستراجية بين البلدين في هذا السياق فقد قامت فرنسا بعدة مشاريع إستثمارية في إطارالإمتيازات التي منحتها الخلافة العثمانية لفرنسا،فتم تأسيس مراكز لصيد المرجان في سواحل الجزائرالشرقية والتي بفضلها أضحت شركة "لانش" من أغنى الشركات التجارية بمرسيليا[2] لتكثف فرنسا نشاطاتها الإقتصادية عن طريقة الشركة الإفريقية ، لقد تمكنت فرنسا بفضل هذه الإمتيازات من تجاوز العديد من الأزمات التي عصفت بها ورغم تراجعها في بعض الأحيان بسبب توترالعلاقة بين البلدينإلا أن الجزائر ظلت ولفترة طويلة السند والداعم الرئيسي للإقتصاد الفرنسي،من جهة أخرى يمكن القول أن هذه الإمتيازات أضحت فيما بعد وقود التنافس الإستعماري على خيرات الإيالة خصوصا بين فرنساوبريطانيا،لقد ترتبت عن هذه الإمتيازات جملة من الإنعكسات أثرت على الوضع الداخلي والخارجي للإيالة من منطلق أن هذه الشركات الإستثمارية ساهت في مشروع

---

(1): زوزو،عبد الحميد،المرجع السابق،ص.333.

(2):بوعزيز،يحي،علاقة الجزائر الخارجية ،مرجع سابق،ص.60.

إحتلال الإيالة حيث أضحت مراكز إستخبارية زودت فرنسا بمعلومات دقيقة عن أوضاع الإيالة ومقدراتها ،كما اتخذتها فرنسا أداة في إثارة وتغدية الإضطرابات الداخلية وكانت

سببا في تأزيم العلاقة بين البلدين،لقدعملت هذه الشركات على إستنزاف خيرات الإيالة وإحتكار التجارة الخارجية الأمرالذي شكل أحد عوامل تدهورالإقتصاد الجزائري،من جهة أخرى فقد أدركت فرنسا بفضل هذه الشركات الأهمية الإقتصادية للجزائر لذا فقد جعلتها محور مخططاتها الإستعمارية وأطماعها التوسعية وفي هذا الشأن يقول وزيرالحرب الفرنسي": تحوي أراضي الجزائرمناجم غنية بالحديد والرصاص،وتزخر بكميات هائلة من الملح والبارود،كما توجد في سواحلها ملاحات غنية،"[1]تأسيسا على ما سبق يمكنالقول ان الإمتيارات الفرنسية في إيالة الجزائر لم تكن سوى شكلا من أشكال التغلل الإستعماري.

خلاصة يمكن القول أن الضعف الداخلي وانعكاسات التحول الأروبي ساهما بشكل أساسي في سقوط نظام الإيالة من منطلق أن تصدع الجبهة الداخلية مهد للتدخل الأجنبي الذي استثمر في أوضاعها المتدهورة،إن نموذج الحكم الذي أرسى قواعده العثمانيون في إيالة الجزائر قام على شرعية الجهاد والتحريرالتي حالت دون معارضة السكان للتواجد العثماني رغم إقصاء العنصرالمحلي وحرمانه من المشاركة في السلطة،كما ساهمت الظروف الخارجية في تقوية و استمرارية هذا التواجدوفي أواخرعهد الديات بدأت تتجلى ملاح الإنهيارعلى هذا النظام بعد إختلال موازين القوى في حوض المتوسط ومع تحريروهران فقد هذا النظام مبررات وجوده في ظل عجزه وعدم قدرته على تجاوز التحديات الداخلية والتعامل مع المعطيات الخارجية،وعليه يمكن القول أن القوات الغازية الفرنسية واجهت نظاما منهارا لذا تمكنت من من إسقاطه في مدة قياسيةوطرد الأتراك[2]،مما يقودنا إلى القول أن غياب الشرعية السياسية وانفصام التحالف الجزائري العثماني كان من بين أهم العوامل التي أدت إلى زوالدولة الإيالة التي تعد ثمرة الأنموذج التحرري الصوفي في العهد العثماني الذي افتقر إلى جملة من المعايير والأسس التي من شأنها الحفاظ على إستمرارية الدولة وصمودها .

---

(1):لونيسي رابح،وأخرون،تاريخ الجزائر المعاصر(1830م- 1989م)،ج1،دارالمعرفة،الجزائر

(2):سعد الله،أبو القاسم ،مرجع سابق،ج1،ص.ص.16 -21.

الفصل الأول

خصائص فكر الأمير عبد القادر

خصائص فكر الأميرعبد القادر

لايمكن تناول الفكر الوطني والتحرريعند الأميرعبد القادر دون التعرض لمختلف للعوامل المؤثرة فيه والأسس التى بنى عليها فكره عموما،ومن منطلق شمولية هذا الفكر وتعدد مواضيعه، فالبعد التحررى والوطنى جزء لا يتجزء من هذا الفكر الذى تفاعل معالواقع الداخلي وانعكسات الظرف الخارجى ،الأمر الذى أصبغ عليه طابع الخصوصية والتفرد، لهذا رأينا من المناسب الوقوف عند هذه العوامل ومن ثم بحث أهم أبعاد هذا الفكربعد إستعراض نماذج من تراث الأميرعبد القادرالفكري.

أولا: العوامل المؤثرة فى فكر الأمير عبد القادر

تشكل البيئة التى نشأ فيها الأميرعبد القادرفى تركيبتها المادية والبشرية عاملاهاما ساهم فى بنية فكر الأميروتصوره كما تعدالمجال الخصب الذى نما فيه هذا الفكرواستمد منه مبادئه الأولى وقواعده الأساسية التي كان لها الدورالفاعل في تكوين وبناءشخصية الأمير[2].

1- العامل البيئي:

نشأ الأمير في بيت له مميزاته وفي جغرافية لها خصوصياتها،وانتقل إلى بيئات مختلفة أين تعرف على عمرانها واحتك بثقافاتها،واطّلع على شتى العلوم،الأمرالذي أثر في صياغة وصناعة ونضج هذا الفكروبالتالي من خلال التلقي والمشاهدة والمعاينة عبر مختلف هذه المحطات.

1-1- بيئته الأسرية:

1-1-1 - مولده ونسبه

ا- مولده:

أرخت العديد من المصادر لميلاد الأمير عبد القادر،فقد جاء في (تحفة الزائر) أنه ولد(23

---

(1):ابن عبد القادر،محمد،مصدر سابق،ج2،ط2،ص.392.

(2):بوعزيز،يحي،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ط1،ج2،ص.ص.244-245.

رجب 1222ه/26 سبتمبر 1807م) وورد في كتاب(حياة الأمير)[1] أن مولده كان في (ماي 1222ه/1807م)وجاء في مذكرات الأمير"مولد هذا السيد في أحد واثنين وعشرين ومائتين وألف من قرننا هذا."[2]

وهو عبد القادر بن محي الدين[3]بن مصطفى[4]وبن السيدة الزهراء،أما موطن مولده فهو قرية القيطنة التي تقع على الجانب الأيسر لوادي الحمام.

ب- نسبه

يرجع نسب الأمير عبد القادر[5] إلى آل البيت فقد وردت سلسلة نسبه في الكثير من التراجم " فهو الحاج عبد القادر بن محيي الدين بن مصطـفى بن محمد بن أحمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر المعروف بابن خدّة بن أحمد القديم بن عبد القادر بن محمد بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرزاق بن الغوث الرّباني سيدنا عبد القادر الجيلاني بن صالح بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن الإمام موسى الجويني بن الإمام الجليل عبد الله

---

(1):تشرشل،هنري،حياةالأمير،تر وتقديم أبو القاسم سعد الله،ط1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1982م،ص.39.

(2):الجزائري،الأميرعبد القادر،مذكرات الأميرعبد القادر،تح ،محمد الصغير بناني،محفوظ سماتي، صالح جون،ط2،دار الأمة،الجزائر،1998م،،ص.48.

(3):محيي الدين:ولد بواد الحمام عام(1190ه/1776-1777م)،درس على أبيه وورث عته المشيخة فكثرعليه طلاب العلم،واشتهر بسداد الرأي وغزارة العلم،كان على خلاف مع الباي حسن بن موسى توفي في(1249ه/1833م)،فخلفه ابنه في مشيخة الزاوية،وتولى الأميرعبد القادر الإمارة أنظر:بوعزيز،يحيى،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ج2،ط1،دار الغرب الإسلامى، بيروت،1995م،ص 24.وأيضا:بوعزيز،يحي،أعلام الفكر والثقافة ،مرجع سابق،ص.245.

(4):مصطفى بن المختار العربي:هو جد الأمير عبد القادر،أخذ القادرية على الشيخ عبد القادر المشرفي حين زار بغداد فى طريق الحج تبرع بماله الخاص لتوسيع ضريح عبد القادر الجيلاني فأصبح يعرف بزيادة الشيخ مصطفى المغربى،عند عودته من الحج أسس زاوية بواد الحمام (1971م) وظف فى الزاوية أجل العلماء أمثال عبد القادر المشرفي،توفي عند عودته من حجته الرابعة

(5): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2،مصدر سابق،ص.297.

المحض بن الإمام الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب[1]"، إن طهر سلالة الأميرعبد القادروتميزها من عبد القادر الجيلاني إلى علي بن أبي طالب[2] انعكس إيجابا على شخصية الأمير وبنيته العقلية وطبيعته السلوكيةمن منطلق تأثير االتركيبة الوراثية على الجانب الفكري.

1-1-2- نشأته

كانت أولى بدايات تعلم الأمير في مسقط رأسه القيطنة[3] تحت إشراف والده الذي لم يدّخر جهدا في الاعتناء والاهتمام بالأميربغية تنمية وصقل مواهبه[4]،فتعلم الأميرمبادئ القراءة والكتابة وأتقنها وهو لم يتجاوز السن الخامسة[5] ثم حفظ القرآن الكريم[6]في زاوية أسلافه بالقيطنةفي مدرسة جده مصطفى الغريسي.

نشأ الأمير في بيت محافظ محب للعلم،جامع لمكارم الفضل والأخلاق،الأمر الذي هيّأ له بيئة صافية حفزته على النهل من منابع العلم فأجاد القرآن ومبادئ العلوم اللغوية والدينية[7] التي تعد الأساس في التكوين الثقافي للأميرعبد القادرو نضج إستعداداته وقابليته للتعلم.

---

(1):عبد القادر الجيلاني:(470ه – 562ه/1078م- 1167م)ولد بجيلان بجبال كركوك شمال العراق واستوطن بغداد واعتكف على الدراسة والتعلّم،وتضلّع في الفقه،وألّف العديد من الكتب في الأصول والفروع والأدعية وفي التوسل إلى الله،إلى أن مال إلى حياة الزهد والتصوف،وأسس الطريقة الصوفية القادري التي كثر اتباعها وانتشرت بسرعة في المغرب، أنظر:بوعزيز،يحيى،الطريقة القادرية والأميرعبد القادر،مسالك،عن مؤسسة الأمير عبد القادر،الجزائر،عدد3، 1998م،ص.21.

(2):الجزائري،الأميرعبد القادر،مذكرات الأمير عبد القادر،مصدر سابق،ص.44.

(3):القيطنة:هي قرية تبعد28كلم عن معسكر،بناها مصطفى المختار(1206ه/1791م).

(4): بوعزيز،يحي،الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائرى،ط1،الشركة الوطنية للنشر والإشهاروالتوزيع ،الجزائر 1992م،ص.41.

(5): تشرشل،هنري،مصدر سابق،ص.39.

(6): سعد الله،أبو القاسم،الحركة الوطنية الجزائرية،مرجع سابق،ص.173.

(7): نفسه،ص.173.

وجلس على كرسي التدريس في زاوية عائلته وهو لم يتجاوز الخامسة عشر[1] ،لينتقل بعد ذلك إلى أرزيو أين تتلمذ على قاضيها الشيخ أحمد بن طاهر[2]،ثم توجه إلى وهران حيث انتظم في مدرسة أحمد بن خوجة[3]،وقضى ما يقارب السنة في تحصيل شتى المعارف اللغوية والفقهية[4]، فأخذ "النحو وجوهرة البيان والمنطق عن بعض علماء وهران كالسيد مصطفى الهاشمي والشيخ بن قريد"[5] وورد في كتاب(هنري تشرشل)أنه تعلم الفلسفة و درس أعمال فيثاغورث وأرسطو[6] وإخوان الصفا[7]،وبعيدا عن التعلم تفاعل الأمير مع متطلبات البادية وثقافتها، فشبّ على الفروسية وركوب الخيل والصيد،الأمر الذي انعكس على قوته البدنية والعقليةبحكم عامل التأقلم مع المناخ البدوي،إنّانتماءالأميرإلىقبيلةبنيهاشمالعربية،وانتمائهإلىعائلةالمرابطينورّثهعديدالصفاتوالموارد بحكمعاملالوراثة[7]،فلقدجمعأحسنالصفاتمنطريقوالدهابنالحاجمصطفىالغريسيالحسيني،وأفضلالـ خصالمنجهةأمهالسيدةالزهراء[8]بنتعبدالقادربنخدةالحسينيمنبيتعلموتقوى،وتجلتالمظاهرالبيولوجيـ ة

---

(1): التركي،رابح،أعلام من الجهاد الإسلامي في الجزائر،الأمير عبد القادر وأثر البيئة الثقافية والتربية ألتي نشأ فيها فى شخصيته،مجلة الثقافة،الجزائر،العدد88،السنة15،(جويلية-أوت 1985)،ص.92.

(2): أحمد بن طاهر:قاضي أرزيو،أصله من مدينة أرزيو،تولى القضاء بمدينة وهران،ودرس عليه عندما فرض عليه الباي حسن الإقامة الجبرية،وبعد أن تولى الأمير الإمارة قدّمه للمحاكمة وأعدم في مدينة معسكر،أنظر:بوعزيز يحيى،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ص.210.

(3): أصل صاحب هذه المدرسة من مستغانم استوطن وهران وأنشأ بها مدرسة للأعيان، كتب(در لأعيان

في أخبار وهران) تتلمذعلى يده الأمير عبد القادر وغيره من أبناء الأعيان.

(4): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأميرعبد القادر،مرجع سابق،ص.139

(5): الجزائري،الأمير عبد القادر،مذكرات،مصدر سابق ،ص.49.

(6):رويش،أحمد،في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري،ط1،مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للابداع الشعري،الكويت،2000،ص147.

(7):إخوان صفا:جماعة فكرية ظهرت في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ينسب إليها رسائل إخوان صفا وهي أربعة رسائل،انظر:الموسوعة العربية العالمية،م1،ص.361.

في صفاته البدنية وفي فصاحة،وقدرته في البيان لحد استرساله في الشعركما كان للجو الأسري والمفعم بالحركة وحبّ التدين والمحافظة على فضائلالأخلاق،والإقبالعلى العلمضفإلى ذلك المكانة الإجتماعية التي تمتعت بهاعائلة الأميروإنعكساتها على شخصيته.

2-1 - بيئته البدوية:

اتسمت بيئة الأمير ببساطة عيشها،واعتدالمناخها،واستراتيجية موقعها،ممّا أتاح له اكتساب العديد من المهارات،والتمرّس في كثير من الفنون لقد تأثرالأمير بالواقع البدوي الذي استمد منه تجاربه،حيث يقول: "عندما تكون جالسا على الشط وأنت تنظر إلى السمك السابح بحرية في البحر،فإنّه يُخيل إليك أنّ الأمر لا يحتاج إلى مد اليد لصيده،ومع ذلك فإنّه يجب توفير كل المهارة وشباك الصيد إذا كان المرء يرغب في أن يكون سيد الموقف،والأمر كذلك بالنسبة للعربي" إنّ البادية كمناخ قاس،وكطبيعة مفتوحة وعذراء،أكسبت الأميرعديد الصفات والمهارات،فقد شغف منذ صغره بالفروسية وسباق الخيل وممارسة الصيد وعُرف بشدّة بأسهوقوة صبره،وبساطة حياته كمان كان لتقاليد البدو حضورا بارزافي سلوكيات الأمير،إذاشتهر بعفّته وكرمه وشهامته،الأمرالذي جعل من شخصه محلّ ثناء وموطن ثقة،وملجأهم عند الحاجة ووقت الشدائد.

1- 3- رحلاته:

شكّلت الرحلة في حياة الأمير بعدا قيميا،كان له انعكاسات على ثقافةالأميرعبد القادر،من خلال ما عاينه ولاحظه في المشرق الذي شهد الإرهاصات الأولى للنهضة، وكانت أوّل رحلة للأمير باتجاه بيت المقدس رفقة والده لآداء مناسك الحج،بعد أن أذن لهم باي وهران

---

(1):أم عبد القادر،تنتسب إلى أولاد سيدي عمر بن دوخة،سبق وأن تزوجت قبل محيي الدين،حيث ولدت ولدا ومات،وأنجبت مع محيي الدين عبد القادر وخديجة،أنظر:

Azan,P, les débuts d'Abdelkader,in,bulletin de la societé de geographie d'Oran,T XII,1921,p.198.

(2): باربريغر،أدريان،رحلة إلى معسكر الأمير عبد القادر في الونوغة والبويرة(1838-1837)،تر.أبو القاسم سعد الله،مجلة الذاكرة،العدد5،أوت1998،ص.199.

بالحج في(مارس1825م)[1]،بدأت هذه الرحلة بالتحاقهم بواد الشلف،ثم ببرج حمزة،ثم قسنطينة،ومنها إلى تونس أين التقى بالفقيه أحمد المزاري،وبعدها توجه إلى الاسكندرية عبرالبحر،وفيها وقف عند مقام أبي العباس المرسي،وابن عطاء الله،وأبي الحسن البصريانتقل بعدها إلى القاهرة حيث أقام فيها مدة إحدى عشر يوما [2]،زارخلالها العديد من المشاهد،وتعرّف على جملة من الشيوخ،كما اطّلع على إنجازات محمد علي[3] ،وتأثر بأعماله الإصلاحية والتحديثية في بناء الدولة[4] ،وقبل أن ينتقل إلى مكة والحجاز مكث في دمشق عدّة شهور،أين أخذعن أبي أحمدعبدالرحمن بن محمد إمام الحديث بالشام،والمتصوفة أبو البهاء ضياء الدين الشهرزوري،وبعد آداء مناسك الحج قام بزيارة قبرالولي الصالح عبد القادرالجيلاني،ثم عاد للحج ثانية،وبعدها رجع إلى الجزائر عبر طرابلس الغرب والكاف إلى أن حلّ بالقيطنة سنة (1828م).

لقد ساهمت هذه الرحلة في اثراء وتوسيع دائرة معارف الأمير،فقد استمع إلى صحيح البخاري[5]من المحدّث أحمد بن عبد الرحمن الكزبري،كما اطلع على كتب التاريخ مما أتاح له التعرف على مختلف الحضارات التي ساهمت في إثراء التراث العالمي إلى جانب علم

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.156.

(2):ولد(1183ه)وتوفي(1266ه) أبوه ابراهيم آغا تولى حكم مصر(1220ه-1256ه/1805- 1848 قام بعدة اصلاحات في مصر في المجالين الزراعي والصناعي،كما ازدهرت في عهده حركة الترجمة حاول الإنفصال عن الدولة العثمانية،أنظر:الكيالي،عبد الوهاب،الموسوعة السياسي،ج6، ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1990م،ص.92.

(3):الزبيري ،محمد العربي،الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1982م،ص.16.

(4): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.157.

(5):البخاري:(194ه-256ه/810م-870م)،هو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري،صاحب (الجامع الصحيح)،ولد فى بخارى وقام برحلة طويلة فى طلب العلم،جمع فى صحيحه حوالي ستمائة ألف حديث وصنفه فى ستة عشرة سنة،له مصنفات أخرى،التاريخ،الضعفاء فى رجال الحديث والأدب المفرد،توفي بسمرقند،ينظر:الموسوعة العربية،المجلد4،ص.239.

والفلسفة واللغة والفلك والجغرافيا والطب[1]والحساب مما يعني تنوع الوعاء الثقافي للأمير عبد القادر،يمكن القول أن أهمية رحلات الأمير تكمن فى:

أ- الإطلاع على أشكال الأنظمة العربية ونظمها العسكرية والإدارية[1]

ب- الإحتكاك بثقافة المشرق والتعرف على علمائها من منطلق ما تمثله المنطقة من رمزيةوما تحويه من تراث فكري وثقافى من خلال تواجد المؤسسات الثقافية العريقة[2].

ج- الإلمام بالمتغيرات السياسية و لإجتماعية لأهل الشرق.

د- الإطلاع أوضاع الإيالات العربية العثمانية التي تأثرت بتدهور الخلافة العثمانية الامر الذى مكنه من تقيم النموذج العثماني والإستفادة من التجارب الإستقلالية كتجربة محمد علي باشا[3]، تجلى ذالك من خلال نظم التي استحدثها الأمير الإمارة فيما بعد،خلاصة يمكن القول أن رحلة الأمير إلى المشرق ساهمت فى إثراء رصيده العلمي والمعرفي والسياسي ورسم معالم توجهه الروحي، فقد استفاد من اعتدال علماء الأزهر[4] وثراء الطريقة القادرية كما تأثر برواد الحركة الوهابية[5] التجديدية في فترة مقامه في الجزيرة العربية ،لقد أسهم تنقل الأميرفي انفتاحه وإطلاعه على أوضاع المسلمين في المشرق والإستفادة من تجاربهم في مختلف المجالات الدينية،العلمية والإقتصادية والإجتماعية.

---

(1):بوعزيز،يحي،الأميرعبد القادررائد الكفاح الجزائري،مرجع سابق،ص.43.

(2):التركي،رابح،من أعلام الجهاد الإسلامي في الجزائر،مرجع سابق،ص92.

(3): محمد علي باشا:ولد في 1769م وتوفي في 1849م قام بعدة إصلاحات في المجال الصناعي وبعث
حركة الترجمة حاول الإنفصال عن الخلافة العثمانية،ينظر:الكيالي،عبد الوهاب،موسوعة سابقة،ص.9

(4):جامع الأزهر:شيده جوهرالصقلي عام 970م،أطلقت عليه هذه التسمية في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله،ثم أصبح منارة علمية لعدة قرون.

(5):الوهابية: حركة إسلامية ظهرت في شبه الجزيرة العربية أنشأها محمد بن عبد الوهاب(1703م-1773م) دعت إلى الإلتزام بنهج السلف ومحاربة الشرك والبدع،ينظر:موجز دائرة المعارف الإسلامية،ط1،مجلد 32،مطابع الهيئة المصرية العامة،مصر،1998م،ص. 10173.

2- العامل الروحي:

يعدّ العامل الروحي من أهم الفاعلين في رسم وتحديد طريقة التفكيرمن منطلق أنّ القناعات الدينية تساهم فى البناء الفكرى ومن ثم تحدد الإطار السلوكي وتضبط الممارسة ،ووفق هذا المنظور فإن المناخ الروحي الذي نشأ فيه الأمير ساهم في بناء شخصيته وصقل مواهبه الأمر الذى انعكس على طريقة تفكيره.

إنّ أهم ما ميّز البيئة الدينية في تلك الفترة تفشي ظاهرة التصوف كإطار ثقافي وأسلوب تعبدي،ومنهج تربوي،وبالتالي فقد كان لهذه المدرسة الفضل في تزكية نفس الأمير وصفاء روحه وتهذيب طبائعه و ثراء فكره.

2-1- التربية الصوفية:

مرّالتصوف عند الأميرعبد القادر بثلاثة مراحل[1]،المرحلة الأولى مرحلة الإمارة و الجهاد (1830م - 1848م)،وتعد هذه الفترة من أهم الفترات في تاريخ الجزائر المعاصر أمّا المرحلة الثانية شملت الفترة التي قضاها في سجنه،والمرحلةالأخيرة تمثل الفترة التي قضاها في المنفى،ولكل مرحلة خصوصياتها وتجلياتها وانتاجها.

إنّ التصوف عند الأمير له ضوابطه ومعاييره،حيث يقول الأمير:" كنت مغرما بمطالعة كتب القوم منذ الصبا،غير سالك طريقهم،فكنت أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادة القوم وأكابرهم،يقوم منها شعري،وتنقض منها نفسي"[2] ويقول في موضع آخر:"واحذر أن ترميني بحلول أو اتحاد أو امتزاج أو نحو ذلك،فإني بريء من ذلك،ومن كلّ ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله،واعلم أنّي قد فهمت ما فهمت أنت وزدت عليه."[3]

---

(1): بن السبع،عبد الرزاق،الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه،ط1،مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،الكويت،2000م،ص.153.

(2): الجزائري،الأمير عبد القادر،المواقف،ج1،ط1،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1996م ص.46.

(3):نفسه،ص.296.

من خلال ما سبق يتبين أنّ ضابط التصوف عند الأمير اتباع كتاب الله وسنة رسوله،كما يتضح أن الأمير أخضع مطالعاته لمنهج نقدي سليم، أتاح له الأخذ والعمل بما وافق الشرع وترك ما خالفه، من هنا يمكن القول أنّ تأثير التصوف في الأمير لم يدفعه إلى الانحراف وجادة الصواب بل هذب نفسه،وصفّى روحه،وزرع فيه مكارم النبل والأخلاق الحميدة،ويعتبر والدالأميرومن قبله جده المختار من أوائل الصوفية الذين تأثر بهم الأمير[1] ضف إلى ذلك الشيخ الأكبر ابن العربي الذي قام بتدريس كتابه (فصوص الحكم) ودافع عنه ونفى عنه بعض الكتب[2] ،ولعل أوجه تأثير ابن العربي على ذات الأمير تكمن في مفهوم التصوف نفسه "بالنظر نحو المواقف الداخلية بالبناء المتكامل عسكريا وإقتصاديا وفكريا أثناء حكمه وجهاده"[3] ،كما تأثر بأبي حامد الغزالي إلى حدّ الدفاع عنه حيث علّق على مقولته:"ليس في الإمكان أبدع ممّا كان"بأن قال:"أنّه لا اعتزال فيه ولا فلسفة"[4] ويعتبر مؤلف الأمير(تنبيه الغافل وذكرى العاقل)[5]صورة جليّة لهذا التأثر.

تتجلى مظاهر تأثر الأمير بالتصوف عزوفه عن مغريات الدنيا، وزهده في ملذاتها وهو الأمير،وعفوه وتسامحه في كثير من المواقف.

أ- الطريقة القادرية:

تذكر بعض الرواياتأن الطريقة القادرية التي تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني[6]

---

(1): مفتاح،عبد الباقي،الأميرعبد القادرالجزائري مع الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، مجلة مسالك،العدد5،ص.22.

(2): ملاح،أحمد،الأمير عبد القادر المتصوفة والمصلح،منشورات دار الأديب،وهران،2007،

(3): عبد الباقي،مفتاح،مقال سابق،ص.24.

(4): الجزائري،الأمير عبد القادر،المواقف،ج2مصدر سابق،ص.501.

(5): الجزائري،الأميرعبد القادر،ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،تح محمد ممدوح حقي،دار اليقظة. العربية،بيروت،ص.197.

(6):عبد القادرالكيلاني:ولد بقرية جيلان قرب بغداد سنة 1079م،إستقرفي بغداد وبرع في العديد من الفنون،اخذ التصوف عن أبي حصاد الدباس،عمل بالتدريس والإفتاء لمدة ثلاث وثلاثون سنة

توفي في بغداد عن عمريناهز 90 سنة،من اشهرمؤلفاته الرسالة الغوثية،إغاثة العارفين.

قد انتقلت إلى الجزائر عن طريق الشيخ أبي مدين التلمساني[1] الذي التقى بالجيلاني فيمواسم الحج،ولمّا عاد إلى وطنه نشر الطريقة القادرية،وبفضل أتباعه وموردیه أمثال أبي مدين عبد السلام بن مشيش،وأبي الحسن الشاذلي الذي انتقلت منه إلى الشيخ مصطفى بن المختار والشيخ محيي الدين جد والد الأميرعبد القادر[2] الذي درس وأخذ تعاليم القادريةعلى الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي[3]،وبعد سفره إلى بغداد أخذ الطريقة ولبسالخرقهعلى مقدم الشيخ الجيلاني مؤسس زاوية القادري بواد الحمام أين كان يقوم بتلقين االقادري[4] ،ويروى أنّه تلقى الطريقة عن الشيخ الجيلاني يقظة لا مناما ككرامة،انتقلت المشيخة بعد ذلك بحكم الوراثة الروحية إلى ابنه الأكبر محيي الدين،الذي انتقل بدوره إلى بغداد حيث مكث بها ثلاثة أشهر،تسلّم خلالها الخرقه وأخذ الطريقة على شيخ السجادة القادرية.

إنّ الفلسفة التي تقوم عليها القادرية تتمثل في كونها تدعوا إلى بعد ديني إنساني يمتاز بروح التسامح مع النصارى واليهود[5] ،كما تتميز بمنهجها الخاص في التربية ونظامها الذي يحدد العلاقة بين الشيخ والمريدويمكن القول أن أغلب الطرق في الجزائر قادرية الأصل ، رغم أنها تسمى بالشاذلية أو باليوسفية وغيرها من الأسماء،ويرجع ذلك إلى مبدأ الإنفصال[5] الذي اعتمده عبد القادر الجيلاني مفاده أن المريد عندما يرتقي و يصل إلى درجة المشيخةفإنه يصبح يتمتع بنوع من الإستقلالية للأنه أصبح يتمتع بمؤهلات تمكنه من النظروالإجتهاد

---

(1): أبو مدين بنو شعيب بن حسن الأنصاري الأندلسي،ولد(520ه)باحدى قرى اشبيلية،التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني بالحج،ومال إلى التصوّف توفي(549ه).

(2): بوعزيز،يحيى،الطريقة القادرية والأمير عبد القادر،مقال سابق،ص.25.

(3): نفسه،ص.25.

(4): الورد الممنوح من بغداد لفروع القادرية في الجزائر يتمثل في انشاء(165)مرّة بعد كل صلاة فرض

لا إله إلاّ الله،أضافت بعض فروع القادرية في الجزائر إنشاد(100)مرة قول أستغفر الله،و(100)مرة اللهم صل على محمد النبي الأمي،أنظر:

Rinn,l,Marabouts et Khouane,op .cit ,p.p.183-184 :(5)

(6): النجار،عامر،الطرق الصوفية في مصر،ط3،دار المعارف،القاهرة،ص.42.

لذا يستحب له أن ينفصل عن شيخه،ويصبح في عداد الشيوخ الذين يعتمدون على أنفسهم لقد انتعشت هذه الطريقة إبّان العهد العثمانيإذ تؤكد الإحصائيات التي قام بها أحد الدارسين [1]سنة (1882م) أنّ الزوايا القادرية بلغت 29 زاوية يؤطرها (268) مقدَم،ويعتادها (14574) مريد ،تفرّعت بعد ذلك إلى قسمين:العمّارية والعيساوية،أمّا عن تموقع الطريقة ونفوذها في العهد العثماني فقد تحكّمَت فيهما العلاقة بين حكام الأيالة والطريقة القادرية التي مرّت بمرحلتين،المرحلةالأولى هيمنت فيها القادرية إلى درجة أنّ باي وهران محمد بن عثمان كان مريدا من مريدي القادرية[2] ،إلاّ أنّ هذه العلاقة بدأت تتدهور ابتداءا من ق13 [3] ،خصوصا بعد معركة العواجة (1820م) على يد الشيخ التيجاني،أمّا عن نشاطها فقد كانت مأم الطلبة من مختلف البقاع،حيث تراوح عدد الوافدين عليها من 500 إلى 600 شخص[4] ومن أبرز المبادئ التي تقوم عليها نذكر: العلم، الذّكر،الزهد والعفو[5]،وللطريقة أسلوبها في ممارسة الذّكر والصلاة والحج والزكاة،فالذكر لا يحصل إلاّ بعد الوضوء التام ويكون بصوت قوي[5] ،أمّا الصلاة فهي صلاة شريعة وصلاة طريقة،والزكاة هي زكاة شريعة وزكاة طريقة، ونفس الحال بالنسبة للحج[6].

---

(1): Rinn,l,op.cit,p. 71.

(2): بوعزيز،يحي،الطريقة القادرية والأمير عبد القادر،مقال سابق،ص.28.

(3): سعد الله،أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ص.184.

Nadir,Ahmed,Les ordres religieux et la conquete française(1830- 1851),in Revue Algérienne des sciences juridiques ,économiques,et politiques,éposode 4(1972),p.55.

(5): Rinn,l,Opcit,p138.

(6): الجيلاني،عبد القادر،سر الأسراروظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار،تح خالد محمد عدنان الزرعي،دار السنابل،بيروت،د.ت،ص.83.

(6): المصدر نفسه،ص.110.

(7):الفرق بين حج الطريقة وحج الشريعة:حج الشريعة هوحج البيت بشروطه وأركانه اما حج الطريقة

ملازمة الذكربااللسان حتى يصفي قلبه بملازمة أسماء الصفات فتظهر كعبة السربأنوارالصفات كما أمرالله تعالى إبراهيم وإسماعيل "ان طهرا بيتي للطائفين"،ينظر،عبدالقادر الكيلاني، سرالأسرار.

وبالتالي إن الطريقة القادرية بمبادئهاوفلسفتها وأساليبها شكلت الإطارالروحي والفكري الذي ترعرع فيه الأمير عبد القادر ونهل من منابعه وتأثربنهجه ومنهجه في سلوكاته وممارساته.

2-2- الجهاد:

إنّ دخول الأمير معترك الجهاد مبكرا،ومعايشته واقع الحرب وما يترتب عنه من آثارومشاهد للقتل والتدمير زرع في نفسه قوة الصمود والصبر والتحمل وغرس فيه أسباب الشجاعة والمواجهة،فالحرب كانت عاملا مهما في صنع وصقل شخصية الأمير،وأثبت من خلال المعارك التي خاضها كخنق النطاح،وبرج رأس العين[1] تحقيق انتصارات باهرة، فقد تحقق للأمير من خلال الجهاد الاستعداد النفسي والفكري والجسدي عوامل صنعت قوة شخصه وصلابة نفسه،ورجاحة فكره.

3-العامل الثقافي:

يعد البعد الثقافي مؤشرا هاما في فهم حركية المجتمع بحكم أنه يعكس مدى التواصل والتفاعل بين أفراده والتأثير الحاصل في أفكارهم وتصوراتهم،التي تعد أساس سلوكياتهم وممارساتهم ،لذا فإن البيئة الثقافية تشكل حلقة هامة في فهم وقراءة تاريخ الأمير،من منطلق أنها تمثل أحد أهم العوامل في بناء الشخصية الفكرية.

3-1 - محيطه الثقافي:

تميزت ثقافة عصر الأمير بتنوع أساليبها وتعدد أساليبها كما اشتهرت بتقاليدها في تلقين العلم والمعرفة[2]،ويعتبر عهد الباي محمد بالكبير[3]أخصب الفترات التي انتعشت فيها الثقافة

---

(1): اتين،برونو،عبد القادر الجزائري، المرجع السابق،ص.147.

(2):سعيدوني،ناصر،عصرالأمير،المرجع السابق،ص.109.

(3): محمد بن عثمان الكبير،ابن اسحاق الحاج عثمان بن براهيم،تولى شؤون بايلك (1192ه/1779م) إشتهربأعماله الحربية ومآثره العمرانية،وفي عهده تم استرجاع وهران من الاسبان(1206ه/1791م

توفي ببلاد أصبيح(1213ه/1798م)،ينظر:الشقراني الراشدي، أحمد بن عبد الرحمن،القول الأوسط في أخبار من حلّ بالمغرب الأوسط،ص.72.

نظرا لدخول حكام الأيالة كوسيط في العملية الثقافية،حيث تحول بايلك الغرب إلى مركز إشعاع حضاري نتيجة جهود محمد بالكبير واهتمامه بدورالثقافة والعبادة ومراكز التعلم فقد عرف عن هذا الباي حبه للعلم ومجالسته للعلماء[1]،كما تعددت انجازاته[2] حيث أعاد بناء المسجد العتيق(1175ه/1716م)إضافة جامع العين البيضاء بمدينة معسكروذلك في سنة (1175ه/1716م) وأفرد له أوقافا ومسجد بناصر بمعسكر (1207ه/1792م)[3] وجامع حسن باشا،كما اهتم بتشييد المدارس كالمدرسة الخليلية بخنق النطاح وقام بتجديد مدرستين بتلمسان[4] ،كما اعتنى بالتدريس حيث رتّب للمسجد خطيبا وإماما و أربع مدرسين[5]،ورتّب لكل مدرسة ما يكفيها لشراء المؤن،كما استفاد الطلبة براتب معلوم[6] ،إضافة إلى المنح و العطايا التي كان يقدمها للعلماء،وهذا ما لخصّه ابن سحنون الراشدي في قوله:"رتّب المدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من المخزن بشيء إلا من كان متوليا لخطة أو مستعملا في خدمة فانشرحت الصدور للقراءة وكثر طلاب العلم"[7] و يصف شغف الباي وحبه للعلم في قوله:"ولمحبة هذا الأمير للعلم و الأدب كان يشتري كتبه بالثمن البالغ ويستكثر منها ويستنسخ ما لم تسمح نفس مالكه ببيعه"[8]كما أمربجمع فتاوي الملوكوأجزل العطاء لأحد الطلاب بسبعين دينارا،إلى جانب إهتمامه بشعر و بالشعراء.

---

(1): بن عبد القادر،مسلم،خاتمة أنيس الغريب والمسافر،مصدر سابق،ص.23.

(2): نفسه،ص23.

(3): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق ،ص.38.

(4): بن هطال،أحمد،رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي،مصدرسابق، عبد الكريم،ط1،عالم الكتب،القاهرة،1969م،ص.24.

(5):الراشدي،أحمد بن سحنون،الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،تح وتقديم أحمد البوعبدلي قسنطينة،1973م،ص.132.

(6): نفسه،ص.132.

(7): نفسه،ص.135.

(8): نفسه،ص.146.

كما أن تعلقه و إجلاله للعلماء دفع به إلى بناء مزار للولي محمد بن عودة[1] ومشهد للولي أحمد بن يوسف[2]،وكثمرة لجهود الباي محمد بالكبيرفقد انتعشت حركة التأليف فظهرعدة تآليف كتاب (الثغر الجمّاني) لأحمد بن علي بن سحنون وكتاب(الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية) لمصطفى بن عبد الله بن الزرقة[3] ،ويصوّر بن سحنون اهتمام الباي محمد بالكبير بأهل الأدب في قوله:"أمرباختصار الأغاني فاختصرته في نحو الثمانين كراسة فأثابني بمائة سلطاني،ثم أمرني بجمع طب القاموس فضممته وزدت عليه من كلام الأطباء فأثابني عنه بخمسين سلطانيا."[4]

من خلال ماسبق يمكن رسم معالم البيئة الثقافية لبايلك الغرب التي تميزت بازدهار وانتشار التعليم والقراءة والتأليف،وإذا انتقلنا من هذا الوصف العام إلى وسط الأمير ونعني بذلك معسكر وغريس خصوصا يورد الهاشمي بن بكار أسماء العديد من العائلات التي اهتمت بالعلم،حيث شيّدت العديد من الزوايا لهذا الغرض[5] ،كما ذكر صاحب (مجموع النسب) العديد من العلماء الذين عرفتهم المنطقة[6]، أما فيما يخص عائلة الأمير فقد اشتهر منهم الطيب بن مختار ابن عم الأميرعبد القادر صاحب مؤلف (القول الأهم في بيان الحشم) التي تعد من أشهرقبائل معسكر التي ساندت وقاومت وقفت إلى جانب الأميرعبد القادر إلى غاية إعلان الأمير وقف القتال بشروط واستمرت في المقاومة بعد ذلك ومن أشهرأقاربه كذلك نذكر

---

(1): من علماء القرن11 دفين فليتة،أنظر:الرشدي،أحمد بن سحنون،المصدر السابق،ص.132.

(2):من علماء القرن 11 دفين مليانة،ينظر:المصدر نفسه،ص.132.

(3): بن هطال،أحمد،خاتمة الأنيس،مصدر سابق،ص.26.

(4): الراشدي،أحمد بن سحنون،الثغر الجماني،مصدر سابق،ص.148.

(5):بن بكار،بلهاشمي،كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، ط1،مطبعة ابن خلدون،تلمسان،1961،ص.373.

(6):السيد عبد القادر بن السنوسي،أولاد سيدي عمر بن دوخة،أولاد سيدي دحو،سيدي بن يمينة بن دحو

سيدي احمد بن علي،سيدي احمد بومعزة،الشيخ مصطفى الرماس،السيد عبد القادر بن عبد الله،حفيد بن عبد الله،بن فريحة،محمد بن حواء،أولاد سيدي عبد القادر بن مختار،أحمد المختار وولده بخدة مصطفى بن المختار،العلامة بن زيان زأبي عبد الله المجاوي،المصدرنفسه،ص.332.

مصطفى بن تهامي ابن عم الأمير الذي كتب سيرته الذاتية التي عرفت بمذكرات الأميرو كذلك الحسن بن علي بن أبي طالب ابن عم الأميرومن المقربين القاضي أحمد المجاهد بن محمد بن عبد القادر بوطالب[1] .

فبفضل هذه النخبة من العلماء انتشرت الزوايا والكتاتيب والمدارس حيث يقول صاحب (مجموع النسب):"الواحد منهم يؤسس زاوية لطلب العلم ويوظف بها أجلّة المدرسين فيقصده طلبة العلم من الآفاق وعلى نفقة صاحب الزاوية،لذلك كثرت الرحلة لطلب العلم لوطن غريس ما بين القرن العاشر والحادي عشر."[2]

إن الأمير نشأ وترعرع في هذا الوسط المفعم بحب العلم وتلقّف المعرفة وإحترام أهل العلم، وإجلالهم،الأمرالذي انعكس على تنشئته الاجتماعية والثقافية وساهم في بناء شخصيته الفكرية من منطلق إحتكاكه بالعلماء والفقهاء منذ شبابه بحكم الزعامة الروحية لأسرته التي استقطبت العديد من علماء الدين من مختلف البقاع للإطلاع بمهنة التدريس بزاوية القطنة.

3-2- مصادر ثقافته:

تكتسي مصادر ثقافة الأمير أهمية بالغة من منطلق أنّ اجتهاده وتصوره في إدارة دولته والنظم التي ابتدعها مبني على ثقافته ضف إلى ذلك اراءه الفقهية ،الفكرية والفلسفية والتي تعد ثمرة تكوينه العلمي والروحي الذي أطرته تلك المصادر المتنوعة في شتى المجالات، إنّ معرفة هذه المصـادرمرتبطة بتراث الأمير نفسه،وما علّمه ودرّسه في حلقاته وهو في الشام،فمن الكتب التي نهض لتدريسها مرارا (الشفا) للقاضي عياض،و(الإحياء) للغزالي،و أكثرمن كتاب لشهرستانى وابن العربى و ابن تيمية وابن مسكويه،و(الرسالة) للإمام محمد بن أبي زيد القيرواني[3].

---

(1): سعد الله،أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ج4،ص.ص.434 -444.

(2): بن بكار الهاشمي،مجموع النسب،مرجع سابق،ص.373.

(3): محمد علي الوزير،محمد السيد،الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، الطباعة الشعبية للجيش الجزائري،الجزائر،2007،ص.80.

ومن المصادر التي ظهر تأثيرها واضحا في ثقافته كتاب(الإبريز) لابن مبارك[1] الذي تميّز بتناوله لمناهج التربية والعلل النفسية،أسبابها ووسائل مداوتها،وواجب شيوخ التربية في هذا المقام،وتوضيح العلاقة القائمة بين المعلم والمتعلم،كما قرأ مقدمة ابن خلدون،وانتقد نظرته للتصوف،ويمكن تحديد الكثيرمن المصادر التي شكّلت دعامته الثقافية من خلال رسائله الفكرية،ففي(المقراض الحاد)نجده قد اعتمد على الغزالي وكتبه،وعلى إمام الحرمين،وعلى فخرالدين الرازي وكتبه،وصدرالدين الشيرازي في أسفاره الأربعة،والتفتزاني في كتابه (التلويح وشرح المقاصد)،والبيضاوي في تفسير القرآن و(الطوالع)،واعتمد كذلك على عدد من الأئمة كالمناوي والإمام اليافعي في كتابه(مرآة الزمان)،وكذلك الراغب والإمام الشافعي وغيرهم من العلماء،بالإضافة إلى عدد من المصادر الأوربية،كجالينيوس،وأبقراط،وأرسطو طاليس الذي اشتهر بالفلسفة وعلم المنطق والرياضيات[2].

إنّ هذا الزخم من المصادرالذي وظفه الأمير في رسالته يكشف عمق إطّلاعه، وسعة حافظته،وإلمامه بشتى العلوم،الأمرالذي يقودنا إلى القول أنّ فكرالأميرهو نتاج هذا التنوّع والتزواج بين الثقافة الإسلامية والغربية التي بدت تأثيراتها واضحة في العديد من مؤلفاته

3-3- مميزات ثقافته:

دلّت مصادرثقافة الأميرعلى أنّه جمع بين العلوم العقلية والنقلية، هذا التداخل بين النقل والعقل،جعل منها ثقافة نقدية توظف العقل دون أن تتجاوزالنقل،في مما يعني أن الأمير تمكن من الجمع بين المدرسة العقلية والنقلية الأمرالذي أضفى على فكره طابع المرونة و الوسطية وأسهم في ثراء ثقافته وتنوعها تجلى ذلك من خلال تطرق الأميروغوصه في شتي العلوم الدنوية،ومن بينالمصادرالمعرفية التي تأثر بها الأميرعبد القادركتاب إحياء علوم الدين[3] للإمام الغزالي[4]الذي يعد من أهم المراجع العملية والنظرية التي شكلت الإطارالمرجع

(1): ينظر ترجمته في : الذهبي،محمد بن عثمان،سيرأعلام النبلاء،ج8،ص.ص.117 -136.

(2): محمد علي الوزير،محمد السيد،المرجع السابق،ص.80.

(3): ظهر تأثر الأميريأراء وأفكار أبو حامد الغزالي جليا في رسالة الأمير ذكري العاقل وتنبيه الغافل.

(4): محمد علي الوزير،محمد السيد،المرجع السابق،ص.ص. 88 - 90.

لأفكارالأمير،وآرؤاه الفلسفية، أمّا كتابي (الحكمة الخالدة) وتهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه[1] فإنّ أوّلهما يتجه اتجاه الغزالي[2] ويغوص في بيان الحكمة العملية ،وحكمة الحياة،بينما يظهرأثرالثاني أكثرفي موضوعات متعددة بكتاب الأميرذكرى العاقل،والفضائل الأربعة التي ذكرها الأميرفي هذه الرسالة[3] ما هي إلاّ القوى الأربعة التي تناولها ابن مسكويه يمكن القول أن ثقافة الأميرربطت بين التجديد والأصالة،والنظري والعملي،والعقل والنقل فاستطاع الأمير بفضلها احتواء الداخل بتناقضاته ومعطياته السياسية والحربية والفكرية والإجتماعية فتنوع ثقافة الأميروتعدد مناهلها شكل الأساس الذى قام عليه إجتهاده،لذا فقد اتسمت أرائه بالمرونة والتكيف مع متطلبات الواقع بمختلف مكوناته ومركباته الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، تجلى ذالك من خلال إنجازاته المتعددة،حيث تمكن من تأسيس دولة حديثة على أنقاض إيالة الجزائروتنظيم شؤونها فى ظروف صعبة كما أجبر المستعمر على الإعتراف بها ومن جهة أخرى إستطاع أن يوحد الجزائرين برغم تنوعهم العرقي والثقافي،لقد تجاوزالأمير بإسهاماته الفكرية الفضاء الثقافي لعصره الذي تميز بالتقليد والجمود، وفق هذا المنظورفإن ما ذهب إليه بعض الباحثين من خلال حصر مصادر ثقافة الأمير فى مجموعة من أمهات الكتب يتناقض مع المعطيات الآتية:

أ- شمولية فكر الأمير

ب - الطابع التجديدي لهذا الفكر

ومما يؤكد هذا المنحى إحاطته بأراء الفقهاء من مختلف المذاهب فى رسائله المتعددة ومؤلفاته المختلفة وفتاويه التي شكلت الإطارلفقه المقاومة أين استشهد فيها الأمير بالعديد من الفقهاء وفي بعض الأحيان كان ينتصر لأراء من خارج المذهب المالكي[3]،كما يظهرالأميرمن كتاب المذكرات متبحرا في علم التاريخ ومطلعا على أخبار الأمم السابقة.

(1): محمد علي الوزير،محمد السيد،المرجع السابق،ص.80.

(2): نفسه،ص.ص.88 - 90.

(3): أحد المذاهب السنية الأربعة،تشكل أراء وإجتهادات الأمام مالك الإطار المرجعي لهذا المذهبف الذي ينتشر في شمال إفريقيا إضافة إلى السنغال وتشاد ومالي والنيجر وشمال نيجيريا وفي الشرق الأوسط.

ثانيا- نماذج من فكر الامير عبد القادر

لقد تعددت مواهب الأمير وتنوعت معارفه وكثرت اسهاماته،فقد عكس تراثه الفكري والأدبي عمق ثقافته وتبحره في شتى العلوم،فالأمير أسس دولة وساس أمة وأتقن فنون الأدب ،وتصوف فكرا وممارسة،كما تمكن من علوم الشرع وخاض مقاومة أظهرت تمرسه في فنون الحرب لذا فإن علم الأمير أوسع وأشمل من أن تحيط به دراسة،فاكتفينا بالتعرض إلى بعض جوانب هذا العلم من خلال قراءة في تراث الأمير الفكري والأدبي.

1- الفكرالعسكري للأمير: مؤلف وشاح الكتائب انموذجا

1-1- التعريف بالمؤلف

المؤلف هو وشاح الكتائب وزينة الجند المحمدي غالب وهوعبارة عن مجموعة من القوانين العسكرية تنظم الحياة العسكرية لإمارة الأمير،دونت عام 1833م[1] ترجع دوافع التأليف إلى قرارالأمير إنشاء جيش نظامي مما أستدعى إصدار منظومة قوانين تنظم و تضبط شؤونه وكلف الأمير كاتبه قدوربن رويلة[2] بإنجازها الأمرالذي أكده هذا الأخير في مقدمة الكتاب" وجعل نصره الله لكل من عسكره المحمدي وجيشه الأحمدي قوانين تخصه على حسب تفاوتهم في المراتب وسبقهم للمزايا والمناقب وأمرنصره الله بكتابتها على وجه مخصوص فجاءت بحمد الله[3]"مما يعني أن الأميرعبد القادر أوكل كتابة هذه القوانين لكاتبه قدور بن رويلة الذي أهتم بصياغته.

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق،ص.120.

(2): قدور بن رويله،توفي عام 1855م ولد في العاصمة ،إلتحق بجيش الأمير وعينه كاتبا حتى سنة

1843م ،أسره الفرنسيون في معركة طاقين بقيادة الدوق دومال وأطلق صراحه فاتحه إلى المدينة وعندما أطلق صراح الأمير زاره في بروسة توفي في طريقه إلى بيروت قاصدا دمشق،ينظر: بن قينة،عمر،في الأدب الجزائري الحديث،تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1975م،ص.20.

(3):بن رويلة،قدور،وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب،تحقيق محمد بن عبد الكريم،الشركة الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1968م،ص.38.

1-2- موضوعاته

جاء المؤلف في مقدمة وأربعة وعشرين قانونا[1] عالجت الشؤون العسكرية وراعت الحالة الإجتماعية للجند،ففي المقدمة تحدت عن وحدة الصف ثم إنتقل إلى تقسيم الجيش إلى ثلاث فرق الخيالة الفرنسان،الخيالة المشاة،الرماة،على كل ألف مقاتل قائدا[2] وعلى الخمسين ألف أغا ومن حيث مضمون القوانين وجدنا أنها تمس عدة جوانب،فالقانون الأول خصه لرواتب الجند وشؤونهم الدينية والتعلمية،أما القانون الثاني فتناول فيه رتب الجند والزي العسكري وفي هذا الشأن يقول قدوربن رويلة" أمرمولانا أن لا يغيرأحد كسوته المخصصة ولوبلغ ما بلغ في الغنى ومن إستوهن فإنه يعاقب العقوبة الشديدة[3]"كما تطرق إلى المكافآت والأوسمة الخاصة بها وفي هذا يقول بن رويلة"[4]وأعلم العسكرأن من ظهرت شجاعته وعمل مزية في وقت القتال بأن خلص أخاه من العدو أوهجم على العدو قبل غيره وثبت لدى السلطان نصره الله فيلبسها له بيده الكريمة ويضرب عليه الطنبورإعلاما بمزيته"،كما تكلف بالحند وعائلاتهم،كعدم إنقطاع الراتب الخاص بالأغا والسياف وكبيرالصف إذا مات شهيدا وفي هذا يقول بن رويلة"إن الأغا أوالسياف أو كبيرالصف،إذا مات في القتال فلا ينقطع عنه الراتب وإنما يبقى جاريا على ولده إلى أن يقدرعلى حمل بندقيته"[5]أما في حالة مرضه فيجرى عليه نصف راتبه حيت يقول"[6]يجري عليه السلطان نصره الله نصف راتبه إلى أن يموت"،مما يعني أن الجندي في الجيش المحمدي تمتع بوضع إجتماعي مريح وفيما يخص العقوبات فتفاوت على حسب طبيعة المخالفة،حيث سن الأميرفي هذا المجال جملة من القوانين فمثلا إذا أضاع الجندي سلاحه فعليه دفع ثمنه وفي هذا الصدد يقول"إذا أضاع الجندي شيئا من الكسوة أوالألات

(1):الحسني،الأميرة بديعة،فكرالأمير،المرجع السابق،ص.58.

(2):المرجع نفسه،ص.61.

(3):بن عبد القادر،محمد،المصدرالسابق،ص.193.

(4):بن رويلة،قدور،المصدرالسابق،48.

(5):المصدرنفسه،ص.49.

(6):نفسه،ص.44.

القتال في الحرب أو في حال تعلمه فلا ضمان عليه وعليه أن يسددها[1]،فكل مخالفة تستوجب العقاب وتتنوع العقوبات من الحبس إلى الحرمان من الراتب[2] إلى الطرد والإهانة كما أعتنى الأميربجنده وحاول جاهدا توفيرالظروف الملائمة لهم حيث جاء في المؤلف "اعتناء أميرالمؤمنين نصره الله بعسكره ورفقه بهم وشفقته عليهم أن جعل لهم طبيبا ماهرا عارفا وجعل له إقامة الدواء من كل ما يحتاج إليه وجعل لعسكره المرضى دارا فيها ما يخصهم من الأكل والشرب والفراش والغطاء وجعل لهم صناعا من العسكرأصحاب نباهة وادب وخلاقة ووجه ووسع خاطرلئلا تضيق نفوس المرضى منهم"[3]،أما عن معاييرإختيار القادة فيقول" اوجب أن يكون كبراء هذا العسكرالمحمدي الذين يختارهم من ذوي النجدة والشجاعة والجراة والباس والإقدام والدين واليقين والصبروالثبات والنباهة للمكائد وقت القتال[4] وعن مؤونة الجند فحددها "لكل عسكري خبزة وزنها خضراء عشرون أوقية ووزنها نضيجة ثمانية عشرأوقية ورطل غير ربع دشيشة وأوقية غيرربع سمن[5]"من خلال ما سبق يتبين أن مؤلف وشاح الكتاب اشتمل على منظومة من القوانيين الصارمة تتجاوب مع معطيات الظرف.

3-1- الدلالات

إن دراستنا لكتاب وشاح الكتائب وزينة الجند المحمدي الغالب قادتنا إلى عدة إستنتاجات أهمها أن الأمير سعى إلى تكوين جيش بكافة المعاييرالحديثة ساعده على ذلك إحتكاكه بالجيوش الفرنسية في العديد من المعارك ومعاينته لتنظيمه وأدائه القتالي كما ان الأمير إستفاد من التجربة العثمانية في بناء وتنظيم الجيوش من خلال إنضمام كفاءات محلية مارست العسكرية في صفوف الجيش الإنكشاري و اختارت الإنضمام إلى المقاومة،حيث

حرص الأميرعلى الإهتمام بهذه الفئة ماديا ومعنويا كما استفاد من الأجانب فيمختلف فنون التدريب

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدرسابق،ص.196.

(2):بن رويلة،قدور،المصدرالسابق،ص.69.

(3):نفسه،ص.67.

(4):نفسه،ص.53.

(5):بن عبد القادر،محمد،المصدرالسابق،ص.198.

كما أن القوانين التي إستحدتها الأمير عكست عمق إطلاعه وإجتهاده في إطارالقواعد العامة للشريعة الإسلامية وإنسجمت مع طبيعة الجزائري وظروفه الإجتماعية وتوافقت مع حالة الحرب لذا فقد جمعت هذه القوانين بين الحزم واللين والمكافأة والعقاب،كما حرص الأمير على تنمية العامل الروحي لدى الجند من خلال ألزامهم بممارسة الواجبات الدينية والقيام بالشعائرالتعبدية وسعى لتوفيرالمناخ المناسب لذلك،ومن منطلق إدراك الأميرأن النصر منوط بقدرات وكفاءة الجند فقد حرص الأميرعلى تعليم الجند وتثقيفهم وعين لهذا الغرض مدرسين أكفاء ففي نظرالأميرالمعركة مع المستعمرتقتضي تحصين الفكروترسيخ الهوية.

2- الفكرالإسلامي للأمير:قراءة في مؤلفاته

2-1- المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد:

ا- التعريف بالمُؤلَف:

هذا المؤلَف عبارة عن رسالة أرسلها الأميرإلى علماء باريس[1] ضمنها العديد من المفاهيم حول العقل والعقيدة واثبات النبوة والشريعة[2] ،حيث يقول الأمير في مناسبة ودوافع تأليف هذه الرسالة:"عندما طلب مني شرحالمعتقدات الإسلامية أجبتهم بأنني لا أصلح أن أكون تلميذا لعلماء المسلمين فضلا على أن أكون منهم،ولكني سأبذل جهدا وأذكر كلام الله سبحانه وتعالى وأحاديث رسوله وكلام التابعين والخلفاء الراشدين"[3] ألف الأمير عبد القادر هذه الرسالة إبّان فترة سجنه في لومبواز[4].

ب - موضوعاته[5]:

(1):الحسني الجزائري،بديعة،فكرالأمير عبد القادر الجزائري(حقائق ووثائق)،مرجع سابق،ص.52.

(2):الجزائريالأمير،عبد القادر،المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد،محررها عبد الله الخالدي المغربي،د.ط،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،ص.07.

(3):نفسه،ص.07.

(4): وهو حصن لأحد ملوك فرنسا،وهو عبارة عن قلعة عالية الأسوار،تحيط بها سهول وأنهار.

(5):لمزيد من الإطلاع انظر:هنري،تشرشل،المصدر السابق،ص.146.

المؤلَف يشكل في حدّ ذاته نهضة فكرية وعلمية مقارنة بالجمود الفكري والفلسفي الذي ميز الفترة،عالج فيه الأمير جملة من المسائل ارتبطت بالعقل والإلهيات واثبات النبوة والرسالة والأخلاق،فبخصوص العقل يرى الأمير أنّه قاصر عن فهم المعصية والطاعةويقول في موضع آخرمن الرسالة:"فالعقل لا يهتدي إلى الأفعال المنجية إلا بواسطة الأطباء فحاجة الخلق إلى رسل حاجتهم إلى أطباء"[1]فنظرية الأميرحول العقل هي رؤية نقدية للترات الفلسفي اليوناني ولأفكارروادهكجالينيوس[2]وأبقراط وأرسطوطاليس،وفي مجال اثبات الألوهية فقد عدد شتى البراهين والدلائل التي توصل إلى معرفة الخالق،أما عن الروح فقد استشهد بقوله الله تعالى:(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليل)[3]ويرى الأمير أن الرسالات السماوية متكاملة ومترابطة حيث يستدل بما ورد في الإنجيل :" فما إن انطلقتَ أرسلته إليكم فإذا جاء فهو يوبخ العالم"، ليخلص إلى أن ذلك إشارة بقدوم محمد صلى الله عليه وسلم[5]كما يري أن رسالة الرسل واحدة وهي توحيد الله عز وجل،بخصوص الإنجيل فيؤكد الأميرأنه كلام الله حقيقة والمسيح عبرعنه بالسريانية أما عن التوراة فيقول"هو أول كلام نزل من السماء أعني أن ما نزل على إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء ما كان يسمى كتابا بل صحفا ولفظ التوراة أرامي معناه الشريعة والكلام الحق" ويقارن الأميربين ماجاء في التوراة وما ورد في الإنجيل"وشرع عيسى عليه السلام غيرشرع موسى عليه السلام كما أن شرع محمد عليه السلام غير شرع موسى وعيسى عليهما السلام، إلا أن الشرائع تتقاطع في توحيد الله والإيمان بالرسل والأنبياء وبالثواب والعقاب"[6] .

(1): الحسني الجزائري،بديعة،فكر الأمير،المرجع السابق ،ص.107.

(2):جالينيوس:(1564م – 1624م)،عالم فيزيائي إيطالي ولد بمدينة بيزا درس في جامعتها الطب و الفلسفة عين أستاذا للرياضيات يعد أول من إستخدم التلسكوب الإنكساري،حكمت عليه المحكمة برأه البابا جون بول الثاني في عام 1579م،ينظر:الموسوعة العالمية العربية،مجلد 08،ص.135.

(3): سورة الإسراء،الآية رقم. 84.

(4): الجزائري الأمير،عبد القادر،المقراض،المصدر السابق،ص.105.

(5): نفسه،ص.180.

(6):نفسه،ص.165.

وفي معرض تحدثه عن الأديان يذكر أن الإنجيل هو حقيقة وكلام الله المنزل وأن المسيح قد عبّرعنه بالسريانية[1] ،وعن اليهودية يقول: "التوراة" هو أول كلام الله الذي نزل من السماء ولفظ "التوراة" أرامي معناه الشريعة وكلام الحق"[2] وعن تلاقي الديانات يقول:"مازال النسخ تعاقب في الشرائع إلى أن تم بناء قصر لرسالة محمد،فانغلق باب النسخ بعده لأنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق"[3] وفي الأخير يتحدث عن فضائل الأخلاق كالوفاء في العهد وأخلاق الحرب

ج- الدلالات:

يمكن أن نستنتج مما سبق نظريته حول العقل حيث يرى قصوره هذا الأخير وعدم استغنائه عن الوحي،وينطلق في تصوره هذا أن العقل محدود الإدراك وأن الإنسان بفضل الرسالات استطاع أن يهتدي إلى الحق،كما يمكن أن نستخلص أيضا فهمه ونظرته للشرائع السماوية التي يمكن أن تشكل منطلقا لحوار الأديانكما تحدث الأمير عن الأخلاق وطرح في الرسالة تصوره الذي يقوم على"مرد الأخلاق إلى أربعة أصول الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها[4]"،إن هذه المحاور تشكل الدعائم التي قامت عليها فلسفة الأمير ونظرته للإنسان والدين ،كما عكست الرسالة ثراء ثقافة الاميروتنوعها حيث اعتمد لأميرعلى كوكبة من أهل العلم والدراية مثل الغزالي وإمام الحرمين[5] والشيرازي،التفتزاني البيضاوي،سهل التستري والإمام المناوي واليافعي والراغب والإمام الشافعي وفخرالدين الرازي[6] وبعض أقطاب الصوفية والمعتزلة إضافة إلى عدد من المصادرالغربية في مختلف العلوم والفنون.

(1):الجزائري، الأميرعبد القادر،المقراض، المصدر السابق،ص.165.

(2):نفسه،ص.167.

(3): الجزائري،الأميرعبد القادر،ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،المصدر السابق،ص.32.

(4): نفسه،ص.33.

(5):إمام الحرمين:(1028م 1085م)،ضياء الدين الجويني ولد في جوين،من مؤلفاته: الإرشاد ،الشامل في أصول الدين،البرهان في أصول الدين،من أصحاب الشافعي،ينظر :الموسوعة العالمية العربية، مجلد8،ص.610.

(6):فخرالدين الرازي: ولد في الري بطبرستان برع في الفلسفة والتفسير وعلم الفلك من مؤلفاته التفسير الكبير،أنظرالموسوعه العالمية العربية ،مجلد11،ص.59.

2-2- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل:

أ - التعريف بالرسالة:

رسالة ألفها الأميرفي دمشق(14 رمضان 1271ه/1855م)[1] وطبعت مرتين،أولها سنة (1275ه/1858م)،والثانية عام(1294ه/1877م)[2]،ويقول الأميرفي مناسبة تأليف الرسالة "أما بعد فلقد بلغني أن علماء باريز وفقهم العليم الحكيم كتبوا اسمي في دفتر العلماء و نظموني في سيف العلماء، فاهتززت بذلك فرحا...ثم أشار علي بعض المجيبين منهم أن أكتب إليهم بعض الرسائل فكتبت هذه العجالة وسميتها ذكرى العاقل وتنبيه الغافل."[3]

وقد جاء تأليف هذا الكتاب بعدما تم إختيار الأميرعبد القادر كعضو مراسل بمجمع الخالدين في باريس[4]،أراد الأميرمن خلاله أن يثبت لعلماء أوربا مدى غزارة وثراء موروثه الثقافي ومدى ترفعه عن التعصب في العلم أو الدين مبينا إيمانه القوي بضرورة الحفاظ على العلم بوسيلة هامة وهي الكتابة،وبضرورة مواصلة عمل الأولين بالجمع بين العقل والنقل فتحا لأبواب الإجتهاد.

ب – موضوعاته[5]:

تحدث الأمير في القسم الأول عن العقل كطاقة ابداعية لاحدود لها وفي المقابل نفّر من التقليد،كونه عاملا في استشراء البدع والخرافات وترسيخ الأعراف المنحرفة[6]،حيث يقول

(1): الجزائري،الأميرعبد القادر،ذكرى العاقل،المصدر السابق،ص.164.

(2):الجيلالي،عبد الرحمن،مرجع سابق،ص.62.

(3): الجزائري الأمير،عبد القادر،ذكرى العاقل،ص.20.

(4): رويش،أحمد،في صحبة الأميرين،المرجع السابق،ص.195.

(5): بن السبع،عبد الرزاق،الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه،المرجع السابق،ص.203.

(6):قد يرجع تسمية الأمير لرسالته ذكرى العاقل وتنبيه الغافل لتأثره بشيخه محي الدين بن العربي في أحد فصول كتابه:محاضرة الأبراروسامرة الأخيارالمجلد الثاني،دارصادر،بيروت،ص.149.

حيث جاء أحد الفصول معنوناب: " تذكرة عاقل وتنبيه الغافل".

حيث يقول في هذا الصدد" بهيمة تقاد أفضل من مقلد يقاد،"[1]ويرى أن الحق لا يعرف بالرجال بل الرجال يعرفون بالحق،وأن مقولة"ما ترك الأولون للآخرين من شيء"تكرّس الجمودكما تطرق إلى فضل العلم والتعلم ومنزلة العلماء[2]، وقسم العلم إلى أربع مراتب منها ما تباينت حسب رأيه منازل وتفاضلو في الأعمال في الأعمال تبعا لحاجة كل واحد منهم[3]أما في القسم الثاني فتناول فيه مسألة تعدد الديانات،حيث يرى أن الدين واحد،وإنما التعدد يخص الشرائع[4] ،فيقول:"أساس الديانة وأصولها لا خلاف فيها بين الأنبياء من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم،فكلهم يدعون الخلق إلى توحيد الإله وتفضيله،"[5] وفي القسم الثالث تكلم عن فضل الكتابة وتدريس العلم[6] ،والتدوين،وأن المعرفة معيار هام في تصنيف الناس[7] .

ج - الدلالات:

من خلال دراستنا لمؤلف المقراض الحاد إتضح لنا غزارة علم الأميروسعة إطلاعه وقوة إستدلالاته بحكم أن الرسالة موجهة لنخبة المجتمع الفرنسي،يرى بعض الباحثين أن الأميرحاول من خلال مؤلفه التفتح على حضارة الآخر وإبراز ثراء الموروث الثقافي العربي والإسلامي[8]،لذا فقد حرص الأميرعلى إبراز مكانة العلم والعلماء وأهمية التعلم والكتابة والتدوين وأن الإسلام حررالعقول،كما تظهرالرسالة اسلوب الأميرومنهجه في الدعوة الذي يعتمد على الإقناع من خلال مخاطبة العقول بلغة علمية عصرية تجلى ذلك في

توظيف الأميرللشواهد وضرب الأمثلة المحسوسة كما حاول الأميرإبرازالبعد الحضاري لرسالة

---

(1): الجزائري الأمير،عبد القادر،ذكرى العاقل،مصدر سابق،ص.ص.32-33.

(2): ا نفسه،ص.33.

(3): نفسه،ص.46.

(4):الجزائري،الأميرعبد القادر،المقراض الحاد،المصدرالسابق،ص.19.

(5):الجزائري،الأميرعبد القادر،ذكرى العاقل ،المصدرالسابق ،ص.103.

(6):المصدرنفسه،ص.103.

(7): نفسه،ص.119.

(8):حاجيات،عبد الحميد،المقال السابق،ص.189.

الإسلام وتصحيح المفاهيم الخاطئة في عقول الفرنسيين عن المجتمعات الإسلامية كما تكشف الرسالة عن أهمية العامل الأخلاقي في تصنيف الناس وتقسيم الأدوار والمهام وهذا ما بنى عليه الأمير تصوره في تسيير شؤون الإمارة لقد هدف من خلال نظرته للأديان إلى تجريد المستعمر من مبرراته الأخلاقية والحضارية من منطلق أن الممارسات الإستعمارية تتنافى والقيم الإنسانية ومبادئ التسامح.

2-3- مذكرات الأمير

أ- التعريف بالمؤلف

عبارة عن مؤلف جماعي[1] كلف الأميرخليفته مصطفى بن تهامي[2] بالإشراف عليه والإجابة بإسمه عن طلب وجه إليه لتدوين سيرته والأحداث الذي عايشها إبان مقاومته للمستعمر ويرى المحققون للمخطوط أن الصفاحات من 100 إلى 117 ومن 141 إلى 171 كتبت بخط الأمبروالباقي تدوال عليها ثمانية ناسخين[3] إلا أن ما كتب في المذكرات كان بموافقة الأمير ويؤكد هذا قول محقق النسخة"إن هذه الرسالة في معظمها إن لم تكن باكملها من تأليف الأمير[4]"أما عن سبب التأليف فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية عدد 16 أكتوبر1849م "علمنا أن بواسني طلب من الأميركتابة تاريخ مرتبط بالفترة التي حكم فيها في الجزائر بأسلوبه يضمنها معارفه الواسعة ...وأن أحد إخوة الأمير كذلك عمل علىكتابة

تاريخ مرتبط بتاريخ العرب منذ الإحتلال الفرنسي وإنا لا نشك أن هذه الأعمال مهمة جدا وتمدنا بوثائق

---

(1): الجزائري،الأميرعبد القادر،مذكرات الأميرعبد القادر،مصدر سابق،ص.10.

(2):صهرالأميروخليفته على معسكركلفه الأمير بعدة مهام من بينها التفاوض مع التيجانية وحماية الأسرى بعد معركة سيدي إبراهيم رافق الأميرخلال سجنه وفي الشام اشتغل بالتدريس في جامع الأموي،يعتبر داهية وفقيها ومفسا شغل منصب الوزير الأول ينظر:مذكرات الأمير،المصدر السابق،ص.08.

(3): نفسه،ص.14.

(4):نفسه،ص.24.

هامة"،إن إستجابة الأميرلطلب بواسني كانت تهدف إلى توضيح الأحداث التي شوهت وإزالة ما لحق بتاريخه من تشوبه وفي هذا الشأن يقول"...فأجبته بالموافقة واثقا بإعانة المالك وسالك صحة المسالك مرتجيا نفعا دنيويا مآله الصلاح الديني بحول الله وقوته[1]"،مما سبق فإن إستجابة الأميرنابغة من إدراكه أهمية ما طلب منه من منطلق حرص الأميرعبد القادرعلى تبيان الحقائق وكشفها للأجيال.

أما عن تاريخ صدور المؤلف فلا يوجد نص صريح يشير إلى ذلك إلا أن هناك بعض المعطيات التي قد تفيد في تحديد مجالا زمنيا تم خلاله كتابة المذكرات، منها بينها ذكر لاموريسيير خلال تحريره الصفحة 95 والصفحة 112 أن لاموريسييرفي هذه الفترة شغل منصب وزيرالحربية في 28 جوان 1848م خلفا للجنرال كافينياك وبالتالي تاريخ كتابة المؤلف محصور بين الفترة 21 ماي 1848م و20 ديسمبر1848م[2].

ب - موضوعاته

جاء الكتاب في سبع فصول ويبررالأميرهذا الإختيار"لم يرد في كتابنا المجيد إلا التعبيربما دون غيره من مراتب الألوف والمئين والعشرات فأصحاب الكهف سبعة والأقاليم سبعة و الدراري سبع والأرضون سبع والبحارسبعة والمثاني سبع والبقرات في رؤيا ملك مصر[3]" ومقدمة ذكر فيها أسباب تأليفه للمذكرات والمنهجية التي اتبعها في الكتابة[4] ،في الفصل

الأولة ذكرنسب الرسول(ص) وأصل العرب وجاء في الفصل الثاني نسب الأمير ونشأته وتعلمه أما في الفصل الثاني فخصصه لشرح معاني النبوة وفي الفصل الرابع فتحدث فيه عن رحلته إلى المشرق وأهم ملاحظاته عن هذه الرحلة،إضافة إلى التأريخ للمقاومة وذكرالأحداث والوقائع ويعرض أهم الاسباب الذي دفعته لإنهاء المقاومة كما تحدث فيه عن سفره إلى تولون عبرالبحرويعتبرهذا الفصل من أطول فصول المذكرات،أما بخصوص ما ورد في الفصل

---

(1):الجزائري ،الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير،المصدرالسابق،ص.35.

(2):نفسه،ص.23.

(3):نفسه،ص.10.

(4):نفسه،ص.25.

الخامس فتناول فيه خصال العرب وسجاياهم وفي الفصل السادس تحدث عن الروم القيصرية وذكرخصالهم وإيفاءهم بالعهد وفي الفصل السابع تحدث فيه عن علاقة العرب بالنصارى وختم مؤلفه بالتحدث عن تطور الزمان والتذكيربقصة إنتهاء العالم.[1]

ج - الدلالات

لقد اعتمد الأمير في مؤلفه على الجانب الفقهي والعلمي وحتى الأدبي في تدعيم آرائه في هذا الإطارإستدل الأمير بالأيات القرآنية والأحاديث النبوية وأشعار العرب أما من حيث الأسلوب فقد وظف الأميرضميرالغائب وضميرالمتكلم ويرجع ذلك إلى تواضع الأميرالذي تجنب الحديث عن نفسه وبطولاته كما جاء أسلوب الأميرسلسة واضحا ،من خلال مضمون رسالة يتبين أن الأميركان يهدف إلى إثبات صحة الرسالة المحمدية[2] وأنها خاتمة الرسالات وهي التي جعلها الله الرسالة الظاهرة كما حاول الدفاع عن الحضارة الإسلامية وتذكير بدورالمسلمين وتبيان علاقتهم مع النصارى وفي هذا الشأن يقول الأسقف تسيه:"إن القارئ المسيحي للمخطوط تفاجئه أهمية المواد التاريخية التي لا نجدها في الأناجيل الأربعة[3]"بل يذهب إلى حد إعتبارما ورد في المذكرات وثيقة تقارب ونقلة نوعية في حوار الأديان، كما توقف في هذا الفصل عن الإتفاقية التي أبرمها مع ابن الملك عن قضيته العادلة وتنفيد

شروط وقف القتال،اما بخصوص الأسلوب وطريقة الصياغة فقد وظف العبارات الشعبية المحلية[4] والأجنبية[5]،كما تميز أسلوبه بالبساطة والسلاسة،لقد استطاع الأمير عبد القادر أن يربط بين الحاضر والماضي لإيصال فكرة مفادها أن ما حدث في الجزائر ماهو إلا حلقة ستضاف إلى تاريخ الأمة الإسلامية التي تمكنت من نهوضبعد كل سقوط.

---

(1): الجزائري،الأميرعبد القادر، مذكرات الأمير،المصدرالسابق،ص.25.

(2):نفسه،ص.25.

(3): H;Tessier;l'entourage de l'emir Abdelkader et le dialogue islamo-chretien (extrait d'un Ouvrage inedit) in;islamo christiana,Roma,institou;di studi,Arabi,T_1,1975,p.43.

(4):بن حراث،عبد القادر،جوانب من شخصية الأمير من خلال مؤلفاته الأدبية ،مجلة أمال، ع8 ، جويلية ،1970م،ص.06.

(5):الجزائري،الأميرعبد القادر،المصدرالسابق،ص.15.

3- شعرالأمير: دراسة في الديوان

لقد تبحر الأمير في شتى فنون الأدب فأتقن اللغة وقرض الشعر وبرع في الخطابة وكتابة الرسائل وأدلى بدلوه في أدب الرحلة، إنّ أهم ما ميز شعرالأمير أنّه:

أ- شعر ثائر يخدم قضية وطن.

ب - يجسد الانتماء والهوية.

ج- يجمع بين الأصالة والحداثة.

لقد اقتصرنا في دراستنا على ديوان الأميرعبد القادرلذا حوى مادة شعرية معتبرة ومتنوعة، بدأ الأمير في قرض الشعر منذ الصغر وهو ما يزال دون الخامسة والعشرين من عمره دون أن يسبق له تلقي مبادئه على يد خبير في الفنون[1] ،وهذا يعني أن الشعر كان بالنسبة للأمير موهبة مارسها بتلقائية،نظرا لسعة رصيده الثقافى واللغوى وتبحره فى علوم االلغة العربية تجلى ذلك من خلال جودة الألفاظ التى وظفها فى شعره وفي هذا الإطار يقول الباحث ممدوح حقي:"إنه آخر حلقات الشعر المنحدر من القرون الوسطى بكل ما فيه من مزايا وعيوب،وهو أقرب إلى النظم منه إلى الشعر،"[2] كما صنفه النقاد كأشعر شعراء

عصره[3] الذي إتسم بتخلف والإنحطاط وغلب عليه الجمود والتقليد،لقد أبدع الأميرفي كثير من فنون الشعرمنسجا ومتفاعلا مع أحواله وظروف واقعه بدليل أن شعره إبان فترة المقاومة يختلف عن شعره في الأسر وعن نظيره في المنفي،فقد حاءت قصائد فترة المقاومة ملهمة وثورية إرتكزت على الفخر والحماسة أما قصائد الأسرى فغلب عليها طابع الحزن والشوق والحنين إلى الأحبة،فيما يخص قصائده في المنفى فقد عكست التامل والعزلة،الأمرالذي يقودنا إلى القول أن شعر الأميرتطورا من حيث المحتوى والمضمون وإلى القول كذالك أن الأمير يحسن توظيف شعره ليعبرعن باطنه الذي عاش تجارب ثرية ومتنوعة من الحرب إلى المعاناة إلى الإنعزال والخلوة والتأمل.

---

(1): بوعزيز،يحي،الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري،المرجع السابق،ص.146.

(2):الجزائري،الأميرعبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي،ص.30.

3-1-التعريف بديوان الأمير عبد القادر:

إن أهم مبادرة في جمع شعر الأمير كانت من طرف ابنه البكر في مؤلَفه تحفة الزائرفي تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر[1]الذي طبع سنة (1903م)بالاسكندرية والذي اشتمل على كثير من قصائده،ثم خصص بعد ذلك في شعر الأمير سماه نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر[2]كما قام ممدوح حقي المهتم بتراث الأمير بجمع قصائده ونشرها في مطلع الستينات،ثم طبع مجددا عام(1964م) ومرة أخرى (1965م)[3]وسماه ديوان الأميرعبد القادر وقد حفل هذا الديوان بأهم مايعرف نقديا بأغراض الشعر العربي المتنوعة من قصائد ومقطوعات[4] .

3-2- موضوعاتها

3-2-1-الشعرالفخر والحماسة:

هذا النوع من شعره طبع مرحلة مقامه بالجزائر،تفاعل فيها الأمير مع بيئته القبلية التي تفخربالنسب ومعركته الجهادية التي تنبض بالبطولات والانتصارات وبالهزائم تارة أخرى فالحماسةعندالأميرتعكس مواصفات رجل الحرب البطولي وقائدالمقاومة النموذجي،ومن أبرز أمثلة شعر الفخر قوله[5] :ركبنا للمكاره كل هول وخضنا أبحرا لها زجال

إذا عنها توانى الغير عجزا فنحن الراحلون لها عجال

ويقول أيضا:وعز جيادا جادا بالنفس كرها وقد أشرقت مما عراها على التوي[6]

---

(1): الجزائري الأمير،عبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،مصدر سابق،ص.18.

(2):عرابية،عبد الكريم،سوريا في القرن التاسع عشر(1840م - 1876م)،د.ط،الجيل للطباعة،دمشق، 1961م،ص.205.

(3):بن عبد القادر،محمد،نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر،المصدرالسابق،ص.03.

(4): الجزائري، الأميرعبد القادر،ديوان،المصدر السابق،ص.ص.07-27.

(5):نفسه،ص.52.

(6):نفسه،ص.72.

وفي صدد إفتخاره بنسبه[1]يقول:

ورثنا سؤددا للعرب يبقى وماتبقى السماء ولا الجبال.

وكان لنا دوام الدهر ذكر بــدا نطق الكتاب ولا يزال.

ومنا لم يزل في كل عصر رجــل للرجال هم الرجـال.

ويقول أيضا[2] :

أبونا رسول الله خير الورى طرى فمن في الورى يبقى يطاولنا قدرى.

وفي معرض شجاعته في المعركة يقول[3]:

سدّدت عليهم سدّة هاشمية وقد وردوا ورد المنايا على الغوى.

وهو حين يصف المجاهدين يقول[4] :

لهم همم سمت فوق الثريا حماة الدين رقصهم النظال.

ويقول في وضع آخر[5] :

الباذلون نفوسهم ونفيسهم في حب مالكنا العظيم الأجل.

الصادقون،الصابرون لدى الوغى الحاملون لكل مالم يحمل

ولا يتسع الباب في هذا المقام لذكر كل الأبيات الحماسية إلا أننا يمكننا القول أن شعر الحماسة كان وقود المقاومة،وصف الأمير من خلاله الكثير من ملاحم الحرب وأعطى صورة عن نوعية رجال الأمير،وبالتالي فقد عكس شكلا من أشكال المقاومة إستطاع من خلاله بث الرعب في صفوف المستعمر.

---

(1): بن عبد القادر،محمد،نزهة الخاطر،المصدر السابق،ص.02.

(2): ا نفسه،ص.ص.32-33.

(3): الجزائري، الأميرعبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،مصدر سابق،ص.35.

(4): نفسه،ص.25.

(5): نفسه،ص.141.

2-2-3 - الوصف:

لقد برع الأمير في وصف الطبيعة بما وهبه الله من مشاعر مرهفة وأحاسيس صادقة عكست جمالية نفسه وكشفت عن الجانب الفني الكامن في شخصيته،فالأمير يرسم بشعره محاولا ربط عمله بمجموعة من القيم كالشجاعة،والفروسية[1] ،فنجده مثلا من فرط شوقه لوطنه يتفاعل مع هبة ريح فيقول[2] :

يا أيها الريح الجنوبي تحمّلي مني تحية مغرم وتجمّلي.

وفي وصفه لتلمسان يقول[3] :

تتمنع عن كل أجنبي يحاول أن يقطف ورد خدّها.

3-2-3 - الغزل:

لقد تناول الأمير الغزل في إطار منظومة قيمية من منطلق تكوينه الديني والخلقي فهو غزل روحي لا مادي،فهو عندما يتذكر ابنة عمه يقول[4]:

إذا الناس ما ترغب في كنوز فبنت العم كنزي ومكتنزي

وفي أسره يغلبه الشوق فيقول[5]:

جفاني من أم البنين خيال فقلبي جريح والدموع سجال

ويقول كذلك : وتملك مهجتي ملك السواد وسلطان الجمال له إعتزاز[6]

---

(1): رويش،أحمد،بصحبة الأميرين،مرجع سابق،ص48.

(2): بن عبد القادر،محمد،نزهة الخاطر،المصدرر السابق،ص.08.

(3): الجزائري الأمير،عبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر ،المصدر السابق،ص.08.

(4): بوعزيز،يحيى،الأمير رائد الكفاح،مرجع سابق،ص.156.

(5): الجزائري،الأميرعبد القادر،ديوان الأميرعبد القادر،مصدر سابق ،ص.74.

(6):نفسه،ص.75.

3-2-4 - شعر التصوف:

إذا كان الأمير في بداياته شاعر العروبة والإسلام فهو في آخرها شاعر التصوف،إن شعر التصوف عند الأميرعبد القادر عكس مرحلة عايشها الأمير لها خصوصيتها ميزاتها طاوعتها الخلوة والافراد والمناجاة وهو فيهذا يحاكي كبار المتصوفة كابن العربي وابن الفارض[1]،ولعل أشهر قصائد الأمير(الرائية)التي جاءت في مائة واحدى عشر بيت بسط فيها فتحاته الربانية،حيث يقول[2]:

فقل لملوك الأرض أنتم وشأنكم فقسمتكم خزي وقسمتنا كثير.

وفي المحبة يقول[3]:

يا من هم الروح لي والرّوح والراح دبّت حمياهم في كلّ جوهرة.

إن الخلوة عند الأمير تمثل أجمل لحظات الاتصال الربّاني حيث يقول[4]:

أودّ طول الليالي إن خلوت بهم وقد أديرت أبارق وأقداح.

ويذهب الأمير إلى تشبيه الخمرة الصوفية بالعلم،فيقول[5]:

هي العلم كل العلم والمركز الذي به كل علم حيث له دور

فلا عالم إلا خبيربشربها ولا غبن في الدنيا ولا رزيئة

سوى رجل عن نيلها حظه نزر ولا خسرفي الدنيا ولا هو خاسر

---

(1): الجزائري الأمير،عبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،المصدر السابق،ص.74.

(2):عمر بن علي شاعر ومتصوفة مصري،اشتهر بتائيته التي عرفت بنظم السلوك،وميميته في الخمرة،أو المعرفة الإلهية،أنظر،المنجد في اللغة والإعلام،ط34،دار المشرق،بيروت،1994م.

(3):بن حراث،عبد القادر،جوانب من شخصية الأمير من خلال مؤلفاته الأدبية،مجلة أمال،العدد 08 جويلية،الجزائر،1970م،ص.14.

(4): الجزائري الأمير،عبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر ،المصدر السابق،ص.219.

(5): نفسه،ص.208.

أ- خصائصه:

أ-1من حيث البنية:

معظم أبيات الشعر الصوفي من البحر الطويل والوافر والكامل،لما تخوّله هذه البحور من مساحة وإمكانية للتعبير عن الأغراض المختلفة، والزّج بأبيات مجهولة[1] كما جاءت اللغة سهلة مطعمة بلغة القرآن[2] إلا أن سمات التقليل غلبت على بعض مواضعه ،ويرجع ذلك إلى تأثره بابن العربي في الفتوحات وابن فارض في تعابيره[3].

ويظهر تأثر الأمير واضحا ببعض شعراء العرب إلى حدّ إقحام بعض أبياتهم[4] إضافة إلى ذلك لم يخل شعره من بعض النقائص كسمات التفكك والاستطراد التي غلبت على شعر تلك الفترة.

أ-2- من حيث المضمون:

يعتبر شعر الأمير مادة تاريخية هامة من منطلق أنّه أرّخ للعديد من الحوادث التي تخللت فترة المقاومة، وحوى مادة وصفية معتبرة رسمت صورة عن جنده وحصونه ومدنه، فعند تأريخه لمعركة خنق النطاح[5] يقول[6]:

ألم ترى في خنق النطاح نطاحنا غداة التقينا كم من شجاع له هوى.

وكم هامة ذاك النهار فذذتها بحد حسامي والغنا طعنة شوى

---

(1):الجزائري،الأميرعبد القادر،ديوان الأميرعبد القادر،المصدرالسابق،ص.163.

(2): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،المرجع السابق،ص.160.

(3): الجيلاني،عبد القادر،ديوان عبد القادر الجيلاني،تح يوسف زيدان،ط1،دار الجبل،بيروت، 1998، ص.12.

(4): الحسني الجزائري،بديعة،فكر الأمير،المرجع السابق ،ص.28.

(5): بن السبع،عبد الرزاق،المرجع السابق،ص.169.

(6):الجزائري،الأميرعبد القادر،ديوان الأميرعبد القادر،المصدرالسابق،ص.56.

وبخصوص معركة المقطع يقول[1] :

نهار بدا كالليل أظلم حالكا أصبنا لهم ألفي قتيل مع النصف.

وحين يصف معركة برج العين يقول[2] :

نزلت ببرج العين نزلة ضيغم فزاد بها حزنا وعمّهم الجوى.

وعند استرجاع تلمسان(ماي1838م) يقول[3] :

إلى الصون مدّت تلمسان يداها ولبّت هذا حسن الصوت نداها.

إنّ خصوصية شعر الأمير تكمن في أنه حمل هموم المقاومة، ومجّد الأصالة وكشف عن الجانب الفني وجمالية الذوق لدى الأمير،وعكس التواصل واستمرارية المنهج الذي التزمه وآمن به خلافا لما يدّعيه بعض الدارسين إلى أنّ الأمير قد تغير في منفاه.

ومن هذا المنظور فإن الشعر يعدّ معيارا هاما في نفي أو إثبات كثير من الوقائع التي تتناقض مع مسيرة الأمير وجهاده البطولي.وخلاصة يقول سليمان العشراتي في قراءته لشعر الأمير:"...فالمدح لم يعد أنانية وتضخيما للذات والفخر لم يعد من قبيل مكابرة عنترية والفروسية لم تعد شموخا وتطاولا كاريكاتوريا،بل أضحت تلك الأغراض حدثا فنيا وفعلا

بنائيا تواجه به الأمة شروط قومية جديدة"[4]،لقد شكل الشعر أداة الأمير في بعث روح الجهاد بين جنده ووقودا للحماسة والإندفاع في ساحات الوغى دفاعا عن الوطن والشرف،ومصدرا للتأريخخلد الكثير من الوقائع وأداة إعلامية رزعت الرعب في صفوف المستعمروأحبطت معنويات جنده وثبطت عزائمه في المواجهة والإقدام ،لقد أضحى الشعر البطولي للأمير منارة للأجيال وتذكرة لهم ببأس وصلابة الأجداد وتضحياتهم في المقاومة ورد الغزاة المعتدين.

---

(1):الجزائري،الأمير عبد القادر،ديوان الأميرعبد القادر، مصدر سابق، ص.161.

(2): نفسه،ص.161.

(3): نفسه،ص.162.

(4): العشراتي،سليمان،الأمير عبد القادر شاعرا تحليل الخطاب الشعري في محطة المابعد،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،2002،ص.08.

4 -علم التصوّف:المواقف أنموذجا

نعني بالتصوف الجانب النظري والمعرفي الذي هو نتاج تراكمات وتجارب عايشها الأمير،وثمرة درجات بلغها في مدارج السالكين حتى وصل مرحلة العطاء،أوما أسماه البعض مرحلة التحقق[1] ،حيث قضى ما يقرب ثلاثين سنة في العبادة والذكر[2] .

وهو يذكر بخصوص حالة التجلي والمشاهدة التي وصل إليها قائلا: "كنت ثالثة ليلة رمضان متوجها للروضة الشريفة فحصل لي حال وبكاء فألقى الله تعالى في قلبي أنّه -عليه الصلاة والسلام- يقول لي أبشر بفتح...وكنت أذكر الله تعالى فغلبني النوم فرأيت ذاته الشريفة امتزجت مع ذاتي وصارت ذات واحدة،أنظر إلى ذاتي فأرى ذاته الشريفة ذاتي فقمت فزعا مرعوبا فتوضأت ودخلت المسجد للسلام عليه."[3]

4 -1- مؤلَف المواقف:

جاء تأليف هذا الكتاب باقتراح نخبة من العلماء الذين اجتمعوا حول الأمير في حلقاته التدريسية وعلى رأسهم الشيخ عبد الرزاق البيطار[4]،ويقول الأميرفي هذا الصدد:"...هذه

نفحات روحية وإلقاءات سبوحية بعلوم وهبية وأسرار من وراء طور العقل وظواهر النقول ،خارجة عن أنواع الاكتساب والنظر في كتاب،قيّدتها لإخواننا الذين يؤمنون بآياتنا،وإذا لم يصلوا إلى اقتطاف أثمارها تركوها في زوايا أماكنها"[1]،لقد حدد الأميرالهدف الذي يرجوه من خلال هذه المواقف والمتمثل في تحصيل الفائدة للنخبة السالكة الداركة لأهميتها.

---

(1):يقسم عبد الباقي مفتاح مسيرته الروحية إلى ثلاث مراحل:أولها التعلق،ثم التخلف وآخرها التحقق، أنظر:مفتاح،عبد الباقى،الأمير عبد القادر الجزائرى مع الشيخ الأكبر بن محي الدين العربى،ص.24.

(2): بن السبع،عبد الرزاق،الأمير عبد القادر وأدبه،المرجع السابق،ص.154.

(3): الجزائري الأمير،عبد القادر،المواقف،ج1،المصدر السابق،ص.48.

(4): أباظة،نزار،الأمير عبد القادر(العالم المجاهد)،ط1،دار الفكر،دمشق،1994،ص.29.

(5): الجزائري الأمير،عبد القادر،المواقف،ج1،مصدر سابق،ص.01.

(6):للمزيد من الإطلاع ينظر: فرعون،حمو،نظرية التجلي عند الأمير عبد القادر،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،قسم التاريخ،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2015م -2016 م،ص.ص.109 -116.

أن هذا المؤلف مليئ بالأسرار التي قد يؤدي سوء فهمها إلى إنحرفات وأحكام مسبقة في حق قائلها ضف إلى ذلك تحديات الموروث الثقافي الذي دفع بالمجتمعات الإسلامية غلى الإنغلاق، لقد تباينت اقوال الباحثين حول المؤلف الحقيقي فقد جاء في مجلة[1] مجمع اللغة العربية بدمشق أن كتاب المواقف من تأليف الأميرعبد القادرويذهب أبو القاسم سعد الله[2]أن المواقف من أشهرمؤلفات الأمير وهذا ما أكده جواد المرابط[3] وفؤاد صالح السيد[4]وتذهب الأميرة بديعة الحسني إلى أن المواقف ليس من تأليف الأمير"...ومع الاسف أعتبركتاب المواقف في الجزائرالنتاج الفكري الأهم لدى المجاهد الكبير،ولم ينتبه أحد من المؤرخين والعلماء إلى التحريف والتاويل الخطيرالذي ملا صفحاته وقدم إلى مكتبات في الجزائر[5]"،أما عن تاريخ الموافق يقول فؤاد صالح السيد"ألفالأميرالمواقف في المرحلة الأخيرة من حياته عند إستقراره النهائي في دمشق...وهو عبارة عن أحاديث الأميرودروسه ومواعظه التي كان يلقيها على الطلاب،ولهذا فإن الكتاب لم يؤلف في فترة زمنية قصيرة معينة ولكن ألف في فترة زمنية متباعدة ولذا يمكننا ترجيح تأليف الكتاب بين سنتي 1856م – 1883م وهي الفترة الأخيرة من حياته"[6] وعن أسباب تأليف الكتاب يقول جواد مرابط

أنها تكمن في رجاء الشيخ عبد الرزاق البيطاروالشيخ محمد والشيخ الطنطاوي أن يأذن لهم في تدوين ما يتكلم به في مجالسه[7]وفيما يخص مخطوط المواقف جاءفي مجلة المسالك أن أشهرالمخطوطات موجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبة أنقرة،طبعت المواقف لأول مرة بمصرسنة 1911م إعتمادا على مخطوطة شيخ البيطاروقامت داراليقظة بدمشق بإصدارالطبعة الثانية.

---

(1):مجلة مجمع اللغة العربية،دارصادر،بيروت،1926م،ص.568.

(2):سعدالله،أبوالقاسم،تاريخ الجزائرالثقافي،مرجع سابق،ص.568.

(3):المرابط،جواد،المرجع السابق،ص.19.

(4):السيد،فؤاد صالح،الاميرعبد القادر،شاعرا ومتصوفا،المرجع السابق،ص.13.

(5):الحسني،الأميرة بديعة،فكرالأمير،مرجع سابق،ص.166.

(6):السيد،فؤاد صالح،المرجع السابق،ص.23.

(7):المرابط، جواد،المرجع السابق،ص.23.

(8):مفتاح،عبد القادر،المرجع السابق،ص.13.

فحسب الطبعة الصادرة سنة 1966م عن داراليقظة يتألف الكتاب من مقدمة و372 موقفا في ثلاثة أجزاء في 1403 صفحة وتتابين المواقف من حيث الحجم فالموقف 248 يحتوي على 34 فصلا وخاتمة في 117 صفحة عنوانه"بغية الطالب على ترتيب التجليات بكليات المراتب" والموقف 55 جاء في ستة أسطر،أغلب المواقف عبارة عن تفسير لإيات قرأنية حوالي 300 موقف والباقي عبارة عن تفسيرأحاديث قدسية واحاديث شريفة والبعض الآخر عبارة عن أجوبة أسئلة تخص أبواب معينة من كتاب الفتوحات المكية لصاحبه ابن العربي كالموقف 289 حول باب الولاية المكية من الفتوحات وبعض المواقف هي شرح لفصوص الحكم لابن العربي كالموقف 294 والموقف355 وفي بعض المواقف شرح حكم وأراء العلماء وخص الأميرحوالي عشر مواقف لتجربته الروحية كالموقف 30 والموقف176[1].

2-4- موضوعاته:

لقد ظهر الأمير من خلال المواقف متصوفا بلغ مراتب الإجتهاد، إذ تجلى العمق الثقافي في تفسيراته وتعليقاته المختلفة،حيث أبدع في تفسير القرآن من وجهة صوفية،والحال نفسها مع الأحاديث النبوية كما احتوى المؤلَف على شروح لبعض من فصوص الحكم لصاحبه ابن العربي،وتضمن أيضا توضيحا هاما لرسالةالغيب للعارف الشيخ صدر الدين القونوي ربيب الشيخ الأكبر ابن العربي. وناقش فيه آراء الفلاسفة والمتكلمة متّبعا منهجه الخاص الذي يقوم على إبداء وجهة نظر أهل الظاهر،ثم وجهة نظر المتصوفة،ثم يختم بإبداء وجهة نظره في المسألة[2]،ويمكن تقسيم كتاب المواقف من حيث المضمون إلى عدة أبواب:

أ- باب الألوهية: أين بين الأمير منهجه في الإعتقاد وفي توحيد الله في أسمائه وصفاته والذي أساسه تنزيه الله تعالى دون تعطيل أو تشبيه أو تكييف وإثبات ما أثبته الله في كتابه أو أوحى إليه لنبيهفيقول في هذا الشأن"وطريقة توحيدنا ماهي طريقة المتكلم ولا الحكيم المعلم ولكن طريقة توحيد الكتب المنزلة وسنة الرسل وهي التي كانت عليها بطون الخلفاء الراشدين

---

(1):الجزائري،الأميرعبد القادر،المواقف،ج1، مصدر سابق ،ص.78.

(2): بلغراد،محمد،الجانب الصوفي والثقافي في حياة الأمير عبد القادر الجزائري،مجلة التاريخ،عدد خاص بوفاة الأمير،1983،ص.61.

والصحابة والتابعين والسادات العارفين[1]،ويقول في موضع آخر"والعلم المأمورهو العلم بألوهية الإله وإختصاصه بمرتبة الألوهية لا العلم بذات الإله فإن العلم بذات الإله محال وللعلم بألوهية الإله وتوحيده طريقان أحدهما بالنظرالعقلي والطريقة الثانية هي ما جاءت به الكتب المنزلة وأخبرت به الرسل المرسلة من نعوت الإله الحق ولم يوافق العقل الإله فيما أخبرعن نفسه وأخبرت به رسله ...فليس الوجود إلا للمتعين الظاهرسبحانه وتعالى وليس هناك حلول ولا اتحاد ولا امتزاج[2]".

ب - باب الحقيقة المحمدية: وفي هذا الإطاريقول الأمير"كل ما أبصره محمد وسمعه...فإنها هيولى العالم وحقيقة الحقائق وهو الإنسان الأزلي وهو الأول والآخر والظاهروالباطن وهو بكل شئ عليم كما أن الحق تعالى له هذه الصفات فإن الله تعالى لما أوجد حقيقته قال له

أعطيتك أسمائي وصفاتي فمن رآك رآني ومن علمك علمني...غاية من دونك أن يصلوا إلى معرفة نفوسهم منك..[3]"،إن ظاهر ما توحي به هذه التوظيفات هو المخالفة الصريحة لإعتقاد أهل السنة والجماعة لذا لا يجب التوقف عند ظاهرها،فقد قال الأمير فيموضع آخرإحذر أن ترميني بحلول أوتأويل أوتعطيل.

ج - باب حقيقة الإنسان: والحق أن مسمى الإنسان مجموع الجسد وروح لا الجسد وحده ولا الروح وحده"[4] وفي الموقف350 يقول"كرم الله تعالى آدم بكرمات كثيرة أجلها خلق أبيهم آدم بيده وأولادهم منه...وهيأ لهم أسباب نيل المراتب العلية والتنقل في المقامات بخلاف الملائكة فإنهم ليس لهم هذا إذ ما من ملك إلا وله مقام معلوم وفضل الله تعالى آدم وأبيه على كثير من الخلق[5]"،إن هذا الموقف يعكس تصور الأمير عبد القادر ورؤيته للإنسان كمخلوق رباني كرمه الله عزوجل وعن النفس البشرية وأسرارها يقول"نفس الإنسان الناطقة المسماة بلطيفة

---

(1):الجزائري،الأميرعبد القادر،المواقف،ج1،المصدرالسابق ص.90.

(2):نفسه،ص.92.

(3):نفسه،ص.275.

(4):نفسه،ص.730.

(5):نفسه،ص.365.

الإنسانية والروح الجزئية جوهرواحد غيرمتعدد ولا يقبل بالتجزئة والتبعيض وهو المدبر المتصرف في الجسم.. فأصل في الإنسان هو اتحاد القوى لوحدة جوهرالنفس المدبر[1]"وعن الفعل الإنساني"...مرة جاءت نسبة الفعل إلى المخلوق ومرة إلى الله تعالى بالعبد ومرة إلى العبد بالله تعالى فأما نسبته إلى الله تعالى فمن جهة أنه الوجود الحق والفاعل الحقيقي أما نسبته إلى المخلوق فمن جهة أنه مصدرالفعل في الحس وأما نسبته إلى بالمخلوق فمن جهة أنه آلة الفعل وأما نسبته إلى المخلوق فمن جهة أن المخلوق مظهروتعين للحق[2]"وفي نظر الأميرالإنسان مجموع ثلاثة أشياء جوارح ونفس حيوانية لها الحس والشهوة والغضب ونفس ناطقة حاكمة على الجسم بما فيه مدبرة له[3].

د- باب الشريعة والحقيقة: ينطلق الأميرمن تفسيرالآية"مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان"فالبحران هما الشريعة والحقيقة والبرزخ هو العارف فلا تبغي الشريعة على الحقيقة ولا الحقيقة على الشريعة فهو دائما بين ضدين ومشاهدة نقيضين ...العارف بين نارين نار الشريعة ونارالحقيقة[4]"ويقول في موقف آخر"إركبوا في السفينة الروح الجامعة بين الشريعة والحقيقة فإن المنجية من كل هلاك"[5]

ت- باب الرياضة الروحية : تطرق الأميرإلى الأحوال والمقامات التي يتنقل فيها السالك في مواقف متفرقة كالموقف 77 والموقف 165 وبين هذه المقامات مقام التوكل ومقام التوبة ومقام المحبة ويرى الأمير أن المجاهدة شرط أساسي في سلوك المتصوفة بغية تصفية النفس وتزكيتها وهي إما أن تكون ظاهرة كالعبادات المفروضة والمسنونة أوباطنة أي تقوم على الرياضة النفسية وترويدها حيث يقول الأميرفي هذا الشأن"... إتباع السنة قولا وعملا وحالا أعظم جهاد للنفس،فلا أشق على النفس وأتعب لها من إمتثال الأوامرظاهرا أوباطنا

---

(1):الجزائري،الأميرعبد القادر،المواقف،ج2، مصدر سابق،ص.385.

(2):نفسه،ص.265.

(3):نفسه،ج1،ص.172.

(4):نفسه،ص.211.

(5):نفسه،ص.390.

واجتناب النواهي كذلك ومخالفتها عند طلب الشهوات الغير ضرورية[1]كما ينصح الأميرالمريد السالك الإكتفاء بالكتب المصنفة في المعاملة والمجاهدة المطلقة[2] لتصفية النفس وتطهيرها من الشوائب التي تحول دون إرتقاءها وصعودها إلى أرفع المدارج وتحصيل المقامات وأجلها.

ن- حقيقة الوجود: يذهب الأمير إلى أن" لا وجود إلا الوجود الواحد الحق تعالي والمسمى عالما والمخلوقات مظاهره من أول مخلوق إلى آخرمخلوق فحق بلا خلق لا يظهر وخلق بلا حق لا يوصف بالوجود والوجود الحق واحد لا يتعدد ولا يتغير ولا ينحصر ولا يتحدد" ويقول كذلك" الوجود الحق مرآة تظهرصورة المتجلي له فيها بقدرإستعداد أحواله وأحكامه

كما أن الوجود يظهر في مرايا الأعيان بحسب إستعدادها وقابليتها لظهور أحكامها وأوصافها والصورة دائما حائلة بين الرائي والمرئي فغير ممكن أن يبصر الرائي الصورة والمرآة في آن واحد كما ذلك هو في الشاهد فلا يبصرمبصرالصورة الحق من غيرصرورة إلا إذا فني عن القيود كلها"[3] مما سبق نخلص إلى أن الأميرذهب إلى القول بوحدة الوجود في إطارالقواعد الكلية للتوحيد في إثبات الصفات دون تعطيل وتنزيه الخالق دون تشبيه.

3-4- الدلالات

يعد كتاب الموقف من أشهركتب التصوف التي ساهمت في إثراء وإعادة بعث هذا العلم من منطلق ما حوته من مادة صوفية وفي هذا الشأن يقول محمد بن عبد القادر"ومن طالع مواقفه في الحقائق،وقف على ما أشرنا إليه واطلع على مالا ما زيد عليه[4]"ويقول كذلك" وبرع في فنون الشريعة والحقيقة وله تآليف عديدة حسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة[5] ويقول الشيخ النبهاني في معرض تعليقه "...وعبر عنها بالمواقف فقد اشتملت من العلوم والمعارف والأسرارعلى ما لا يدخل تحت الحسبان ولا يمكن أن يستفاد من قراءة الكتاب وإنما ذلك

---

(1): الجزائري،الأميرعبد القادر،المواقف،ج1،مصدر سابق،ص.207.

(2): نفسه،ص.452.

(3): نفسه،ص.295.

(4):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2،المصدرالسابق،ص.702.

(5):نفسه،ص.932.

فضل الله يؤتيه من يشاء[1]" ومدحه شكيب أرسلان قائلا"...وله في التصوف كتاب سماها المواقف فهو هذا المشرب من الأفراد الأفداد وربما لا يوجد نظيره من المتأخرين[2]،لقد قادتنا دراستنا لكتاب المواقف إلى إستخلاص معالم المنهج الذي وظفه الأميرفي مؤلفه حيث يقول في معرض تفسيره لقوله تعالى "لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنه"هذه الآية تلقيتها تلقيا غيبيا روحانيا فإن الله تعالى عودني أنه مهما أراد أن يأمرني أوينهاني أو يبشرني أو يعلمني علما أو يفتيني في أمرإستفتيته فيه إلا وياخذني منه مع بقاءالرسم ثم يلقي

ما أراد بإشارة آية كريمة من القرآن ثم يردني إلي فارجع بالآية قرين العين ثم يلهمني ما أراد بالآية وأتلقى الآية من غيرصوت ولا حرف ولا جهة وقد تلقيت والمنة لله تعالى نحو النصف من القرآن بهذا الطريق وأرجو من كرمالله تعالى أن لا أموت حتى أستظهرالقرآن كله[3]"مما سبق يتضح لنا أن منهج الأمير في المواقف هو منهج ذوقي بحت بدليل قوله"فإن الأمور الوجدانية لا يمكن حدها وإقامة دليل عليها حتى في الأمورالعادية في الخلق كالفرح والغم والخوف والخشوع ...فلا يمكن توصيلها إلى الغيرأبدا ولا سبيلها إلا الذوق[4]" ويقول قي الموقف96 "[5]وذلك بالتجليات الذوقية والإفاضة الربانية فيعرفه بما أنكرته العقول مما أخبرت به الرسل عليهم السلام عن ربها"وبالتالي يمكن القول أن الأميرتلقى علوم التصوف دون واسطة فالذوق كان أداته ووسيلته في التلقي حيث يقول:

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن داره غذا بالنفس يشريه[6]

فالذوق عند الأمير مرتبة من مراتب التلقي التي يصل إليها السالك بعد جهد ورياضة روحية.

---

(1):النبهاني،يوسف بن إسماعيل،جامع كرامات الأولياء،تحقيق إبراهيم عطوه عوض،ج2،المكتبة الثقافية بيروت،1991م،ص.217.

(2):أرسلان،شكيب،حاضرالعالم الإسلامي،الجزائروالاميروفرنسا،مكتبةالبابي،القاهرة،مصر،د.ت ص.173.

(3):الجزائري،الأمير،عبد القادر،المواقف،ج1،المصدرالسابق،ص.105.

(4):نفسه،ص.256.

(5):نفسه،ص.263.

(6):نفسه،ص.463.

يرى أحد الباحثين أن الأمير أودع في كتاب المواقف زبدة تجاربه وبيّن فيه مذهبه الروحي والصوفي والفلسفي في الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها[1].

إن أهم ما تميزت به المواقف هو التفسير الروحي للقرآن الكريم حيث يقول الأمير في هذا الباب:"أهل طريقتنا - رضي الله عنهم- ما ادّعوا الإتيان بشيء في الدين جديد،وإنّما

ادّعوا الفهم الجديد في الدين التليد،وساعدهم الخبر المروي أنّه لا يكمل فقه الرجل حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة."[2]

لقد بسط الأمير في المواقف مذهبه المعتدل المبني على المطالعة والمشاهدة والممارسة والتلقي،كحقيقة عايشها،بالتالي فحديثه عن التصوف هو حديث الخاص للخاص أي ان الأمير يوجه خطابه للثلة المتمرسة ونعني بذالك أهل الطريقة السالكين،ففي نظرالأمير هذه طائفة الوحيدة المؤهلة للفهم الرموز والإشارات التي يعد توظيفها مؤشرعلى وصول المتصوف إلى مدارج متقدمة في الرياضة نفسية ،والرمز عند الأمير عبد [3]القادر يكاد يكون فن قائم في ذاته في تراثه الصوفي عكس تحرره من المحسوس إلى آفاق أكثر اتساعا،وفي نفس الوقت تكشف عن مدى قوة روحه وعقله في التحمّل أثناء رحلة الابتعاد، ومن هذا المنظور الرمز لغة أجاد الأمير توظيفها،لقد تحدث الكثير من الدارسين عن الرمزية في تراث الأمير الصوفي إلا أن هذا المجال لا يزال غضّا،ويتطلب الكثيرمن الجهود لوضع إطار للنظرية الرمزية عند الأمير. خلاصة لما سبق يمكن القول بأن فكر الأمير عبد القادر ثري ومتنوع ويتسم بالعمق وغزارة المعلومات ،الأمرالذي يدل على تبحرالأمير وسعة إطلاعه وقدرته على الإستعاب من منطلق أنه أمضي سنوات في قيادة الجيوش وتسيير شؤون الإمارة مما يعني عدم توفر الوقت الكافي للإشتغلال بالعلوم رغم هذا تميزت كتاباته بالجودة والتفرد مقارنة مع أقران عصره لذا لا نستغرب ان يعين الأميرعضوا في مجمع الخالدين بباريس[3] حيث أضحت أفكارالأمير محل بحث ونظرمن طرف كبار علماء عصره.

---

(1): بن السبع،عبد الرزاق،مرجع سابق،ص223.

(2): الجزائري الأمير،عبد القادر،المواقف،ج1،المصدرالسابق،ص.26.

(3): الجزائري،الأمير عبد القادر،ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،المصدرالسابق،ص.07.

ثالثا: فكرالأميرعبد القادر:قراءة في الأبعاد

إن مميزات فكرالأميرعبد القادرتكمن في طبيعته المتعددة الأبعاد التي عكست شمولية هذا الفكرومرونته في احتواء تحديات الظرفوفي مظاهر التغيير التي شهدها المجتمع الجزائري

بفضل إسقاطات هذا الفكرعلى أرض الواقعوتتجسد خصوصيته في قيمة إسهاهماته في الرصيد الثقافي والإنساني الإسلامي والعالمي وفي اختراقه لحدود المكان والزمان ومن وجهة نظرنا لايزال فكرالأمير مادة خامة تحتاج إلى الكثيرمن الدراسات منطلق عمقه وثرائه، وبالتالي إقتصرنا على بحث بعض أبعاده المحورية التي جعلت منه فكرا مميزا كان الأثرالبالغ في تغييروتجديد العديد من المفاهيم.

1- البعد الإنساني

إن تجليات البعد الإنساني في فكر الأميرعبد القادر تنبع من رؤيته الفلسفية لماهية الوجود والإنسانوتنطلق من تصورشرعي لهذه الماهية وتتخذ من مبادئ الشريعة الإطارالذي يحدد طبيعة العلاقة مع الآخر وفق هذا المنظور فقد عكست سيرة الأمير الجهادية والعلمية نظرته الإنسانية المستمدة من مبادئ الشريعة الإسلامية ومن إجتهاداته الفقهية.

1-1- أخلاقيات الحرب

ترتكز أخلاقيات الحرب عند الأميرعبد القادرعلى مبادئ الشريعة السمحة ومقاصدها فمن خلال المعارك التي خاضها يتضح حرصه على إتباع الهدي النبوي وإقتفاء أثار الرسول(ص) والخلفاءالراشدين في غزواتهم ضد الكفاروحرص على تقنين[2]هذه الأخلقيات و تجسيدها على أرض الواقع ،مما يعني أن الحرب عند الأمير ليست هدفا في حد ذاتها بل وسيلة لرد الإعتداء.

---

(1): مقاصد الشريعة: هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة.ينظر بن عاشور،الطاهر مقاصد الشريعة الإسلامية،دار النفائس،عمان،2001م،ص.15.

(2):ينظر:بنرويلة،قدور،وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب،مصدر سابق،ص.38.

أ- القتال من منظورالأميرعبد القادر

لقد عكست مقاومة أسمى مظاهر المقاومة وفي هذا الصدد يقول أحمد ملاح:" إن إنسانية الأمير جوهر قائم بذاته وليس عرضا من الأعراض مستقل عن الذات مستقل في روحه عن الأحوال والتقلبات ولذا فهي لم تتأثر بالظروف الخارجية ...إن الحرب صارت بفعل إنسانية الأمير أسلوبا فنيا يخلوا من الوحشية والعبث والتنكيل...فالجندي امطالب بان يحترم خصمه في ثلاث حالات إذا ألقى سلاحه أو استسلم للامر أو اعترف بهزيمته" ففي نظر أحمد ملاح أخلقيات الحرب عند الأمير ترتكزعلى مبدأين ترجمهما الموقف 73حيث يقول الأمير"ليس المقصود من الجهاد إهلاك مخلوقات الله و إعدامهم وهدم بنيان الرب تعالى وتخريب بلاده فإن ضد الحكمة الإلاهية وتمام مقصود الشارع دفع شرالكفار وقطع أذاهم عن المسلمين لأن شوكة الكفار إذا قويت اضرت المسلمين في دينهم ودنياهم"وتجلى دوافع إعلان الجهاد في قول الأمير[1]"إنكم أصبحتم الآن تحت رحمة رومي يقاضيكم رومي ويدير يديرشؤونكم رومي...إني الرومي قد إنتهك مساجدكم وأخذ أحسن أراضيكم...أيها الناس إن الله قد وضع بسيف الملتهب في يدي وإننا جميعا سنمضي إلى الأمام ونروي حقول أوطاننا بدماء الكفار"فالأميريرى أن القتال شرع لرد المعتدين إمتثالا لقوله تعالى"وقاتلوا في سبيل الله ولا تعدوا إن الله لا يحب المعتدين"[2]،ويذكرسكوت في مذكراته"أن القبائل حملت السلاح للدفاع عن العقيدة الإسلامية والإستقلال ضد الغزاة للبلدهم وأعداء دينهم تحت راية مرابطهم الممتاز"[3] فالجهاد في نظر الأميرواجب للدفاع عن العقيدة الإسلامية ونصرة المسلمين وردع الظالمين تطبيقا لقوله تعالى"ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالمة أهلها واجعل لنا من لدنا وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا"[4]وقوله تعالى"أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم

---

(1): R.Mimoune;op.cit,p.130.

(2):سورة البقرة،الآية رقم.190.

(3): الكولونيل،سكوت،المصدرالسابق،ص.109.

(4):سورة النساء،الآية رقم.75.

الذين أخرجوا من ديارهم بغير الحق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها إسم الله[1]"إن دواعي الجهاد وموجباته تتجسد في تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة من حفظ الأوطان والأموال وصون النفوس والأعراض والذوذ عن الدين.

ب-مظاهر أنسنة الحرب في مقاومة الأميرعبد القادر

تجلى مظاهرأخلقة القتال عند الأميرعبد القادرفي تللك السلوكيات المثالية التي أظهرها في معاركه ضد المحتل وفي حربه ضد المرتدين رغم الإستراتجية التي تبناها المستعمرفي تثبيت الإحتلال متجاوزا الأعراف والمبادئ الإنسانية يرجع ذلك إلى إلتزام الأمير بحدود الشريعة وحرصه على اقتفاء أثرالرسول(ص) وهديه في القتال والإقتداء بسيرة الخلفاء في جهادهم. ب -1- محظورات القتال

إن أخلاقيات القتال إختزلها من وجهة نظرالأمير قانون الحرب في الإسلام حيث يقول في مؤلفه المقراض الحاد"قانون الحرب في الإسلام يحرم قتل المرأة والطفل والرجل العجوز ويحرم قطع الأشجارالمثمرة وتعذيب الأسرى والتمثيل بجثة القتيل لأن الأصل عدم إتلاف النفوس وكذالك القسسين والرهبان كل هؤلاء المذكورين لا يقتلون ويعطى لهم ما يكفيهم في عيشهم ولباسهم من أموال المحاربيين فإن لم تكن فيجب على المسلمين أن يعطوهم ما يكفيهم هذه هي قوانين الحرب التي تقيد بها الفاتحون[2]"،كما عكست مواقفه في الحرب شيم النبل والإنسانية، فقد نقلت المصادر تواضعه أمام المنهزمعفوه عن زعماء بعض القبائل المتمردة. ب -2- الإلتزام بالعهود المواثيق

حرص الأميرعلى الإلتزام بكافة العهود والمواثيق التي أبرمها مع المحتل وحتى مع القبائل المتمردة،وهذا بشهادة عدائه ومن أبرز الشواهد على ذلك التزامه بما اتفق عليه مع دي ميشل وبما جاء في معاهدة تافنة،ولقد أثبتت الوقائع التاريخية أن المحتل الفرنسي كان سباقا لنقضها.

---

(1):سورة الحج،الأية رقم.40.

(2):الجزائري،الأميرعبد القادر،المقراض الحاد،المصدرالسابق،ص.199.

1-2- معاملة الأسرى

لقد حظي أسرى الأمير عبد القادر بمعاملة إستثنائية ترجمت البعد الإنساني للحرب التي خاضها ضد المستعمر وفي هذا الإطارفقد سن الأميرعبد القادر حددت قواعد التعامل مع الأسرى أهمها " أي فرنسي يتم أسره في المعارك يجب أن يعتبر أسير حرب وأن يعامل كذلك إلى أن تتاح فرصة تبادلها" وعلىأن "أي عربي يقدم أسيرا فرنسيا يحصل على مكافأة " كما أوجب" على كل عربي في حوزته أسيرا فرنسيا أن يعامل هذا الأخيرمعاملة حسنة وفي حال شكوى الأسيرمن سوء المعاملة،لا تسقط المكافأة فحسب بل قد تحل محلها عقوبات ضد العربي"[1]،كما حرص الأميرعلى الإعتناء بالأسرى من كافة الجوانب لحد أنه أمر بإطلاق سراح الأسرى الذين عجز عن التكفل بهم،ويروي أحد الضباط الفرنسين أن أحد الجنود الفرنسين أصاب الأمير بثلاث جروح في إحدى المعارك فقام الأمير بالإعتناء به بعد أن أصيب وأسر وخصص له خيمته وقدم له العلاج لعدة أيام قبل أن يموت"[2]،لقد وصل الحد بالأمير إلى حد المكافأة بالمال لمن يحافظ على أسير حيث قدرت المكافأة ب 8 دولارات وحدد 25 ضربة لمن يقسوا على أسيرأو يعبث بجثته،ولما طلب منه أسقف الجزائر "دوبيش"سنة 1841م إطلاق سراح أحد الأسرى أجابه الأمير" إسمح لي بان أقول لك أنه بحكم كونك خادما لله وصديقا لعباده الذين هم أيضا إخوتك أنه كان يجب عليك أن تطلبي مني إطلاق سراح ليس واحدا فقط ولكن كل المساجين الذين وقعوا في الحرب منذ إستأناف القتال وأضاف مستشهدا بما جاء في إنجيل العهد الجديد "عامل الآخرين كما تحب أن تعامل به " وأضاف أنه كان بإمكانه أن يؤدي مهمته على أكمل وجه لو أنه قام بجميل من هذا القبيل لصالح الأسرى المسلمين وأفضت المراسلات بين الرجلين إلى تبادل العشرات من الأسرى[3].

---

(1):إسماعيل،العربي،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير،الجزائر،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1982م،ص.236.

(2):.H,Langlois,Souvenir d'un prisonier d'Abdelkader,Paris,1859,p.241

(3):تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.201.

ويذكرالكونت دي سيفري" أن أعدادا من الأسرى القدامى الفرنسيين الذين تلقوا علاجا ومعاملة حسنة خلال فترة اسرهم عند جيش الأمير كانوا يأتون من مناطق بعيدة إلى قصر الأمبواز حيث كان الأمير معتقلا لتحيته وتقديم الشكر والعرفان له"[1]ومن منطلق تقديس الأمير للحرية فقد سعي لتوفير المناخ المناسب للأسرى لممارسة طقوسهم الدينية وفي هذا الشأن فقد راسل أسقف الجزائرقائلا:" أرسل قسيسا إلى معسكر فهو لا يحتاج إلى شيء ...لأنه سوف يكون له مهمة مزدوجه وهي انه رجل دين وممثل لك وسوف يصلي يوميا بالمساجين ويتراسل مع عائلاتهم وبذلك يكون واسطة في الحصول على النقود والثياب والكتب [2]"وإلى جانب حرية العباد فقد أتاح لهم الأمير حرية التنقل للتخفيف من معاناة الأسر حيث ورد في مذكرات الكولونيل سكوت" والحكومة هنا تسمح للأسرى جميعهم بالخروج والتجول في المدينة حيث أنه لا يوجد اي خطربإمكانية هروبهم فلو هرب لكان معنى ذلك الموت المحقق"[3]كما منح الأميرالأسرى حرية المراسلة حيث تمت العديد من المراسلات بين ضباط وقادتهم[4] أما فيما يخص المرأة الأسيرة فقد حظيت بمعاملة إستثنائية حيث كان يوصي جنده"لا تتعرضوا للحريم أما أولئك الكلاب فعاملوهم بما يستحقون"[5]وذات مرة "أحضر أحد الفرسان أربعة فتيات كغنيمة حرب فقال له إن الأسود تهاجم الحيونات القوية أما ابناء آوى فتسقط على الضعيفة منها"[6]كما أن حرص الأمير على حياة الأسيرات دفع به إلى نقلهم إلى الزمالة ليكن تحت أيدي آمنة وأوكل رعايتهم إلى أمه التي أحسنت معاملتهم وكانت توفرلهم المؤونة من زيت وزبدة ولحم وكانت تولي المريضات منهن رعاية خاصة وتقدم لهن الشاي والسكر والقهوة[7]"

---

(1): Comte Eugene,de civry,Napoleon,et Abdelkader,Ed,p.Martinon,Paris,1863,p.30.

(2): تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.202.

(3):الكولونيل،سكوت،المصدرالسابق،ص.67.

(4):العربي،إسماعيل،معركة سيدي إبراهيم ومصيرأسراها،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر 1986م،ص.99.

(5):تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.134.

(6):نفسه،ص.203.

(7):نفسه،ص.204.

إن المعاملة المثالية للأسرى من قبل الأميرعبد القادررغم ما تعرض له الجزائريين من جرائم الإبادة والتنكيل أثرعلى معنويات جند المحتل ودفع ببعضهم بإعلان إسلامهم حيث جاء في مؤلف هنري تشرشل أن أسيران أبديا رغبتهما في إعتناق دين الأميرفأجابهما"إن كنتما تفعلان ذلك من طيب خاطرفاهلا وسهلا بكما ولكن إذا كنتما تفعلان ذالك شعورا منكما بالخطرأثناء الحالة التي أنتما عليها فإنكما مخطئان فلو ظليتما مسيحين كما أنتما الآن فلن يحدث لكما أي إزعاج ولن تمس شعرة من رأسيكما"[1] وفي هذا دلالة على قمة رأفة الأميربالأسرى وإبتعاد عن إستغلال أوضاعهم المزرية وعن كل أشكال وأساليب الإكراه،وفق هذا المنظورفإن الأميرقاد معركة موازية تختلف عن لغة السلاح مما دفع بالفرنسين إلى إخفاء طبيعة معاملة الأمير للأسرى حيث صرح أحد القادة" ينبغي لنا أن نخفي هذا الأمر ونكتمه عن العسكر لأنهم إن علموا لا يتأت لنا ان نحارب عبد القادربالترتيب المناسب[2]"كما حاول المستعمرالتنكرلأخلاق الأميرفي معاملة الأسرى من خلال إثارة ما تعرض له أسرى سيدي إبراهيم الذين أسروا بعد معركة سيدي غبراهيم في 23 أفريل 1846م[3] إلا أن الوقائع تؤكد إنعزالية الفعل وأن الأمير لم يتخذ أي قراربشأن الأسرى من مطلق أن إدارة الدائرة أسندت لمصطفى بن تهامي والبركاني[4] بعد أن كانت تحت قيادة البوحميدي مما يعني أن معسكرالأسرى كان تحت المسؤولية المباشرة لمصطفي بن تهامي الذي واجهته ظروف شاقة كنقص التموين إضافة إلى حاجته للجند إضافي لتأمين المعسكربعد مغادرة بني عامر إلى فاس[5]إضافة لرفض بيجوفتح ملف الأسرى مع الأميرالذي كان متواجدا بأولاد نايل إثر وقوع الحادثةرغم هذا فقد تعامل مع الحدث من موقعه كقائد وأعترف بمسؤوليته عما وقع للأسرى[6].

---

(1):تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.202.

(2): بن عبد القادر،محمد،المصدرالسابق،ص.467.

(3):حرب،أديب،التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد االقادر(1808م – 1847م)،ج1،ط1،الشركة

الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1983م،ص.244.

(4):انفسه،ص.557.

(5):نفسه،ص.575.

(7):العربي،إسماعيل،المرجع السابق،ص.107.

1-3-أحداث دمشق

تعد هذه الحادثة حلقة هامة في سيرة الأمير عبد القادرمن منطلق أهمية الدور الذي قام به الأمير وأثار ذلك على المستوى الإقليمي والعالمي من منطلق أنه استطاع توجيه الأحداث وتجنيب المنطقة إنعكساتها السياسية والعسكرية ومن جهة أخرى تمكن من تغيير الكثير من المفاهيم الخاطئه التي تبناها الغرب المسيحي.

1-3-1- أسبابها

يرى المؤرخون أن هذه الأحداث ماهي إلا امتداد لفتنة الجبل بين الدروز والنصارى ويرجع أسباب إندلاعها إلى جملة من العوامل أهمها سياسة إبراهيم باشا المصري القمعية ضد الدروز الذين رفضوا الإنخراط في سياسته وهذا الشأن يذكر صاحب التحفة :"...وقعت العدواة بين الفريقين في عهد غبراهيم باشا حين تغلب على سوريا وذالك أنه طلب من الدروزجندا يستعمله في أمورفأبوا وتعصبوا وأنشهروا الحرب وأشهروا الحرب...ثم استعان عليهم بالنصارى وألقى بهم إلى قتالهم ..."[1]،وعندما رجع الأمرإلى الخلافة العثمانية واستعادت سلطانها على الجبل سعى الدروز إلى الإنتقام من النصارى وجرت بين الفريقين حروب عظيمة[2] سنة 1855م وفي هذا الصدد يقول مؤلف التحفة :"وفي سنة ثمان وخمسين ومائتين واثنتين وأربعين وثمانمائة قوت شوكة الدروز وتغلبواعلى عمر باشا واستبدوا بأمور الجبل...ثم تجددت الفتنة بينهم وبين النصارى سنة خمس وسبعين ومائتين وتسع وخمسين وثمانمائة و شبت الحرب بينهم...فانتصر الدروزعلى قلة عدد ...وأحرقوا قراهم وانتهبوا أموالهم"[3] وسرعان ما امتد لهيب الفتنة إلى دمشق حيث جاء في تحفة الزائر:" وتغلبت طائفة الدروز على النصارى وأحرقوا زحلة وديرالقمرفازداد بهذا مرضقلوب سفهاء دمشق فبعثوا إلى الدروز يغرونهم على نصارى بلدتهم...فوعدوهم بلإجابة بعد فراغهم من أمر الجبل..."

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2،مصدر سابق،ص.91.

(2):انفسه،ص.92.

(3):نفسه،ص.93.

(4):للإطلاعينظر:حسين،محمد كامل،طائفة الدروز تاريخها وعقائدها،دارالمعارف،مصر،1962م.

وعلى راي صاحب التحفة فإن السبب المباشر في إندلاع الفتنة في دمشق هو قيام الحكومة بتعزير أحد الصبية الذي كان يلعب بالصليب الأمرالذي دفع بالدروز لمهاجمة النصارى"[1]،ويذهب بعض المؤرخين إلى أن أحداث دمشق ماهي إلا حلقة من حلقات التآمر الخارجي الغربي لفصل منطقة الشام عن الخلافة العثمانية وتقاسم النفود بين القوى الاروبية وفي هذا الصدد يقول محمود شاكر"تساهل السلطان عبد المجيد مع الدول الأروبية فاستقرت الامور في إقليمي الأفلاق والبغدان والصرب واشتعلت الفتنة في بلاد الشام إذ اعتدى الموارنة على الدروز عام 1860م فقام الدروز يأخدون بالثأر وامتدا لهيبها من جبل لبنان إلى طرابلس والصيدا وزحلة ودير القمروالاذقية ودمشق وأسرعت الدولة العثمانية فأرسلت فؤاد باشا وقضى على الفتنة،وعاقب المسؤولين عنها كلا بما يستحق،واحتجت الدول الأروبية وهددت بالتدخل وكانت متفرقة الرأي ثم أجمعت واتفقت على أن ترسل فرنسا ستة ألاف جندي لمساعدة الدولة فيما إذا عجزت الدولة عن إطفاءها... وهذا الإتفاق تدخل في شؤون الدولة التي أحسنت القيام بمهمتها،لكن القصد تقوية النصارى وإظهارهم بمظهر القوة وأن أروبا من خلفهم لتزداد قوتهم ويخشى خصومهم قوتهم وجرى الإتفاق مع فؤاد باشا أن يعوض النصارى على ما خسروه ويمنح أهل الجبل حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة ..."[2].

على ضوء ما سبق فإن الأسباب الحقيقة الكامنة وراء فتنة الجبل تتجسد في سعي القوى الأروبية لمحاصرة الدولة العثمانية وإضعافها من خلال تفكيك الجبهة الداخلية ثم التدخل بغرض حماية الأقليات الدينية.

1-3-2- جهود الأمير في إخماد الفتنة

لقد أدرك الأمير خطورة فتنة الجبل وانعكساتها على المنطقة وسعي لتطويقها وإخمادها

(1): شاكر،محمود،التاريخ الإسلامي،ج8،طه،المكتب الإسلامي ،بيروت،2000م،ص.181.

(2):الحسني،الأميرة بديعة،الجذور الخضراء،دارالسلام للترجمة والنشر،دمشق،1994م،ص.151.أنظر كذلك:بروكلمان،كارل،تاريخ الشعوب الإسلامية،ترجمة،نبيه أمين فارس،منير البعلبكي،ط13،دارالعلم للملايين،بيروت،1998م،ص.573.ولمزيد من الإطلاع حول هذه الأحداث راجع:جورجي،زيدان تاريخ الماسونية،ج17،دارالجيل،بيروت،1982م،ص.252.

حيث كتب الأمير إلى الدروزيحذرهم من سوء عاقبة أمرهم من جهة الدولة العلية ويرشدهم إلى ترك ما عولوا عليه وذلك بعد ما بلغه استعدادهم لقتال النصارى ..."[1] ويضيف مؤلف التحفة أنه"... لما لاحت بوادر الفتنة في دمشق اتصل الأمير بوالي دمشق موضحا له النتائج الفتنة الوخيمة على المنطقة إلا أن الوالي لم يتخذ الإجراءات المناسبة..."[2] ولما تفاقم الأمر إستأذن الوالي في طلب مشايخ الدروزوتكلم معهم وجعلهم يرغبون بنصائحه ووعدوه بأنهم لا يحركون ساكنا في دمشق[3]،ولما إندلعت المواجهات بين الدروز والنصارى ركب الأمير إلى محلة النصارى فعمد ينهي وينصح فلم تسمع له نصيحة ولما يئس من رجوعهم بادر بإنقاد النصارى وبعث المغاربة إلى المحلة لياتوا بكل من عثروا عليهم من النصارى من دون استثناء ولمجابهة الفتنة ووضع حد للسلب والنهب طلب الامير من الباشا والي دمشق تسليح المغاربة[4]،فارسل إليه في اليوم الثاني عددا وافرا من البنادق وشرع المغاربة في جمع النصارى من الكنائس والاقبية ومن داخل البيوت المهددة وفي اليوم الثالث[5] لاقي الأمير الجموع التي حاولت الهجوم على النصارى الذين هم في حمى الأمير فرجعوا على مقاتلتهم كما أرسل فرقا من المغاربة لحماية النصارى الذين لجئوا إلى الأعيان لحمايتهم ولما امتلأت دور الأمير أخذ يرسل النصارى إلى القلعة بإذن الحكومة حتى وصل عددهم إلى خمسة عشر ألف[5]،مما سبق يتضح لنا أن الأمير بدل كل ما في وسعه طيلة أربعة عشر يوما لإخماد هذه الفتنة حتى أنه كان لا ينام من الليل إلا قليلا[6].

(1):الجزائري،بن عبد القادر،تحفة الزائر،ج2،المصدر السابق،ص.92.

(2):ا نفسه،ص.93.

(3): نفسه،ص.93.

(4):إختلف المؤرخون في تعداد جيش المغاربة الذي أنشأه الأميرعبد القادرحيث يقدره تشرشل 1000 جندي،يذهب أجرون إلى أن عددهم واصل إلى حوالي 800 جندي،راجع:.,Ch.R.Ageron;l'Emir Abdelkader souvrain d'un royaume arabe d'orient; in,revue de l'occident musulman,N^0 Special,1970,p.17.

(5):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2، المصدرالسابق،ص.93.

(6):نفسه،ص.94.

1-3-3- نتائج تدخل الأمير عبد القادر

لقد أسفرت جهود الأمير على جملة من النتائج أثرت في مستقبل المنطقة من منطلق أن الأمير تمكن من تغيير مجرى الأحداث وتجنيب المنطقة ويلات الإستعمار ومن ثم تثبيت الوجود العثماني في الشام ومن جهة أخرى سلطت أحداث دمشق الضوء على شخصية الأمير حيث أجمعت الجهات الرسمية والغير الرسمية،الإقليمية والعالمية على عظمة الأمير وتميزه،يمكن أن نجمل هذه النتائج في:

أ- إفشال المخططات الغربية

أدرك الأمير أن أحداث الجبل ودمشق ماهي إلا حلقة من حلقات التآمر الغربي على المنطقة،لذا فقد سعى منذ بدايتها إلى تحذير أطراف النزاع من إنعكسات لا استقرار في المنطقة حيث يذكر مؤلف تحفة الزائر:"...علم ان العاقبة وخيمة وإذا وقع في دمشق نظير ما وقع في لبنان يجعله الإفرنج لا محالة ذريعة لخراب البلاد..."[1] ومما يؤكد بعد نظر الأمير ما ورد في التحفة "...ولأول وقوع هذه الحادثة أرسلت دولة فرنسا عشرة ألاف جندي إلى بيروت تحت قيادة الجنرال بوفور...وأرسلت بقية الدول مراكب حربية ومعتمدين ليراقبوا ليراقبوا ما يجريه وزير الخارجية من أعمال..."[2]،و لما أخبر فؤاد باشا الأمير بنية الجنرال في في ضرب دمشق توجه الأمير للإجتماع بالجنرال الفرنسي حيث جاء في التحفة:"...ومن سارإلى البقاع وأجتمع بالجنرال وأظهره له سوء عاقبة ما اعتمد عليه فأصر الجنرال على ذلك فهدده وعظم له الأمر حتى عدل عن ذلك.."[3].

على ضوء ما سبق يتضح أن الأمير استطاع بدهائه وبعد نظره تجنيب المنطقة مخاطر التدخل الأجنبي.

ب -الإعترفات الدولية بجهود الأمير

---

(1):الجزائري،بن عبد القادر،تحفة الزائر،ج2، المصدر السابق،ص.93.

(2): نفسه،ص.95.

(3):نفسه،ص.95.

إن ما قام به الأمير عبد القادر كان له إنعكسات داخلية وخارجية ،حيث تفاعل الرأي العام الدولي وانبهر بتسامح الأمير،فقد منحه الخليفة العثماني النيشان المجيدي العالمي من الرتبة الأولى ،"قد أحاط علم الشريف السلطاني بحال الحمية الدينية الثابة في أصل فطرة الامير عبد القادر الجزائري...ولأجل حسن توجهاته السلطانية الحاصلة في حقه والمكافاة العلنية على خدمته أحبسنا إليه النيشان المجيدي الهمايوني من الرتبة الأولى وأصدرت له فرماني السلطاني"[1]،كما أرسل الإمبراطورنابليون الثالث مبعوثه إلى دمشق في 31 أوت 1860م لتسليم الأميرنيشان الليجيون دونار المرصع من الرتبة الأولى وتبليغ الأميرإعتبار الإمبراطور وعامة الفرنسيين لمقامه العظيم[2]،وفي نفس الإطار ملك بروسيا نيشان صليب النسر الأحمرمن الطبقة الأولى في 12 اكتوبر 1861م،ومنح ملك إيطاليا الأمير نيشان الخيولية والفروسية في سبتمبر 1860م،أما ملك اليونان فقد أهدى الأمير نيشان المخلص[3] كما أشادت العديد من الصحف والجمعيات بصنيع الأمير عبد القادر وأعتبرته من الشخصيات الخالدة في التاريخ.

ج- الحفاظ على النسيج الديني والثقافي

إن من أبرز النتائج التي تمخضت عن جهود الأمير في إخماد الفتنة الحفاظ على الوحدة الوطنية وإرساء أسس التعايش بين مختلف الاديان وباتالي الحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية ووؤد الصرعات العرقية والدينية وبالتالي يكون الأمير قدغرس في المجتمع السوري البدور الأولى لمبادئ التسامح التي دعا إليها الدين الإسلامي،ومن منطلق إدراك

الأمير للتدعيات الخطيرة للتمزق الإجتماعي على مستقبل المنطقة بحكم أنها تشكل أهم ثغرات التغلل الإستعماريفقد حاول الأمير ردم الهوة بين الطوائف الدينية بتوظيفه لشتى الوسائل الدعوية وحتى العسكرية ،كما أستطاع الأمير القضاء على الكثير من الماهيم السائدة والتي هيمنت على المجتمع العربي في تلك الفترة فيما تعلق بنظرة المسلم للآخر وتعامله بمنطق يخالف روح الشريعة الإسلامية السمحة،بل أن الأمير تمكن من تغيير حتى النظرة الغربية للإسلام

---

(1):الجزائري،بن عبد القادر،تحفة الزائر،ج2،ص.96.

(2):نفسه،ص.99.

(3):نفسه،ص.99.

2- البعد التجديدي

يجمع الكثيرمن الدارسين لتراث الأمير عبدالقادر الأدبي والفكري على تجاوزه حدود بيئته و إطار زمانه ،بل منهم من يعتبره رائد النهضة العربية الحديثة من منطلق ما تميز به أدبه من ثراء لغوي ومعرفي ومن خلال شعره دو الطابع الوجداني ومن خلال إحيائه للشعر البطولي كما يعتبر مجددا بإحيائه لنظام البيعة الدي قامت عليه الخلافة الراشدة وفيما يخص علوم الشريعة فقد قام الأمير ببعث علوم الحديث وفي المجال الروحي فقد أحيا الأمير التصوف السني الذي طبع القرون الاولى ويرجع ذلك أساسا إلى براعة الأمير وتبحره في شتي العلوم وإمتلاكه لمؤهلات الإجتهاد .

2-1-في المجال الأدبي: الشعر أنموذجا

لم يحظي شعر لأمير عبد القادر بإهتمام الدارسين رغم غناه وجودته بل يذهب البعض إلى تصنيفه في خانة شعر الإنحطاط والجمود الذي اتسم به العهد العثماني،إلا أن قراءة متأنية لشعر الأميركفيلة بضحد هذه المزاعم والتي لا تمت بصلة للموضوعية بل يكفي أن نطبق معايير النقد الحديث ليتبين لنا أن شعر الأمير لا يقل جودة عن شعر رواد[2] النهضة العربية الحديثة بل يمكن إعتبار الأميررائدا في هذا المجال.

2-1-1- شعرالأمير في ميزان النقد

لقد تعرض شعر الأمير إلى النقد والتقييم من قبل ثلة من الباحثين حيث يصنف ممدوح حقي شعر الأميرفي خانة شعر القرون الوسطى بل يذهب بعيدا حين يحكمعلى شعر الأمير أنه لا يستحق الدراسة التاريخية ويرى أن شعره يكاد يخلوا من التصوير الفني[1]،حيث يقول في معرض تعليقه على بيت الأمير[3]:

ألا هل لهذا البين من آخر فقد تطاول حتى خلت هذا إلى اللحد

---

(1): الوزير،محمد السيد علي،المرجع السابق،ص.130.

(2): أمثال : رفاعة الطهطاوي،خير الدين التونسي،عبد الرحمان الكواكبي،جمال الدين الافغاني وغيرهم

(3): الجزائري،الأمير عبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،تح،ممدوح حقي،المصدر السابق،ص.65.

حيث يقول:" أما مثل هذه المبالغة عند الأمير فلم يسبقه إليها أحد ولعلها من مبالغة القرون الوسطي المألوفة وهذه الصورة على أي حال ليس لها قيمة فنية "[1]كما يرى الناقد أن شعر الأميريمثل"آخر حلقات الشعر المنحدر من القرون الوسطى بكل ما فيه من مزايا وعيوب وهو إلى النظم أقرب منه إلى الشعر"[2] ويواصل قائلا :" أما أسلوبه في عرض الفكرة فواضح نقي مشرق إذا ما قيس إلى ما كان في زمانه من أساليب الكلام عذ في الذروة حتما مع أنه كان بعيدا عن مركزالنهضة،هو في أقصى المغرب تقريبا وحركة النهضة تتحرك في مصر وسوريا"[3] وفق هذا المنظور فإن الناقد ممدوح حقي يحاول إقصاء شعر الأميرمن أي دور في النهضة العربية الحديثة مستندا على العامل الجغرافي الأمر الذي يجعل من نقده يجانف الصواب ويخرج عن الإطار الموضوعي ومما يؤكد هذا الطرح قوله" فمتى كان يجد الوقت الكافي لنظم الشعر أو لينسج الرسائل أو ليؤلف الكتب وكيف أتيح له أن يتخلص من أساليب القرون الوسطى وركاكتها وتهالكها وترديها"[4]مما يعني أن الناقد وصل درجة التشكيك في شعر الأمير،أما زكريا صيام فيتبنى نفس الإتجاه الإقصائي رغم اعترافهبثراء وقوة شعر الأمير حين يقول"إن معالم شعر الأمير البنيوية تجاوزت حدود عصره إلى ما سبقه بقرون عديدة واشرابت إلى مشارف العصر الحديث"[5] كما يعترف بثراء شعر الأمير حيث يقول"إن معجم الأمير ثري بروافد تتجاوز العصر الذي عاش فيه

من حيث يرجع أصول بعضها إلى العصر الجاهلي مرورا بالعصور التي تلت الجاهلية ويتطلع بعضها الآخر إلى أفاق العصر الحديث"[6] ويرى الناقد أن الأمير عبد القادر لم يكن يتحكم في أصول اللغة حيث يقول"وقد يكون لعيب الإقواء دلالة على ضعف معرفة الشاعر بأصول اللغة"[7] ،وفي الإتجاه المقابل

---

(1):الجزائري الأمير عبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،تح،ممدوح حقي،مصدر سابق،ص.65.

(2):نفسه،ص.15.

(3): نفسه،ص.12.

(4):نفسه،ص.13.

(5):الجزائري،الأميرعبد القادر،،ديوان الأمير،تح،صيام زكريا، ص.90

(6):المصدر نفسه،ص.72.

(7):نفسه،ص.72.

نجد مجموعة من الباحثين تعتبر الأمير عبد القادر من رواد شعراء النهضة بحكم إستجابته لمعايير الشعر الحديث فهو في نظر هؤلاء لا يقل جودة عن عما جادت به قريحة شعراء النهضة حيث يرى صالح خرفي" ...شعر الأمير إنتفاضة للقصيد العربي في الجزائر أواخر القرن الماضي ويخفف من وطأة الفاقة الأدبية التي اجتاحت النصف الأخير من القرن الماضي "[1] أما عبد الله الركيبي فيقول"وكان هذا الشاعر الفارس ينظر إلى الحرب نظرة البطل الشجاع يتغني بها بشجاعته وبجنوده وإنتصاراته في المعارك حيث يمثل شعره نفسيته في أوضح صورة للفارس العربي."[2]

2-1-2- مظاهر التجديد في شعر الأمير

إن ملامح التجديد في شعر الاميرعبد القادرلا تتضح إلا من خلال تسليط الضوء على واقع الشعر إبان العهد العثماني حيث "ليس من المعقول في هذه الحقبة العثمانية المظلمة ان تجد في اي بلد عربي شعرا يغدي الروح ويمتع الشعور ويمنح قارئه لذة فنية،فقد أصبح الشعر أقرب ما يكون إلى اللهو والهراء ...إنما يعبرون عن زخارف البديع اللللفظية[3]"ويرى بعضهم أنه منذ أواخر العصرالعباسي حتى العصر الحديث كان وميض عبقريتنا الشعرية قد خبا فيها تماما وحفلت الأجواء العربية بنقيق النظاميين ومهارات العروضيين"[4]،على

ضوء ما سبق يمكن القول أن الشعر في العهد العثماني إتسم بطابع الركاكة والجمود وبعيد عن قضايا الأمة ولا يعكس عواطف الشعراء ومكنوناتهم الداخلية وهذا ما لا نجده في شعر الأميرالذي ترجم واقع الحرب ومعركة التحرير وتميز بالحضور العاطفي وفق هذا المنظور يرى بعض الباحثين في تراث الأمير أن ملامح التجديد في شعره تتجلى خصوصا في الإتجاه الواجداني الذي سبق به الكثيير من رواد النهضة الحديثة إلا أن دراسة موضوعية لشعر الأمير تقودنا

---

(1): خرفي، صالح،في ذكرى الأمير، ص.22.

(2): الركيبي،عبد الله،الشعر الديني الجزائري الحديث،ط1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1981م،ص.13.

(3):طيف،شوقي،فصول في الشعر والنقد،دار المعارف،مصر،1971م،ص.281.

(4):داوود،أنس،رواد التجديد في الشعر العربي الحديث،منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ليبيا،د.ت،ص.07.

إلى القول أن الأمير الشاعر إنفرد عن أقران عصره بحمله لأعباء الأمة وتفرغه لمقاومة المستعمر الأمر الذي انعكس على شعره الذي سجل ملاحم الأمير وانتصاراته مما أضفى عليه طابعا خاصا يؤرخ لتاريخ المقاومة ويشيد ببطولات المجاهدين،إن هذا الجانب من شعرالأمير ونعي بذلك شعر المقاومة أو التحرر حيث يعد الأمير رائدا في هذا المجال.

أ-الشعرالوجداني

يتسم هذا النوع من الشعر بتوظيف الصورة الذهنية والتركيز على المجاز الطريف أو التجسيم المبتكر حيث يلجا شعراء هذا النوع إلى عبارات سحرية تاتي بعد مقطوعات ذات طابع نثري واضح خالية من اللمحات الشعرية الأصيلة،على ضوء هذا يمكن إعتبار الأمير من السباقين في بعث هذا نوع من الشعرالذي أبدع فيه كوكبة من رجال الأدب المعاصر أمثال ميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وإليا أبوماضي ويمكن القول أن تجربة الأمير الشعرية مرت بثلاث مراحل،أولهم مرحلة التقليد حيث اتسمت بتقليد فحول الشعراء أمثال

عنترة العبسي،أبي فراس الحمداني،وأبي الطيب المتنبي،فجاءت قصائد هذه المرحلة قوية في صورها،صاخبة في موسيقاها إلا انها تميزت بإستقلالية الصورالشعرية كقول الأمير:

ويوم قضى تحتي جواد برمية وبي أحدقوا لولا اولي البأس والقوى

واسيافنا قد جردت من جفونها وردت إليها وردت إليها بعد ورد قد هوى[1]

أما المرحلة الثانية فتعد مرحلة إنتقالية اين حاول الأمير التحررمن الأطرالتقليدية بصفة جزئية برز فيها الترابط العضوي وهذا ما جسدته قصائده الوجدانية كقوله:

أقول لمحبوب تخلف من بعدي عليلا باوجاع الفراق وبالبعد[2]

أما بخصوص المرحلة الثالثة فيمكن القول انهااختصرت بوادر التجديد حيث طغى على مادته شعرية الطابع الرمزي كنتاج التأمل الفلسفي وانتقل الأمير من الوحدة العضوية إلى

---

(1): بن عبد القادر،محمد، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر،مصدر سابق،ص.31.

(2): نفسه،ص.109.

الوحدة النفسية كقوله:

أيا حيرتي وما الذي أصنع لقد ضقت درعا فما ينفع[1]

وكقوله: لقد حيرت في أمري وحرت في حيرتي فأي الأمور ثابت هو لي[2]

ويمكن أن هناك جملة من الأدلة تثبت أن الأمير يعد مجددا في هذا النوع الشعر،فإذا كان الشعر الوجداني"يتجه إلى حقائق الكون بلمحة الصوفي حيينا،كما كان يرمقها بعين المتفلسف حينا أخر"[3] خاصية تجسدت في شعر الأميرحيث يقول:

أيا أنا من أكون إلم أكن أنت ويا أنت من تكون إن لم تكن انت[4]

وإذا كان شعراء هذا الإتجاه "في كثير من هذه التأملات العميقة الرحيبة يحدوهم الشك ولاكنه شك الباحث عن الحقيقة"[5] فإن شعر الأمير لم يسلم من ظاهرة الشك حيث يقول:

هل أنا موجود وهل أنا معدوم وهل انا ثابت وهل انا متبقي

وهل أنا في قيد وهل أنا مطلق ولست سماويا ولا أرضيا[6]

وإذا كان شعراء الوجدان "كثير ما يفضون باحزانهم ويصورون آلامهم التي تكون أحيانا واضحة الأسباب مبررة وأحيانا أخرى غامضة عاتمة مجهولة المصدر"[7] فإن الآلام والأحزان والأشواق لطالما كانت ملازمة لشعر الأميرحيث يقول:

لم يبق يوم البين والهجر الذي خلق لتعذيب الأحبة مسعفا

---

(1): الجزائري،الأمير عبد القادر ،ديوان الأميرعبد القادر،تح،صيام زكريا،مصدر سابق،ص.231.

(2):نفسه،ص.323.

(3):هيكل،أحمد،فصول في الأدب الحديث في مصر،ط،دار المعارف،مصر،1998م،ص.59.

(4):الجزائري،الأمير عبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،تح،صيام زكريا،مصدر سابق،ص. 301.

(5):الناعوري،عيسى،أدب المهجر،ط،دار المعارف،مصر،1967م،ص.91.

(6):الجزائري،الأمير عبد القادر،المصدر السابق،ص.323.

(7): هيكل،أحمد،المرجع السابق،320.

إلا صبابته وجسما قد غدا ملقى كشن بالعلا[1]

مما سبق يتضح لنا أن خصائص الشعر الوجداني التي اجتمع عليها النقاد قد توفرت في شعر الأمير عبد القادربل إن الأمير استطاع أن يجسد مشاعره في صورنفسية يكاد ينافس فيها شعراء الإتجاه الوجداني.

ب - شعرالمقاومة

إن تعدد أدوارالأميرإنعكس على أدائه الشعري من منطلق أنه واكب مسيرته النضالية و جسد الترابط بين مختلف جوانب شخصية الأميرالسياسية والعسكرية والأدبية وهذا ما انفرد به الأمير عن شعراء عصره الذي اتسم بالجمود الفكري وأضحى الشعر فيه"لا حياة ولا روح فيه،إذ كان يعتمد على الإلمام بالمقاييس اللغوية الجافة وما يتصل بها من نحو وصرف وعروض وبلاغة "[2]،لقد استطاع الأميرإحياء الشعرالبطولي الذي صورأمجاد

الأمة في مختلف العصور،لقد كان للأميرالسبق في إحياء هذا النوع من الشعربفضل المؤهلات التي تمتع بها الأمير وتاثير الواقع بمختلف مركباته.

إن مظاهرالبعث والإحياء لهذا النوع من الشعرتجلت في عدة نواحي:

1- من ناحية الشكل

جاء قصيد الأميرقويا في معانيه من خلال التوظيف البلاغي الذي أضفى عليه الطابع الجمالي ومتميزا في متانة أسلوبه وثراء معجمه اللغوي وبتركيبه الموسيقي وبعمق بعده التصويري ويرجع ذلك أساسا إلى تحكم الأمير في اللغة كأداة ترجم الأمير من خلالها مشاعره وإنفعالاته ومرر رسائله،مما يلاحظ على البنية الشعرية ظاهرة التناص حيث ظهرالتقليد في بعض قصائدهلشعراء العصرالجاهلي والعباسي كعنترة العبسي وأبوالطيب المتنبي[3] وغيرهم 2- من ناحية المضمون

---

(1): الجزائري ،الأمير عبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،تح،صيام زكريا، مصدر سابق،ص.238.

(2): ضيف،شوقي،شوقي شاعر العصرالحديث،دارالمعارف،مصر،1953م،ص.95.

(3):الجزائري،الأمير عبد القادر،المصدر السابق،ص.239.

أما من ناحية المحتوى فقد تعددت أغراض شعر المقاومة عند الأمير عبد القادرحيث وظف الأمير الخطاب الشعري لخدمة قضيته الوطنية،فجاء شعره مخلدا لبطولات المجاهدين وتضحياتهم وانتصاراتهم و شجاعتهم في مقارعة المحتل وفي هذا الشان يقول الأمير واصفا إقبال جنده على القتال قائلا:

ذا عنها توانى الغير عجزا فنحن الراحلون لها عجال

سوانا ليس بالمقصود لما المستغيث ألا تعالوا

ولفظ الناس ليس له مسمى سوانا والمنى منا تنال[1]

ويصف الأمير إقباله على الحرب والتحامه بجنده قائلا:

أمير إذا ما كان جيشي مقبلا وموقد نارالحرب إذا لم تكن ضالتي

إذا ما لقيت الخيل إني لأول وإن جال أصحابي فإني لها تال

ادافع عنهم ما يخافون من ردى فيشكركل الخلق من حسن فعال[2]

كما قاد الأمير بتوازي مع نضاله المسلح حربا نفسية [3]ضد المحتل بشعره الحماسي وببراعة تصويره لهول المعارك كما قام من خلال قصائده بتسويق صفات جنده من إقدام وإقبال على الحرب وطلبهم الشهادة في سبيل الله،بالتالي يكون الأميرقد وظف شعره لأهداف إستراتجية كدعاية الإعلامية لتضليل المستعمروالتأثير على معنويات جنده،إلى ذلك فقد أرخ الأمير من خلال شعره للعديد من الأحداث التاريخية هامة في مسار المقاومة كفتح تلمسان أين يقول:

قد انفصمت من تلمسان حبالها وبانت وآلت لا يحل عراها

سوى صاحب الإقدام في الرأي والوغى وذي الغيرة الحامي الغداة حماها

---

(1):بن عبد القادر،محمد،نزهة الخاطرفي قريض الأميرعبدالقادر،المصدرالسابق،ص.30.

(2):المصدرنفسه،ص.53.

(3): الأشرف،مصطفى،الجزائروالمجتمع،المرجع السابق،ص.115.

(4):بن عبد القادر،محمد،نزهة الخاطر،مصدر سابق،ص.313.

2-2- المجال الديني

ظهرالأميرعبد القادرفي فترة تاريخية تميزت بالركود العلمي والجمود الفكري نتيجة جملة من العوامل السياسية والإجتماعية والثقافية كرستها هيمنة الزاوية وتصدرالمرابطين وأضحى الموروث الثقافي من أهم الفاعلين في صناعة المشهد الثقافي فتراجع الإجتهاد و ساد التقليد مما ساهم في إنتشار البدع والخرفات ومن الناحية السياسية عاش المجتمع الجزائر في ظل حكم مطلق منغلق همش الإرادة الشعبية،وفق هذا المنظور فإن تأسيس الأمير لدولة وطنية قائمة على المرجعية الدينية تتبنى الإختيار الحر كوسيلة للوصول الحكم وتتخذ من الشورى أسلوبا لإدارة وسياسة البلاد يعد من أبرزمظاهر التجديد الديني،وفي نفس المنحى تجلى التجديد في اهتمام الأمير بالعلوم الشرعية وحرصه على إحياء السنة النبوية من خلال جهوده في بعث علوم الحديث بشهادة معاصريه من العلماء والفقهاء.

2-2-1- إحياء الحكم الراشدي

لقد إستطاع الأمير بعث الحكم الراشدي الذي أرسى مبادئه الرسول(ص) والخلفاء الراشدين من بعده والذي أفل منذ قرون وذالك من خلال إحياء نظام البيعة واعتماد الشورى كاساس للحكموبالتالي يكون الأمير قد أسس دولة تتقاطع في الكثير من الجوانب مع دولة الخلفاء الراشدين،إن ملامح الحكم الراشدي التي قامت عليه الدولة الوطنية في عهد الامير تجلت في أ - إختيارالحاكم

إن مظاهرإحياء الحكم الراشدي تتجلى في بعث نظام البيعة الذي عطل منذ قرون والذي يرتكز على غختيار الأغلبية لإمام يسوس شؤونهم عن طريق المبايعة بتزكية اهل الحل والعقد وفي هذا الشأن يقول سعيدوني ناصرالدين[1]"إن شرعية الأميرتستند إلى الإرادة الشعبية وإجماع العلماء"،لقد تم إختيار الأمير عن طريق البيعة الخاصة حيث وردفي التحفة[2]"قام عمه علي بن أبي طالب فبايعه وكذا الإخوة وسائر القرابة،ثم الأشراف والعلماء والأعيان والرؤساء

---

(1):سعيدوني،ناصرالدين،عصر الأمير،المرجع السابق،ص.204.

(2):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدر السابق،ص.156.

حسب مراتبهم وطبقاتهم،بايعوه على ما بايعه عليه والده" ثم تلت هذه البيعة بيعة عامة بعدان إستجابت جموع القبائل لنداء البيعة واحتشدت في معسكرلأداء البيعة[1]واجتمع الأشراف والعلماء والزعماء من كل قبيلة وحررعقد البيعة في 13رمضان 1248ه الموافق ل4 فيفري 1833م بالمسجد الجامع بمعسكر[2]من خلال ما سبق فإن الامير قد أحياء سنة الخلفاء الراشدين من منطلق توليه الحكم عن طريق إختيار أهل الحل والعقد بحكم تمتعه بمؤهلات الإمامة ثم بايعه الخاصة ومن بعدهم عامة الناس.

ب - الشورى

لقد جعل الأميرمن الشورى أساسا لنظام حكمه إمتثالا لقوله تعالى "شاورهم في الأمر"وقوله تعالى"وأمرهم شورى بينهم" وبهذا يكون الأميرقد سارعلى نهج الخلفاء الراشدين في إرساء

دعائم حكم مفتوح يخول الرعية المشاركة في إتخاذ القرارات المصيرية،وتحقيقا لهذا الغرض فقد بادرالأميربإنشاء مؤسسات الشورى وحدد أطرها القانونية والتنظيمية ياتي على رأسها ب-1-المجلس الشوري الأعلى

يتكون من إحدى عشرعضوا من مختلف مناطق البلاد من كبار العلماء وأهل الرأي وأوكل رئاسته للعلامة السيد احمد الهاشمي المراحي"[3]،وفي كثير من الأحيان كان يرأسه الأمير حرصا منه على أداء مهامه على أكمل وجه،إن وجود هذا المجلس ينفي عن الأميرصفة الحاكم المطلق من منطلق الإختصاصات المتعددة التي نيطت بالمجلس والتي من أهمها النظر في أمور الحرب والسلم[4]،والنظرفي أحكام القضاء وحتى القضايا الجنائية[4] وتعتبر سلطة هذا

المجلس سلطة موازية لسلطة الأمير.

ب-2- المجالس الشورى المحلية

---

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2، المصدر السابق،ص.157.

(2):حرب أديب،المرجع السابق،ص.87.

(3):بن عبد القادر،محمد،المصدرالسابق،ص.158.

(4):مطاطلة،أحمد،نظام لإدارة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر،مجلة الذاكرة،ع 4 (المتحف الوطني للمجاهد)،الجزائر،1996م،ص.172.

أنشأها الأميربغرض تحقيق العدل في كامل ربوع الدولة ومن أجل بعث الإلتحام بين الرعية والحاكم وينتخب أعضائه بطريقة حرة تحت إشراف خلفاء الأميرالذين أوكلت لهم مهام رئاسته،وتتميزهذه المجالس بالطابع الإستشاري وتقوم بالنظرفي دعاوي العامة[1]،تأسيسا على ما سبق فإن الأميرقد أحيا أهم الأسس التي قام عليها الحكم الراشدي.

ج - الإلتزام بتطبيق الشريعة

إن من أهم خصائص الحكم الراشدي الحكم بما أنزل الله وسيادة الشريعة الإسلامية في كافة مناحي الحياة وإقتفاءا لأثرهم فقد حرص الأميرعلى الإلتزام بالحدود الشرعية منذ تنصيبه حاكما، حيث ورد في وثيقة البيعة"[1]وهذا الهدف هو جمع العرب جميعا على كلمة واحدة

وتعليم الجاهل شريعة سيدنا محمد ومنع إنتشارالشروربينهم وحفظهم من إنتشار الفساد" وورد في وثيقة البيعة العامة"واعلموا معاشرالعرب والبربر أن الإمارة الإسلامية والقيام بالشعائر المحمدية قد آل أمرها إلى ناصرالدين السيد عبد القادربن محي الدين وصارأميرا لنا ومكلفا بإقامة الحدود الشرعية[2]" ووردأيضا" السيد عبد القادربن مولانا السيد محي الدين أيده الله بالإسلام والمسلمين وأحيا به ما إندرسا من معالم الدين فبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه الكريم[3]"،وعندما سأله والده كيف ستحكم بالعدل والحق بين الناس عندما تصيرزعيما؟ فأجاب عبد القادرسأحمل بيدعصا من حديدبالأخرى كتاب الله وسنة رسوله،فابتسم والده..."[4]،ومن منظور ان وثيقة البيعة تعد وثيقة دستورية فقد إلتزم الأمير بتجسيدها على أرض الواقع سواءا على مستوى الدولة أوفيما يخص شؤون الرعية كما حرص طيلة فترة إمارته على إقامة الشعائرالدينية وتطبيق حدود الله دون تمييز بين مختلف الطبقات الإجتماعية وبالتالي أضحت الشريعة الإسلامية المرجعية الأساسية التي قامت عليها دولة الإمارة وفق هذا المنحى يكون الامير قد سلك نهج الخلفاء الراشدين في سياستهم وتدبيرهم لشؤون دولتهم ورعيتهم .

---

(1):تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.133.

(2):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدرسابق،ص.155.

(3): نفسه،ص.156.

(4):الحسني،الأميرة بديعة،ناصرالدين،مرجع لسابق،376.

2-2-2- بعث علوم الحديث

إن أهم ما ميزعصرالأميرعبد القادرالجمود الفكري وانتشارالتقليد وإنحصاردائرة الإجتهاد حيث أضحت أراء العلماء وفتاويهم تدورفي فلك الموروث الفقهي بعيدة عن جوهرالشريعة وروحها وعن منطق العقل والتفكر وتعطل الإستدلال بالسنة النبوية المطهرة وحل محلها التعصب المذهبي،إلا أن المتتبع والدارس لسيرة الأميرة عبد القادر،يتبين له أن رجل تجاوز عصره من منطلق نبذه للتقليد ودعوته لتحريرالعقل وتطهيرالدين من البدع والخرفات والإلتزام والإحتجاج بالسنة الشريفة،وفق هذا المنظور يعد المنهج العلمي للأمير عبد القادر

إستثناءا في عصره وهذا بشاهدة علماء عصره،وفي هذا الشأن يقول الشيخ عبد الرزاق البيطار:" وأدمت لنا حصنك الجليل من أنقدتنا به من أودية الغواية إلى فسيح الرشاد والهداية وعرفتنا به المطلوب وهديتنا بهدايته إلى الصراط المرغوب وكشفت لنا عيوبا كنا نعتقدها طاعة ودللتنا به على نهج السنة والجماعة[1]"مما يعني أن الأميركان حاميا ومدافعا عن مذهب أهل السنة والجماعة،إن مظاهرإحياء علوم الحديث عند الأميريمكن تناولها من خلال جانبين:

أ-الجانب النظري :النقل والعقل عند الأميرعبد القادر

يرى الأميرأن" العقل وإن خصه الله تعالى بخصوصية العلم وأحواله ولكنه قاصرعن معرفة الطاعة والمعصية والحسن والسيئ إما أن يرجع إلى الملائمة والمنافرة للطبع كاستحسان الجميل والنفورمن القبيح وإما أن يرجع إلى صفات الكمال والنقص كحسن العلم وقبح الجهل[2]" فمن وجهة نظر الأمير العقل عاجز عن إدراك وتفسير بعض الظواهر والأفعال كالإهتداء إلى الطاعة ومعرفة المعصية لذا يؤكد الأميرحاجة العقل إلى الوحي وعدم إستغنائه عنه مما يعني حاجته إلى الرسل لمعلرفة طريق الهداية ويقول في موضع آخر"فالعقل لا

---

(1):البيطار،عبد الرزاق، حلية البشر في القرن الثالث عشر،تح محمد بهجت البيطار،ج2،مطبوعات المجمع العلمي العربي،دمشق،1963م،ص.915.

(2): علم الحديث: علم يعرف به حال السند والمتن من حيث القبول والرد،لمزيد من الإطلاع أنظر: ابن تيمية،تقي الدين،علم الحديث،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1985م.

(3):الحسني،الأميرة بديعة،فكرالأمير،المرجع السابق،ص.107.

يهتدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة إلا بوسطة الأطباء فحاجته إلى الرسل حاجته إلى الأطباء[1] ويذهب الأميرإلى إمكانية الوصول إلى الحقيقة عن طريقة الأدلة والبراهيين العقلية ووفق هذا المنحى يرى الأميرأن العلوم التي تحل في العقل تنقسم إلى علوم عقلية وشرعية وبدورها تنقسم العلوم العقلية إلى ضرورية وعلوم مستفادة من التعلم أما العلوم الشرعية فهي المأخوذة عن الأنبياء تأسيسا على هذا يرى الأميرضرورة الإلتزام بالسنة التي هي

وحيمن الله لرسوله لقوله تعالى "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"لذا فقد حرص المسلمون منذ القرون الأولى على جمع وتنقيح السنة وفق منهج علمي دقيق،ونظرالأهميتهاكمصدرمن مصادرالتشريع الإسلامي سعى الأمير إلى إحياء السنة النبوية المطهرة وبالموازاة دعا إلى تحرير العقل والأخذ بالدليل لتجاوز الجمود الفقهي والخروج من دائرة التقليد وفي هذا الشأن يقول"الأعمى لا يصلح أن يقود العميان"[2]،ويقول في موضع آخر"بهيمة تقاد أفضل من مقلد يقاد"[3]إن رؤية لأميرهذه هي في حد ذاتها ثورة ضد التقليد وتعطيل الإستدلال بالأحاديث.

ب- الجانب التطبيقي

تتجلى منزلة السنة عندالأميرعبد القادرفي تمكنه من علوم الحديث من جهة وفي الإلتزامه الإقتداء بسنة المصطفى (ص) في جهاده وفي تسيير شؤون الدولة من جهة أخرى حيث تذكر بعض المصادرأن صحيح البخاري لم يفارقه حتى و هو يحاصرعدوه فقد جاء في تحفة الزائر" كانت مدة إقامة الحصارعليها تسعة أشهرختم الأميرفي هذه المدة قراءة صحيح البخاري أربع مرات وقد أخبرني ابن خالتي السيد محمد بوطالب أنه رأى نسخة من صحيح البخاري عند الشيخ محمد القلي قاض بجاية كانت للأميرمكتوبا بآخرها بخطه ختمت البخاري عن هذه النسخة أربع ختمات وأنا محاصرتلمسان عجل الله بفتحها"[5]،كما عمل طيلة فترة

---

(1):الجزائري،الأميرعبد القادر،المقراض الحاد ،مصدر سابق،ص.105.

(2): الجزائري،الأميرعبد القادر،ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،المصدرالسابق،ص.32.

(3):نفسه،ص.33.

(4):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدرالسابق،ص.167.

حكمه على تجسيد مظاهر الدولة السنية حيث كان يعاقب كل من ثبت في حقه مخالفة الشريعة ودخل في مواجهات عديدة مع المبتدعين المخالفين[1]لسنة الرسول(ص) والمفارقين للجماعة،كما قام بجهود معتبرة لإحياء علوم الحديث أثناء إقامته بالشام فقد ورد في تحفة الزائر"ان رجلا من الأورام القاطنين في دمشق استولى على دارالحديث التابعة لمدرسة

الحديث الأشرفية ثم مد يده إلى الزاوية الغربية من المسجد واقتطعها منه وأعدها لوضع دنان الخمرفقام العلامة الشيخ يوسف بدرالدين المغربي ورفع أمره إلى الحكومة المحلية فلم تسمع دعواه فتوجه إلى الأستانة ...أحرزفورمان سلطانيا ولما قدمه إلى والي دمشق طرحه في زوايا الإهمال...إلى أن جاء الأميرإلى الأستانة من فرنسا إجتمع إليه وشكا إليه أمره[2]" فاستجاب له الأمير بدافع الحمية الإسلامية والغيرة على السنة الشريفة "فأحضرالرومي عنده واشتراها منه ثم أوقفها بموجب حجة شرعية على الشيخ يوسف وعلى عقبه وإذا إنقطع نسلهم يرجع ريعها إلى المدرسة[3]"من جانب آخرتجلى دورالأميرفي بعث علوم الحديث من خلال إطلاعه بمهة التدريس بدارالحديث حرصا منه على تكوين نخبة من المحدثيين لنشرالسنة المطهرة والدفاع عنها يؤكد هذا ما ورد في التحفة"افتتح الأميرفيها التدريس بصحيح البخاري وكان يجلس لإقراءه بعد صلاة الظهرإلى أن يصلي العصر...وأجازكل من كان حاضرا من طلبة العلم وفيهم الشيخ يوسف بدرالدين[4]"،لقد أشاد معاصريه بجهود في إعادة مكانة السنة حيث يقول العلامة الشيخ يوسف بدرالدين:

هو الإمام بن محي الدين من ظهرت منه الكمالات في الدنيا كشمس الضحى

من قام لله في أمرالجهاد ومن غدا به صدرالدين منشرحا

قد لازموه ونالوا معارفه ما يخرص اللسن أويبهرالفصحى[1]

---

(1): بن عبد القادر،محمد،اتحفة الزائر،ج1، مصدر سابق،ص.75

(2):بن عبد القادر،محمد ،تحفة الزائر،ج2، مصدرسابق،ص.76.

(3):نفسه،ص.78.

(4):نفسه،ص.78.

(5): نفسه ،ص.79.

لقد أثمرت جهود الأميرعبد في بروز كوكبة من الفقهاء والعلماء شكلت إسهاماتهم النواة الأولى للنهضة العلمية في بلاد الشام نذكر منهم على الخصوص العلامة الجليل الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ عبد الرزاق البطار وتلامذته والشيخ بدرالدين الحسني وتلامذته والشيخ طاهر الجزائري وتلامذته[2].

3-البعد الحضاري: الحوار[2]والإنفتاح

إن تجليات البعد الحضاريفيفكرالأميرعبد القادر تكمن في إنفتاحه على الآخر وفي مواكبته لتطورات العصر رغم خصوصية الظرف و في قيمة إنجازات حركته من أجل التحرير والتغيير والبناء،الأمرالذي أصبغ على فكر الأمير طابع الخصوصية والإنفرادو استطاع بفضله الصمود ومواجهة الفكرالغربي الإستعماري وضحد مزاعمه وكشف أبعاده،فمعالم التحضرفي فكرالأميرعبد القادرتتجسدفي رؤيته للآخر وفي موقفه من تعدد الثقافات والديانات وفي طبيعة تعامله مع الآخروهذه الرؤية في حد ذاتهاترتكز على جملة من الأسس مستمدة من روح الشريعة ومن تراث المسلمين ونظرتهملثقافة الآخرعبر مختلف مراحل التاريخ الإسلامي،حيث تمكنوا بفضل هذه الرؤية من إيصال رسالة الإسلام إلى مختلف ربوع العالم،لقد استطاع المسلمون بفضل الإنفتاح على حضارة الآخرمن بناء حضارة راقية قدمت الكثيرللبشرية وساهمت إنجازاتها في نهضة أوربا وفي بعث حضارتها وفق هذا المنحي فإن رؤية الأمير ماهي إلا إمتداد لتلك الرؤية الشمولية التي حددت طبيعة العلاقة مع الآخر.لقد تبين لنا من خلال قرائتنا لسيرة الأميرعبد القادرأن علاقته مع الآخر إتسمت بالتسامح والحوار،كما تميزموقفه من الحضارة الغربية بالإنفتاح على ما لا يتعارض مع الشريعة خصوصية المجتمع الجزائري.

---

(1): أباظة،نزار،الشيخ طاهرالجزائري في المجتمع،مجلة التراث العربي،ع108،م2007م،ص.23.

(2):ترجع جذور مصطلح حوار الحضارات إلى المفكر روجي غارودي فقد حاول في نظريته الجمع بين مختلف الحضارات من خلال إيجاد قواسم مشتركة وتصوره قائم أساسا على وحدة الأديان التي تستند على مذهب وحدة الوجود.راجع في هذا الإطار: جارودي،روجي،في سبيل حوار الحضارات تع،عادل العوا،ط4،دار عويدات للنشروالطباعة،بيروت،لبنان،1999م.

3-1- الحوار

يعد الحوارمن أهم مميزات شخصية الأميرعبد القادرفلمتتبع لسيرته يتضح له أن الأمير حاور كرب أسرة وكسياسي وكقائد مما يعني أن الحوار يعد من أهم أدوات تواصله مع الآخر،ويرجع ذلك أساسا إلى تكوينه الديني والعلمي، لقد تباينت أهداف الحوار باختلاف

الظروف وتعدد المحاوريين، فقد حاور الأمير دفاعا عن الإسلام كما حاور من أجل المصلحة الوطنية وحاور من التعرف على ثقافة وحضارة الآخر.

3-1-1-حوارالثقافات: حوارالأميرمع الجنرال دوماس نموذجا

لقد أفضى غزو الجزائر إلى صدام حضاري تمخض عنه تصحيح الكثيرمن المفاهيم الخاطئة لدى المحتل الذي اعتقد أنه بإمكانه إذابة المجتمع الجزائري في الثقافة الغربية وسرعان ما تبين له نقيض ذلك حيث وجد مجتمعا منسجما ومتناسقا له عاداته وتقاليده متشبتا بدينه وبخصوصيته الثقافية التي أثارت إنتباه وإهتمام الفرنسيين وفق هذا المنظور فإن حوار الأميرمع الجنرال دوماس لا يعدو أن يكون رحلة بحث من أجل معرفة وفهم الآخريؤكد هذا مضمون الحوار الذي دار بين الرجلين والذي ارتكزأساسا على الأسرة والمرأة العربية حيث يبدأ دوماس بطرح سؤله لتالي:كيف يمكن للمسلم أن يتزوج دون أن ينظر غلى من يريد الزواج بها؟ فأجابه الأمير"إن المسلمين لا يتزوج أحدهم إلا بعد النظرإلى من يريدها من النساء أو يرسل إمرأة عاقلة عارفة بما يستحسنه الخاطب ويستقبحه من صفات النساء فتنظرها ثم تخبره بما رأته من صفاتها وأحوالها وأعلم أن شرع الإسلام لا يمنع من النظر بل يجوز للرجل إذا أراد أن يتزوج أن ينظر إلى وجهها ويديها ورجليها ككما يجوز للمرأة أن تنظر إلى الرجل الذي يريد أن يتزوجها"[1]،وعن سؤاله لما لا يؤخذ المسلمون من الزوجات شيئا إنما الزوج يدفع للمرأة الصداق وبذلك تصبح ملكه ويجعلها بمثابة الأشياء التي اشترى؟ فاجاب الأمير"لا يتزوج المرأة لمالها إلا أخصاء الناس فأكثر المسلمين لا يتزوجون المرأة لمالها ويقبح على الرجل الكريم أن يخطب المراة ويسأل عن مالها[2]،..وإذا دفع الرجل العربي للمرأة

---

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2،ص.162.

(2):نفسه،ص.162.

قناطير الذهب والفضة لا يحسبها ملكه ولا يجعلها بمثابة التي اشترى كما زعمتم"[1]،وفيما يخص استفسار دوماس عن تعدد الزوجات أجابه الأمير"إن خلق النساء لتكثيير الأولاد وتفريقهم في البلاد ومن أراد تكثير الغلة يكثر المزارع ويجعلها أكثر من الحارث والله

تعالى ما افترض على المسلم تزوج أربع نسوة وإنما افترض عليه سلامة الدين والكف عن الزنا فمن كانت سلامته في واحدة فهو أفضل ومن لم يسلم دينه بواحدة أذن له أن يتزوج أكثر من واحدة"[2]،وعن معاملة العرب لأزواجهم أجاب الأمير"لا يضرب النساء إلا أوباش الناس والسفهاء الذين لا دين لهم ولا مروؤة وأما أفاضل العرب وأهل الدين فإنهم لا يفعلون مع مع النساء إلا ما يطيب قلوبهن ويرضيهن من حسن الكلام وقال الرسول(ص) لا يضرب النساء إلا أشرارالرجال وكان صلى الله عليه وسلم يوصي بالنساء ويقول استوصوا بالنساء خيرا"[3]،وعن عمل المرأة أجاب الأمير"إن المرأة لا تترك الخدمة كما سبق سواءا كانت من بنات الأكابر أو الأصاغر فإذا كان زوجها فقير تشتغل بالخدمة وإذا كان زوجها غنيا تشتغل بالخدمة في أوقات مخصوصة وكان والدي من الأشراف الأغنياء وكان في بيته نحو الستين من نفسا بين خادم وخادمة ومع ذالك فإن بناته ونسائه لم يتركنا الخدمة[4]،وعن تزوج الرجل المسن بالبنت الصغيرة أجاب الأمير"أن هذا الأمر نادر عند المسلمين إذ الغالب فيه عدم الألفة والمحبة من البنت الصغيرة للشيخ ومن طبع النساء النفور من الشيب"[5]،وفي مقارنته بين المرأة الغربية والمراة العربية يذهب إلى ان المراة الغربية لها مكانته والغرب يراعي في المرأة خصالها أما عند المسلمين فإنها لا تحب إلا لجمالها،فرد عليه الأميرّإن المسلمين يحبون المرأة الجميلة إذا كان مع الجمال دين وصيانة وإنما يرغبون في المراة الجميلة لأن الحب والألفة لا يحصلان في الغالب إلا مع الزوجة الجميلة"[6]،كما ادعى دوماس أن العرب يعاملون

---

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2المصدر السابق،ص.163.

(2): بن عبد القادر،محمد،المصدرالسابق،ص.165.

(3): نفسه، ص.167.

(4):نفسه،ص.168.

(5):نفسه،ص.169.

(6): نفسه،ص.169.

زوجاتهم بطريقة مشينة فهم يرونها مجرد خادمة جعلت لقضاء الشهوة،فأجابه الأمير"إن المرأة لها حرمتها عند العرب يقول الرسول(ص):"ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا

لئيم"[1]،وعن غيرة العرب الزائدة أجابه الأمير"إن الغيرة عند المسلمين إذا كانت ميزان الوسط فهي محمودة وهي أن لا يتغافل الرجل عن مبادئ الأمور التي يخاف عاقبتها ولا يبالغ في إساءة الظن بزوجتهأو يتجسس عليها فهذا ليس من مكارم الأخلاق" وعن تزويج العرب للمرأة وهي صغيرة أجابه الأمير"طبيعة المجتمع العربي وظروفه فرضتها وإن كان ذالك جائز في في شرعنا وتزويج الصغيرة جائز في الشرائع القديمة كالتوراة"[2]وعن استفساره عن الطلاق عند المسلمين أجاب الأمير"جعل الله الطلاق للذي يحب لفراق منهما وجعل الله الطلاق بيد الرجل لشرفه وأن للمرأة أن تطلب الطلاق من زوجها إذا حصل لها من جهته ضرر والطلاق مباح إذا لم يحصل منه إيذاء للمرأة بالباطل" وستدل الأمير بقول الرسول عليه الصلاة والسلام "تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش" وقال تزوجوا وتطلقوا فإن الله لا يحب الذواقيين ولا الذوقات[3]"، وفي استفساره عن الإختلاف في نصاب الميراث بين الذكر والأنثى أجابه الأميرأن الله تعالى هو الذي قسم الميراث فجعل للذكرقسمتين وللأنثى قسمة واحدة ويبين الأميرالحكمة من ذالك فيقول"الرجل يحارب عن بلاده وعشيرته،فهو محتاج إلى زيادة القسمة وينفق على أهله وأقاربه بخلاف المرأة فهي لا تنفع إلا نفسها ولكن في غيرالميراث يجب عليه أن يسوي بين أولاده " ويستدل بقول الرسول عليه السلام "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم[4]" وفي سؤاله عن تعليم الكتابة المرأة أجاب الأميرأنها من وظائف الرجال لا من لاوزم النساءلأن في نظر الأميرالنساء لا يؤلفنا كتابا ولا يستنبطن صناعة ولا فائدة يحتجن لتقييدها بالكتابة ولا يتولى النساء قبض الخراج ولا صرف مال من مصارفه فلا فائدة فيتعليم النساء الكتابة "ويرى الأمير أن الشرع نهى عن تعليم النساء الكتابة،فهو واجب

---

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة زائر،ج2، مصدرسابق،ص.172.

(2):نفسه،ص.173.

(3): نفسه،ص.176.

(4):نفسه،ص.177.

في حق الرجال مكره في حق النساء[1]،وعن زنا نساء العرب أجاب الأمير الجنرال دوماس" إنما يقع الزنا من النساء الاتي ينتسبن إلى العرب وليس العربيات الأصيلات " وعن سؤاله حول عدم دخول المرأة المسلمة المساجد للصلاة بخلاف النصرانية أجابه الأمير[2]" أن الرسول كان لا يمنع النساء من الصلاة في المساجد فقد ثبت عنه أنه قال"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وعن سؤاله،و حول ما يشاع عند العرب أن المرأة لا تدخل الجنة،أجابه الأمير" أن هذا محض افتراء فالنساء يدخلنا الجنة ويكونون مع أزواجهن[3] "حول التطير بالمرأة أجابه الأمير"أن هذا كان في الجاهلية ولما جاء الإسلام أبطله لقول الرسول عليه السلام" لا طيرة ولا عدوى"[4].

من خلال مضمون حوار الأمير مع الجنرال دوماس يمكن أن نخلص إلى جملة من الإستنتاجات من أهمها:

أ - غزارة ثقافة الأمير وسعة إطلاعه

ب - منهجية الحوار عند الأمير المرتكزة على قوة الإستدلال وبساطة الأسلوب وحسن توظيف

الأدلة والأمثلة التي تؤدي الغرض.

ج - مكانة المرأة من منظور الأميرعبد القادر

د -أما فيما يخص ما ذهب إليه الأمير في مسألة خروج المرأة للتعلم وحصر دورها في البيت فيظهر لنا أنه قصد بذلك أن تعلم المرأة مرهون بشروط وظروف معيينة إضافة إلى ذلك فإن الأميرقد أخذ بعين الإعتبارالعرف الإجتماعي السائد،وقد يكون ما ذهب إليه يندرج في إطار العمل بسد الذرائع من منطلق ما يترب عن خروج المرأة من الاختلاط بالأجانب و إهمال شؤون البيت ولأن الشريعة الإسلامية لم تنه عن تعليم المرأة بل الأمر نقيض ذالك تماما رغم هذا فإن المراة تتمتع بمكانة هامة عند المسلمين وتتمتع بكافة حقوقها.

---

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،ص.178.

(2):نفسه،ص.180.

(3):نفسه،ص.181.

(4):نفسه،ص.183.

3-1-2- الحوار االفكري : الحوارالأميري الماسوني أنموذجا

يعد الأميرعبد القادرمن الأوائل الذين وضعوا الإطارالمعرفي والفلسفي والأخلاقي لحوار الأديان في العصرالحديث رغم ما تميزبه عصره من إختلال التوازن بين العالم الإسلامي وأوربا وما انجرعنه من صراع أفضى إلى إحتلال أجزاء واسعة منه،مما يعكس بعد نظر الأميروفهمه لطبيعة هذا الصراع،لقد أرسى الأميرأسسالتعايش والتسامح من خلال نموذج عالمي يحول دون الصدام الحضاري وينظرلفضاء إنساني مشترك تلتقي فيه الأديان والثقافات أ- منطلقات حوارالأديان عند الأميرعبد القادر

يرتكزحوار الأديان عند الأميرعبد القادرعلى نظرته ورؤيته للأديان السماوية التي بينها في مؤلفاته وفي العديد من رسائله حيث يقول في مؤلفه ذكرى العاقل[1]:"أساس الديانة وأصولها لا خلاف فيها بين الأنبياء من آدم إلى محمد عليهم السلام فكلهم يدعون الخلق إلى توحيد الإلاه وتفضيله"،فمن وجهة نظرالأميرالدين واحد وإنما الإختلاف في الشرائع ويذهب الأمير في تصويرهذه العلاقة إلى حد القول فيما نقل عنه الشيخ محمد عبده"[2]إن أصحاب الأديان الثلاثة يشبهون ثلاثة إخوة من ثلاثة أمهاث" من منظورأن الكتب المنزلة كلها من عند الله "فالإنجيل كلام الله المنزل والمسيح لفظ سرياني معناه نورالعين[3]"ويرى أن "التوراة أول كلام نزل من السماء أعني أن ما نزل على إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء ماكان يسمى كتابا بل صحفا ولفظ التوراة آرامي معناه الشريعة والكلام الحق[4]"ويتعمق الأميراكثر قائلا أن شرع عيسى عليه السلام غيرشرع موسى عليه السلام مع كونه مصدقا للتوراة وشرع محمد غيرشرع موسى عليهم السلام وعيسى رغم أنه مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل وإنما في نظرالأميرالشرائع معرضة للنسخ الذي هو بيان وتخصيص إلى أن تم بناء قصر[5]

---

(1):الجزائري،الأميرعبد القادر،ذكرى العاقل المصدرالسابق،ص.103.

(2): عبده،محمد،الأعمال الكاملة،تحقيق،محمد عمارة،ج3،ط1،دارالشروق،بيروت،1993م،ص.368.

(3): الجزائري،الأميرعبد القادر،المقراض الحاد،المصدرالسابق،ص.180.

(4):نفسه ،ص.165.

(5): نفسه،ص.175.

لرسالة محمد عليه السلام فانغلق باب النسخ بعده لأنه بعث لتميم مكارم الأخلاق،وفق المنحي فإن رؤية الأميرتسند إلى البراهين العلمية والأدله القاطعة لإقناع الآخرفي إطار تواصلي حيث يقول الأمير"إن مبنى الإجتماع وأساس الأديان هو إستعمال ما يوجب المحبة والألفة فيحصل التناصروالتعاون [1]"،تأسيسا على ما سبق فحوارالأديان عند الأميرعبد القادر يهدف إلى خلق فضاء إنساني مشترك تتقاطع فيه الثقافات وتتعايش فيه الأديان وتتلاقح فيه الحضارات وعليه فالأميرنظَّرلنموذج تواصلي عالمي يجنيب البشرية الصدام بكافة أشكاله ب - الحواربين الأمير و محفل هنري الرابع

يرجع أول إتصال بين الماسونية والأميرمباشرة عقب أحداث الشام وكان ذلك عن طريق الجمعية الماسونية بفرنسا عرفانا بجهوده في إنقاض مسيحي الشام حيث جاء في تحفة الزائر"إلى الأميرالأجل عبد القادرفي دمشق،إعلم أيها الأمير أن العالم المتمدن قد كلل هامتكم الشريفة المقدسة بإكليل الشرف والإفتخارونحن نقدم إليكم فرحنا بكونكم تسميتم من المحكوم لهم بحسن السيرة من أي فرقة أو دين الذين أظهروا كمال الإنسانية"[2]،وفي 16 نوفمبر 1860م راسل محفل هنري الرابع ووضح المبادئ التي قامت عليها الماسونية وسأله بعض الأسئلة[3] التي تطرحها الحركة على الراغبين في الإلتحاق بالحركة يتعلق مضمونها بواجبات الإنسان نحو الله ونحو إخوانه ونفسه والمساواة أمام الله وحول الأخوة والتسامح[4]،فأحابهم الأميربتاريخ في شهرفيفري 1861م،"أيها السادات الأجلة والهدات...خصوصا المفضل والمقدم في خلوة هنري الرابع أنه وصلني كتابكم وشوقني خطابكم ولا أقدرأن أصف لكم ما حصل عندي من السروروبرودة وإني أجبيكم بإختصارحسب ترجمة المترجم لمكتوبكم..."[5]

---

(1):الجزائري،الأميرعبد القادر،ذكرى العاقل،المصدرالسابق،ص.97.

(2):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2،المصدرالسابق،ص.101.

(3):Xavier,Yacono;la francmaconnerie et les Algeriens(1787-1962,in,Annales d'historia contemporaire,universite de Murcie,1987,p.60.

(4): Ibid,p.90.

(5):التميمي،عبد الجليل،الأمير عبد القادر،بدمشق،(1850م/1860م)،المجلة التاريخية،العدد 15-16، تونس،1971م،ص.31.

فحول واجب الإنسان نحوالله يقول الأمير"يجب على الإنسان أن يعظم الله تعالى ويحبه ويسعى فيما يرضيه ويقرب إليه ويتخلق بأخلاقه تعالى مثلهم الرحمة والمغفرة والستر والعطاء والعلم والعدل واللطف وأمثالها وأن يقتدي به في أفعاله ويجد في تنفيد إرادته ويسلم لأمره ويرضى بأحكامه ويصبرلبلائه أنه لا يقدر على رفع ما وقع إغير الله تعالى وأن يتحقق أن كل نعمة هو فيها هي منه وحده لا شريك له في خلقها[1]"،وعن واجب الإنسان نحو أخيه أجاب الأمير"يجب عليه نصحهم بإرشادهم إلى مصالح دنياهم وأخراهم وعونهم على ذلك بتعليم الجاهل وتنبيه الغافل والذب عنهم وعن أعراضهم وتوقيركبيرهم ورحمة صغيرهم وقضاء حوائجهم ...وجلب النفع لهم ودفع الضررعنهم ...الشرائع تدور على أصليين الأول تعظيم أمرالله والثاني الشفقة على خلق الله ...[2]"،وعن واجب الإنسان نحو نفسه يرى الأمير "أنهيجب عليه أن يزكيها ويطهرها من كل رذيلة ويزينها باكتساب كل فضيلة ...ويجب عليه أن يراعي حق الجسم الذي هو من عالم الكون والفساد فإنه يطالب بأنواع المحسوسات من المطعم والمشرب والملبس والمنكح...[3]"،وعن تساوي الخلق أمام الله يجيب الأمير"أما كون جميع البشر متساوون أمام الله بالنسبة إلى رضاه وغضبه فلا إذ العقول والشرائع قاضية بأنه لا يتساوى الإمام الصادق والخائن الكاذب ولا يكون صاحب الرذائل متساويا لصاحب الفضائل ولا يكون الذي يغضب أحوال الضعفاء والفقراء والأيتام ويتلف نفوسهم مثل الذي يواسيهم بماله ...فلا تتساوى النفوس في المجازات لأن النفوس أربع مراتب الأولى النفوس الفائزة بالمطالب العقلية ...ثانيها النفوس التي ترتسم فيها المطالب...ثالثها النفوس الجاهلة ...رابعها النفوس الشقية"[4]،وفيما يخص الأخوة والتسامح يقول"يظنون أن المسلمين إذا قاتلوا النصارى أو غيرهم إنما يقاتلونهم ليتركوا دينهم ويدخلوا في دين الإسلام فهذا خطأ فإن شريعة الإسلام لا تجبر أحدا على ترك دينه ولكن يجب عمن عرف الحق ...أن يرده برفق وسياسة"

(1): التميمي،عبد الجليل،المقال السابق،ص.30.

(2):نفسه،ص.31.

(3):نفسه،ص.32.

(4). نفسه،ص.32.

وعن خلود الروح أحاب الأمير"أما عدم موت النفس فهو مما تطابقت عليه العقول والشرع المنقول لأن الموت فساد وإضمحلال والفساد إنما هو من صفات الأجسام فإن تخلع صورة وتلبس أخرى مثل الماء إذا صار هواء والهواء إذا صار ماء أما الشيئ الذي ليس بجسم ولا هو محتاج في بقائه لجسم فلا يتصور فساده والنفس ماهي بجسم ولا عرض ولا تتجزئ[1]" منخلال قراءة متأنية في أجوبة الأمير يمكن القول أنها ترجمتتصوره النابع من قناعاته الدينية،عرضها الأميربشكل بسيط وواضح وهي في حد ذاتها تشكل أرضية مشتركة تتقاطع عندها جميع الأديان كما تميزت إجابات الأميربخلوها من الشواهد القرانية والنبوية ويظهر أن سبب في ذلك يرجع إلى تجنب الأميرإثارة التعصب الديني.

لقد تضاربت آراء المؤرخين حول طبيعة العلاقة بين الأمير والماسونية والتي يمكن أن نلخصها في إتجاهين،الأول يذهب إلى القول بإنضمام الأمير إلى الماسونية ومن أبرز المنظريين لهذا الإتجاه"كزافي يكونو"[2] "وبرونوإتين[3]"و يستندون في ذلك على وثائق ماسونية والإتجاه الثاني يرى أن الأميرلم ينخرط في أي محفل ماسوني وأن علاقته بالماسونية لم تتجاوز حد تبادل الرسائل من منطلق أن الأميرتواصل مع العديد من الهيئات والشخصيات ومن بين الباحثين القائلين بهذا الرأي محفوظ قداش ومحمد الشريف سحلي وغيرهم ،إلا أن الدارس لسيرة الأميرولتراثه الفكري يستبعد إنضمامه إلى الماسونيةإنطلاقا من عدة معطيات أهمها أنه على الأمير أي نشاط ماسوني حيث أكد كسفي ياكونو أنه كان عضو شرفي في محفل ماسوني بسوريا إلا أنه لم يحضرأي جلسة من جلساته[4]إضافة إلى أنه لو إنضم الأميرعبد القادر إلى الحركة الماسونية لسارعت هذه الأخيرة إلى إعلان إنضمامه من منظور

(1): التميمي،عبد الجليل،المقال السابق،ص.26.

(2): ساحلي،محمد الشريف،الأميرعبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية،ترجمة حبيب شنيني،دار القصبة للنشر،الجزائر،2003م،ص.32.

(3):برونو،إتين،الأميرعبد القادرالجزائري،ترجمة ميشيل خوري،ط1،دارعطية للنشر،بيروت،1997م ص.348.

(4):ساحلي،محمد الشريف،المرجع السابق،ص.31.

أن الأميرشخصية عالمية لها تأثيرها في المشرق،ومما يؤكد هذا الطرح عزوف الأميرعن حضور حفل تكريمه في أوت 1865م، وفي الإجتماع الماسوني الذي إنعقد بباريس في 30 أوت 1865م أعلن الأمير أن الماسونية غيرمقبولة في الشرق وأنه يقاطع كل نشاط ماسوني[1]،كما أن طبيعة شخصية الأمير وعمق إيمانه وتبحره في شتى العلوم والفنون مميزات تنفي إنضمامه إلى الماسونية وتقبله لفكرها،والراجح أن الأميرقد تفطن في وقت مبكر لأهدافها. 3-1-3- الحوار في فترة الحرب: حوارالأميرمع ديميشل[2] نموذجا

إستطاع الأميرأن يجمع بين شخصية المحارب والمحاورفي نفس الوقت،فقد تواصل مع الحنرال ديميشل في عزالمواجهة وأفضت هذه الإتصالات إلى عقد هدنة بين الطرفين في 26 فبراير[3] إستغلها الأمير في تنظيم صفوف المقاومة وتثبيت أركان الدولة الجزائرية الفتية،لقد دارالحوار بين القائدين حول الأسرى وتنظيم التجارة و التعاون لإرساء الأمن والسلام وفي الإطار يقول الأمير في رسالة بعثها إلى الجنرال دي ميشل مؤرخة في عشرين جانفي 1834م " [4]من مولانا المعظم أميرالمؤمنين والمجاهدين...السيد الحاج عبد القادر نصره الله أمين إلى الجنرال وهران وعظيم القسيسين والرهبان ديميشل وبعد فقد وصلنا كتابك السديد وتدبيرك المفيد...وقرأناه وعرفنا مقتضى معناه واستفدنا منه حرصا كثيرا على تسريح الأسارا... على أنهم في عز وإكرام ورغد عيش ملبسا ومأكلا ومشربا...وإذا أردتم مواسات العرب والفرنصيص وهدنة بين الفئتين...نفود الألفة قطعا لمراد تقارع نصال السيوف يتم مرغوبكم...فإنهم يحرم علينا طلب الهدنة قبل طلبكم أنتم...ومكاتبتكم لنا بذالك أباحت لنا الموافقة على الصلح كما قال الله تعالى" وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو

(1): X,Yacono,op.cit,p.90.

(2): لويس أكسيس دي ميشل: ولد في 15مارس 1779م، جينرال في الجيش الفرنسي،عين قائدا لوهران من 1833م إلى غاية 1835م،توفي بباريس في 08 جوان 1845م،أنظر:أديب حرب، المرجع السابق،ج1، ص.91.

(3): زوزو،عبد الحميد،مراسلات الأميرعبد القادرمع الجنرال دي ميشل،ط4،دارهومة للطبع والنشر والتوزيع،الجزائر،2011م،ص.09.

(4): نفسه،ص.51.

السميع العليم"، فإن كان ما كتبتم صحيحا فلا بدا من شروط منا ومنكم...أما ما افتخرتم به من قوة فرنسا وذكرتم على عدم قدرتنا على دوام عداوتها...ومع هذا وإن كنا ضعفاء في الظاهر فإن قادرون بالله باطنا فضعفنا قوة ...بل الحروب دولا وسجالا مرة لنا ومرة لاعدائنا...ولا نحزن لفرقة وطن وبعده لأن الأرض لله أورثناها والجنس جنسا حيث توجهنا بالمغارب والمشارق والسحاري...وأنظروا تواريخكم في وقعات نواحي الشام واليرموك[1]..." على ضوء هذه الرسالة يتضح لنا مضمون الحوارالذي دار بين الأميرعبد القادر الذي تعلق بالأسرى وفي هذا شأن ببيَّن الأميرالمبادئ السمحة للشريعة الإسلامية التي توجب الإعتناء بهم وبخصوص السلم فقد أوضح الأميرللجنرال أن ديننا لا يمانع من عقد هدنة تحقن الدماء ويتحقق الأمن بفضلها ويظهر من خلال الرسالة أن ديميشل حاول تثبيط عزيمة المقاومين بأن فرنسا دولة قوية لا تهزم فرد عليه الأمير مستشهدا بوقائع تاريخية هزم فيها المسلمون أعتى الجيوش،يمكن القول أن مواضيع الحوار تجازت المجال العسكري والحربي يتناولها جوانب ثقافية،ورغم نقض المعاهدة من طرف المحتل إلا أن الأمير ظل وفيا لطبيعته ومبادئه وحاور عدد من القادة العسكريين أمثال الماريشال بيجو الذي عقد معه معاهدة تافنة،بل إن الأمير حاور عدو حتى في مسألة إنهاء القتال وفرض شروطا معينة لكي يضع حدا لمقاومته. 3-2- الإنفتاح: العصرنة ومواكبة التطور

إن تأسيس الأميرلدولة مدنية بمعاييرعصرية في ظرف وجيز يدفعنا إلى القول أن الأميركان له رصيد فكري سياسي وتصورمسبق لشؤون الحكم والإدارة وقد يرجع ذالك إلى سعة إطلاعه من جهة ومعاينته للنموذج المصري الذي أرساه محمد علي باشا وما

لاحظه من تفوق المستعمر وإمكاناته وحسن تنظيمه وإدارته وما نقله له أتباعه الذين زاروا فرنسا[2] من جهة أخري،لذا فقد أدرك الأميرأهمية العصرنة ومواكبة التطوروالإنفتاح على الآخرو

---

(1):زوزو،عبد الحميد،المرجع السابق،ص.52.

(2):حيث ورد في تحفة الزائر أن الأمير أرسل ناظرالخارجية ابن عراش إلى باريس لمقابلة ملك فرنسا بعث معه بهدية تشمل على عدد وافرمن الأبقار والحمرالوحشية والنعام وأنواع من البسط والفرش الفاخرة.ينظر: محمد بن عبد تحفة الزائر،ح2،مصدر سابق.ص.222 -225.

الإستفادة من إنجازاته الحضارية في بناء دولته،فيهذا الإطار جلب الأمير الخبرة الأجنبية في الصناعة وفي المجال الدبلوماسي كما راسل دول أوربية من أجل إقامة شراكة إقتصادية، لقد تجلت معالم هذا الإنفتاح في رؤية الأميرلنهضة دولته المرتكزة على إستقطاب الخبرات الأجنبية ومنحها أدوارا في مختلف المجالات الحيوية.

3-2-1- الدورالأحنبي في دولة الأمير

إن الدارس لسيرة الأمير تتجلى بوضوح مظاهر الإنفتاح على الآخر،ففي المجال العسكري إستعان الأميربخبرة الماريشال ديلوجي[1]،كما تعاقد مع بعض الفرنسيين مقابل رواتب مغرية[2]واستعان الأميربالخبير "قيومين" في التعليم وتدريب الجزائريين على صنع الأسلحة[3]وقد أنشأ هذا الخبير دار للسلاح بتاقدمت[4]ووظف "أولسن" في صناعة البارود،وعين "دون خوسي" مديرا لمصنع تلمسان[6]كما أنشأ الفرنسي"دي كاس"مصنعا للبنادق في مليانة[7]وعمل "غارسان[8]"كتقني في مصنع الأسلحة بالمدية،ولحرص الأمير على تأسيس جيش عصري فقد إستقدم ضباط فرنسيين مسرحين يسمح لهم بذلك،وفي المجال الإعلامي إستفاد من ليون

---

(1): ملازم سابق عمل بمركز سيدي خليفة،سجن سنتين ثم فرإلى الأمير،راجع:بربريغر،أدريان المصدرالسابق،ص.194.

(2):تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.204.

(3):.Emirit,Marce,l'Algerie a l'epoque de l'Emir Abdelkader,op.cit,p.289

(4): B,Rachid,place fortes et etablissement fondes par l'Emir Abdelkader,Magalet el Tarikh,T,12,1983,p.33.

(5):-E,Daumas,correspondances du capitaine Daumas consul de France a Mascara,1837-1839,collection des document inedits par le gouvernement general d'Algerie,ed,jourdon Paris,1921,p.86.

(6):الكولونيل،سكوت،المصدر السابق،ص.66.

(7):المصدر نفسه،ص.39.

روش،في ترجمة الجرائد الأروبية[1] وفيما يخص المجال الدبلوماسي فقد فقد أعتمد ممثلين أوربيين لرعاية مصالح الدولة الجزائرية كسفيرأمريكا في الجزائر "كزماني كارل" وهو إيطالي الأصل حيث بعث الأمير إليه قائلا" من عبد القادرناصر الدين إلى مسو كازمني كارل قارئين السلام على من اتبع الهدى وبعد: فإن منذ وقع الصلح بينا وبين دولة فرنسا ونحن نسأل عمن يكون لنا وكيلا في الجزائرووسطة بينا وبينهم في دوام الألفة والمواصلة ثم بلغنا عنك أنك من أعقل الناس وأعلمهم بطريقة السياسة ...وبناءا عليه كتبنا لك هذا إعلامابان تكون لنا وكيلا عند الفرنسيين وتتولى قضاء المصالح الازمة لنا فيها وتجري أمورنا معهم في نظرك وتعرفنا بما هو أصلح لنا معهم"[2]

3-2-2- الشراكة مع الغرب

لقد أدرك الأميرأهمية الأخذ بأسباب التقدم والتطورمن أجل إستمرارية الدولة وازدهارالأمة لذا فقد سعى منذ مبايعته وتنصيبه أمير على الجزائريين إلى البحث عن السبل والأساليب بغية الإستفادة من الحضارة الغربية،في هذا الإطار راسل الأمير العديد من الدول الأروبية مقترحا عليهم شراكة إستراتجية حيث اقترح الأمير إقامة مناطق تجارية حرة،في هذا الصدد وردفي رسالة الأمير للإنجليز"...كان مرادنا بعد ذالك أن نكاتبك ودولتكم ونعطوكم مرسى مثل تنس وغيرها...تبيعون فيها (كذا)،وتشترون ما تحبون من القمح والحب وغيرذالك ونحن نأخذ منكم ما نحتاجه غيرأن مدة سنين تأخذون من هذا المرسى ولا نأخذ

منكم حقها[3]" كما عرض الأمير على أمريكا إقامة شراكة إقتصادية مقابل جملة من الإمتيازات[4]،على ضوء ما سبق

---

(1):بربريغر،أدريان،مقال سابق،ص.210.

(2):بوعزيز،يحي،الأميرعبد القادررائد الكفاح الجزائري،مرجع سابق،ص.90.

أنظر: كذلك نص الرسالة في تحفة الزائر،ج1،ص.217. أيضا: بوطالب،عبد القادر،الأميرعبد القادر وبناء الأمة الجزائرية،مؤسسة الفنون المطبعية ،الجزائر،2010م،ص.90.

(3): التميمي،عبد الجليل،المرجع السابق،ص.200.

(4): سعد الله،أبو القاسم،أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ج1،طبعة خاصة،دارالبصائر،ص.144.

يمكن القول أن الأميرقدم للغرب عدة إمتازاته وإغراءات من أجل الإستفادة إلى ما وصل إليه من تطور في مختلف المجالات،إن حرص الأمير على الأخذ باسباب الحضارة دفع به إلى مساندة فرديناد دي ليسبس في مشروع حفر قناة السويس ويرجع ذلك إلى بعد نظر الأمير الذي قدرأهمية المشروع بالنسبة للمصر والعالم ككل[1]ولم يفوت الأميرفرصة غفتتاح هذا الغنجاز الكبيرحيث ورد في تحفة الزائر"...دعي الأميرإلى حضورحفل إفتتاح خليج السويس كما دعي إلى ذالك أعيان العالم فتوجه إلى بيروت ومنها إلى الإسكندارية فاجتمع بإمبراطورة فرنسا ...ثم توجه إلى بورسعيد في الباخرة التي أعدتها الإمبراطورة لركوبه ...وجلس الأميرمع إمبراطورالنمسا وإمبراطورة فرنسا وابني امبراطورألمانيا وملك إيتاليا[2]"،بل إن الأميريذهب أبعد من ذالك حين يحاول إقناع سكان منطقة شطوط الجريد التونسي بقبول مشروع البحرالداخلي الإفريقي حيث يقول يحي بوعزيز"...وأظهرسكان المنطقة ترددا وإمتناعا لأن البحرالمقترح سيغمر قراهم وأراضيهم توسط أصحاب المشروع وعلى رأسهم دوليسبس بالأميرعبد القادر وطلبوا منه أن يكاتب السكان ويقنعهم فامتثل[3]"ويرى المؤرخ يحي بوعزيز أن ماقام به الأميريدل على بعد نظره وإدراكه للأهمية هذا للمشروع الضخم[4]. خلاصة يمكن القول أن فكر الأميرتجاوز الحيز المكاني وأخترق البعد الزماني ولا ندعي من

خلال هذه القراءة المتواضعة في فكرالأميرأننا ألممنا بكافة أبعاد هذا الفكر بل تعرضنا إلى جزء من هذه الأبعاد التي تبين لنا أنها أبعاد محورية تكشف عن عمق هذا الفكر الذي جمع بين الأصالة والحداثة والمحلية والعالمية ويرجع عدم إلمامنا بمختلف أبعاد هذا الفكرلعدة إعتبارات أهمها:

أ-غزارة فكر الأمير وشموليته وتشعبه وتعدد مواضيعه

ب - إن قرائتنا لفكر الأمير تمت في إطار المادة التاريخية المتوفرة لدينا.

---

(1): بوطالب،عبد القادر،مرجع سابق،ص.261.

(2): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2،مصدر سابق،ص.185.

(3): بوعزيز،يحي،بطل الكفاح الاميرعبد القادر،مرجع سابق،ص..15.

(4):نفسه،ص.16.

الفصل الثاني

معالم التحرر في فكر الأميرعبد القادر

إن مؤهلات شخصية الأمير عبد القادر وتعدد مواهبه أصبغ على مقاومته طابع الشمولية فقد حارب ببندقيته وقلمه ووظف الخطاب السياسي والشعر الحماسي، لذافقد عكس تراثه الفكري والأدبي الواقع الجهادي بمختلف أبعاده،فإنتاجهه الفكري في الفترة ما بين 1832م - 1847م يعد حلقة من حلقات المقاومة وأداة من أدواتها ،لقد حاولنا من خلال قرائتنا لتراث الأمير في هذه الفترة تسليط الضوء على بنية الفكر التحرري عند الأمير بإبرازخصائصه ومرتكزاته إنطلاقا من فقه وأشعاره ورسائله وتصوفه،كماحاولنا توضيح البعد التحرري من خلال مقاربة للمفاهيم بحكم خصوصية هذا الفكر الذي تجاوز الزمان والمكان.

أولا - الفقه التحرريعند الأمير عبد القادر

يرتكز مفهوم الفقه التحررى عند الأميرعبد القادرعلى تلك الرؤى والتصورات و الأحكام الإجتهادية التى طبعت المسارالتحررى الذى انتهجه الأميرعبدالقادر وبالتالى جسدت فقه المقاومة الذى يستوجب فهمه دراسة مصادرفقه الأميرالتي تعد أساس تكوينه المعرفي والعلمي والوقوف على أبرزخصائصه وكيف استطاع بفضله مجابهة مختلف التحديات.

1- مصادر فقه الأمير:

تكتسي مصادر فقه الأمير أهمية بالغة من منطلق أنّها شكلت الأساس الذى بنى عليه فكره الوطنى و المؤسساتى و الإطار الدى ضبط من خلاله إجتهاده و تصوره فى إدارة دولته وتسير شؤون رعيته والتعامل مع متغيرات الواقع الذى فرضه الإستعمار واقتضته التحولات الداخلية إنّ معرفة هذه المصادر مرتبطة بتراث الأمير نفسه،وما علّمه ودرّسه في حلقاته في سجنه وفي بروسة والشام[2]،فمن الكتب التي نهض لتدريسها مرارا كتاب لشفا للقاضي عياض

---

(1): هو العلم بالأحكام الشرعيةمن أدلتها التفصيلية ويرى بعضهم انه استنباط حكم المشكل من الواضح

أنظر:الزركشي،بدرالدين،المنثورفي القواعد،تح،تيسير أحمد محمود،ط1،ج1،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الكويت،1402ه،ص.17.

(2): بن عبد القادر،محمد، تحفة الزائر،ج2،المصدرالسابق،ص.53.

والإحياء للغزالي،وأكثرمن كتاب للشهرستاني وابن العربي وابن تيمية وابن مسكويه،والرسالة للإمام محمد بن أبي زيد القيرواني[1]،ومن المصادرالتي ظهرتأثيرها واضحا في ثقافته واجتهاداته كتاب الإبريز لابن مبارك الذي تميّز بتناوله لمناهج التربية والعلل النفسيةأسبابها ووسائل مداوتها،وواجب شيوخ التربية في هذا المقام،وتوضيح العلاقة القائمة بين المعلم والمتعلم كما قرأ المقدمة لإبن خلدون وإختلف معه في رؤيته وتحليله لظاهرة التصوف ويمكن تحديد الكثيرمن المصادرالتي شكّلت دعامته فقهه من خلال رسائله وتراثه الأدبي والفكري،ففي المقراض الحاد نجده قد اعتمد على الغزالي وكتبه،وعلى إمام الحرمين وعلى فخر الدين الرازي وكتبه،وصدر الدين الشيرازي في أسفاره الأربعة،والتفتزاني[2] في كتابه "التلويح وشرح المقاصد"،والبيضاوي[3] في تفسير القرآن و"الطوالع"،واعتمد كذلك على عدد من الأئمة كالمناوي[4] والإمام اليافعي[5] في كتابه مرآة الزمان،وكذلك الإمام الراغب[6]والإمام الشافعي وغيرهم من الأئمة الأعلام والفقهاء المجتهدين، إضافة إلى ذلك فقد كان الأمير على إطلاع بالثقافة الغربية اليونانية تجلى ذلك من خلال إستشهاده في العديد من مؤلفاته بفقهاء المنطق وفلاسفة اليونان وأطبائهم الأمر الذي إنعكس على فكر و فقه الأمير،ومن أبرز هذه

---

(1):محمد علي الوزير،محمد السيد،المرجع السابق،ص.80.

(2):هو مسعود ابن عمربن عبدالله التفتزاني ولد بتفتازت (712م/791ه)،تبحر في مختلف علوم الشرع الأدب،من مؤلفاته كتاب التلويح في كشف حقائق التنقيح في الأصول،والمطول في البلاغة،ينظر: الموسوعة العربية العالمية،المجلد 07،ص.54.

(3):البيضاوي:هو عبد الله بن عمربن محمد قاض شيرازله عدة مصنفات أهمها الوجيزفي أصول الفقه وتفسيرأنوارالتنزيل،وأسرارالتأويل،راجع الموسوعة العربية العالمية،مجلد 05،ص.445.

(4):الإمام المناوي: ولد عام (952ه/1545م) وتوفي عام (1031ه/1622م)،له حوالي 80 مصنفا، كشرح الجامع الضغير،وشرح الفية العراقي،وشرح القاموس المحيط،وكنوز الحقائق، ومختصر التيسير،ينظر:الموسوعة العربية العالمية،مجلد24،ص.244.

(5):الإمام اليافعي:ولد قبل سنة (700ه/1300م)،من مؤلفاته،نزهة العيون،ومرهم العلل المحصلة في

الرد على أئمة المعتزلة،ينظر:موجزدائرة المعارف الإسلامية،مجلد32،ص.10195.

(6):الإمام الراغب:هو أبو القاسم الحسين بن محمد،توفي عام(502ه،1108م)، له عدة مصنفات أشهرها تفسير القرآن ،راجع:دائرة المعارف الإسلامية،مجلد 16،ص.5074

المصادرالأروبية كتب جالينيوس[1] وأبقراط وأرسطوطاليس،وفي هذا دلالة على جمع الأمير بين الثقافة الغربية والشرقية من جهة ومزاوجته بين العقل والنقل،إنّ هذا الزخم من المصادر الذي وظفه الأمير في رسالته يكشف عن عمق إطلاعه وسعة حافظته،وإلمامه بشتى العلوم على ضوءما سبق يمكننا القول أنّ ثقافة الأميرعبد القادروثرائها هي في الأساس نتاج وثمرة هذا التنوّع.

2- خصائص فقه الأمير عبد القادر

ارتبطت خصوصية فقه ألأمير بجملة من العوامل الثابتة و المتغيرة ساهمت فى تحديد ملامحه من منطلق أن الأميربنى فقه على المعطيات الداخلية من خلال مراعاة طبيعة المجتمع وجغرافية الأرض والواقع الذى فرضه المحتل وبكافة معطيات الظرف الخارجي.

2-1-الوسطية:

تعددت الإتجاهات في تناول وفهم مقاصد الشريعة،وتفرد كل اتجاه بأصوله وقواعده،فبينما تعنى الظاهريةبالنصوص الجزئية وتلتزم بالحرفية والجمود بغض النظر عن قصد الشارع يتمسك الاتجاه المقابل بفكرة أن الدين جوهر لا شكل وحقيقة لا صور و يذهب إلى تعطيل الكثير من النصوص،أما الإتجاهالوسط فينظرإلى الجزئيات في إطار الكليات،ويرد الفروع إلى الأصول،ويربط المتغيرات بثوابت[2]،إنّ ملامح وسطية الأمير تجلت من خلال تراثه الفكري والسياسي،فقد حددت رسائله تصوّره ومنهجه في استنباط الأحكام وفي فهم نصوص الشريعة،حيث يرى ضرورة اعمال العقل ونبذ التقليد وفي ذلك يقول[3]:"الأعمى لا يصلح أن يقود العميان" بل يذهب الأمير إلى أبعد من ذلك في دعوته لتحرير العقل فيقول" بهيمة تقاد

---

(1):جالينيوس:عالم فيزيائي ولد بمدينة بيزا الإيطالية 15 فبراير،1564م،درس الطب والفلسفة في بيزا عين أستاذ للرياضيات وهو أول من استخدم التلسكوب الإنكساري،حكم عليه بالسجن وبرأه البابا

جون بول الثاني،راجع:الموسوعة العربية العالمية،مجلد 08،ص.135.

(2):القرضاوي،يوسف،السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها،ط1،مؤسسة الرسالة بيروت،2000م،ص.212.

(3):الجزائري،الأمير عبد القادر،ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،المصدر السابق،ص.32.

أفضل من مقلد يقاد[1]"ويذهب في المقابل إلى أنّ العقل لايمكنه أن يستغني عن الوحي،فهو عاجز عن إدراك الغيبيات والإحاطة بحقائق الأشياء، وبخصوص تصوفه يقول[2]:"كنت مغرما بمطالعة كتب القوم منذ الصبا غيرسالك طريقهم،فكنت أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم يقوم منها شعري وتنقض منها نفسي"ويقول كذلك[3]:"واحذر أن ترميني بحلول أو اتحاد أو امتزاج أو نحو ذلك فإني بريء من جميع ذلك،ومن كل ماكان يخالف كتاب الله وسنة رسوله" وبالتالي فإنّ وسطية الأمير تجسدت في جمعه بين العقل والنقل وموازنته بين الباطن والظاهر و بين إحتياجات الجسد ومتطلبات الروح و تواضعه في مأكله وملبسه وفي حزمه وعفوه.

ومن مظاهر وسطية فقه للأمير:

أ - المركزية واللامركزية:

إنّ من أهم خصوصية نظام حكم الأمير جمعه بين المركزية واللامركزية،حيث أحدث مقاطعات وجعل على رأس كلّ مقاطعة خليفة يتمتع بصلاحيات ونفوذ واسع،وكل خليفييك له مؤسساته الخاصة وفي المقابل يعتبر الأمير الحاكم الأعلى،وفق هذا المنظور يمكن القول أنّ نظام حكم الأمير كان وسطا بين النظام المركزي وما يسمى حاليا (بالفدرالي)،حيث استطاع بفضل هذه الوسطية توسيع الدولة ورعاية مصالح الأمة ومن مظاهر اللامركزية رفض الخليفة ابن سالم الإنصياع لأوامر الأمير عندما طلب منه تسليم البليدة والقليعة[4].

ب - الإستقلالية والمراقبة:

تمتعت مؤسسات دولة الأمير سواءا الإدراية والقضائية بالاستقلال التام في آداء مهامها ووظائفها الأمرالذي أضفى طابع المصداقية على النظام السياسي،وبالموازاة مع ذلك حرص

(1):الجزائري،الأميرعبد القادر،ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،المصدرالسابق،ص.33.

(2):الجزائري،الأميرعبدالقادر،المواقف،ج2،مصدر سابق،ص.169.

(3):نفسه،ص.89.

(4):العربي،إسماعيل،الأميرعبد القادرمؤسس دولة وقائد جيش،المرجع السابق،ص.ص.10- 26.

الأمير على مراقبة القرارات والأحكام وتطبيقاتها[1]،كما أنشأ ديوان المظالم حيث كان يرسل مناديا في الأسواق أنّ من لديه شكوى فليتقدم بها إلى الأمير من غير واسطة لينصفه ممّن ظلمه سواء كان خليفة أو آغا أو قائد أو شيخ،بالإضافة إلى مجالس الشورى التي كان من مهامها مراجعة أحكام القضاة في كل المقاطعات ونقض كل ما يخالف كتاب السنة والعرف المعهود من أحكام وفتاوى[2].

ج - الجزاء والعقاب:

يعدّ الجزاء والعقاب أحد مظاهر الوسطية التي تميزت بها سياسة الأمير الذي جمع بين الحزم والعفو والشدة والتخفيف،حيث يقول محمد بن عبد القادر[3]:"من العجب أن تمكن إمارته بقوتين قوة الرغبة وقوة الرهبة إلا أنّ القوة الأولى كانت هي المعوّل عليها"ومن أبرز الأمثلة على ذلك قول الأمير[4] :"فلقد تقررأن كل عربي يحضر جنديا فرنسيا أو مسيحيا له ثمانية دولارات على الذكر وعشرة على الأنثى"أمّا من يأتيه برأس أسير فيعاقب على رؤوس الأشهاد[5]،مما يعني أن سياسة الأمير في حكم رعيته اتسمت بالموازنة بين الجزاء والعقاب.

2-2- الواقعية:

شكلت معطيات الواقع الأساس الذي بنى عليه الأمير سياسته الشرعية،فمهنجه كان ثمرة قراءته لهذا الواقع الذي يمكن أن نختصره في إستراتجية التي أنتهجها المحتل وفي التفكك والتخلف الثقافي والجمود العلمي،لذا سعى الأميرعبد القادر إلى احتواء وتغيير هذا الواقع.

2-2-1- أدوات التغيير:

أ- الجهاد:

(1): Benachenhou,A,op.cit,p.85.

(2):أوصديق،فوزي،النظام الدستوري الجزائري،ط1،ديوان المطبوعات الجزائرية،الجزائر،1955م،ص.70.

(3): بوعزيز،يحيى،الأمير عبد القادر رائد الكفاح،ص ص.79-80.

(4): تشرشل،هنري،مصدر سابق،ص.207.

(5): نفسه،ص.207.

ورد في نص البيعة العامة الذي حضره العلامة السيد محمود بن حوى المجاهري"ولما انقرضت الحكومة الجزائرية من سائر بلاد المغرب الأوسط واستولى العدو على مدينة الجزائر ووهران أعادهم الله دار إمان وإسلام بجاه النبي عليه السلام،وطمحت نفسه العاتية إلى الإستيلاء على السهول والجبال والفداد والتلال وصار الناس في هرجومرج وحيص وبيص لا من ينهى عن منكر،ولا من يعض ويزجر،قام من وفقهم الله للهداية... فتفاوضوا في نصب إمام يبايعونه على الكتاب والسنة"[1]،وفي رسالته التي كتبها إلى ملك فرنسا"من المعلوم قديما وحديثا أنّ المسلمين من دأبهم محاربة عدو دينهم قياما بما أوجبته الشريعة الإسلامية عليهم من الجهاد إما لإعلاء كلمة الله أو للدفاع والدبّ عن الدين والبلاد،فإذا عارضتهم أمور سياسية أو ضرورات شرعية فلهم أن يجنحوا إلى السلم ووضع أوزار الحرب".[2]

من خلال هذه الرسائل نستنتج أنّ الأمير جعل من الجهاد وسيلته في تغيير الواقع الذي آل إليه المجتمع بعد سقوط الأيالة،ويتضح ذلك منخلال ردّ الأمير على والده محيي الدين عندما سأله: كيف تحكم؟فقال: أحمل عصا من حديد في يد،وكتاب الله في اليد الأخرى.

ب - المدرسة:

أدرك الأميرأنّه لا سبيل في تغيير المفاهيم والأفكار المتوارثة وتجاوزالتقليد و الجمود إلا بالعلم،حيث يقول في هذا الإطار:"واجبي كحاكم مسلم أن أؤيد وأبعث العلوم والدين ولذلك فتحت المدارس في المدن وبين القبائل وفيها ليتعلم الأطفال الصلوات ويحفظون تعاليم القرآن وفروضه،ويعرفون جيدا القراءة والكتابة والحساب[3]"ويقول دينيزن:"إنّ الأميرقام بإرسل ثلاثين شابا عربيا إلى مارسيليا ليتعلموا الفنون والمهن على حسابهالخاص".[4]

ج- المسجد:

(1): ابن عبد القادر،محمد،التحفة الزائر،ج1،المصدرالسابق، ص.103.

(2): المصدر نفسه،ص.230.

(3): تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.152.

(4):دينيزن،أ.ف،الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية والعربية فيالجزائر،دار هومة، 1999،ص.59.

التغييرعند الأميرعبد القادر ينطلق من إصلاح الفرد وتهذيب سلوكه،لذا حرص الأميرعلى أن يؤدي المسجد رسالته في إصلاح النفوس،وكان يتعهد معاقبة كل من يتخلف عنالصلاة[1]،فتغيير النفوس هو أولى مراحل التغيير،وفي هذا الصدد يقول الأمير"إنّ كلّ من لم يسلك طريق القوم ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصلح له الإخلاص حتى ولو كان أعبد الناس وأورعهم وأزهدهم،فإن منّ الله عز وجل عليه بمعرفته نفسه صحّ له الإخلاص".[2]

2-2-2- مظاهر التغيير:

أ- تحرير الأرض:

إنّ من أهم الأهداف التي قامت عليها الحركة التغييرية للأمير تحرير الأرض تطهيرها من المستعمر،فلم يألُ جهدا ولم يتوان عن محاربة المستعمر ،حيث تمكن من حصر وجوده في المناطق الساحلية وفي شريط حدودي ضيق وكبّده خسائر فاذحة،فسياسته التحريرية أعلن عنها منذ مراسيم تنصيبه،حيث دعا مختلف القبائل إلى الإلتفاف حوله ومجابهة العدو،إذ يقول:"حيث أنكم تريدون الحرب ولا محيص عنها فاعلموا أنّني لا أتأخر عن إعلانه وماعاذ الله أن أتخلف عن الجهاد،بل سأكون فيه بحوله تعالى وقوته أمام صفوفكم"[3]ويظهر حرص الأمير على الأرض من خلال سعيه لضم المناطق الشرقية التي كانت بحوزة أحمد باي إذ يقول:"ومدّ اليد إلى ماليس لهم فيه وجه،فالبلاد التي ذكرها الحاكم في تدليله سبقنا نحن إليها ووضعنا أيدينا عليها وهي في حكم الموات لا حاكم لها بمقتضى الشرع وذلك منذ أن انقرضت الحكومة من الجزائر وأعمالها ولم تخل قط في حوزة أحمد

باي مالك قسنطينة،ولا كانت بينه وبين أهلها مواصلة سياسية، فبأي وجه ينازعوننا فيها ونحن أحق بها وأهلها من وجوه،لا تخف على المنصف بالقلب السليم،وهي كانت من أعمال قسنطينة التي استوليتم عليها وأخذتموها من أحمد باي كان عاملا من قبيل حكومة الجزائر ...فلا سلطة شرعية لأحمد

---

(1): ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدر سابق،ص.ص.211-212.

(2): الجزائري الأمير،عبد القادر،المواقف،ج1،ص.35.

(3): ابن عبد القادر،تحفة الزائر،ج1، مصدرسابق،ص237.

شرعية لأحمد باي[1]"، تأسيسا على ما سبق يتضح من هذا النص تصور الأميرلحدود إمارته السياسيةوأبعادها الجغرافية التي يتوجب عليه تحريرها ومن المستعمر.

ب - الوحدة:

يقول الأميرعبد القادر:"وهذا الهدف هو جمع العرب جميعا على كلمة واحدة وتعليم الجاهل شريعة سيدنا محمد ومنع انتشار الشرور وحفظهم من انتشار الفساد"،[2]كما جسّد خطابه الوحدوي هذا الهدف في بداية تنصيبه:"فاعلموا معاشر العرب والبربر أنّ الإمارة الاسلامية والقيام بشعائر الملة المحمدية قد آل أمرها الآن إلى ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين وصار أميرا لنا ومتكفلا بإقامة الحدود الشرعية،ولا يكلّف شيئا لم تأمر به الشريعة المطهرة... نشر راية الجهاد وشمّر على ساعد الجد...فمن سمع النداء فعليه بالسعي لتقديمالطاعة".[3]

ج - البناء:

لقد شيد الأمير العديد من المصانع بالمدن والحصون الداخلية، فأنشأ في تلمسان وملیانة مصهرة لصبّ المدافع،ورحى لتحضيرالبارود في كل من تلمسان وقلعة بني راشد كما أقامبتاقدامت دار للسكة،وجلب إليها الألات من الجزائر،واستقدم مستشارين وفنيين أوربيين الذين تمكنوا من صنع بنادق عالية الجودة على النموذج الفرنسي بمعمل سلاح

بمعسكر[4]إضافة إلى استحداثه مؤسسات سياسية وهياكل إدارية،وأسس جيشا نظاميا بمعاييرعصرية.

2-2-3- فقه التغييرعند الأمير عبد القادر:

وظف الأمير العديد من القواعد الفقهية في استنباط الأحكام من أهمها:

أ- سدّ الذرائع:

---

(1): تشرشل،هنري، مصدر سابق،ص.231.

(2): نفسه،ص132.

(3): ابن عبد القادر،محمد ،تحفة الزئر،ج1،المصدر السابق، ص.161.

(4): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،المرجع السابق،ص.218.

رمى الأمير من خلال التزام هذا المبدأ إلى منع وقوع الفساد أو انتشاره وهذا الأمر يتطلب فراسة وبعد نظر وتمكن من فقه المآلات،ومن الأمثلة على ذلك قوله في معرض منعه التزين بالذهب والفضة:"لقد منعت منعا باثا استعمال الذهب والفضة في ثياب الرجال لأنني كنت أكره التبذير والتحلل الذي يؤدي إليه،ولن أسمح إلاّ بتزيين الأسلحة والسروج"،[1]كما منع الأمير التدخين رغم عدم تأكد ضرره ووجود نص صريح بالمنع في ذلك الوقت،وقد فسر ذلك باربريغر:"إنّ الأمير باعتباره من المرابطين إعتقد أنّ عليه أن ينضمّ إلى الرأي الأكثر تشددا[2]،لكن الواضح أنّ الأمير منع التدخين لما عاينه ولاحظه من الآثار التي تترتب عن تناوله،وفي هذا دليل على صواب إجتهاد الأمير و فراسة الأميروبعد نظره.

ب - مراعاة العرف:

تجلى ذلك من الصلاحيات التي تمتع بها شيوخ الدوائر في الفصل في المسائل المحلية فقد عمل الأمير على ابقاء هذا العرف الذي توارثته القبائل لعدة قرون،كما عفى عن رؤساء القبائل المنشقة[3]وردهم إلى مناصبهم إحتراما للمكانة التي يتمتع بها شيخ القبيلة في المجتمع.

ج- التدرج في التغيير:

جاء في الكتاب الذي وجهه أصحاب الرأي إلى القبائل:"وصار أميرا لنا متكلفا بإقامة الحدود الشرعية وهو لايقتفي أثر غيره ولا يحذ حذوهم...ولا يكلف الرعية شيئا لم تأمر به الشريعة"[4]رغم أن النص يشير إلى قطيعة مع أساليب وأنماط التسييرالماضية إلاّ أنّ الأمير لم يحدث تغييرا فجائيا،بل نهج سبيل التدرج،يتضح ذلك من خلال التطورالذي عرفته إدارته[5]،حيث أبقى على التخطيط والهياكل والسلم الإداري القديم،ووظف مصطلحات من المعجم الوظيفي

---

(1): تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.ص.153- 154.

(2): باربريغر،أدريان،رحلة إلى معسكر الأمير،مرجع سابق،ص.192.

(3):بن عبد القادر،تحفة الزائر،ج1،المصدرالسابق،ص.ص.104- 108.

(4):المصدر نفسه،ص.61.

(5):العشراتي،سليمان،الأميرعبد القادر السياسي،المرجع السابق،ص.128.

التركي[1]،ورغم أن خيار الأمير كان الاستعانة بالعلماء والمرابطين إلاّ أنه أسند في البداية مناصب قيادية لبعض شيوخ المخزن، كما سعى من جهة أخرى إلى إدماج طائفة الكراغلة.

2 -3- المرونة:

تتمثل مرونة فقه الأميرالتحرري في تكيفه مع معطيات الظرف وفاعليته في احتواء الأزمات ومجابهة النوازل،وتجاوز العقبات ويعود ذلك إلى الآليات التي قام عليها هذا الفقه.

2-3-1- فقه الأولويات:

بنى الأمير فقه التحرري على مبدأ الأولويات لتجاوزالتحديات التي يفرضها الواقع، الجزائري في تحولاته الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والظروف التي أفرزها الإحتلال.

أ- أولوية حكم العنصر المحلي: التأسيس للوطنية

لقد تجلى البعد الوطني في فكر الأمير من خلال سعيه لاعطاء هوية وخصوصية للدولة فقط خاطب المجتمعون في يوم البيعة " يا أيها العرب والبربر..."[2]وفي هذا دلالة على أن الهوية الوطنية الجزائرية ترتكز على الإنتماء العربي والبربري بكافة مكوناته ومركباته و عليه

الوطنية كأولوية ارتبطت بإجتهادات الأمير حيث جاء في رسالته إلى لويس فليب " فالبلاد التي ذكرها الحاكم في تدليله هي بلاد سبقنا نحن اليها ووضعنا أيدينا عليها وهي في حكم الموات لا حاكم لها في مقتضى الشرع وذلك منذ أن انقرضت الحكومة من الجزائر وأعمالها ولم تدخل قط في حوزة أحمد باي حاكم قسنطينة ولا كانت بينه وبين أهلها مواصلة سياسية ..فلا سلطة شرعية لأحمد باي عليها وبقاؤه فيها إنما كان على سبيل الدعوة لنفسه والناس لم يقبلوه أن يكون ولي أمرهم ولا اعتبروه رئيسا عليهم[3]".

يتضح من خلال هذه الرسالة تصور الامير لمسألة الشرعية معتبرا أن أحمد باي لا يتمتع

---

(1): العشراتي، سليمان،مرجع سابق،ص.128.

(2):ابن عبد القادر، محمد، تحفة الزائر،ج1،المصدرالسابق ،ص.ص. 230-231.

(3):تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.231.

بها من منطلق أنه لم يحظى بتأييد الرعية وأن الحكم العثماني قد انتهى ولا حكم إلا لمن رضيبه الجزائريون ويواصل الامير قائلا " انكم تدعونني الى ان اتخلى عن قبائل أعلنت خضوعها وجائت بنفسها لتدفع التزاماتها التي فرضها القرآن وتوسلت إليً ... أن اكون حاكما عليه[1]".

إن طبيعة الخلاف بين الأمير وأحمد باي مرده إلي الإختلاف في التصور والرؤى فبينما يرى احمد باي انه الوريث الشرعي لنظام الايالة وممثلا لتيار الخلافة العثمانيةحيث يقول في إحدى مراسلاته للباب العالي " أن هناك منافقا يعرف بعبد القادر بن محي الدين ويدعي الشرف ظهر في المغرب"[2] ونفس التوجه ظهر عند حمدان خوجة "ومن جملة ما فعله هذا المرتد أنه تحايل على أن يظهر واحدا من العرب..لعل أن تسلم له البلد"[3] وبالمقابل يرى الأمير انه الأحق بالحكم من منطلق أنه يمثل الإرادة الجماعية وأن الشرعية السياسية تستمد من الإختيار الحر.

1- الشرعية السياسية المحلية .

2- الحدود الوطنية.

3- الهوية العربية والبربرية.

ب - أولوية العلماء و المرابطين

تحدد هذا الخيارلدى الأميرمنذ البداية،حيث أسند المناصب السامية للعلماءوالمرابطين[4]هادفا إلى احداث قطيعة مع أساليب وأنماط نظام حكم الأيالة،وفي هذا عدة دلالات أهمها أنّ الأميرسعى لأستقطاب هذه الفئة لموقعها ومكانتها في المجتمع الجزائر بحكم إلتفاف الجزائريين وانقيادهم لها،من جانب آخر فقد تمتعت هذه الفئة بعدة مؤهلات علمية وأخلاقية تتناسب وطبيعة المهام المسندة إليهم،لذا لفإن إختيار الأمير له ما يبرره شرعا وواقعا وعليه

---

(1): ابن عبد القادر، محمد المصدر نفسه،ج1،ص.ص. 230-231.

(2):سعيدوني، ناصر الدين،عصر الأمير،المرجع السابق ،ص.234.

(3): نفسه ،ص.234.

(4):ايتين، برونو،عبد القادرالجزائري،المرجع السابق،ص.163.

فلأمير حدّد معايير تبني المسؤوليات معتمدا على الجانب العلمي والجانب الخلقي والكفائة في التسيير الإداري.

لقد ترتب عن تولي العلماء والمرابطين تسيير شؤوون الدولة الكثير من المزايا تمثلت:

1- مساهمتهم في توحيد المجتمع.

2- بعث روح الجهاد.

3- تجنيب المجتمع القهر والخضوع الذي دأب عليه أيام تسلّط المخزن والأجواد وبالتالي يكون الأمير قد وضع اللبنات الأولى لدولة القانون يتساوى فيها الرعية في الحقوق والوجبات يكون فيها العلم والثقافة أداة النهضة والتطورالإجتماعي.

ج - أولوية السلم:

وفي هذا الإطاريقول الأميرعبد القادر:"فأجبناه رجاء أن نستريح لمثلها ونستعد بالسلاح والكراع لنيلها،وقد جعل الله في ذلك للمسلمين صلاحا، ولأمور الدين نجاحا واجتمعت كلمة المسلمين ...تسير المرأة وحدها مسيرة شهر لاتخاف إلا الله ولا تخشى من أحد

نكرا"[1]ويقول كذلك:"لمّا رأى الكافر، منّا تلك القوة والجدة واحتال في حلّ عزائمنا،طلب الصلح مدة فأجبنا لذلك على شروط،علوّ الإسلام فيها ظاهر مضبوط،فتحملها لضمنه أنّ الصلح يحلّ من المسلمين العزائم...فبقى في الصلح نحو سنة،ثم غادر وخرج للحرب...ولمّا رأى عدو الله مابلغه من المشقة،وما لحقه من الحصار مع بعد الشّقة،طلب الصلح من المسلمين على مال يدفعه للمجاهدين"،[2]من خلال نظرة الأمير و تحليله لمسألة مهادنة المحتل يتضح أنّ السلم شكّل مظهرا من مظاهر المقاومة،لأنّ الأمير بعد ذلك التفت إلى ضبط الجبهة الداخلية،كما أنّ مسالمة المستعمركانت ثمرة مشاورة موسعة قام بها الأمير مع رجال دولته وبعد استشارة العلماءحيث كان ردّ التاسولي[3] في هذا المجال واضحا،وهو جواز صلح العدو إن كان مطلوبا

---

(1): المدني،أحمد توفيق،حرب الثلامائة سنة بينالجزائر واسبانيا،ط3،المؤسسة الوطنية للطباعة،ص.102.

الجزائر،1984م،ص.102.

(2): نفسه،ص.102.

(3):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدرالسابق،ص.252.

وعدم جوازه إن كان طالبا،وإذا مارجعنا إلى الفقه المالكي لوجدنا أنّ حكم المهادنة يتراوح بين الندب والإباحة والحضر والكراهة[1].

لقد تحقق للأمير عدّة مكاسب من وراء العملية السلمية،حيث تمكن من توطيد أركان الدولة وتوسيع حدودها،وفي المقابل استفاد المستعمر من وقف الحرب إذ تمكن من القضاء على مقاومة أحمد بايوالتفرغ بعد ذلك للأمير.

د - أولوية الجبهة الداخلية:الأمن وسلامة الأحوال والأملاك:

في هذا الشأن ورد في صك علي بن أبي طالب بن مصطفى:"وبتشميره عن ساعد الجدّ في قطع شأفة شياطين الإنس أهل الإذاية كالمحاربين وقطاع السبيل وأهل الغيلةوالسرقة"[2] و جاء في تحفة الزائر:"وطفق يرد على الناس ما اختلسه بعضهم من بعض،وينصفهم ممّا وقع عليهم من أنواع المظالم والتعديات،وتهديم ما كانت حكومة الجزائر أسسته من الغنائم

والضرائب والعوائد"[3]كما جعل الأمير معالجة الأوضاع الإجتماعية من أولويات الدولة، الأمر الذي أضفى المصداقية على نظام حكمه،حيث سعى إلى ضبط الأمنوإحقاق الحقوق وفض النزاعات والخصومات بين القبائل،حيث عرفت البلاد خلال فترة الهدنة الأمن والاستقرار ممّا هيّأ مناخ البناء وتطوير الهياكل والمؤسسات،إلاّ أنّه ترتب عن السلام مع المستعمر عدّة انعكاسات تمثلت في رفض بعض القبائل دفع المؤونة الحربية والدخول في عصيان الدولة،الأمر الذي دفع بالأمير إلى قتالهمبعد استشارة العلماء.[4]

2-3-2- فقه الضرورات:

---

(1): حساني،مختار،ثورة الأمير عبد القادر من خلال ثلاث مخطوطات،دار الحكمة،الجزائر،2007م ص.ص.137-146.

(2): ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2،مصدر سابق، ص.99.

(3): نفسه،ص.104.

(4): نفسه،ص.237.

إنّ حالة الحرب هي حالة استثنائية دفعت بالأميرعبد القادر إلى اتخاد العديد من المواقف والقرارات بغية احتواء الأزمات و مجابهة النوازل ومن أمثلة فقه الضرورة عند الأمير:

أ- المعونة الحربية:

لقدأحدث الأميرهذه المعونة بعد أن استشار الفقهاء الذين افتو بوجوبها وعلى رأسهم التاسولي [1]وقدأصدر الأمير إعلانا عموميا ذكر فيه دواعي فرض هذه الضريبة " ليكن في علم سائر الخلفاء والأغوات والقواد وكافة المسلمين أهل بلادنا الذائنين بطاعة الله و رسوله ثم طاعتنا وفقهم الله لقيام بفريضة الجهاد وأعانهم بالقوة والإمداد ... وحيث أن ما بقي من بيت المال من نقود لا يفي بنفقات الحرب ولوازمها فقد تعين عليكم أن تفرضو على أنفسكم ومن يليكم اعانة جهادية"[2] وبالتالي فإن المعونة ماهي إلا شكل من أشكال التكيف مع واقع الحرب والإستعداد لها وبعث روح التضامن والتآزر بين الجزئرين وإستمرارية الدولة والمقاومة من خلال الإنفاق على الجيش ودعمه بالعتاد الحربى وتكفل بأسر شهداء الحرب.

ب - قتال المنشقين:

خاض الامير عدة معارك ضد الخارجين عن سلطانه بدافع الحرص على وحدة الأمة وحفظ الحقوق ورعاية المصالح،فلم يبادر بمقاتلتهم الا بعدما أرسل اليهم العلماء لوعظهم وأمرهم بالهجرة والالتحاق بصفوف إخوانهم المسلمين وذلك بعد أن قام بإستشار العلماء[3].

ج -مسألة الإستئمان:

لقد أثارت هذه المسألة جدلا كبيرا إلي حد وصف يحي بوعزيز ما أقدم عليه الأمير بحيرة التاريخ إلا أن موقف الأمير تحكمت فيه عدة عوام ساهمت في وضع حد المقاومة وأن الأمير لم يكن ليتخذ قرارا مصيريا بهذا الحجم بمفرده، فقد ورد في تحفة الزائر "... إلى أن فقدنا المعاضد والمساعد وفني الطارف من أموالي والتالد ودبت من بني دين الأفاعي واشتملت

(1):سعيدوني، ناصر الدين،عصرالأمير،المرجع السابق،ص.104.

(2):بن عبد القادر،محمد، تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق،ص.237.

(3):نفسه، ص.310.

عليا المساعي"[1] فمن وجهة نظر الأمير ان الجهاد وان توفرت موجباته فقد فقد ادواته التي اختصرها الامير في غياب الدعم و انعدام المال وتآمر القوى الخارجية[2]،و محاربة المغرب على الجزائريين[3] خير دليل ،إن هذه العوامل صنعت الضرورة التي دفعت بالأمير إلى القول[4] " لا أرى إلا التسليم لقضاء الله والرضى به ولقد اجهدت نفسي في الدب عن الدين والبلاد"فالأمير سلم نفسه لقضاء الله لا للفرنسيين اللذين قرر رجا الامير واهل شورته التسليم له فوضع الامير لهذهالارادة جملة من الشروط "أن يحمل وجميع عائلته الى عكا أو الاسكندرية وأن لا يتعرضوا لمن يريد السفر معه من الضباط أوالعساكر وأن اللذي يفضل البقاء في الوطن يكون آمنعلى نفسه وماله"[5]،على هذا الأساس يمكن القول أن الأميرنفد إرادة أهل دائرته في وقف القتال وفق هذا المنظور يتضح أن الفقه التحرري عكس إجتهاد

الأميرالمبني على أحكام الشريعة الإسلامية وتوجبه مبادئ الشورى إضافة إلى خصوصية الظرف الذي كانت تعيشه المقاومة تحت لواء الأميرعبد القادر.

3.- توظيفات الفقه التحرري عند الأمير عبد القادر

شكل البعد التحرري محور فقه المقاومة الذي استمد منه الأمير عبد القادرتصوره لطبيعة المعركة مع المستعمر والأساس الذي بنى عليه تعاملاته معه في السلم و الحرب والإطار الذي ضبط من خلاله علاقته مع رعيته والمعيار الذي أخضع له مواقف الجزائريين وسلوكهم إتجاه المحتل،وفق هذا المنحى فإن تجليات الفقه التحرري تجسدت في إجتهادات الأمير وتعامله مع الأحكام الشرعية من خلال إسقاطها على الواقع وتكييفها مع خصوصية الظرف وتجاوزها لمختلف التحديات.

---

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2،مصدر سابق، ص.310.

(2):المصدرنفسه، ص.32.

(3): Emirit,M;le conflit franco marocain de 1844 d'apres les notes de Warnier,R.A,1950,p.213. Yver,G,Abdelkader et le maroc en1838,R.A,N°60,1919.

(4):ابن عبد القادر،محمد،الصدرالسابق،ج1،مصدر سابق، ص.324.

(5):نفسه،ص.325.

3-1- الهجرة

تعني الهجرة إصطلاحا الإنتقال من دار الكفرإلى دارالإسلام،وفق هذه الرؤية فقد اعتبر الأميرالمناطق التي احتلها الفرنسيون داركفريجب على المسلمين مغادرتها ويستدل الأمير في هذاالشأن بقول الرسول(ص):"لاتنقطع الهجرة حتى يغلق باب التوبة"وقوله كذلك:"أنا بريئ من كل مسلم يقيم بين أظهر الكفار[1]".

ويفصّل الأمير في أحكام الهجرة معتمدا على قول الإمام مالك"تجب الهجرة من أرض الظلم والعدوان،فكيف ببلد يكفرفيه بالرحمان وتعبد فيه من دونه الأوثان،وعجز المسلم عن حمل أهله وولده لا يباح له التخلف عن الهجرة"[2] ويتفق الأميرمع صاحب المعيارفى وجوب الهجرة على من خاف أن يسلب منه ماله[3]،فالهجرة في نظر الأمير أوجبتها مقاصد الشريعة

وفي هذا الإطار يستدل بابن مرزوق[4]"الضرورات التي يجب حفظها خمس وهي على الترتيب الدين،النفس،العقل،النسل،المال،فكل واحد من هذه الضرورات يجب حفظها مالم يعارضه حفظ ماقبلها في المرتبة"،بل حتى المراة من وجهة نظر الأمير تجب عليها الهجرة وعن مولاة الكفار يقول:"فاحذر من مغالطة الكفار و موالاتهم قال تعالى"يأيها الذين آمنوا لا

---

(1):رواه أصحاب الكتب الستة ماعدا البخاري وهم:
الموطأ:الإمام مالك المتوفى سنة179ه،صحيح البخاري: لأبي عبد الله بن أبي الحسن إسماعيل البخاري المتوفي سنة 256ه،صحيح مسلم: لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسبورى المتوفي سنة 261ه،سنن أبي داود:لأبي سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفي سنة 275ه.
الجامع:لأبي عيسى محمد بن عيسى الترميذي المتوفي سنة 279ه.وأخيراسنن النسائي:لشعيب النسائي المتوفي 303ه.

(2): الجزائري،الأمير عبد القادر،حسام الدين في قطع شبه المرتدين،تحقيق،محمد بن عبد الكريم،ص.54.

(3): هوكتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب لصاحبه أبوالعباس أحمد بن يحي بن علي الونشريسي المتوفي سنة 914ه.

(4):هوأبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد المتوفي سنة 842ه.

(5): الجزائري،الأمير عبد القادر،حسام الدين ،مصدر سابق،ص.54.

تتخدوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جائكم من الحق...إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فألائك هم الظالمين[1]" ويستطرد الأمير قائلا:"ومن خالف ذلك من المقيمين والراكنين إليهم بجواز الإقامة واستخف أمرها واستسهل حكمها فهو مارق من الدين ومفارق لجماعة المسلمين و محجوج بما لا يدفع فيه المسلم ومسبوق بالإجماع الذي لا سبيل بمخالفته"كما يرد الأمير على أدلة المعارضين لفتوى الهجرة المحتجين بقول الرسول عليه الصلاة السلام:"لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم

فانفروا[2]"وبقول الله تعالى[3]" إلا من أكره وقلبه مطمئنبالإيمان"وقوله تعالى"إلا أن تتقوا منهم تقاة"[4]،فمن وجهة نظرالأميرالهجرة واجبة نظرا للإعتبارات التالية:

أ - قيام الإمارة الإسلامية التي تذوذ عن المسلمين وبالتالي فهي تمثل دار الإسلام.

ب - جرائم المستعمر فى حق الجزائريين من إبادة[5]وحرق وإنتهاك للأعراض.

ج - تضييق الخناق على المستعمرودعم جبهة المقاومة.

وفق هذا المنحى فإن الهجرة قد استكملت مبررات وأسباب وجوبها وبالتالي فهي تحقق مقاصد الشرع في حفظ الكليات الخمسة،تأسيسا على ما سبق فإن تصور الأمير للهجرة نابع من إدراكه لطبيعة المعركة بأبعادها المختلفة فهي أسلوب من أساليب المقاومة وإستراتجية إنتهجها لتطويق المستعمر،لقدعكس هذا التصور بعد نظر الأمير من منطلق أن أهمية الهجرة تكمنفي:

أ - قيام الإمارة الإسلامية التي تذوذ عن المسلمين وبالتالي فهي تمثل دار الإسلام.

---

(1): الجزائري ،الأميرعبد القادر،حسام الدين في قطع شبه المرتدين، مصدرسابق،ص.55.

(2):انفسه،ص.56.

(3): سورة النحل،الآية رقم،106.

(4): سورة آل عمران ،الآية رقم،28.

(5): Djamel,kharchi,colonisation et politique,d'assimilation en Algerie(1830-1962),casbah ed,Alger,2004,p80.

ب - حماية المجتمع الجزائري من الذوبان في الكيان الإستعماري.

ج - تقوية جيش الإمارة.

د- إعلان الأميرالمناطق التي احتلها المستعمر دار حرب يعني إستمرارية الجهاد وديمومته.
من خلال ما سبق يتضح البعد الإنساني في تعامل الأمير مع مفهوم الهجرة، ففي نظرالأمير الإنسان محور المقاومة وبالتالي في الهجرة حفظ لدينه و ماله ونسله كما سعي الأمير من خلال دعوة السكان فى المناطق المحتلة إلى الهجرة إلى محاصرة المستعمر وقطع الإمداد.

2-3- الردَّة

يرى الأمير أن التعامل مع المستعمرردَّة تستوجب القتال حيث يقول:"أما الذين يتعضدون بالكفارويستجثون بهم فهم مرتدون[1]" ويؤيد ما ذهب إليه البرزلي[2]في موازنه من أن يوسف بن تاشفين[3] استفتى علماء العدوة[4] فى المعتمد بن عباد فاتفقت فتواهم على أن مجرد الإستجاثة بالكفار على المسلمين ردة وما ورد في الرسالة[5] من أن الفرار من دار الإسلام إلى دار الحرب ردَّة لقوله تعالى :"ومن يتولهم منكم فإنه منهم"[6] ويؤيد الأمير ما ذهب إليه المفسرون فى تفسير هذه الآية من أن التولية تكون بالممازحة والمعاضدة حيث يقول الله عز وجل:"ترى كثيرمنهم يتولون الذين كفروا،لبئس ما قدَّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون"ويقول عز وجل":ولو كانوا يؤمنون بالله والنبئ ما اتخذوهم أولياء ولكن كثير منهم فاسقون[7]"وفي رسالته إلى الإمام التاسولي يستفسر الأمير عن حكم من أعان الكافر حيث يقول:"...جوابكم رحمكم الله فيما عظم به الخطب واشتد به الكرب فى وطن الجزائرالذى

---

(1): الجزائري،الأمير عبد القادر،حسام الدين فى قطع شبه المرتدين،مصدر سابق،ص.63.

(2): أبوالعباس أحمد بن محمد البرزلي القيرواني المالكي المتوفي سنة 844ه.

(3): أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن ابراهيم الصنهاجي أمير المسلمين المتوفي سنة 500ه.

(4): العدوة: المغرب الأقصى

(5): الرسالة:رسالة في الفقه المالكي لمؤلفها أبي زيد القيرواني المتوفي سنة 386ه.

(6): سورة المائدة،الآية رقم.51.

(7): سورة المائدة،الآية رقم. 81.

صارلغربان الكفر وذلك أن عدو الله يحاول ملك المسلمين واسترقاقهم آونة بالسيف وتارة بشيكات السياسة ومن المسلمين من يداخلهم ..ويجلب إليهم المواشي وجياد الخيل وغيرهم من أنواع الكراع ولا يخلوا أمرهم من دلالاتهم على عورات المسلمين ومن القبائل من يفعل ذلك فما حكم الفريقين في انفسهم وأموالهم...[1]" من خلال الرسالة يتضح أن الأمير توقف في شأن هؤلاء حرصا منه على عدم إراقة دماء المسلميين ومرعاة لحدود الشريعة كما استفتى الأميرقاض فاس في حكم من يتخلف عن الجهاد حيث يقول:"والحكم فيمن يتخلف

عن إذا استنفر الإمام أو نائبه النَّاس للدفاع عن الدين والوطن فهل يعاقبون على ذلك وبإي شيئ يكون عقابهم ولا يتأتى بغير قتالهم و هل تؤخد أموالاهم و أملاكهم..."[2] يصورالأميرفى رسالته إلي التسولي الوضع الذي آلت إليه الجزائرفقد إستطاع المستعمر تفكيك الجبهة الداخلية كما تمكن من تجنيد الجزائريين في صفوفه واستغلال القبائل لذا فغاية الأميرمن الإستفتاء معرفة حكم الشرع في هذه الفئة وفى هذا دلالة على إجتناب الأمير المواجهة مع بني وطنهم وحرصه على عدم إراقة دمائهم ومن السلوكات التي رأى الأمير أن فاعلها ينطبق عليه حكم الردة:

أ - تجند الجزائريين في صفوف المستعمر

لقد شكل الجزائريون النواة الأولى للمكاتب العربية[3] والتي بفضلها إستطاع المستعمر بسط هيمنته والقضاء[4] على الإنتفضات الشعبية والتوسع في الإحتلال وبالتالي استحقت هاته الفئة أن تصنف في خانة أعداء الأمة والوطن،لذا تعامل معهم الأميروفق أحكام الشريعة الإسلامية.

ب - تحالف شيوخ الطرق ورؤساء القبائل مع المستعمر.

---

(1):الجزائري،الأميرعبد القادر،تحفة الزائر،ج1،المصدرالسابق،ص.250.

(2): نفسه ،ص207..

(3): تشكيلة هذه المكاتب حددها القرار الوزاري المؤرخ في 01 فبراير 1844م الذي حدد أعضائها بعشرة على الأكثريسيرون فرقة من فرسان الصبايحية تتكون من خمس وعشرون فارس وفرقة من المخزن تتكون من ثمانية فرسان.أنظر: Yacono,X,les bureaux et l'évolution des genres de vie indigenes dans l'ouest du tel Algérois,la rose,Paris,1953,p.14.

(4): Bidault,F,la vérité sur lAgérie,Bizon,Bougie,1871,p.59.

تمكنت الإدارة الإستعمارية من إمالة أصحاب الجاه والنفود وبالتالي تفكيك الجبهة الداخلية وتغدية الصراعات،كما إستغلت شيوخ الطرقية لإخماد روح المقاومة وتعطيل فريضة الجهاد مقابل إمتيازات مادية،بل وصل الحد ببعض الزعمات إلى عقد معهادات مع المستعمر كمعاهدة فاليمع التجانية.

ج - الإمتناع عن دفع الزكاة

الزكاة مورد مالي هام إستغله الأميرفي دعم المقاومة وبعث المشاريع الإقتصادية والتعليمية ومن منطلق كونها فريضة دينية فإنالإمتناع عن أدائها ردَّة تستوجب القتال وهذاما قام به خليفة رسول الله(ص) أبو بكرالصديق(ض) ،لقد استفتى الأمير العلماء في شأن هذه الفئة واستقررأيهم على وجوب دفع الزكاة وقتل مانعيها وهذا ما جسده الأميرعلى أرض الواقع،ففي فترة حصاره لعين ماضي طلب من خليفته محمد بن علال جمع الزكاة من الأعراش حيث ورد في في تحفة الزائر:"...خرج الخليفة في فرقة من عسكره ومازال يصبح عند قوم ويمسي عند آخريين ويحصل الإعانة منهم والزكاة وكل من تأخرعن أداء ما عليه منهما يناجزه القتال حتى إنتهى إلى جبل تاشته كان سكان هذا الجبل لصوصا...ولما طالبهم بالزكاة والإعانة لم يعتبروا أمره...وطيروا الخبر للأعراش يستنفرونهم للقتال..ركب في خمسين فارسا وأربعمائمة من المشاة ..وابتدأوهم بالقتال...[1]"،كما قاد الأمير حملة عسكرية لإخضاع التيجاني[2] وضرب حصارا على المنطقة فوروصوله سنة 1838م دام ستة أشهر[3] إنتهى

---

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدرالسابق،ص.221.

(2): للإطلاع أكثرعلى الطريقة التجانية ،ينظر:الخطيب،محب الدين،الطريقة التجانية على المشرحة، مجلة الفتح،عدد 481،سنة، 1335ه،وأيضا الخطيب،محمد هاشم،النصيحة الإسلامية إلى المخدوعيينبالتجانية،مجلة الفتح،عدد 480، 1353ه،

وأيضا:Filali,kamal,le different quadiriyya-tidganiyya,en Algerie,avec une lettre d'Abdelkader a Altidjani,in revued'histoire Maghrebine,Tunisie,N^0 78/88,1997,p."307.

(3): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدرسابق،ص.196.

الحصار بطلب الصلح من طرف زعيم الطربقة التجانية الذي قبله الأمير وفق شروط أهمها أن يدفع مصاريف الحصار،أخذ أمواله ومغادرة البلاد ،لقد كان لإستسلام التيجاني بالغ الأثر على القبائل الذين سارعوا إلى دفع الزكاة والإنضمام إلى الأمير الذي عفا عنه بعد طلبهم ذالك وفي هذا الشأن يقول الأمير[1]"وطلب السكان العفو والإخلاص ورغم أنهم خدعونأكثرمن مرة فقد أجبنا طلبهم"كما حرص الأميربنفسه على جباية اموال الزكاة حيث

يذكر صاحب التحفة" بعد أن فرغ الأميرمن شؤونه ورسوم ملكه نهض من حضرته معسكرفي شوال سنة مائتين وثمانية وأربعين ...فشمر الأميرعن ساعد جده ...ودوخ بلاد البربر وزناتة وجال في مواطنهم وضبط الأمور وجبى الأموال وعفا وعاقبا"[2] كما استشار الأميرالإمام التاسولي[3] قاض فاس في حكم مانعي الزكاة،ففي رسالته التي حملها ابن عبد الله السقاط يثيرالأميرهذه المسألة قائلا[4]"وما حكم الله فيمن يمتنع عن أداء الزكاة كلا أوبعضا لدعوى عدم وجود نصابها عنده مع تحقق وجوده في الحال فهل يصدق في دعواه مع ضعف الدين في هذا الزمن أم يكون الإجتهاد فيه بحال ومن أين يرتزق الجيش المدافع عن المسلمين الساد لثغورهم عن إغارة العدو ولا بيت مال موجود منظم الآن والذي يجمع من الزكاة لا يفي بقوتهم فضلا عن كسوتهم وسلاحهم وخيلهم ولوازم مؤنتهم فهل يترك الأمر فيستبيح العدو الوطن أم يكون ما يلزهم على جماعة المسلمين وإذا كان فهل على العموم أم على الأغنياء فقط"[5]،فأجابه الشيخ أبوالحسن التسولي قائلا"..إعلم أن مانع الزكاة يقاتل عليها إجماعا والمتهم بتغييب المزكي يحلف في العين مطلقا وفي غيرها غن سبق له الإمتناع من أدائها ويخرص على غيرالأمين وقيل مطلقا لفساد الناس في هذا الزمان وعدم الأمانة ومحل ذالك فيما إذا ثبت له مال إما ببينة أو إقراروإلا فلا يكفي مجرد التهمة[4]،على ضوء ما سبق يتبين حرص

---

(1): تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.132.

(2):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدرسابق،ص.104.

(3): لمزيد من الإطلاع على أجوبة التاسولي،أنظر:عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح،أجوبة التاسولي عن مسائل الأميرعبد القادرفي الجهاد،ط1،دارالغرب الإسلامي،بيروت،1996م.

(4): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق،ص.207.

(5): نفسه،ص.213.

الأميرعلى عدم سفك الدماء دون موجب شرعي، لقد أدرك الأميرأهمية الزكاة كمورد مالي هام لإستمرارية الدولة المقاومة خصوصا بعد إتساع الإمارة وإزياد نفقات الجند وشراء مايحتاجه من العتاد والدخيرة ضف إلى ذالك ما يتقاضاه عمال الإمارة وبالتالي فإن قتال الأميرعبدالقادر لمانعي الزكاة يستند إلى أسس شرعية ودوافع إستراتيجية.

د- تحالف السلطان المغربي مع المستعمر

د-1- مظاهرتعاون سلطان المغرب مع المحتل

لقد استطاع الفرنسيين إخضاع سلطان المغرب واستدراجه للتحالف ضد الأميرعبد القادر إلى الأراضي المغربية لذا فقد فضل الأميرإستشارة فقهاء مصرفي كيفية التعامل معه،في هذا الإطارراسل الأميرفقيه الأزهرالشيخ محمد عليش[1]قائلا"...عما فعله بنا سلطان المغرب من المنكرات التي لا تتوقع من مطلق الناس فضلاعن أعيانهم ...وأجيبونا جوابا كافيا...لما استولى عدوالله الفرنسيين على الجزائروتخلت الإيالة عن الأميروانقطعت السبل وعطلت الأسباب وطالت شوكة اجتمع دووا الرأي وتفاضوا على أن يقدموا رجلا من سادتهم يؤمن السبيل ويكف المظالم ويجمع المسلمين للجهاد لئلا يبقى الكافرفي رحمة...فاختاروا رجلا منهم وقدموه لذلك فتقدم وعمل جهده فيما قدموه له،فتأمنت السبل بحمد الله وتيسرت الأسباب ...فإذا بسلطان المغرب فعل بنا الأفاعل التي تقوي حزب الكافرعلى الإسلام وتضعفنا و وأضربنا الضررالكثير[2]" ثم يوضح الأميرفي رسالته الأعمال التي قام بها السلطان والتي تتنافي مع أواصرالعفيدة والأخوة الإسلامية قائلا"[3]إننا لما كنا حاصرنا الكافرفي جميع ثغوره نحو من ثلاث سنين وقطعنا عليه السبل ومادة البرمن الحب والحيوان وغيرها...حتى بلغت قيمة حتى بلغت قيمة الثورعندهم مائة ريال دوروفإذا السلطان المذكورأمدهم وهم في الصيف

---

(1): الشيخ محمد عليش: مغربي مالكي المذهب ولد سنة 1802م وتوفي سنة 1881م،تقلد مشيخة المالكية والإفتاء بمصرله عدة مؤلفات في النحو والصرف والفقه منها فتح العلي المالك في فتوى على مذهب الإمام مالك.

(2):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق،ص.306.

(3):نفسه،ص.307.

الشديد بألوف من البقر" ثم يعدد الأمير ما قام به السلطان لإضعاف المقاومة فيذكر:

1- أن سلطان المغرب غصب من عامل الأميرالف وخمسمائة بندفية إنجليزية واستولى على أربعمائة كسوة جوخ أعددناها للمجاهدين وأن بعض المحبين في الله ورسوله عليه

السلام منإقتطع قطعة من ماله الخاص ليبعث بها إلى المجاهدين فإذا بالسلطان المذكور ينزعها منه 2- بعض القبائل من رعيته عزموا على إعانتنا بأنفسهم في سبيل الله فقام السلطان بمنعهم 3-أنه لما وقعت لهذا السلطان مقاتلة مع الفرنسيين أيام قلائل ثم تصالحا واشترط عليه الفرنسيين أنه لا يتم الصلح بينهما إلا إذا حل أمرهذه العصبة المحمدية من المجهاديين ويقبض رئيسهم فإما أن يحبسه طول عمره وإما أن يقتله وإما أن يمكنه من يد الفرنسيين أو يجليه من الأرض فاجابه السلطان إلى ذلك كله ثم أمرني بترك الجهاد فابيت لأنه ليس له علي ولاية ولا أنا من رعيته ثم قطع عن المجاهديين الكيل حتى هام جوعا من لم يجد صبرا..ولوظفري بي لقتلني ثم أمربعض القبائل من رعيته ليقتلونا ويؤخذوا أمولانا...فأبوا جزاهم الله خيرا"[1]

د-2- موقف سلطان المغرب من خلال الرؤية الفقهية للأمير

رغم طلب الأميرفتوى في شأن ما يقوم به سلطان المغرب،إلا أنه يمكن بلورة وجهة نظر الأميرمن خلال الرسالة التي بعث بها إلى الشيخ محمد عليش حيث يسعي الأميرإلي الحكم على سلوكات السلطان المغربي وفق ميزان الشرع مستدلا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايسلمه"وقوله عليه الصلاة والسلام "المؤمن لأخيه كالبنيان المرصوص يشد بعضه البعض"وقوله عليه الصلاة والسلام"المؤمنون تتكافؤ دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم[2]"كما تستند هذه الرؤية على ما ذهب إليه صاحب المعيارفي باب الجهاد"إذا نزل الكافربساحة المسلمين وقال لهم إن لم تعطوني فلانا أو ماله أويقتل أستأسلكم فإنهم لا يسعهم ذلك ولا يعطوه شيئا فإن أعطي ماله ضمنه الآمربه[3]"كما

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدرالسابق،ص.307.

(2): نفسه،ص.306.

(3):نفسه،ص.307.

يستدل بقول ابن رشد"إذا أمرالإمام بقتل بعض أعوانه ظلما ففعل فلا خلافا أنهما يقتلان معا فإن فعل المأمورذالك خوفا على نفسه فإنه لا يعذربذلك وقال أيضا الإكراه على الأفعال إنكان يتعلق به حق لمخلوق كالقتل والغصب فلا خلاف أن الإكراه غير نافع"كما استدل الأمير بما ورد في معين الحكام ما نصه: من هدد بقتل وغيره على أن يقتل رجلا أو يقطع يده أويأخذ ماله أويزني بإمرأة أويبيع متاع رجل فلا يسعه ذلك وإن علم أنه عصى وقع به ذالك فإن فعل فعليه القود ويغرم ما أتلف ويحد إن زنى ويضرب إن ضرب ويأثم، ويرى الأميران ما فعله سلطان المغرب يستوجب دفعه وقتاله مستدلا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام "أنها ستكون هنات هنات فمن أراد أن يفرق أمرهذه الأمة وهمجميع فاقتلوه كائنا من كان"وقوله عليه السلام"من أتاكم وأمركم جميعا على رجل واحد يريد تفريق جماعتكم فاقتلوه"،وفق ما سبق في فالأميريرى أن السلطان المغربي معتد وجب رد عدوانه وذلك من أجل الحفاظ على جماعة المسلمين" والدفاع عن الوطن والأفعال التي تدخل في إطارإعانة المحتل للسيطرة على بلاد المسلمين و إعلان الحرب عليهم وبالتالي فحكمه هو حكم المحتل.

د-3- فتوى الشيخ محمد عليش[2]

لقد رأينا ان نستعرض إجابة الشيخ عليش لنظهرتمكن الأمير وتضلعه في علوم الفقه وان إجتهاده يضاهي إجتهاد علماء علماء عصره،حيث يقول العلامة عليش"[3]...جميع الذي كرتم حرمته معلومة من الدين بالضروره لا يشك في ذلك من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ...وكذا ضمانه لما غصب ضروري...وكذا استحقاقه القصاص منه بقتل مؤمنا عمدا عدوانا مباشرة أو بإكراه غيره عليه معلوم من الدين بالضرورة والنصوص..والمهادنة التي أوقعها فاسدة ومنقوصة ...وبيع البقر وسائرالحيوان والطعام والعروض وكل ما ينتفعون به ... وإن اقتحم الأمروشقا العصا وأتاكم بجيشه وجب عليكم قتاله ... إذ هو حينئذ كالعدو والبغاة ... ولعدوانه وتجاريه على جمع المسلمين...والمقتول منكم في قتاله كالمقتول في قتال الكفار

---

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدرسابق،ص.308.

(2):نفسه،ص.312.

(3): نفسه،ص.312.

ليس بينه وبين الجنة إلا طلوع الروح فصمموا على قتاله وأعدوا له ما استطعتم من قوة نصركم الله تعالى عليه وعلى أعداء الدين"،على ضوء ما سبق يتضح لنا من خلال مقارنةبين الرؤيتين التوافق في الحكم بين الأميروالشيخ محمد عليش الذي رأى ان ما ذهب إليه الأميرعين الصواب حيث يقول:"...والنصوص التي ذكرتم صحيحة لا تقبل التأويل...وما نسبتم للمعيارهوكذالك"[1]،أما فيما يخص صلح السلطان مع المستعمر فمن وجهة نظرصلح باطل وهوغيرملزم به حيث يقول" وأمرني بترك الجهاد فأبيت لأنه ليس له علي ولاية[2]" وفي هذا دلالة على أن الولاية عند الأمير تستوجب البيعة وأن وطن الجزائر غير المغرب أما العلامة عليش فيذهب إلى أن صلح السلطان مع المسلمين باطل لما تضمنه من مفسدة للإسلام وتقوية شوكة الكافروإضعاف المسلمين ،والوقائع التاريخية تؤكد أن الظرف الدولي أثر في مواقف دول الجوار التي فضلت الحفاظ على سيادتها التي سلبت منها فيما بعد،لذا فقد كان من الأجدرتوحيد الجهود والتصدي للمستعمر.

3 -3- مهادنة الأميرللمستعمرفي ميزان الشرع

لقد وافق الأميرعلى مهادنة المحتل كأسلوب وإستراتجية لإعادة تنظيم صفوف المقاومة وتوحيد الجبهة الداخلية وإعادة رسم الخريطة السياسية من خلال التوسع في هذا الإطار بسط الأميرعبد القادرنفوذه على ثلاث أرباع الجزائروإستطاع تحقيق العديد من الإنجازات.

أ - مفهوم المهادنة

في معنى المهادنة يقول الجوهري[3]"هادنه صالحه والإسم الهدنة اما حقيقته في العرف الفقهي فهو عبارة عن توافق إمام المسلمين والحربيين على ترك القتال بينهما مدة لا يكونون فيها تحت حكم الإسلام فقولنا الإمام يخرج من سواه من المسلمين،وذكرالمدة غير مقيدة فيه إلى أنها موكولة إلى إجتهاد الإمام مالم تطل أما حكمها فالجواز إن اقتضته مصلحة المسلمين

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدرسابق،ص.309.

(2):نفسه،ص.309.

(3): نفسه،ص.312.

والمنع إن تضمن مفسدة عليهم[1]"وعليه فالصلح مرهون بما يترب وينجم عنه من نتائج.

ب -حكمها

أما فيما يخص حكمها فيرى شيخ عليش في جوابه على رسالة الأمير أنها تتوقف"..على تقرير مقدمة بتقريرها يتبين ما يتضح به المسئول عنه فنقول الصلح الواقع بين إمام المسلمين وأعداء الدين على ضربين،الضرب الأول حيث يكون الجهاد فرض كفاية والثاني حيث يكون فرض عين أما الأول فحيث يكون المسلميين طالبين على الكافريين الحربيين فالصلح لمصلحة يراها الإمام بحسب إجتهاده جائز عند المالكيين...وأما الضرب الثاني فهما تعين الجهاد في موضع لم يجز فيه الصلح كما لو كان العدو طالبا على مسلمين وقد يفجأ موضعهم وهوضعف عدد المسلمين فاقل لا شدة وعدة على المشهور[2]"من خلال رسالة يتضح لنا أن ما أقدم عليه الأمير فيما يخص أمر المهادنة له ما سنده الشرعي ومبرره الواقعي ،كما تحقق للأمير فوائد جمة من وراء الهدنة وعليه فالمهادنة شرعيةلتحقيقها المصلحة،وهذا ما ذهب إليه الإمام التاسولي في جوابه على الأمير حيث قال:" الذي به فتوى العلماء أنه يجوز فيما إذا كان العدو مطلوبا لأن الجهاد فرض كفاية ولا يجوز إذا كان العدو طالبا لإن الجهاد فرض عين إلا إذا دعت الضرورة إليه إبقاءا على المسلمين وبلادهم فإنه يجوز والضرورة لها أحكام وقد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب"[3].

ج - نواقضها

ذكر غير واحد ممن أرخوا لسيرة الأمير عبد القادر إلتزامه بالعهود والمواثيق في تعاملاته حتى مع أعدائه،وقد التزم بمعاهداته مع المحتل سواءا معاهداته مع القائد ديميشل أو معاهداته مع الجنرال بيجو،فمن الناحية الشرعية" الصلح من المسلمين لا يكون في الغالب إلا من عذر على أنه حكم إجتهادي من إمام فلا سبيل إلى نقضه"كما أن حكم الجهاد ينقض إذا تبين الخطأ

(1): بن عبد القادر،محمد ،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق،ص.ص.310-311.

(2): نفسه،ص.ص.311.

(3): نفسه،ص.313.

وقال الفقيه ابن حبيب" سمعت أهل العلم يقولون إن نهى الإمام عن القتال لمصلحة حرمت مخالفته[1]"،وفي بحثنا عن أسباب نقض الأمير لمعاهداته مع المستعمرتبين لنا أنه تعامل مع تحايل المحتل وخروقاته من منظور شرعي ففيما نقض معاهدة ديميشل جاء في خطاب الأمير أمام قادة جنده وأعيان دولته "...إن الله تعالى قال (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وهؤلاء القوم قد عاهدناهم فنكثوا وصدقناهم فغدروا وصابرناهم فلم يصبروا وإن تركناهم وشأنهم فلا نلبث أن نراهم قد فتكوا بنا على حين غفلة وهاهم قد خدعوا الدوائر والزمالة.."فمن خلال خطاب الأمير يتبين لنا أن ديميشل كان أول من بادر في نقض إتفاقه مع الأمير، وعن نقض إتفاقية تافنة ورد في تحفة الزائر ما تقرر في مجلس شورى الذي دعا الأمير إلى إنعقادها"... أما بعد فإن الفرنسيس المعتدين على البلاد الإسلامية بعدما عاهدناهم وسالمناهم نكثوا وجالوا في بلادنا وعاثوا ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن المعلوم أن التهاون في مثل هذا والإغضاء عنه يزيدهم طغيانا واعتداءا علينا...[2]" وفي رسالته إلى بيجو يؤكد الأمير" إن سائر أهل الوطن اتفقت همتهم واجتمع رأيهم على استرجاع شرفهم بالحرب لأنهم راوا تجاوزكم الحدود المعينة في معاهدة تافنا مبطلا لها ناقضا لأساسها[3]"،مما سبق يمكن القول أن مهادنة الأمير للمحتل تمت وفق ضوابط شرعية وحظيت بإجماع العلماء وأهل مشورته الذين رأوا أنها تحقق مصلحة الدولة.

تأسيسا على ما سبق يمكن أن نخلص إلى أن فقه التحررعند الأميرعبد القادرشكل الإطار النظري والتطبيقي للمقاومة كما يعد ثمرة إجتهاد الأمير الذي سعى من خلالها إلى تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية إستنادا إلى أصولها ومراعاة للظروف الداخليةوالخارجية،إن مظاهر التحرر في فقه الأمير تجلت في تلك الرؤى والخيارات التي تبناها الأمير في مساره النضالي وفي تلك الأحكام التي أصدرها والمواقف التي طبعت مسيرته الجهادية ،وبالتالي

فقد وظف الأمير إجتهاده الفقهي من أجل تحقيق تحرر بكافة أبعادية المادية والإنسانية والفكرية.

---

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدر السابق،ص.150.

(2):نفسه،ص.312.

(3):نفسه،ص.312.

ثانيا - التحرر فى أدب الأمير عبد القادر

لقد تفاعل الأمير من خلال أدبه مع معطيات الظرف التي فرضها واقع الحرب فأضحى أداة من أدوات المقاومة ومادتها الإعلامية والتاريخية التي كشفت عن الوجه الآخر للمقاومة في بعدها الثقافي والفكري ،في هذا السياق حاولنا تسليط الضوء عن البعد التحرري في شعر ورسائل الأمير وخطبه بحكم أنهااختزلت مساره النضالي جسدت الصورة الحية للمقاومة.

1-البعد التحررى فى شعر الأمير

أ -مصطلح التحرر في شعر الأمير

وظف الأميرجملة من المصطلحات والمفاهيم عبرت عن الفعل التحرري من أبرزها

"النضال"فهو حين يصف المجاهدين يجعل من النضال أبرز شيمهم فيقول[1]:

لهم همم سمت فوق الثريا حماة الدين دأبهم النضال

إن توظيف الأميرلمصطلح النضال له عدة دلالات،أهمها التحررعملية مستمرة والمقاومون في حركة مستمرة وفي إستعداد دائم،ومن منطلق أن الحرب تختزل أسمى معانى التحرر،فقد تكرر توظيف هذا المصطلح في العديد من الأبيات الشعرية، حيث يقول[2]:

أميرإذامكان جيشى مقبلا وموقد نار الحرب،إذا لم يكن صالى

ب - المقاومون في شعر الأمير

ومن حيث أن معركة التحرير تقتضى جملة من المواصفات فى القائد و جنده فقد تحلى الأمير

بالصفات المثالية للقائد حيث يقول[3]:

ومن عادة السادة بالجيشى تحتمى وبى يحتمى جيشى و تحرس أبطالى

---

(1):الجزائرى،الأمير عبدالقادر،ديوان الأمير،تح،ممدوح حقى،مصدر سابق،ص.27.

(2): نفسه،ص.32-33.

(3): نفسه،ص.33.

وفى موضع آخر[1]:

وأبدل يوم الروع نفسا كريمة على أنها فى السلم أغلى من الغالى

كما يبين الأمير الغاية التى يصبوا إليها حين يقول[2]:

فما همتى إلا مقارعة العدى وهزمى أبطالا شدادا بأبطالى

ج - التأريخ للمقاومة

لقد سجل شعر الأمير بطولات المقاوميين الجزائريين وإنجازاتهم وصور العديد من المعارك

فهو حين يصف معاركه يقول[3]:

نحن سقينا البيض كل معرك دماء العدا والسمر أسعرت الجوى

ألم ترفى (خنق النطاح)[4] نطاحنا غداة التقيناكم شجاع لهم لوى

ويوم قضى تحتى جواد برمته وبى أحدقوا لولا ألو البأس والقوى

وفى معركة برج العين يقول[5]:

شددت عليهم شدة هاشمية وقد وردوا ورد المنايا على الغوى

نزلت ببرج العين[6] نزلة ضيغم فزادوا بها حزنا وعمهم الجوى

هم وما زلت أرميهم بكل مهند وبكل جواد همه الكر لا شوى

وذا ذأبنا فيه حياة لديننا وروح جهاد بعد ما عضه دوى

وحين يصف التلاحم والإنسجام بينه و بين جنده يقول :

إن غيرهم بالمال شح وما سخا جادوا ببدل النفس دون تعلل

البادلون نفوسهم و نفسيهم فى حب مالكنا العظيم الأجلل

---

(1): الجزائرى،الأميرعبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،مصدر سابق،ص33.

(2): نفسه،ص.43.

(3): نفسه،ص.45.

(4):نفسه،ص.47.

ويقول أيضا[1]:

كم نافسوا،كم سارعوا،كم سابقوا من سابق بفضائل وتفضل

حاربوا،كم صابروا،كم غالبوا أقوى العداة بكثرة وتحول

كم جاهدوا،كم طاردوا و تجلدوا للنائبات بصارم وبمقول

كم قاتلوا،كم طاولوا،كم ماحلوا من جيش كفر باقتحام الجحفل

كم أدلجوا،كم أزعجوا،كم أسرجوا بتسارع للموت لا يتمهل

كم شردوا،كم بددوا، وتوعدوا تشتيت كل كتيبة بالصيقل

وفى موضع آخر[2]:

الصابرون الصادقون لدى الوغى الحاملون لكل مالم يحمل

إن غيرهم نال اللذائذ مسرفا هم يبتغون قراع كتب الجحفل

ويصور الأمير بأسهم و شدتهم فى الحرب، فيقول[3]:

وألد شيئ لهم لحم العدا ودماءهم كزلال عذب المنهل

بغير بكل ضنك ضيق رغما على الاعداء بغير تهوال

لا يعرف الشكوى صغير منهم أبدا و لا البلوى إذا ما

ما منهم إلا شجاع قارع أو بارع فى كل فعل مجمل

مما سبق يتضح أن الامير وظف شعره لخدمة قضيته الوطنية تجلى ذالك من خلال

أ- حشد الهمم والترغيب في الشهادة

ب - التأريخ لبطولات الشعب الجزائري

---

(1):الجزائرى؛الامير عبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،ص128-129.

(2): نفسه،ص.128.

(3): نفسه،ص.129.

2- البعد التحرري فى رسائل الأمير

إن كتابة الرسائل فن قديم تباينت توظيفاته بحسب تنوع أغراضه،ولقد أنشأ المسلمون ديوانا خاصا[1] يعنى بكتابة الرسائل بغرض رعاية شؤون الأمة الإسلامية وحفظ مصالحهاالأمرالذي لم تشد عنه دولة الأمير حيث حظيت كتابة الرسائل بإهتمام بالغ من طرفه،كونها شكلت عصب التواصل بينه وبين مؤسسات الإمارة وحلقة وصل إستغلتها المقاومة الجزائرية في تنظيم شؤونها وضبط إستراتجيتها العسكرية ومراقبة تحركات المستعمر.

لقد عكست رسائل الأميرنضاله التحرري،من منطلق أنها جسدت خطاب المقاومة في تعدد أهدافها ووسائلها تجلى ذالك من خلال خطابات التعبئة والدعوة إلى الجهاد والإلتفاف حول القيادة بالتزام البيعة وعدم الخروج عن ولي الأمر وموالات المحتل وتقديم الدعم له.

2-1-أهداف الخطاب التحرري في رسائل الأمير

تعددت الأهداف التي سعى الأمير إلى تحقيقها من خلال خطابه التحرري عبر رسائله إلى مختلف شرائح المجتمع والهيئات والشخصيات،حيث تتقاطع في نضاله من أجل تحرير الوطن قضيته المركزية،التي تمحورت حولها جهوده في تواصله وعلاقته مع الداخل والخارج.

أ -الدعوة إلى الجهاد

نظراللكم الهائل لرسائل فقدإقتصرنا في دراستنا على بعض رسائله وفق المنهج الذي حددناه سابقا،فمن الرسائل التي جسدت الغرض الجهادي،رسالته لأهل فجيج[2] في17شوال1251ه الموافق ل05 براير1836 طلب منهم تلبية نداء الجهادحيث يقول."[3]أصلحكم الله وسدد رأيكم ووفقكم للإمارات العظيمة...وسلاما على محافلكم السامية يعم مرابعكم الناهية ورحمة

---

(1):بن السبع،عبد الرزاق،المرجع السابق،ص.238.

(2): كلمة مصغرة لفج أو ممر بين جبلين،بها سبع قصور مثل قصر بنى ونيف،توات وتافيلالت،ينظر:

L.Gognalans,Une proclamtion de lEmir AbdelKader aux habitons de Figuig en 1836,in Revue Africaine,n^{0}57/1913,p.244.

(3): L,Gognalans,op.cit,p.248.

الله وبركاته ما ترقت الطوالع بأضوائها الزاهية"[1]من خلال هذه المقدمة يحاول الأمير التمهيد لغرضه حيث يقول:"أما بعد فإن الغيرة الإسلامية تحق لأمثالكم والإعتراضات الاتقية تجب لأقوالكم و أفعالكم وكيف لا و العدو الكافرأذله الله جال فى بلاد المسلمين وسعى فى خراب مدنهم و قصورهم بمساجدها المعدة للغدو و الأصال وحدت شوكته على القريب و القاصى وتضافرت جيوشه على إجلاء المطيع والعاصى وأجمع عزمه و كيده ... وفاض على الإسلام ظلام ليله...[2]".

من خلال هذا المقطع يتضح حرص الأمير توعية القبيلة بخطر الإستعمار الداهم محاولا الكشف عن طبيعته و حقيقة ممارساته التى اختزلتها سياسته الإستعمارية فى تدمير المدن و هدم المساجد و تهجير الجزائريين،ثم يواصل قائلا[3]:"...كم اشتغلنا بمدافعته مرارا وتداولنا معه فى الحروب سرا و جهارا إلى أن انكسرت الرماح وقضت الصناديد نحوبها وتعمدت الفرسان نصبها ولغوبها ولا زلنا على ذالك التدافع والتناول إلى أن تنفرد السليفة وتنعدم دور المناصب المنيفة غير أننا خشينا تفاقم الأمروتزايده من قطر إلى قطر،فنود من صلاح رأيكم الناجحة و سداد إشارتكم أن تزيدوا فى أحوالكم إخوانكم القوة السادة وتشدوا من أسرهم باسترسال المادة"، يتضح مما سبق استنفاد الأمير الجهد فى مقاومة المستعمر وقلة

العدد والعدة ويطلب من القبيلة إمداده بالجند، كما يظهرمن خلال الرسالة بعد نظر الأمير وفهمه للإستعمارالذى يهدف إلى الإحتلال الشامل للأراضى الجزائرية ، لقد اعتمد الأمير على المبادئ الإسلامية لإقناع القبيلة ودفعها للإستجابة لندائه فيقول[4]:"...فإن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه البعض والمسلمون كالجسد الواحد يتألم الجميع لتألم البعض ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه والله فى عون العبد ما دامالعبد فى عون أخيه المسلم وتعاونوا على البرو التقوى،إنما المؤمنون إخوة،"يأيها الذين آمنوا

---

(1): L,Gognalans,op.cit,p.248.

(2): Ibid,p.249.

(3): Ithem,p.249.

(4):Ibid,p.249.

مالكم إذا قيل لكم أنفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض"..وأما مدافعة الكفار أخزاهم الله فى المصابرة فى رباط ونيل احدى الحسنين...فلا يخفى على كريم علمكم ما ورد من الأيات القرآنية والأقوال النبوية" ،كما يتجلى من خلال الرسالة إطلاع الأمير على أحوال القبائل الجزائرية وتاريخها حيث يقول[1]:"...مع غلظتكم على الكفار وشدتكم فى ثبات الصفوف الحربية معلومة عندنا بالضرورة حسبما دونت خصالكم الحميدة وأفعالكم الرشيدة فى تاريخ وهران ووقائعها"ثم يحث الأمير القبيلة على الإلتحاق به قائلا[2]:"...نرغب فى حمد سراريكم أن تجمعوا جموعكم وتكونوا فى قصد إعانتنا رجالا و ركبانا لتتم لنا المزية دينا و دنيا ...ويكون ابتداء قدومكم إن شاء الله عقب عيد الأضحى أول إبريل"ويختم الأمير رسالته قائلا[3]:"وفى موافقتكم استصراخنا واجابتكم دعانا اتساق هيكل نظم المسلمين وصيرورته على كلمة واحدة كذات متحدة ...وأشرعوا فى التأهب والتهيؤ بإقامة الكراع والسلاح والأخبية ولا يتخلف أحد من صناديدكم من الفرسان والعساكروإن إلتقيتم بنظرالمكتوب ولم تجيبوا داعيا الله فهو الواجب فى حقنا وحسابنا جميعا على الله."

لقد أدرك الأمير طبيعة المسار التحررى فحرص على ترسيخ روح المقاومة وتنمية الوعى الوطنى لدى رجاله وقادة جنده،يتضح ذلك من خلال رسائل الأميرالموجهة لهذه الشريحة والتى سعى من خلالها لتأطير العمل التحررى، لذا فقد اشتملت على:

- الإستراجية العسكرية
- استنفار القبائل وحثهم على الجهاد
- القيام بأعباء الإمارة
- الإستشارة
- دبلوماسية الأمير

ب - الرؤى والمواقف اتجاه المستعمر

---

(1):بن سبع،عبد الرزاق،المرجع السابق،ص.240.

(2):نفسه، ص.240.

(3): نفسه،ص.240.

راسل الأمير العديد من الشخصيات والقادة العسكرين مبينا مواقفه الثابتة من المستعمر في هذا الإطارفقد تبادل الرسائل مع دى ميشال قائد الناحية الغربية ليتوج هذا التواصل بعقد اتفاقية بينه وبين الأميرالذي رد على رسائله قائلا[1]:"من عبد القادربن محي الدين إلى الجنرال دي ميشال أما بعد فقد وصلنا كتابكم المتضمن أفضل النصائح فقدرناها قدرها وعلمنا أنكم تحثونا في كتبكم الثلاث على الإفساح عن الإسرى وتندبون حظهم مع أننانعتنى بشأنهم غير أن الحالة التى نحن بها لا تسمح لنا أن نردهم بدون فدية فإذا رغبتم في الإتفاق قبل تسليم الأسرى إليكم عن المعاهدة بيننا على أن ديننا يمنعنا عن طلب الصلح ابتداء ويسمح لنا بقبوله إذا عرض علينا وأن الثقة التي منحتمونا إياها في تحاريركم حملتنا على أن نبذاكم بالمخابرة وأن المفاوضة التي تطلبونها يقتضي أن تكون مبنية على شروط محترمة منا ومنكم ولا يحصل الإتفاق إلا إذا عرفتموني شروطكم وأنا أعرفكم بمثلها والله المعين" ففي الرسالة يوضح الأميرللجنرال ديميشل أن الشريعة الإسلامية تحرم عليه طلب الصلح،ثم يواصل الأمير ذكر مناقب المسلمين"وكيف تفاخرون بقوة فرنسا ولا تقدرون

القوة الإسلامية مع أن القرون الماضية أكبر شاهد على قوة الإسلام وانتصاراتهم على أعدائهم ونحن وإن كنا ضعفاء على زعمكم فقوتنا بالله الذي لا إلاه إلا هوولا شريك له ولا ندعي أن الظفر مكتوبا لنا دائما بل نعلم أن الحرب سجال يوم لنا ويوم علينا[2]" ويذكر الأمير الجنرال بسر إستماتة المقاومين قائلا "غير أن الموت مسرة لنا وليس لناالثقة إلا بالله وحده لا شريك له لابعدد وعدد وأن دوي الرصاص وصهيل الخيل في الحرب لآذاننا من الصوت الرخيم فإذا صممتم على عقد صلات ودية دائمة بينا وبينكم فأجيبوا حتى نرسل إليكم من كبار قومنا مأذونين بالمفاوضة ولا ...نأسف إذا اضطررنا إلى ترك البلاد لأننا نعلم يقينا أن الارض لله يورثها من يشاء...[3]"تظهر رسالة الأمير إلى دى ميشال جملة من المعطيات تجسد رؤية لعديد القضايا نلخصها

فيما يلي:

---

(1):بنعبد القادر،محمد،المصدر السابق، ص.111.

(2): نفسه،ص.111.

(3):نفسه،111.

تظهر رسالة الأمير إلى دى ميشال جملة من المعطيات تجسد رؤية لعديد القضايا نلخصها فيما يلي:

1- المعطيات العسكرية: من وجهة نظر الأمير الحرب لا تقصي مبادرات السلاممما يعني شمولية رؤية الأميرلمسألة التحررمن خلال تعدد أدواته ووسائله وتنوع أساليبه كما تبيُن الرسالة موقف الأمير المبدئي من فكرة الإتفاق وعقد معاهدة مع المستعمر.

2- المعطيات الإنسانية: تكشف الرسالة عن إنسانية الأمير من خلال اعتنائه بالأسرى وفي رأي الأميرالفدية قضية استثنائية أملتها الظروف التي تمر بها المقاومة.

3- المعطيات الفكرية:يتبين من الرسالة عمق ثقافة الأمير وإلمامه بالتاريخ الإسلامي.

4- المعطيات الروحية: وتتمثل في إيمان المقاومين بربهم وبعدالة قضيتهم وحسن توكلهم وفي حبهم للشهادة وفي صبرهم وشدة بأسهم في القتال وهذا ما لا يتمتع به الجندي الفرنسي

كما راسل الأمير دى مشيل في شان تحرشات الجنرال دارلون درويه بالقبائل المحادية للجزائرورسالة مؤرخة في 15رجب1250ه حيث يقول:"...فإن القبائل المحادية للجزائر حجوط وسماته ومن ولاهم غربا وشرقا بعثوا لنا مكاتبهم قائلين أن جنرال الجزائر...قال لهم إن الذي حكم بالصلح بين سلطان العرب والفرنصيص إنما هو خديم لا حكم له معنا... فإن كان هذا الذي في الجزائر مستبدا برأيه فابق أنت معنا على العهد والميثاق ونريه منا ما يهوله،وإن كان هذا الأمرباتفاق الكل فالعزة بالله وهو يختار لعباده ما يصلح...وأما بلادنا ونفوسنا فلواجتمعت جيوش النصارى فلا نعتبرها بحول الله وقوته ويمنه وأمنه" فالأمير يحذر الجنرال من مناورات قائد الجيوش الفرنسية ومن مغبة نقض الهدنة التي بينهما ويذكرها ان قوة المستعمر مهما بلغت فلن تؤثر في عزيمتنا و إيمان بالله عزوجل ونصره لعباده المؤمنين

ج - العزم على المقاومة وتحرير البلاد

---

(1):جنرال عينا خلفا لفوارول في 27سبتمبر1843م. أنظر:مراسلات الأميرمع دي ميشل،ص.128.

(2):زوزو،عبد الحميد،المرجع السابق،ص.128.

تجلى ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها إلى الماريشال بيجو[1] يقول الأمير:"من ناصر الدين عبد القادر بن محى الدين إلى الماريشال بيجو أما بعد فإذا كانت دولة فرنسا ليس عندها من الأرض ما يكفى رعاياها وأرسلتكم لتغتصبوا أراضينا وتبدلوا فى ذالك نفوسكم وأموالكم فنحن نتخلى لها عما فى أيدينا الآن من السواحل ونبقى معها فى حال جيران ينتفع بعضهم من بعض وإن أبت ...فنحن نبذل وسعنا فى مرافعتها وحماية أرضنا منها إلى أن يقضى الله بينا و بينها بما شاء فإن البلاد بلاده والعبيد عبيده... والحروب قد تربينا عليها وتغدينا بلبانها فنحن أهلها من المهد إلى اللحد وحروبنا كما علمتم لا ترجع فيها إلى قانون يحصرها بل نحن مخيرون مطلقون نصرفها كيف شئنا وأما أنتم فقد بدلتم أموالكم وأفنيتم قوة شبابك... "،لقد عكست رسالة الأميرإلى بيجو[2]جملة من الأبعاد أهمها:

- البعد الدبلوماسي[3]

يتضح ذلك من خلال محاولة الأمير خلق قناة تواصل مع المستعمر وتهيئة الظروف للتفاوض، حيث يعرض الأمير التنازل عن بعض السواحل لفرنسا مقابل إحترام سيادة الإمارة الجزائرية وحسن الجوار.

- البعد الثوري

يتحدث الأمير عن إستمرارية القتال ورفض الخضوع في حال تعنت المستعمر وتماديه في اعتداءاته كما يذكر القائد الفرنسي أن الحرب من صميم تقاليدنا فهي ليست إستثناء.

- البعد الوطني

يتضح من خلال الرسالة ملامح الفكر الوطني من خلال الإشارة إلى مقومات الوطنية لذا

---

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،ص.258.

(2): للتعرف على هذه الشخصية،ينظر:

Azan,p,Bugeaud et l'Algerie,ed,Maginot,Paris,1930.

(3):الدبلوماسية هي علم وفن تنفيد السياسة الخارجية لدولة لدى غيرها من الدول والأشخاص الدولية الأخرى .ينظر: علاء ،ابوعامر،الوظيفة الدبلوماسية: نشأتها،مؤسساتها،قواعدها، قوانينها ،دار الشروق للنشروالتوزيع،عمان،2001م،ص.ص.26 - 27.

فإن تجليات البعد الوطنى تكمن فى توظيف الأمير لمفردات وعبارات تعكس رؤيته للوطن وإرادته فى تحريره،فنجد كلمات مثل "الوطن" و"أرضنا"وعبارة "لتغتصبوا" تؤدى الغرض المطلوب كما ورد في رسالة الأمير إلى دامريون[1]:"... إنه لم يخف على حضرتكم ما جرت به المفاوضات بيننا وبين بيجو حاكم وهران في عقد الصلح والهدونة عن الحرب التي أضرت بالأمتين،وحيث أنني وجدت مطمح أنظاره بعيدا عن المطلوب عدلت من مفاوضته إلى مفاوضة حضرتكم أملا في نجاح ذلك"وفي رسالته إلى ملك فرنسا يقول الأمير[2]:"...لكنكم تطلبون مني تضحية تتناقض تماما مع ديني مما يجعلني لا أستطيع قبولها،إنكم تدعونني أن أتخلى عن قبائل أعلنت خضوعها لي وجاءت إلي بنفسها لتدفع إلتزماتها التي فرضها القرآن"

د - تعليمات الأمير وتوجيهاته للقادة

وفي هذا الإطار فقد تعدد رسائل الأميرإلى قادته وتنوعت أغراضها ومن بين هذه الرسائل رسالته إلى خليفته بن سالم جاء فيها [3]:"... أما فإنى أوصيك بتقوى الله تعالى وشكره فى الشدة وكن صبورا على المصائب فالصبر مفتاح الفرج وكن جسورا[4]"واجمع عساكرك وعظهم برأيك السديد وتحمل منهم هفواتهم ودبرأمورهم حسبما يجب فإن هذه الأحوال لا تدوم وإنى لأرجوا أن يكون عندكم ومن هنا تظهر لنا الجادة التى نتبعها و نسلك عليها"

تعبر الرسالة عن قناعات الأميروبعد نظره،فمعركة التحرير تقضى الصبر وتستوجب التلاحم والثبات وتتطلب الاعتناء بالجيش و تدبير أموره،فالأمير في هذه الرسالة يشير إلى مواصفات القائد ويرشد خليفته إلى الأساليب الواجب إتباعها للحفاظ على تماسك الصف و وحدة المجاهدين كما يعكس لنا مضمون الرسالة بعد نظر الأمير وفطنته خصوصا في الظروف التي تمربها المقاومة والتي قد يستغلها الأعداء لتفريق وتشتيت صفوف المقاومين الجزائريين الذين قد تأثروا فيهم الأحداث الجارية.

---

(1): الخضير،ادريس،البحث في تاريخ الجزائر،المرجع السابق،ص.01.

(2): تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.172.

(3): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق، ص.287.

(4): نفسه،ص.287.

و- طلب الدعم والإعانة

لما اشتد الخناق على المقاومة لجأ الأمير إلى طلب الدعم الخارجي،وجّه خطابه إلى الباب العالي من منطلق عدة اعتبارات:

- الإعتبار الديني: من واجبات الخليفة الدفاع عن أرض المسلمين ونصرتهم والدفع عنهم

- الإعتبار التاريخي:الوجود العثماني في إيالة الجزائرالتي شكلت امتداد للخلافة الإسلامية

لقد راسل الأميرالسلطان العثمانى عبد المجيد[1] طالبا منه الدعم و التأييد،ففى رسالة مؤرخة فى مستغانم ديسمبر1841م يقول الأمير[2]:"...وذالك أن الينشارية الذين كانوا

بالجزائر لما خرجوا عن طاعة أمير المؤمنين والدكم المرحوم عاقبهم الله بسوء فعلهم وسلط عليهم من لا يرحمهم العدو الكافر الغشوم واجتث أصلهم و ملك القرى و المدائن واستولى على الأموال و الدخائر...فعند ذالك استغاث الناس بالسلطان عبد الرحمان سلطان مراكش فبعث إلى الوطن ابن عمه مع جيش كثير فما جعل الله فيهم نفعا...فلما راى الكافر ذالك زاد من قوته وشدته وتكالب على المسلمين من حصونه واحتاج الناس إذ ذاك إلى من يضبط جهادهم ويقوم بجميع أمورهم فاجتمع أعيان الوطن وطلبوا ذالك من الوالد فأشار إلي...و شمرت على ساعد الجد والإجتهاد وبدلت للمسلمين نصحى فى جمع الكلمة والإجتهاد...".

من خلال هذه الرسالة يعطى الأمير صورة عن الوضع الذى آلت إليه الجزائر من جراء الإستعماروبين ظروف اختياره قائدا لمحاربة المستعمر وتحرير االوطن ثم يوضح لاتكافؤ بين الجيش الفرنسى وجيش المقاومة فيقول:"وأن جيش الكفارالمقابل يناهزالمائة ألف بسلاح

---

(1):السلطان عبد المجيد خان ولدسنة (1239ة الموافق ل1823م) تولى الحكم (1255ه الموافق ل 1839م)، إلى غاية سنة1881م كان أول سلطان عثمانى يتكلم الفرنسية تابع برنامج والده محمود الثانى،أصدرخطي شريف كولهانة سنة 1839م وخطى شريف همايونى سنة 1856م وأصدر التنظيمات التى أعلنت المساواة بين المسحيين والمسلين. أنظر: عبد الوهاب الكيالى،مرجع سابق،ج3،ص853.

(2): التميمي،عبد الجليل،بحوث ووثائق في تاريخ المغرب،مرجع سابق،ص.34.

تام وصواعق ومدافع تصير الواحد ضعيفا.. إذ ليس لنا قوة بارود او سلاح أو مدافع مثلماعنده لكى يذيقه المسلمين شديد النكال...لقد نفذت فى سبيل الله أموالهم وفنيت فى سبيل الجهاد رجالهم" فمن بين أهم الأسباب التى حالت دون تحقيق نصر حاسم على المستعمر من وحهة نظر الأمير عدة وعتاد الجيش الفرنسى مقارنة بالمقاومة إضافة إلى الحصار و العزلة التى عانت منها حكومة الأمير حيث يقول[1]:"ونحن أسلمنا إخواننا المسلمين و تركونا أسارى فى يد العدو فهم لنا ظالمون وتبرأ منا من كان قريبا لنا من الملوك و منعونا شراء ما نتقوى به على الكافر...فما نفعنا قريب و لا مجاور."

فى ختام الرسالة يصور الأميرالوضع الذى آلت إليه المقاومة وما عانته من حصارو عزلة ونقص فى الإمداد و المعونة مما أضعف قدارتها على مواجهة المستعمر كما يتضح من خلال الرسالة المواقف المحلية والدولية من المقاومة كما يؤكد الأمير استنفاده كل الطرق والوسائل لدعم جيش المقاومة ومواصلة معركة التحريروبالتالي فإن الأمير يحاول نقل المشهد بأبعاده الحقيقية ويرجو الدعم من الخليفة، وممُا يؤكد هذا المنحى الرسالة التي بعث به إلى الصدر الأعظم[2] يقول الأمير:"من خديم حضرتكم المجاهدين بوطن الجزائر الذي صار لغرباء الكفر وأذياله...وتغافلت عنه أنصاره وفرسانه وكماته،فهم أسرى العدوأسرا يفعل فيهم ما يشاء ويحملهم أغلالا و إصرا...[3]" ويواصل فى تصوير حالة المقاومة ويطلب من الوزير الإعانة قبل فوات الأوان فيقول:"فإن العساكر وافرة والجزائر عامرة...فتعلقنا بأذيالكم فادركونا قبل فوات الأوان".

كما راسل الأمير حاكم مليلة دوبينيطو"...إني قادم بالصوف والتمور والأغنام التي آمل أن

---

(1): هو عين الأعيان وهو لقب حمله الوزير الأول فى الدولة العثمانية منذ عهد سليمان القانونى،ومن مهامه أيضا ترأس الديوان وعقد الإجتماعات الشهرية والتفتيش،أنظر محمد أفندى وأخرون،دائرة المعارف الإسلامية،القاهرة،مجلد14،ص.162.

(2): المدني،أحمد توفيق،المرجع السابق،ص.109.

(3):بوعزيز،يحيى،مراسلات الأميرمع إسبانيا وحكامها العسكرين بمليلة،طبعة خاصة،دار البصائر الجزائر،2009م،ص.101.

أبيعها في المكان الذي أبحر فيهالأسرى الفرنسيون، أستطيع الذهاب في نفس الوقت إلى ذلك المكان للمحافظة على النظام،أرجوكم ان تعطوا إلي قادة بن هاشمي قطعة غيارAFFUTأخرى وبعض فتايل أخرى وبعض الكبريت وثلاثة أو أربعة من قضبان الحديد...[1]"،من خلال الرسالة تتضح الأهمية التي كان يوليها الأميرلإسبانيا كقاعدة خليفية للدعم اللوجستكى،وهذا ماذهب إليه فليب دوكاسي بريساك حيث يرى أن إتصال الأميربإسبانيا كانت لغرض الحصول على السلاح وقطع الغيار،إضافة إلى ما تشكلها من بعد إستراجي للتواصل مع الدول أروبية.

ي: التنسيق الأمني

يعد التنسيق الأمني بين الأميرعبد القادر وقادة المستعمرمن النتائج التي كرستها الإتفاقيات المبرمة بينه وبين الجيش الفرنسي،حيث يقول الأميرفي رسالة إلى دي ميشيل مؤرخة في 15 جمادى الأولى سنة 1250ه:[2]"...وبعد فقد بلغنا خبرالفاسيان الذي قتل في الرويسات وتغيرنا تغيرا أشد من تغيرك ولا بد يظهرالله من فعل هذا الفعل ونفرجك بهلاكه إن شاء الله فإنا نفحص كثيرا عليه ولا نهدأ ولا نرتاح حتى نضفر والذين جرحوا الشناضيض بمستغانم وأخذوا سلاحهم من مجاهر وسجناهم وعند وصولنا نحكم فيهم بحكم الله..."،كما تؤكدرسالة حاكم مليلية دو بينيطوإلى الأميرهذا الإتجاه حيث يقول في رسالة مؤرخة في 12 جويلية 1847م:[3]"...ليس لدي جديد فيما حصل بين الفرنسين والمغاربة ولا أستطيع إذن أن أعلمكم عن المفاوضات التي ذكرتموها لي...إنني جد مسرورأن أعرف أن المغاربة المجاورين لهذه المدينة خاضعون لكم،لأنه بفضل هذا النفود تستطيعون أن تعملوا بحيث يتعقل أكثر هؤلاء الناس.."،إنالتنسيق الأمني الذي باشره الأميرمع القادة العسكريين يصب لصاح المقاومة،منمنطلق سعيه لتقوية الجيش من خلال توفير السلاح والإستفادة من الخبرة الأجنبية في هذا المجال رغم التحديات التي يفرضها هذا النوع من التعاون على صعيد الأمن الداخلي حيث

---

(1): Tassadit,yacine,Un journaliste espagnol en Algerie a la fin 19emeciecle,defenseur de sa Communaute,Revue dHistoire Maghrebine,Tunis,1980,N^{o}17,p.p.127-131.

(2): زوزو،عبد الحميد،المرجع السابق،ص.122.

(3): بوعزيز،يحي،مراسلات الأمير مع اسبانيا، مرجع سابق،ص.97.

أنشأ الأمير لهذا الغرض عدة مصانع[1] توزعت على مختلف مناطق البلاد،حبث أقام مصانع للبرود ومصاهر للمدافع بتلمسان وملیانة[2]،وبالتالي فقد سعى للإستفادة،من التقدم لأروبي وبعث مشروع صناعي وطني من إشراك العنصر الأجبني بغرض تكوين كفاءات جزائرية في المجال التصنيع العسكري،كما تمكن الأميربفضل هذا التنسيق من مراقبة

القبائل وفرض هيبته وسلطانه،حيث تمكن في زمن قياسي من إخضاع العديد من القبائل وتوسيع نفود الإمارة شرقا وجنوبا.

2-2- بنية الخطاب التحرري في رسائل الأمير

لقد بني الأمير خطابه التحرري على جملة من الأسس عكست قرائته للواقع بمختلف مكوناته وأبعاده،حيث تفاعل هذا الخطاب مع واقع الدولة والمجتمع والمقاومة ضد المحتل لذا فقد تجاوب هذا الخطاب مع المتغيرات الداخلية من منطلق إطلاع الأميرعلى أوضاع الإمارة. أ - المرتكز الديني

استمد الخطاب التحرري عند الأمير عبد القادر قوته من الرؤية الشرعية التي انعكست على خطاباته،ويرجع ذالكإلى تعامل الأميرمع الأحداث وفق منطلق شرعي من جهة وخصوصية ثقافته التي غلب عليه الطابع الديني من جهة أخرى وبالتالي فقد استند هذا الخطاب على توظيف القرآن والسنة النبويه في استدلالاته كأداة للإقناع،فعندما يتحدث عنالولايةكبعد سياسي يستشهد بقوله تعالى:[3]"وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر[4]منكم"وعند يتحدث عن وحدة الصف يستشهد الأمير بقول الرسول(ص):" المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه البعض[5]"وفي الوفاء بالعهد يستدل بقوله تعالى:[6]"يأيها الذين آمنوا

---

(1): تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.86.

(2):الكلونيل،سكوت،المصدرالسابق،ص.139.

(3):سورة النساء،الأية رقم،59.

(4):رواه البخاري ومسلم

(5):سورة المائدة،الآية رقم،1.

أوفوا بالعقود"وقوله:"وبعهد الله أوفوا[1]"وفي معرض تحدثه عن السلم يستشهد بقوله عز وجل[2]"وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هوالذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم"، مما سبق يظهر تاثير البعد الديني في ثقافة وتكوين الأميرعبد القادر وفي تعامله مع الآخر وفق ضوابط الشرع، لقد ركز الأمير في خطابه التحرري على إثارة النزعة الروحية من خلال

توظيفه لأسلوب الترغيب والترهيب،بتذكيرهم ما وعد الله المجاهدينوترهيبهم من عقابه الذي سيحل بالمنشقين والمتخادلين والموالين للمستعمر،الذين وقفوا في وجه المقامة وحاربوا بني جلدتهم،ومن الأمثلة على الترغيب قول الأمير:[3]"...أما علمتم أن من مات منكم مات شهيدا ومن بقي نال الفخاروعاش سعيدا..."ومن أمثلة الترهيب تحذيره القبائل المتمردة من تنفيذحكم الله فيهم، حيث يقول الأميرفي هذا الشأن:[4]"أما بعد فليكن في علمكم أنه قد طال نصحنا لكم ووعظناكم وبينا لكم ما يجب عليكم شرعا أن تفعلوه وتتركوه فلم تقبلوا ذلك ولم تلتفتوا إليه والآن بلغ السيل زبى فلا بدا ان ترجعوا عن غيكم وتسلكوا جادة الإسلام التي مضى عليها آبائكم وتتركوا منازلكم التي أنتم فيها الآن وترجعوا إلى منازلكم الأولى بقرب تلمسان وإلا فلا تلوموا إلا أنفسكم لما يحل بكم من الإنتقام بحول الله وقوته"فمن خلال خطبة الأمير تتضح قدرته على إثارة المشاعر و تحريك الوازع الديني.

ب - المرتكز السياسي

سعى الأمير منذ توليه مقاليد الحكم إلى ترسيخ ثقافة الدولة لذا فقد عكس خطابه هذا التوجهه الرامي إلى تغيير الذهنيات والقضاء على أشكال التميزوالتفاوت الطبقي المتوارث عبرأجيال مما يعني تساوي الناس في الحقوق والواجبات وفي هذا الصدد يقول الأمير[5]:" ما

---

(1):سورة الأنعام،الآية رقم.152.

(2):سورة الأنفال،الآية رقم.62.

(3):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق،ص.150.

(4):نفسه،ص.148.

(5): تشرشل،هنري،مصدر سابق،ص.154.

فعلت ذلك خوفا من تمييز نفسي أمام ضربات قنابل العدو،ولكن فعلته لأني كنت لا أرغب أن أفرض على العرب إلا ما أفرضه على نفسي "كما ألغى كافة الإمتيازات التى تمتعت بها بعض القبائل[1]،كما اتسمت رسائله بالطابع الرسمي في شكلها ومضمونها،ومما يرتجم البعد السياسي في خطاب الأميربداية رسائله بقوله:"...من أمير المؤمنين مولان السيد الحاج عبدالقادرنصره الله ءامين"ويختمها بقوله:"بأمر مولانا نصره الله ءامين"[2]، وفي رسالته إلى

رئيس الوزار البريطاني يبدأ الرسالة بقوله:"من أمير المؤمنين سلطان النواحي الجزائرية والوهرانية والتلمسانية إلى طاعة إفريقيا[3]"،في رسالته إلى ملكة إسبانيا يبتدأ رسالته:"من أمير المؤمنين وحامي شرع الله سيدنا الحاج عبد القادر[4]"،إن قراءة فيما سبق تقودنا إلى القول أن تعريف الأمير بمركزه السياسي يظفي على خطابه الطابع الرسمي،كما يشيرإلى وجود دولة قائمة بذاتها،إضافة إلى ذلك فإن صيغة"أميرالمؤمنين"تعني أن الأميريتمتع بسلطات واسعة مما يمنحه قوة التفاوض.

إن من تجليات البعد السياسي في خطاب الأمير إضافة إلى ماسبق تكمن في دعوته المجتمع بكافة أطياف إلى الوحدة والذوبان في الكيان السياسي الجديد ومساندة القيادة ونبذ الخلافات وعدم الخروج عن ولي الأمروالإسراع إلى البيعة[4] كما يتبن من خلال رسائله الى الباب العالي التوجه الإديولوجي وتأكيد إنتمائها وولائها للخلافة،إذ يقول في رسالة وجهها إلى الخليفة العثماني[5]:"...سلطان سلاطين الإسلام،وحامي بيضة محمد عليه السلام وضوء الملوك الشامخ،واركنهم الثابت الراسخ،...خيرمن قاد االجيوش ورتب العساكر...سيدنا وابن سيدنا

---

(1):زروخي،إسماعيل،الدولة في الفكر العربي الحديث،دراسة فكرية فلسفية،ط1،دار الفجر للنشر التوزيع، القاهرة،1999م،ص.525.

(2):للإطلاع أكثر: ينظر: زوزو،عبد الحميد،مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشل.

(3):التميمي،عبد الجليل،بحوث ووثائق في تاريخ المغرب،مرجع سابق،ص.134.

(4): نفسه،ص.134.

(5): أحمد، توفيق المدني،أبطال المقاومة الجزائرية:حمدان خوجة،أحمد باي،الأمير عبد القادر،فيمجلة التاريخ،ع4-أبريل،1977م،ص.ص.96 - 125.

ويواصل:[1]"...وحال الكافر والبحر بين المسلمين وسلطانهم مع شدةحاجتهم إلى من يقوم بهم ويدافع عن حريتهم وأولادهم وأوطانهم فعند ذاك استغاث الناس بالسلطان الشريف"،من الرسالة يتضح ولاء الأميرللخلافة وأن استنجاده بسلطان المغرب ضرورة أملتها الظروف. إنطلاقا من تناولنا للبعد السياسي في خطاب الأميريمكن القول أن العامل السياسي يعد من أهم مكونات الخطاب التحرري،والإطارالذي يستمد منه قيمته وفاعليته في تحقيق الأهداف.

ج - المرتكزالعسكري

إن تزعم الأمير للمقاومة وقيادته للجيوش انعكس على خطابه التحرري،حيث تتضح الصبغة العسكرية في كثيرمن رسائله ويرجع ذلك إلى جملة من العوامل،فقد تبادل الرسائل مع قادة جيوشه وراسل قادة المستعمر في السلم والحرب كما طغى على بعض رسائله الموجهة للقبائل وذوي النفود الطابع العسكري بحكم مواقفهم من المقاومة،لذا فقد اشتمل الخطاب على استعدادات الحرب من إعداد الجيوش وصفقات السلاح وخطط المقاومة مما يعني أن البعد العسكري في خطاب الأميرأرتبط بظرف التراسل وغرضه وطبيعة المرسل إليه ومن النماذج التي أكدت هذا المنحى مراسلات الأميرمع الجنرال دي ميشل إذ شكل الجانب العسكري محورهذه المراسلات حيث تبادل الطرفان المعلومات العسكرية كما التزم دي ميشل بتوريد الأسلحة إلى الأميرمقابل ما يحتاجه الجيش الفرنسي من حبوب ولحوم وغيرها،ففي رسالة موجهة إلى دي ميشل يقول الأمير:"...فالغرض من محبتك لنا السابقة والاحقة أن تنفد لحريفنا العسري ما تبايعن معه من نصيب السلاح،فإن بعنا له الحب على أن يعطينا في مقابلته شيئا من الدراهم والبارود والسلاح فنفذ له ذلك واعطه إذنك...[2]"وبخصوص تبادل المعلومات راسل الأمير دي ميشل بغرض إطلاعه على المستجدات قائلا[3]:..فنحن على خير وعافية ونقادت لأمرنا جميع القبائل المغربية إلى وجدة وساروا جميعا بخيرلهم والتزموا فيما صدر منهم أمولاعظيمة يودوها لنا،وقدم لحضرتنا أعيان الدواويروالزمالة وأطاعونا وتحملوا

(1):أحمد،توفيق المدني،المقال السابق،ص.100.

(2): زوزو،عبد الحميد،المرجع السابق،ص.149.

(3):نفسه،ص.109.

بما فرضناه عليهم وها نحن دخلنا مدينة تلمسان يوم الجمعة نقيم بها كثيرالإصلاح هذه النواحي"،وكما حرص الأميرعلى التواصل بخلفائه وقادة جيوشه بغية الإطلاع على أوضاع المقاومة في مختلف المناطق واعطائهم التوجيهات المناسبة من أجل استمرارية المقاومة.

2 -3- ملاح التحرر في رسائل ما بعد المقاومة

تذهب بعض الكتابات التي اهتمت بسيرة الأميرإلى أن هذا الأخير ومنذ خروجه من السجن لم يول أي إهتمام بقضيته التي ناضل وكفاح من أجلها وأنه تفرغ للعلم والعبادة وتركز هذه الكتابات على إبرار الجانب الصوفي من حياته في هذه المرحلة وهذا يناقض ما ورد في المصادر التي أرخت لهذه الفترة والتي أشارت إلى أن هذا الفترة مليئة بالأحداث والمواقف وأن الأمير إلى جانب نشاطه العلمي مارس أدورا سياسية وحتى عسكرية،كما تؤكد نفس المصادر إهتمامه بالشأن الجزائري ودعمه للمقاوميين الجزائريين حيث وردت في تحفة الزائر رسائل الأمير إلى الحكام التونسيين يوصيهم خيرا بالمهاجريين الجزائريين،ففي رسالته إلى مصطفى خزنداريقول الأمير"...ولم تزل ألسن المهاجريين بطرفكم تلهج بما لكم من الخصال الحميدة والمزايا العديدة وفي هذه الأيام وردت علينا رسائلهم تترى طالبين أن نحدث لكم من أمرهم ذكرا فجعلنا هذه النميقة تذكرة حسنة لتعاملوهم بمقتضى معاليكم المعاملة الحسنة على نحوى ما سبق من إحسانكم وألفوه من أفضالكم...[1]"،لقد أثمر تدخل الأمير وتجاوب الوزير مع طلبه الذي رد على رسالته قائلا:"...من توكيد الوصية على من لهم تعلق بجانبكم من المهاجريين القاطنين في المملكة التونسية لا يزالون بحمد الله في ظل نعم مولانا ورعايته"كما كتب الأميرإلى رستم باشا يوصيهم بالمهاجريين الجزائريين "...إلى تجديد الوصية الوصية بكافة المهاجريين وتكرار التذكرة بملاحظة الأوليين منهم والآخريين..."[2]، استنادا إلى هذه الرسائل يمكن القول أن إهتمام الأمير بالجزائر لم ينقطع بل استمر دعمه للثوار المهاجريين و وظف نفوذه لهذا الغرض.

---

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2، مصدر سابق،ص.197.

(2): نفسه،ص.199.

3- البعد التحرري في خطب الأمير

تعد خطب الأمير عاملا هاما جسد مظاهرالتلاحم والتواصل بين الحاكم ورعيته ومن منطلق ان الخطابة فن تلقائي،فقد إستطاع الأميربفضل مؤهلاته الفكرية والثقافية والعلمية واستعداداته الروحية والنفسية من التحكم في هذا الفن،وتبليغ رسالته من خلاله،لقد تنوعت خطب الأميرمن حيث الشكل والمضمون بحسب ظروفها وطبيعة المخاطب ومكان الخطبة،بحكم أن الأميرخطب واعظا في المسجد وحاشدا للهمم في المعارك ومدبرا في مجالس الحكم،وفق هذا المنظورفإن التحررفي خطب الأميرجاء في دعوة مباشرة للمقاومة العدووالتوحد وعدم الخروج عن ولي الأمر.

1-3- موضوعاتالخطب الأميرية

من منظور تعدد أدوار الأمير كحاكم للإمارة وقائد للجيش فقد تجلت أهمية خطبه فى:

أ - سياسة الأمير في حكم الإمارة

لقد بين الأمير في خطبة البيعة[1] معالم سياسته في إدارة الدولة والدفاع عن الوطن،ففي خطابه الذي وجهه إلى كافة العروش يقول:"...وبعد فإن أهل معسكروغريس الشرقي والغربي بايعونيعلى أن أكون أميراعليهم وعاهدوني على السمع والطاعة في العسروايسر وعلى بذل أنفسهم وأولادهم وأموالهم في إعلاء كلمة الله وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه،مؤملا أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين،ورفع الخصام من بينهم وتأمين السبل ومنع الأعمال المنافية للشريعة وحماية البلاد من العدو،وإجراء الحق والعدل... فلذالك ندعوكم لتتحدوا وتتفقوا جميعا،واعلموا أن غايتي القصوى اتحاد الملة المحمدية،والقيام بالشعائر الأحمدية، [2]"، لقد حدد الأمير في هذا الخطبة معالم الرؤية السياسة التي سيقوم عليها حكمه،وفي هذايقول يحي بوعزيز:"فجاء خطابه هذا على غرارالخطب

(1):عرفها ابن الاثير بقوله "إن البيعة عبارة عن المعاقدة والمعاهدة كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه واعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره. راجع : الجزري،ابن الأثير،النهاية في غريب الحديث والأثر،ج1،المكتبة العلمية،بيروت،1979م،ص.174.

(2):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،ص.101.

التي يلقيها رؤساء الحكومات في مجالسهم الوطنية،بين فيه خططه الرئيسة،وبرامجه العامة التي يعتزم أن يسير عليها في سياسته الإدارية وفي الشؤون الداخلية والخارجية[1]"،يذهب الأميرفي خطبته إلى توضيح طبيعة دوره على رأس الدولة المتمثل أساسا في الدفاع عن المسلمين والعمل على تحرير البلاد من الإحتلال ومحاربة المظاهر المخالفة للشريعة وإقامة العدل وتوحيد الأمة، كما يدعوا القبائل إلى الإلتفاف حول مشروعه والإتفاق فيما بينهم وتأدية البيعة،مما سبق يتضح البعد الشمولي في خطبة الأمير الذي ربط بين الجانب السياسي والجانب الإجتماعي ومما يعني أن دورالحاكم يكمن في الحفاظ على الدولة و خدمة مصالح رعيته.

ب - الحث على الجهاد

لما نقض العدومعاهدته مع الأمير،إجتمع إلى اهل دولته ودعاهم إلى الجهاد ثم اجتمع إلى رؤساء الجند وأعيان الحضرة إلى المسجد وطلع على المنبروخطب عليهم قائلا[1]: أما بعد فلا يخفى أن تعالى قال في كتابه"بأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفارولييجدوا فيكم غلظة[2]"وقال"وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله[3]"وهؤلاء القوم قد عاهدناهم فنكثوا وصدقناهم فغدروا وصابرناهم فلم يصبروا وإن تركناهم وشأنهم فلا نلبث أن نراهم قد فتكوا بنا على حين غفلة وهاهم قد خدعوا الدوائر والزمالة وغيرهم من ضعفاء الدين وحازوهم إليهم،فما الذي يمنعنا من دفاعهم ومقاومتهم ونحن موعودون بالنصرعلى أعدائنا فهيا بنا أيها المسلمون إلى الجهاد وهلموا إليه باجتهاد وارفعوا عن عواتقكم برود الكسل وازيلواعن قلوبكم دواعي الخوف والوجل،أما علمتم أن من مات منكم مات شهيدا ومن بقي نال الفخاروعاش سعيدا[4]"ثم يذكرصاحب التحفة أنه هزسيفه في يده ثلاثا"[5]

---

(1): بوعزيز،يحي،الأميرعبد القادر رائد الكفاح الجزائري،مرجع سابق،ص.47.

(2):ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق،ص.150.

(3):سورة البقرة،الآية رقم 193.

(4):ابن عبد القادر،محمد،المصدر السابق،ص.150.

(5):بن عبد القادر،تحفة الزائر،ج1، مصدرسابق،ص.150.

يتبين خطبة الأمير جملة من الدلالات:

- الكشف عن حقيقة المستعمروأهدافه البعيدة والتي لخصها الأميرفي الفتك والإستلاء على أرضهم ،لقد توصل الأميرإلى هذه الحقيقة في قرائته لنقض المستعمر لمعاهدته مع الأمير

- الحث على قتال العدو،ولقد وظف الأميرأسلوب الترغيب والترهيب

- قدرة الأمير على بعث الحماس واقناع الحضور من خلال الحجج التى ساقها

ج - ضبط الجبهة الداخلية

لقد سعى الأمير منذ توليه مقاليد الحكم على توحيد الصف ودعوة القبائل إلى الإلتزام بالبيعة في هذا الإطارخرج إلى القبائل المتمردة لإجبارها عن أداء المستحقات المالية التي عليها،فاجتمع بهم ووعظهم قائلا[2]:اعلموا أن الغاية الوحيدة في قبولي لتقليد هذا المنصب أن تكونوا آمنين على أنفسكم وأعراضكم وأموالكم مطمئنين في بلادكم متمتعين بوظائفكم الدينية ولا يمكن أن أبلغ قصدي من ذلك إلا بمساعدتكم مالا ورجالا وبهذا تعلمون أن المنافعا لحاصلة منكم عائدةعليكم ولا أظن أن يخطرفي بال أحدكم أن الأموال التي تؤخذ منكم ابتغيتها لنفقاتي الشخصية لعلمكم وتحققكم أني غني بما خلفه لي والدي وبالجملة فنحن لا نطلب منكم إلا ما تجبركم الشريعة على دفعه وما تجبرنا على أخذه فراجعوا أنفسكم وسددوا آذانكم مما يلقيه أهل الفساد إليكم وكونوا على كلمة واحدة وصفقة متحدة فيما ينفعكم ويصلح شؤونكم ولا يتم لكم إلا بطاعتنا قال الله تعالى"وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم[3]"ألا فليبلغ الشاهد الغائب"من خلال الرسالة تتجلى سياسة الحزم التي انتهجها الأمير اتجاه القبائل المتمردة كما تعكس مظهر من مظاهر الحكم الراشد المبنى على الشفافية حيث يوضح الأمير للقبائل مصير أموالالإعانة التي فرضتها ظروف الحرب كما يشيرإلى وضعه المادي الذي يجعله في غنى عنها بحكم ممتلكاته التي ورثها عن والده.

إن دخول الأميرفى مواجهة مع القبائل الرافضة المساهمة بأموالهم في المجهود الحربي

---

(1): ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدرسابق،ص.150.

(2): نفسه،ص.ص.118-119.

(3): نفسه،ص.119.

جاء بعد إستنفاده كل الطرق الممكنة لحقن دمائهم حيث يقول في هذا الإطار[1]"...طالما عاملت إعوجاج قبائل واد الزيتون بالاستقامة وعاملتهم على مابيني وبينهم من الإساءة بالمعاملة الحسنة فلم يزدهم ذلك إلا اعتداءا وإصرارا مع علمهم...وإننا دافعنا الأعداء بالمال والبدن،وقد خالفوا فحالفوا أعداءنا في الدين ومنعوا الزكاة والعشر المفروضة عليهم شرعا لبيت المال"[1]كما يقررالأمير المسؤولية الجماعية في إتخاذ القرارات المصيرية حيث يقول:"لا أريد أن اسمع أحد منكم يتهمني بالرغبة في المسحيين إن قضية السلم والحرب قضية أنتم تبثون فيها[2]،من خلال ما سبق يمكن القول أن خطب الأميرعكست حضوره كإمام للمسلمين كسياسي و كقائد عسكري وترجمت تفاعله مع معطيات الواقع الداخلي والظرف الخارجي.

2-3- أغراض خطب الأمير التحررية

لقد اختزلت خطب الأمير دوره النضالي من منطلق أنها شكلت أداته المباشرة في التواصل مع رعيته وفي حواره مع قادته وأهل مشورته ويتجلى البعد التحرري في خطبه من خلال:

أ -الغرض السياسي

بحكم المنصب السياسي للأمير فقد تناولت خطبه الأوضاع السياسية للإمارة وسوَّقت لرؤيته السياسية وتصوره لإدارته للبلاد ومن منطلق أن وجود سلطة سياسية منتخبة هو في حد ذاته شكل من أشكال التحرر ومقاومة الإحتلال،فقد حرص الأمير في خطبه على ترسيخ الثقافة الدولة واحترام مؤسساتها،كما دعى من خلال خطبه إلى طاعة ولى الأمر وعدم الخروج عليه وذهب إلى حد قتالالقبائل التي شقت عصا الطاعة بعد بذله النصح لها،فرؤية الأمير للدولة تتلخص في كونها كيان سياسي جامع يقابل سلطة الإحتلال وفي نفس الوقت محرك أساسي لمعركة التحرير،لذا فقد جاءت خطبه لتأكيد هذه الرؤية ،وإذا تأملنا بعض خطبه السياسية لوجدنا أنها تضمنت الحث على الطاعة والدعوة إلى الوحدة ورص الصفوف والوفاء بالتزمات بالبيعة،وأداء الوجبات وعدم تجاوز تشريعات وقوانين البلاد،كما تضمنت من جانب آخر

(1):سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير، مرجع سابق،ص.230.

(2): العربي،المنور،تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19،دار المعرفة،لبنان،2006م، ص.192.

عرض تطورات الصراع مع المستعمر و كيفية التعامل مع مستجداته المختلفة

ب -الغرضالديني

من منطلق إدراك الأميرلأهميةدورالعامل الديني في التحولات السياسية والإجتماعية وأهميته في المسار النضالي كوقود للمقاومة،فقد سعى من خلال خطبه إلى بعث واحياء روح الجهاد معتمدا على توظيف الخطاب القرآني والهدي النبوي، فجاءت لغة خطبه مشحونة بعبارات الحماسة والتحريض،لقد رمى الأمير في استدلاله بآيات القرآن وأحاديث الرسول (ص) إلى إيقاض المشاعر الدينية،ومن الأمثلة على ذلك استشهاده بقوله تعالى عز الجل"يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة[1]"وقوله عز وجل"وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله[2]"،لقد نقلت المصادر التي أرخت لسيرته الجهادية وقوف الأميرفي صفوف الأولى في مختلف المعارك التي خاضها ضد المستعمر محرضا جيشه على القتال،مرغبا في الشهادة ومرهبا من تولي الأدبار،لقد تجاوزت خطب الأمير الغرض الجهادي لتمسح العديد من المجالات،ففي المجال الإجتماعي حث الأمير على التماسك ونبذ الفرقة وإصلاح ذات البين و في المجال الإقتصادي دعا الأمير القبائل إلى الوفاء بالتزماتها المالية أما في المجال الثقافيفقد دعا إلى التعلم ومحاربة الجهل،وقد حرص على تشييد المدراس وانتدب الفقهاء والعلماء للقيام بهذه المهمة،تأسيسا على ما سبق يمكن القول أن خطب الأميرغلب عليها الطابع الديني ويرجع ذلك إلى خصوصية الفترة من جهة وشخصية الأمير من جهة أخرى وإلى إدراكه لطبيعة المجتمع ونفسية الجزائرية.

ج -الغرض الإجتماعي

إن تجليات البعد الإجتماعي في خطب الأميرعكستها دعوة الأمير لتماسك الاجتماعي ونبذ الفرقة والإنشاق[3]داخل المجتمع لذا فقد دعى في العديد من خطبه إلى الوحدة ورصف الصفوف

(1):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدر السابق،ص.151.

(2):نفسه،ص.150.

(3):نفسه،ص.233.

حتى أنه إضطر لقتال القبائل المنشقة [1]حفاظا على الوحدة الوطنية و الإنسجام داخل المجتمع ،كما حذر الأمير من خلال خطبه من الفساد[2] والأفات الاجتماعية وتوعد مرتكبيها بتسليط أقصى العقوبات حفاظا على أمن الرعية وممتلكاتهم،كما حرص الأميرعلى بعث روح التكافل حيث أشار بخصوص ضريبة المعونة[3] أنها جاءت في إطار رعاية الفقراء والضعفاء.

من خلال ما سبق يمكن القول أن الأمير عبد القادر وهب نفسه لتحرير الوطن وسخر كل ما يملك من أجل قضيته ،لذا فقد ناضل في خطاباته وكتاباته وأشعاراه من أجل تحقيق هذا الهدف.

(1):في هذا الإطار ينظر: بن عبد القادر،محمد،المصدرالسابق،ص.ص.104 - 114.

(2): كان الأمير يسلط عقوبات ردعية على شرب الخمر وتعاطي القمار،أنظر: بوعزيز بوعزيز،يحي،الأمير عبد القادررائد الكفاح الجزائري ،مرجع سابق،ص.142

(3):ملاح،احمد،المرجع السابق،ص.18.

ثالثا : التحرر فى تصوف الامير عبد القادر

إن تجليات البعد التحرري في تصوف الأمير عبد القادرتكمن في جمعه بين الجهاد والتصوف،فمظاهرالإرتباط بين الثنائية ترجمتها مواقف المتصوفة طيلة الوجود العثماني في الجزائر،لذا فإن تناول التحررالصوفي في العهد العثماني يساعدنا في فهم وبناء النموذج التحررالصوفي عند الأمير عبد القادرومن ثمَ معرفة إسهاماته وإضافاته في هذا المجال.

1-التحررالصوفى فى العهد العثمانى:قراءة فى الخصائص

إن الحضور الصوفي في الجزائرقبل الإحتلال الفرنسي تجلى من خلال الدورالذي اطلع عليه المرابطون قبل وبعد تأسيس إيالة الجزائرمن خلال الوقوف أمام الغزو الصليبي وتحرير المناطق التي احتلها وذلك بتحالف مع العثمانيين وتعبئة السكان وبعث روح الجهاد.

1-1- البعد التحررى فى المقاومة الصوفية

ظهر المرابطون مع بداية الإحتلال الإسبانى كقوة بديلة[1]لتحرير الأرض و رد العدوان الصليبى[2] فرضت تموقعها فى ظل الفراغ السياسى والفوضى و لا إستقرار[3] الذى اتسم به المغرب الأوسط ، تجلى ذلك من توظيف المتصوفة لإمكانياتهم و وسائلهم لمواجهة المحتل فأضحت الزوايا قواعد خلفية للبحارة العثمانين[3].

لقد تحولت أشكال الدعم الصوفى للعثمانين إلى تحالف إستراتيجى عسكرى دينى لتطويق المحتل و أعوانه،اتضح ذلك من خلال دعوة المرابطين سكان المدن الساحلية للإلتحام مع العثمانين[4] الذين تمكنوامن تحريرشرشال 1516م من أيدي الإسبان ثم الجزائربنى مزغن ثم

(1): .Gaffarel,p,L'Algerie,Histoire,conquette et colonisation ,Impde l'nstitut,1883,p.11

(2):خير،محمد فارس،تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثمانى إلى الإحتلال الفرنسى،ط2،مكتبة الشرق، بيروت، 1970م،ص.33.

(3):سعدالله،أبوالقاسم،تاريخالجزائرالثقافى1500م-1830م،ج1، مرجع سابق،ص.461.

(4):نفسه،ص.140.

ثم تلمسان فى عهد خير الدين[1] 1555م ،لقد أدرك العثمانيون مع رجال المتصوفة فى صراعهم ضد الإسبان[2] حيث يعد أحمد بن يوسف الملیانى[3] نموذج لهذا التواصل منذ أن قام عروج بالاتصال به هذا الأخير الذى أبدى تأييده و مساندته له وفق الشروط التالية:"أن حكمكم لا يجرى علينا ولا على نسلنا ولا عاى من تعلق بنا ولا على نسلهم،فأن رهبتم أحسنتم وإن خالفتم عوقبتم".[4]

مما سبق فقد بنى الملیانى شروطه هذه على أساس الواقع الذى عكس هيمنة السلطة الروحية على معظم القبائل وفى المقابل لم تتجاز السلطة العثمانية سدس البلاد[5] حيث حافظت الكثير من القبائل على سلطتها و نفودها[6] وتأكيدا لما سبق يقول حمدان خوجة:"أن هذه القبائل وضعت ثقتها بالمرابطين[7]" فيما يذهب الزهارإلى القول بأن :"سكان تلك الجبال كلهم عصاة لا يتصرف فيهم الآغا ولا الباى بل يتصرف فيهم المرابط"[8] بل إن حمدان خوجة يذهب ابعد من ذالك حين يقول:"كانت الحامية التركية التى تتجه كل سنة إلى حصن بجاية مجبرة على أن تكون مرفوقة برجل من المرابطين أذا لم يكن سفرها عن طريق البر."[9]

لقد استطاع رجال الصوفية بفضل هذا التموقع التصدى للغزو الصليبى وتوظيف مختلف

---

(1):ابو القاسم ،سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،مرجع سابق، ص.140.

(2): Dermenghem,E,Le culte des sains dans l'histoire Magribine,Gallimare,Paris1953, P.229.

(3): Bodin,Macel,notes et questions sur sidi ahmed ben youcef,in R.A,n°66,1925,p185.

(4):صادوق،محمد الحاج،مليانة وليها سيدى أحمد بن يوسف،د.م.ج،الجزائر ،1964م،ص101.

(5):جوليان،شارل أندرى،تاريخ إفريقيا الشمالية،تعريب مزالى محمد بن سلامة، الدار التونسية،للنشر، تونس، 1978م،ص.375.

(6): De grammont,H.D ,Histoire de l'Algerie sous la dominations turque(1515- 1530),leroux, Paris,1887,p412.

(7):حمدان،خوجة،المرآة ،مصدر سابق،ص.88.

(8):الزهار،الحاج أحمد الشريف،المصدر السابق،ص.48.

(9):حمدان،خوجة،المصدرالسابق،ص.89.

الوسائل لأجل هذا الغرض حتى أضحت المدرسة تساهم فى التحضير الجهادى و التكوين الحربى[1] الذى انعكس ايجابا على تحرير وهران حيث يذكر عبد الرحمان التلمسانى أنه لما عزم محمد بكداش على فتحها "...كان طلبة العلم وحملة القرءان هم أشد الناس مسارعة لإجابة دعوى السلطان إلى هذا الجهاد المبارك"[2] ولما تقرر بعث الرباط بوهران انضم إلى الجيش حوالى 500 طالب[3] كما شارك المرابط سيدى بلاحة بنفسه و معه 300 جندى فى تحرير وهران واستشهد فى 1696م[4].

مما سبق يتضح أن التحرر شكل الغاية و الهدف الذى سعى إلى تحقيقه المتصوفة من منطلق أنهم كانوا أكبر المحرضين للقادة العثمانين على الجهاد[5] وأنهم كانوا يتقدمون الصفوف[6] ،و فى هذا مؤشر على الفهم الصحيح للدين بحكم الحيز الذى احتله الجهاد فى عبادة و ممارسة الصوفية برغم حالات النكوص و الإنهزامية التى طبعت التصوف فى فترات معينة وفى وبالتالى يمكن القول أن البعد التحررى فى مقاومة الصوفية تجسد من خلال دور الزوايا و الرباطات فى الدعم و الإعداد و التكوين لمواجهة الغزو الصليبى.

1-2- التحرر فى الترات الصوفي

---

(1): Benachanhou,A,Connaissance du maghreb,notion d'ethnographie d'histoire et de Sociologie,ed populaire de larmee,alger,1971,p134.

انظر: Berque,Jaque,l'nterieur du maghreb 16eme-19emesiecle,gallimard,paris,1978,p48

(2):التلمسانى محمد بن عبد الرحمان،الزهرة النيرة لما جرى فى الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة، مجلة تارخ وحضارة المغرب،ع3،جولية 1967م ص.04.

(3):التلمسانى،ابن هطال،رحلة الباى محمد الكبيرألى جنوب الصحراء تحقيق محمد بن عبد الكريم،عالم الكتب ،القاهرة، 1967م ،ص.20.

(4): Touati,H,entre dieu et les hommes lettres saints et sorciers au maghreb17eme siecle ,Ed E.H.SS ,paris ,1994 ,p179.

(5):بوعزيز،يحى،أعلام الفكر و الثقافة فى الجزائر المحروسة، مرجع سابق،ص.440.

(6):سعد الله،أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافى،ج1،مرجع سابق،ص .206.

احتل التحرر فضاءا واسعا فى ادبيات الصوفية من خلال أشعارهم و رسائلهم و خطاباتهم ،فقد سجلت الكثير من المصادر التى أرخت للتصوف و الصوفية دعوتهم للتحرر من المحتل و التصدى للغزاة ،ويعد عبد الرحمان الثعالبى[1] من أوائل المتصوفة الذين حرضوا على الجهاد حيث جاء فى رسالته التى بعثها إلى محمد بن أحمد الكفيف :"...لو اطلعتم على ما اطلعت عليه من التحريض لما وسعكم أن تشتغلوا بشيىء من أمور مهامتكم بعد الصلاة ألا بآلة الجهاد،والله و الله لو لم يكنوا (كذا) بنو الأصفر على وجه الأرض لخلت أن ينبعوا من تحت الأرض كما رأيت من التحريض و التحذير منهم من قبل النبى صل الله عليه وسلم ومن يجب تصديقه ولا يمكننى التصريح به لضعيف الإيمان وقد سئل بعض الأولياء عن مسألة فسكت وقال للسائل أن إيمانه لا يحتمل هذا وبالجملة الحذر الحذر مما حذرتم..."[2]

من خلال الرسالة يتضح أن تحريض عبد الرحمان الثعالبى على الجهاد هو استجابة لأمر رسول الله الذى رآه فى منامه كما يؤكد أن نداءه هذا موجه للخاصة لا العامة فالفقهاء وحدهم يستطيعون فهم رموز الرسالة ،كما يعتمد الثعالبى فى تحريضه على الجهاد على معطيات الواقع الدولى حيث يقول:"...فإن كل عاقل يستشعر قتال بنى الأصفر ،فإنهم قد أصيبوا فى القسطنطينية..."[3].

من هنا يتضح أن دوافع نداء الثعالى وإن كانت تنطلق من الغيب فهى بالمقابل تعتمد على الواقع ،كما تناولت الرسالة مواصفات العدة الناجعة فى الحرب من منطلق تجربته وتمرسه فى هذا الميدان فيقول:"والذى أحبه منهم أن ينهضوا و يسرعوا فى عمل الدرق من الصفصافوتكون كاسية ولا تتكلوا على الطوارق ولا على درق اللمط[4]"،لقد ساهمالغزو الصليبى لسواحل الجزائرفى بعث روح الجهاد لدى المرابطون،فمن تحرير السواحل

(1): ولد سنة 1384م بمنطقة وادى يسر بالقرب من مدينة الجزائر وهو ينتمى إلى قبيلة الثعالبة العربية

وتوفى 1471 م.

(2):سعد الله ،أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، مرجع سابق،ص.202.

(3):نفسه،ص.210.

(4): نفسه،ص.210.

الجزائرية إلى تحرير وهران لم يتخل المتصوفة عن دورهم الجهادى تجلى ذلك من خلال أشعارهم و خطبهم حيث يقول محمد أقوجيل فى تحريضه للداى أحمد بكداش[1] (1695م-1689م) من أجل تحرير وهران:

ولتلتفت الجهاد لقوة والكفر اقطع اصله بذكور

أضرم على الكفار نار الحرب لا تقلع ولا تمهلهم بفتور

وبقربنا وهران ضرس مؤلم سهل اقتلاع فى اعتناء يسير

كم آذت من مسلمين ولم تسلم منهم بقهرأسيرة و أسير

فانهض بعزمك نحوها مستنصرا بالله فى جد و فى تشمير

بادربنا نغزو العدو وسرعن فى حسم شوكتهم و فى التدبير[2]

وفى نفس المنحى فقد حرض سيدى محمد بن عبد المؤمن الداى حسن الشريف باشا قائلا:

نادتك وهران فلبى نداها وأنزل بها لا تقصد سواها

واستدعى طائفة العساكر نحوه يغزونها و لينزلوا بفناها

أضحى الصليب مؤبدا و الدين قد درست معالمه فلست تراه

جرد ضباطك لمحق أثار العدى حتى ترى الإسلام فى معناها[3]

كما كان الشاعر أبو العباس أحمد أبى عبد الله يحرض على الجهاد حيث يقول:

أناشدكم بالله ما عذر كلكم لدى الله وفى وهران أمر الخنازير

---

(1):للتعرف أكثر على الداي أحمد بكداش الذي تمكن من طرد الإسبان، انظر: بن ميمون،محمد،التحفة

المرضية في الدولة البكداشية في الجزائر المحمية،تقديم وتحقيق،محمد بن عبد الكريم،الشركة الوطنية للنشر واتوزيع،الجزائر،1972م.

(2): بوعزيز،يحى،أعلام الفكرو الثقافة فى الجزائر المحروسة ،المرجع السابق،ص.230.

(3): المدنى ،توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة،مرجع سابق،ص .440.

أذلكم الله كيف رضيتم بسبى العذارى من بنات الأكابر[1]

أما ابن سحنون فيقول:

يا أمة غابت عليها حلومها وأصبح داعى المشركين يسومها

كساها طلاب المال ثوب مذلة فصالت عليها واستجاثت خصومها

ألا يقظة من رقدة طال وقتها فلا أحد فى العالمين يلومها

ويقول أيضا:

وبعد فالجهاد أصل البر وقد غفا رسما فى هذا البر

من عهد شعبان و بكداش سقى صداهما الغمام الناشئ[2]

2 -التصوف أواخر العهد العثمانى :الإسهامات و الإنحرافات

لقد ارتبط تصوف الأمير بشكل أو بآخر بالواقع الثقافى و الدينى أواخر العهد العثمانى لذا فإن معرفة خصائص التصوف فى هذه الفترة يساعدنا على فهم طبيعة تصوف الأميرو اجتهاداته و إضافاته فى هذا المجال من خلال دراسة مقارنة لأوجه الإرتباط والإختلاف فى ممارسة التصوف و التنظير له.

هيمن التصوف على الحياة الإجتماعية و الثقافية إبان العهد العثمانى وأضحت النخب المتصوفة تتمتع بالسلطة و النفود لدى القواعد الشعبية[3] بحكم أدوارها المتعددة التى مست الجانب الحياتى للسكان[4] و التى دفعتهم فى بعض الأحيان إلى الإستغناء وتجاوزالسلطة

(1):المدني،أحمد توفيق،حرب الثلاثمائة...المرجع السابق،ص.442.

(2):الراشدي،ابن سحنون،المصدر السابق،ص.162.

(3): Brosslard,H,Les Khouans constitutions des orders religieux musulmans en Algerie Bourget,alger,1859,p

(4):.Rinn ,L Marabous et Kouans ,op.cit,pp14-15

المحلية ومن منطلق الدور الريادى التى قامت به الزوايا المنتشرة فى كامل ربوع البلاد حيث أحصى بعض الباحثين وجود حوالى 23 طريقة و 43 زاوية تؤطر 295189 مريد[1] يسيرها 57 شيخا و 6000 مقدم[2] استحودت الطريقة الرحمانية وحدها على 156000 مريد والقادرية على 87000 و التجانية على 60000 مريد[3]، لقد ساهمت جملة من العوامل التاريخية والسياسية و الثقافية و الإجتماعية فى انتشار التصوف و الطرق الصوفية فى إيالة الجزائر ومن بين هاته العوامل نذكر:

أ- العامل التاريخ

تعد الأوضاع المضطربة و الصراعات التى عاشها المغرب الأوسط ضف إلى ذلك التحرشات الصليبية من العوامل الهامة التى ساهمت فى ظهورالحركة الصوفية التى بدورها ازدهرت ابتداءا من القرن السادس عشر وتجدرت بعد ذلك فى المجتمع الإيالة.

ب- العامل السياسى

إن غياب السلطة العثمانية فى مناطق واسعة من الأيالة دفع بالمرابطين إلى ملأ الفراغ السياسى حيث وجدت فيهم القبائل السلطة البديلة للإستقرار و استتباب الأمن[4] بالإضافة إلى المكانة التى حظيت بها هاته الطائفة لدى الحكام العثمانين والتى مكنتهم من لعب دور الوساطة[5] بين حكام الإيالة و السكان ،كما أن لمواقف بعض المرابطين المعارضة للسياسة

---

(1): Simian ,M, les confreries islamiques en Algerie(Rahmanya-tidjanya),A.jourdan,alger, 1910,p.20 .

(2): Depont ,O ,/Coppolani,X ,Les confreries religieuses musulmanes ,A.jourdan,alger,1897, P.210.

(3)Andre,P.J, contibution a l'etude des confreries musulmanes,maison de livre,alger,1956

P.20.

(4): الفلالى،المرجعالسابق،ص.34.

(4): سعد الله ،أبو القاسم ،شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون ،دار الغرب ا،بيروت،1986م،ص.271.

(5): Boyer,Pierre,contibution a l'etude de la politique religieuse des turcs dans la regence D'alger 16eme-19emesiecle,in R.O.M.M,NO1,1966,P 27

العثمانية الأثر فى تقوية مكانتهم و هيبتهم لدى السكان وبالتالى يمكن القول أن سياسة حكام لإيالة ومواقفهم اتجاه المرابطين سهلت تموقع هذه الفئة وهيمنتها على المجتمع.

ج- العامل الثقافى و الإجتماعي

لعبت الخصوصية الإجتماعية و الثقافية لسكان إيالة الجزائر دورا هاما فى انتشارالتصوف و ازدهاره بحكم الفراغ الثقافى و طبيعة التعليم المتوارث الذى رسخ الإعتقاد فى المرابط الى درجة التقديس كما شكلت سذاجة المجتمع و بساطته عاملا محوريا فى تقبل التصوف و احتضان المتصوفة يتضح ذلك من خلال التقاليد التى توارثها المجتمع فى تعامله مع الصوفية كالطواف و الوعدة[4] وزيارة المرابطين للتبرك[5].

2-1-الإسهامات

إن إسهمات المتصوفة تجلت من خلال أدوارهم و مجهوداتهم التى مسحت مختلف المجالات و اختزلت الواقع الحياتى للسكان من خلال:

أ - الإسهام الثقافي

لقد ساهمت المتصوفة فى الحفاظ على هوية المجتمع الجزائرى و ترسيخ البعد الإنتمائى و الحضارى من خلال النمط التعليمى المعتمد أساسا على الإطار التصورى العربى الإسلامىوذلك من خلال تدريس اللغة العربية و تحفيظ القرءان الكريم[1] ومن خلال نشر العلم بواسطة المكتبات التى كانت تسخر بها الزوايا، ففى بايلك الغرب انتشرت المكتبات فى كل من تلمسان،معسكر و مازونة[2] كما ترسخت ثقافة الكتاب فى عاصمة بايلك الشرق أما عن مدينةالجزائرفيذكر التمغروطى أنها كانت غنية بالكتب[3] .

Feraud,C.H,Histoire des villes de la provence de Constantine,arnaut,paris,1869,p:(4)

Layer,E,Confreries religieuses musulmanes et Maraboutgagniard,Lion,1961,p.23. :(5)

(3): بوعزيز،يحيى،أوضاع المؤسسات الثقافية ،المرجع السابق،ص.119.

(4): .Belhamissi,op.cit,p 37

(5): .Gaffarel,op.cit,p.123

لقد نجم عن الحراك الثقافى الصوفى تخرج العديد من العلماء و الفقهاء من الزوايا أمثالأبى راس الناصرى والامير عبد القادر[1]وغيرهم من جهابذة العلم كما تقلصت الأمية بين مختلف الشرائح الإجتماعية يتضح ذلك من خلال ماورد فى المصادر الأجنبية التى أكدت أن المحتل وجد غالبية السكان يجيدون القراءة و الكتاب .

ب - الإسهام السياسى

حظى المتصوفة منذ تاسيس إيالة الجزائربإهتمام السلطة العثمانية من خلال الإمتازات التى منحهم إياها حكام الإيالة وبالمقابل استطاع هؤلاء استثمار نفودهم الروحى فى إخضاع القبائل خاصة فى المناطق النائية التى خرجت عن السيطرة العثمانية و لتفت حول لمتصوفة[2] الذين أضحت سلطتهم موازية[3] للسلطة العثمانية التى اعتمدت عليهم كوسطاء[4] و منحتهم التفويض فى حل الأزمات حتى التى كانت تقع بين أطراف النظام المتصارعة كما استعان االعثمانيون بالمرابطين فى اخماد الثورات كتصدى آل مقران لإبنالأحرش دفاعا عن بجاية[5] كما عمل بعض المرابطن على إخماد الإضطرابات فى بايلك الشرق بل أن دورهم السياسى تعد حدود الإيالة حيث ساهم المرابطون بتفويض من السلطة فى استقرار العلاقات بين بايلك الشرق و تونس كما ساهم المتصوفة فى اتفاقيات الصلح بين إيالة الجزائر والمغرب[6].

على ضوء ما سبق يمكن القول أن تحالف السلطة مع المتصوفة مكنهم من لعب أدورا سياسية ساعدت فى استقرار نظام الحكم من منطلق تموقع هذه الفئة ونفودها في المجتمع.

ج - الإسهام الإقتصادى

إن مساهمة المتصوفة فى إقتصاد الإيالة تجسد فى قيام هذه الفئة بمهمة التحصيل الجبائي

(1): التمغروطى،أبو الحسن على،النفحة المسكية فى السفارة التركية ،ص.139.

(2): Filali,k ,Le différend quadiriyya-Tidjanyya ,op.cit,p.13.

(3): Robin,la grande Kabylie,op.cit,.p.17.

(4): Boyer,p ,op.cit ,p.30

(5): Feraud,Histoire des villes…p.215.

من منطلق ما تمتعت به من نفود وسلطة لدى القبائل التى كثيرا ما عارضت السياسة الضربية المنتهجة من طرف السلطة العثمانية ومن الأمثلة على ذلك أحفاد سيدى محمد أمقران الذين اوكلت لهم جباية ضرائب بجاية كذلك مرابطى أولاد سيدى على ومرابطي سيدى محمد بلحاج الذين تمكنوا من إقناع العديد من القبائل بدفع الضرائب[6] كما عما المرابطون على تأمين التجارة الداخلية وحماية المصالح الأجنبية حيث ورد فى رسالة بعث بها القنصل الفرنسى "جان أنتوان دى فاليار"إلى المسئول عن الشركة التجارية الفرنسية بالقل مفادها ان الداى طلب من أغا الحامية و مرابط المنطقة السهر على حماية مصالح الشركة الفرنسية[1]، بل إن العثمانين أنفسهم قد استغلوا المرابطين فى علاقاتهم التجارية مع قبائل الساحل وفى تأمين القوافل التجارية[2] وفق هذه المعطيات فإن المرابطون ساهموا فى تنشيط الحركة التجارية وبالتالى دعم إقتصاد الإيالة.

د - الإسهام الإجتماعي

ارتبطت التحولات الإجتماعية فى إيالة الجزائر بأدوار المتصوفة الذين يعود الفضل إليهم فى وحدة و تماسك المجتمع،وذلك من خلال اختيارهم لرئيس القبيلة[3] ومن خلال جهودهم الإصلاحية[4] فى التأليف بين مختلف القبائل وإخماد الفتنوالتدخل لحل نزاعات ووضع حد للإضطرابات كما سعت المتصوفة إلى نشر الإسلام بين مختلف القبائل وحتى بين الأسرى المسحيين[5] ومما زاد من تجدر الطرق الصوفية فى المجتمع كونها كانت ملاذا للفقراء و المحتاجين وملجأ للعامة فى الظروف العصيبة التى مرت بها الإيالة بسبب الكوارث و

المجاعات بالإضافة إلى تكفل الزوايا بالمرضى وتوفير الرعاية الصحية لهم،وفى بعض الأحيان كانت تقوم بجمع الأموال لافتداء الأسرى المسلمين[6] مما سبق يمكن القول أن الزوايا

---

(1): Filali ,op.cit ,p.62.

(2):Raymond ,op.cit ,p.82.

(3): سعيدونى، ناصر الدين ،مؤسسة الزوايا فى الجزائر العثمانية،ص.16.

(4): Develoux ,les édifices…….p.9.

(5): حمدان،خوجة،المصدر السابق،ص.75.

(6):Bel,A,la religion musulmane en barbarie du XII^{eme}au xx^{eme}siecle,gautier,paris,1938,p.379.

شكلت نواة الحراك الإجتماعى ومحور التضامن والتكافل بين الفئات المجتمع من منطلق أنها إستطاعت أن تزيل الفوارق العرقية و المهنية وان تحقق التجانس بين طبقات المجتمع وأن تحافظ على التقاليد المتوارثة ،وأن تقوم بأدوارثقافية و اقتصادية و حتى عسكرية.

2 -2- الإنحرفات

رغم الأدوار المتميزة التى قام بها المتصوفة إلا أن الممارسة الطرقية انحرفت عن جوهر التصوف فقد أشارت الكثير من المصادر إلى الإنزلاقات التى شابت االممارسة الصوفية و التى نجملها في :

أ-التقليد والجمود الفكري

اقتصرالتعليم فى الزوايا على دراسة أثار السلف الأمر الذى أدى إلى تقلص الإجتهاد والإبداع وانتشار التقليد[1]والإتباع حيث لم تتجاوز الدراسات الفقهية شرح المتون ووضع الحواشى كما غابت العلوم العقلية والطبية لقد ساهمت هذه الظاهرة فى شيوع التخلف واستشراء الجهل و الضلالة وتفشي التعصب وانحسار حرية الرأى والتفكير وغياب الإجتهاد.

ب - البدع و الخرافات

لقد اسست بعض الممارسات الصوفية للبدعة و الشعودة وجعلت من العبادة مجرد دروشة وجعلت للشعودة والإيمان بالخرافة[2] مكانة خاصة فى اعتقاد السكان وممارستهم حيث يذهب" شو"[3]إلى القول أن السحر و الشعودة حل محل العلوم،لقد استغل المرابطون سذاجة السكان لنشر الخرافات التي جعلتمن العوام خاضعين لهم[4] مقلدين لسلوكاتهم و معتقدين فى قدراتهم.

---

(1): سعد الله،أبو القاسم،أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ج3،ط1،الشركة الوطنية لنشر والتوزيع،الجزائر 1978م،ص.187.

(2):الراشديابن سحنون،الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، مصدر سابق،ص.204.

(3): Dr. SHAW, Voyage dans la régence d'Alger, trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy 2ème Ed,Bouslmaa,Tunis,1980,p.84.

(4):Mercier,Op.cit Etude sur la confrérie, p14

3- طبيعة تصوف الأمير عبد القادر:الضوابط و المميزات

3 -1-الضوابط

اختلف الفقهاء وأهل الرياضة فى تحديد و ضبط مفهوم التصوف منذ ظهوره من منطلق تباين المدراس و المذاهب الفكرية فيرى" ابن خلدون" أن:" هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وأصله أن طريقة أهل هذا العلم لم تزل عند سلف هذه الأمة و كبارها من الصحابة و التابعين ومن بعدهم و أصلها العكوف على العبادة و الإنقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن رخارف الدنيا و زينتها كان ذاك عاما فى الصحابة والسلف،فكما نشأ الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى للهجرة وما بعده جنح الناس إلى مخالطة الدنيا فاختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية و المتصوفة"[1] ويقول فى موضع آخر"التصوف خلق فمن زاد فى الخلق فقد زاد فى التصوف[2]" ويعرفه "ابن العربى"فيقول:"الوقوف مع الأداب الشرعية ظاهرا و باطنا وهى الخلق الإلاهية ،وقد يقال بإزاء إتيان مكارم الأخلاق و تجنب سفاسفها"[3] ونقل ابن الجوزى عن الطوسى :"هو الخروج عن كل خلق رديئ والدخول فى

كل خلق سنى" ويقول محمد ابن ابراهيم البغدادى:"علامة الصوفى الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة و علامة الكاذب على العكس[5]"أما الأمير عبد القادرفترتكز رؤيته للتصوف على منطلقات شرعية تجمع بين الإعتقاد و التفكير و القول و الممارسة وتستند إلى تجانس الباطن مع الظاهروتناسق المخبر مع المظهرتجلى ذلك من خلال أفكاره و سيرته ،حيث تجلت مظاهر التصوف كقائدا و مجاهدا و تبلوت رؤيته للتصوف فى حلقاته الخاصة ،ففى تنظيره للتصوف يقول:"إن القوم لما استقامت ظواهرهم وبواطنهم على الطاعات و اتباع السنة قولا وعملا وحالا قوى نور إيمانهم إذذاك سيتنهام الذى فيه يتنزهون وفى أرجائه

(1): ابن خلدون ،المقدمة ،ج1،دار الكتاب اللبنانى للطباعة و النشر،ط2، بيروت،1967م،ص.863.

(2): ابن خلدون ،عبد الرحمان،شفاء السائل و تهذيب المسائل، ط1،دار الفكر، دمشق،1996م،ص.34.

(3):ابن العربى، محى الدين،اصطلاح الصوفية ضمن رسائله،ط1،بيروت،1948م،ص.417.

(4):ابن الجوزى،تلبيس إبليس ،ط1،دار ابن الجوزى للنشر و التوزيع، القاهرة،2011م،ص.155.

(5): ابن خلدون، مصدر السابق،ص.288.

يترددون"[1] فالتصوف عند الأميرهو طاعة فيالقول والعمل والحال،فمعيارية التصوف عنده تكمن فى الخضوع لله وتقرب إليه بالطاعاتوورد فى المواقف قوله:"...مطلب علم التصوف مالا يقف التحقيق عند مسألة من مسإئله بمعنى أن الطالب لمسألة من مسإئله إذا حققها يجعله ذالك التحقيق مستعدا لما وراءها فإذا تحقق استعد له مما وراء تلك المسألة استعد كذالك وهكذا فلا نهاية لمسائل التصوف و مطالبه دون الذات البحث الغيب المطلق وهناك منتهى العبارات ومنقطع الإشارات وبحر الظلمات..."[2] فالتصوف عند الأمير علم له مطالبه يتطورويتجدد ومسائله لا حد لها ولا نهاية وهى تتحقق بقدر استعدادات الطالب والمتصوفة فى نظر الأمير" هم سادات طوائف المسلمين"[3]وأهل الله والعارفين به و"أهل الوجود والشهود"[4] كما يلقبهم بأهل القرآن فيقول:...فنسمى أهل القرآن بأهل الحقيقة والصوفية والفقراء[5].."مما يعنى أن التصوف عند الامير قائم على معرفة الله وإمتثال أوامره.

إن مفهوم التصوف عند الأمير لا يقتصر على كونه علم وعمل وعبادة بل لا يكتمل إلا فى إطار مجموعة من الضوبط و الحدود أساسها كتاب الله وسنة رسوله(ص) حيث يقول "[6]...فمن أراد معرفة الرسل والأنبياء ومن تبعهم،فليتبع سننهم وليقف عند حدودهم التى حدوها ويقتدى ظاهرا وباطنا...فلا سبيل إلى معرفة الله المعرفة المطلوبة منا إلا بهذه الطريقة لا نعتبرها من الطرق العقلية والرياضية عن غيرطريق الرسل..." فالتصوف عند الأمير لا يستقيم إلا باقتفاء أثرهم واتباع سننهم ويقول فى موضع آخر:"...وطريقة توحيدنا ماهى طريقة المتكلم ولا الحكيم المعلم،ولكن طريقة توحيد الكتب المنزلة وسنن الرسل المرسلة وهى التى كان عليهابواطن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والسادات العارفين..."[7]، فالتوحيدوالإعتقاد

---

(1): الجزائرى ،الأمير عبد القادر،المواقف،ج1،مصدر سابق،ص.531.

(2): نفسه،ص.313.

(3): نفسه،ص.167.

(4): نفسه،ص.215

(5): نفسه،ص.316.

(6):نفسه،ص.418.

(7):نفسه،ص.89.

فالتوحيدوالإعتقاد الصحيح هو الأساس الذى يقوم عليه جوهر التصوف عندالأميرعبد القادروما انحرفات وضلالات بعض أقطاب المتصوفة إلا نتيجة الخروج عنالتوحيد الخالص الذى بنى عليه الأمير فلسفته ورؤيته للتصوف وفى هذا صدد يقول:"..وفيالصحيح أن الصدقة أول ما تقع فى يد الرحمان وإذا تلا القرآن رأى أن المتكلم حق والمتكلم به حق وإذا استمع القرآن رأى أن الكلام حق والسامع حق وإذا نظر إلى شيئ رأى الناظر حق والمنظور إليه حق،فإنه يرى بنورالله واحذر أن تعتقد حلول أو اتحادا أو سريانا أو تولدا،تعالى عن ذلك كله وأنا بريئ من ذلك"[1] فالامير يتبرئ من أى تؤيل لكلامه بحكم أن خطاباته موجهة للصفوة و الخاصة يتضح ذلك من قوله"واحذر أيها الواقف على هذا أن ترمينا بحلول أو إيجاد أو زندقة أوإيجاد فنحن بريئون من فهمك الأعوج وعقلك الأهوج"[2]

وفى موضع آخر"..من غيرامتزاج ولا اتحاد ولاحلول فليسعندنا إلاوجودواحد"[3]،وفق هذا المنحى يمكن القول أن ضوابط تصوف الأميرترتكزعلى:

أ- اخضاع الممارسة الصوفية للقواعد الشرعية.

ب- الإعتقاد السنى المبنى على تنزيه الله دون تشبيه أو تعطيل أو تكييف.

ج- ظواهرأقوال وأفعال المتصوفة لا تستجوب الحكم عليه.

مما سبق يمكن القول أن القراءة السليمة فى تصوف الأمير يجب أن تراعى هذه الضوابط وتقف عند حدود إشارتها.

2-3- مميزات تصوف الأمير

لقد كان لتجارب الأميرعبد القادر كرجل دولة وكقائد عسكرى ولتكوينه الدينى والعلمى الأثر في خصوصيةتصوفهوتميزه ،تجلى ذلك من خلال رفضه واعتراضه على الكثير من الممارسات الصوفية حيث يقول:"كنت مغرما بمطالعة كتب القوم غير سالك طريقهم

---

(1):الجزائري، الأمير عبد القادر،المواقف،ج1،المصدر السابق،ص.376.

(2):نفسه،ص.197.

(3):نفسه،ص.115.

فكنت فى أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم و أكابرهم يقف منها شعرى وتنقبض نفسى"[1] فالأمير امتلك أدوات النقد و الترجيح منذ تعلقه بهذا العلم،كما كان لاختلاطه بالمجتمع الأثر فى تفريغ تصوفه من قالب الإنعزالية و الإنطوائية التى تميز بها بعض المتصوفة وفى هذا الإطار يقول برونو إتين:" إن التصوف يعارض دائما التقشف كما يعارض التماس الرزق إدارة العالم وتصوف عبد القادر لا يرفض العالم إنما يبنى حياة صامتة...قادرة على وقاية نوع من التخفى الروحى فى الوقت ذاته الذى يقوم فيه بدور فعال وكأنه غائب عنه[2]" أما من حيث مضمون الممارسة الصوفية للأمير عبد القادر فأهم ما تميزت به:

أ- المقام والحال

يقول الأمير عبد القادر:"ما من أهل مقام من المقامات وطبقة من الطبقات إلا فيهم فاضل و مفضول وإن جمعهم المقام"[3].

1- مقام التوبة

1-1- مفهوم التوبة

إن التوبة عند الأمير عبد القادر هى:"الرجوع الحقيقى بالتبرء من نسبة الرجوع الذى هو معنى التوبة غلى العدم ونسبته إلى الوجود،كماهى توبة خاصة الخاصة،أوالرجوع به منه إليه كما هى توبة الخاصة،وما عدا هذين الصنفين فتوبتهم بمعنى رجوعهم تطهير لا رجوع لأنهم ما رجعوا بعد توبة الله تعالى عليه[4]" ويرى الأميرعبد القادر أن مقام التوبة:"هو المفتاح للوصول لمقام التحقيق،فمن أعطيه أعطى الوصول ومن حرم حرم الوصول...وبعد إحكام مقام التوبة شرائطه،أطلبوا الوسيلة".[5]

---

(1): الجزائرى،الأمير عبد القادر،الموقف،ج1، مصدر سابق،ص.122.

(2):برونو،إتين،عبد القادر الجزائرى،مرجع سابق،ص.186.

(3): الجزائرى،الأمير عبد القادر،المصدر السابق،ج2،ص.375.

(4): الجزائرى،الأمير عبد القادر،المصدر السابق ،ج1،ص.554.

(5):نفسه،ص.447.

1-2- أنواع التوبة[1]

التوبة عند الأمير أنواع:

أ - التوبة من المعاصى.

ب - لتوبة من الطاعات أى من سببهاإليها مع فعلها

ج - التوبة من طلب الأعواض والأجور.

د - التوبة من التوبة

أما درجاتها فهى[2]:

ا - التائبون من المخالفات وطلب الأعواض على الطاعات.

ب - التائبون العارفون بالله والتائبون العلماء.

فالتوبة عند الأمير أول و أولى المقامات تتعدد أنواعها و تتباين درجاتها

2- التوكل[3]

2-1- مفهومه:

يرى الأمير عبد القادرأن التوكل ما هو:"إلا الثقة و الطمأنينة لا ترك الأسباب مع الشك والإضطراب،فليس هذا من التوكل فى شيئ...ولو كان ترك السبب و الحركة للزم إذا وضع إلى بطنه...و ما اعتنى القوم رضى الله عنهم بمقام التوكل وعدوه رؤوس المقامات وتكلفوا الخيربين يدى المتوكل أن لا يتناوله ويرفعه إلى فيه،فإن هذا سبب وحركة لوصول الخير ترك الأسباب إلا ليحصلوا على الثقة وعدم الإضطراب عند فقدان الأسباب..."[4]،إن معنى التوكل عند الأمير عبد ينطلق من مفهومه للعلة و المعلول فالحوادث و الظواهر ترتبطبالسبب

---

(1):الجزائرى،الأمير عبد القادر،المواقف،المصدر السابق ،ج1،ص.553.

(2):المصدر نفسه،ص.553.

(3): للتعرف أكثر على الأحوال والمقامات عند الأمير،راجع: بلغراس،عبد الوهاب،الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر،أطروحة ذكتوراه في الفلسفة،جامعة وهران، السنة الدراسة،2010م – 2011م،ص.ص.115 - 119.

(3):نفسه،ص.404.

عدما أو وجودا حيث يقول "الإعتماد على الله حالة وجود الأسباب وحالة عدمهاوما وجدنا شيئا من غير سبب فالأسباب مقتضى الحكمة الإلهية"[1].

2-2- أنواع التوكل[2]

أ - متسبب صرف،نظره مقصود على السبب فهو أعمى

ب - متوكل صرف معرض عن الأسباب.

ج - متسبب بظاهره متوكل بباطنه.

مما سبق يتضح أن التوكل عند الأمير يتخد طابعين ،الطابع الدينى كونه عبادة تعتمد على الإعتقاد الصحيح فى صفات الله من حيث أنه تعالى خالق السبب و المسبب،والطابع الفلسفى الذى يتمثل فى تلازم العلة والمعلول وجودا أو عدما.

3-التقوى[3]

يرى الأمير أن التقوى مراتب:

أ- ان يجعل نفسه وقاية للحق تعالى.

ب- أن يجعل الحق تعالى وقاية لنفسه فى الخير والشر.

ج- أن يجعل نفسه وقاية للحق تعالى فى الشر[4].

وفى نظره كذالك التقوى نوعان:

أ- تقوى له إذ أمر الحق تعالى الناس أن يجعلوا أنفسهم وقاية لربهم[5].

ب - تقوى به اى أن يجعلوا تعالى وقاية لهم.

4 - الصبر

4-1- مفهومه:

---

(1): الجزائرى، الأمير عبد القادر،المواقف،ج1، المصدر السابق،ص.404.

(2): نفسه،ج2 ،ص.89.

(3):نفسه،ج1،ص.214.

(4):نفسه،ص.386.

(5): نفسه،ص.403.

يعرف الأمير الصبر"...عام على الخير والشر،إذ الكل إبتلاء وفتنة وتمحيص ...ومن هذا الصبر،الصبر على المعارف الإلهية والاسرار الربانية بعدم إذاعتها لغير أهلها...أماالصبر على الشر فهو المعروف عند الجمهور وهو فى نظر الأمير"حبس النفس على ما تكره إلا ما لا يلائمها حاضرا ولو أنه خير لها فى الآجل فلا بدا للنفوس من التألم النفسانى والطبيعى[2]" فعلى رأى الأمير الصبر قسمان صبرعلى ما تكره النفس و صبر على ما تحب.

4 -1- أنواعه

عند الأمير الصبر نوعان،صبر بالله وصبر بالنفس وفى ذالك يقول:" بين الصبر بالله والصبر بالنفس فرقان فمن كان صبره بالله فهو و إن تألم ظاهرا فباطنه ناعم البال قرين العين...يكون الحق تعالى هو الحامل لما انزله عمن يكون صبره به تعالى...والصبر المحمود المرضى المطلوب من العبد هو الذى يكون بالله...أما من كان صبره بنفسه فإنه وإن حبس نفسه ظاهرا لما نزل به و أصابه فهو كسيف البال مظلم الأرجاء...وهذا ليس هو الصبر المرضى المحمود"[3]،فالصبر عند الأمير درجات من حيث المتعلق وأرقى طبقاته ما كان متعلقا بالله فهو سر الطمأنينة والرضا لأن الله يدفع عنه الألم ويمنحه قوة التحمل وأما من كان صبره بنفسه فيتأثر بما ألمَّ به وتظهر عليه علامات ذلك وبحسب أحوال السالك ومنزلته تتحقق ثمرة الصبر،أما الأحوال التى عايشها الأمير وذاق حلاوة طعمها فهى تختلف وتتنوع باختلاف طاقات السالكين واستعداداتهم.

1- القرب

1-1- مفهومه:

القرب[5] فى نظر الأمير"القرب من الحق تعالى قرب معنوى وليس ذالك إلا برفع حجاب

---

(2): الجزائري،الأميرعبد القادر،المواقف،ج1،المصدر السابق،ص.444.

(3): نفسه،ص.506.

(4):نفسه،ص.444.

(5): للتعرف اكثر على أحوال السالكين: ينظر: الجوزية،ابن القيم،مدارج السالكينبين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،ط3،دار الكتاب العربي،بيروت،1996م.

الجهل و إلا فالحق أقرب إلينا من حبل الوريد فما بعدنا إلا الجهل وما قربنا إلا العلم"[1]وأن"أهل الله القريبون منه القرب المعنوى والمقربون عنده وهم أنصار الله الملبون دعوتهالمستجيبون إلى دعوته.[2]"

1-2 - أنواعه

أنواع القرب من وجهة نظر الأمير ترتبط بمستويين أساسين النوافل والفرائض،لذا يقسم الأمير القرب إلى قرب النوافل حيث يقول:" أن يشهد العابد نفسه حال العبادة بل فى غيرها من سائر الأفعال والأركان أنه بالله فلا يرى فعلا له ولا لغيره ولا إدراك إلا بالله فيكون العبد ظاهرا والحق باطنا وهذا المسمى قرب النوافل وهو ثابت ذوقا ووجدانا[3]"وقرب الفرائض وعن هذا يقول الأمير:" يشهد العابد نفسه وقواه الباطنة وأعضاءه الظاهرة انه الحق،والحق تعالى المصرف لها المؤثر بها فيسمع بسمع العبد ويبصر ببصره ويتكلم بلسانه إلى آخر الأركان،فيكون الحق تعالى ظاهرا و العبد باطنا وهذا ما يسمى بقرب الفرائض"[4] ويقارن الأمير بين القربين فيقول:" القربى على قريب وأقرب فمن كان قربه النوافل فهو قريب ومن كان قربه قرب الفرائض فهو أقرب،وقربهم منه تعالى تخلقهم وتحققهم بأسمائه تعالى"[5]فاعل بالله تعالى والشهود الحاصل من قرب الفرائض ومشهده أن الله تعالى فاعل بالعبد[6]".

2- المحبة

وهي عند الأمير"[7]محبة الله تعالى من حيث الذات الغنية عن العالمين التى لا تطلب العالم يطلبها،لأن المحبة لا تكون إلا لمناسبة ولا مناسبة بين الخلق وذات البحث ولا ارتباط

---

(1):الجزائري،الأمير عبد القادر،المواقف،ج1،مصدر سابق،ص.200.

(2): نفسه،ص.395.

(3): نفسه،ص.349.

(4):نفسه،ص.350.

(5): نفسه،ص.111.

(6): نفسه،ج1،ص.306.

(7): الجزائري،الأمير عبد القادر،المواقف،ج1،مصدر سابق، ص.171.

بوجه ولا حال،فعلم بهذا أن العبد لا يحب الذات من حيث هى هى لأن مالا يسمى ويعلم ويوصف لا يحب والذات تشهد ولا تعلم ومرتبة الصفات هى المحبوبة من لجميع فما أحب

محب إلا حضرة الكمال ونعوت الأفضال وعند التحقيق ما أحب محب إلا أثار الجمالومتعلق محبة العبيد إنما هى مرتبة الألوهية"[1]ويعبر عما يجول فى خاطره قائلا[2]:

سألت الطب أخبر كلهم وهم أهل تجريب وأهل ذكاء

بأن سقيم الحب هيهات ماله دواءإذا الحب أصبح نائى

عسى ولعل أن يبرد الأسى فإن رجاء الوصل بعض الدواء

وإن لم يكن للعاشقين تقرب لوقت وصال ما بقوا المساء

ويقول فى موضع آخر[3]:

وإن دام هجر الحب أو زاد دبينة فذاك داء لم يزل بالشفاء

فيمن مضوا فى شرعة الحب والهوى فلتصرف لبلاء

ويصف ما يكابده من معاناة الوجد[4]:

أرانى كلما توهمت سلوانا أجدر حشوا حشاى من الشوق نيران

كما أن المحبة عند الأميرعبد القادر مراتب ودرجات يصل إليها السالك فى رحلته الروحيةفيقول:"...وإن كان كل مؤمن يحب الله تعالى والله تعالى يحب المؤمن وإن قل ظهور المحبةمن الجانبين،فالله تعالى يحب المؤمن ولو كان عاصيا غير مرتكب الكبائرأهل القطيعة ومحبة الله تعالى للمؤمن من حيث أنعم عليهبالإيمان الذى هو الوسيلة الوحيدة فى نيل السعادة الأبدية من قبل أن يخلقه ومن قبل أن يسأله"

---

(1): الجزائري،الأميرعبد القادر،المواقف،ج1، المصدرالسابق،ص.171.

(2): السيد،فؤاد صالح،المرجع السابق،ص.152.

(3): الجزائري،الأميرعبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر، مصدر سابق ،ص.459.

(4):نفسه،ص.270.

3- المشاهدة

يؤكد الأميران الإطمئنان الكامل لايتم إلا بالشهود[1]والمشاهدة عنده"لا تستلزم العلم بالمشهود،فقد يشاهد ولا يعرفه فإن جميع المخلوقات تشهد الحق تعالى فى تجليه فى الصورولا تعرفه إلا الخاصة منهم كما أن العلم لا يستلزم المشاهدة... تتفاضل المشاهدة بتفاضل الإستعداد[2]" ويفصل الأمير ذالك فيقول"الرؤية الحاصلة لمحمد(ص) وموسى عليه السلام هى غير المشاهدة الحاصلة لكل عارف بالله تعالى من نبى و ولي وإن تفاوت مراتبهم فى المشاهدة وسواءا كانت المشاهدة حال الغيبة عن العالم أو فى العالم،والمحققون من العارفين لايقولون أنهم يرون الحق تعالى حال شهودهم بل يقولون أنهم لم يروه قطعا وإنما يرون صورهم و مراتبهم واستعداداتهم فى الوجود الحق تعالى،فلا يشهد الشاهد إلانفسه لأن المشاهد على قدر ما يعلمه منه وإن كان العلم خلاف الشهود والرؤية فكل مشهود معلوم ما شهد منه،ما كل معلوم مشهود"[3]و يذهب الأمير إلى تقسيم المشاهدة من منطلق أثارها،فيرى أن المشاهدة نوعان،مشاهدة النعمة التى توجب الفرح و الضحك والإنبساط ومشاهدة الذنوب التى توجب القبض والحزن والبكاء[4] ،و المشاهدة فى نظر الأمير درجات[5]:

- الخاصة التى ترى الوحدة من غير كثرة إلا عقلا
- خاصة الخاصة التى ترى الوحدة فى الكثرة
- خلاصة خاصة الخاصة يرون الكثرة فى الوحدة

مما سبق يتضح أن المقامات و الأحوال عند الأمير هى اختزال لتجاربه فهى عملية أكثر منها تنظيرية فقد ما اشتهرعن الكثير من علماء التصوف اهتمامهم بالجانب النظرى للممارسة الصوفية ، فالسراج طوسى عندما يشرح الاحوال يقول:"معنى الأحوال ما يحل بالقلوب او

---

(1):الجزائرى،الأمير عبد القادر،المواقف،ج1، المصدر السابق،ص.310.

(2): نفسه،ج2،ص.529.

(3): نفسه،ج1،ص.293.

(4): نفسه،ص.146.

(5):نفسه،ج2،ص.391.

أو تحل به القلوب من صفاء الأذكارولیس الحال عن طریق المجاهدات والعبادات والریاضیات كالمقامات[1]"أما الغزالی فیقول"یسمی الوصف حالا إذا ثبت و اقام ویسمی حالا إذا كان عارض سریع الزوال وهكذا كل صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذی غیر ثابت یسمی حالا لأنه یحول علی القرب وهذا جاء فی كل وصف من أوصاف القلب[2]" ویذهب القشیری إلی أن"الأحوال مواهب والمقامات مكاسب والأحوال تاتی من غیر الوجود والمقامات تحصل ببذل المجهود وصاحب المقام ممكن فی مقامه و صاحب الحال مترق."

ب - المعاملة والمكاشفة

1- المعاملة

فی سیاق تنظیره للمعاملة یقول الأمیر:"إن الهدی أنواع و الموصفون بالهدی أنواع فمهتدی وأهدی وأعظم هدی[4]" ویری كذلك أن "كل مرتبة من مراتب الهدی هی ضلالة بالنسبة إلی ما هو أعلی منها،فهدی العقل ضلالة بالنسبة إلی هدی أهل الشهود والعیان[5]" ولقد سار الأمیر فی مجاهداته علی ضوابط الشرع ولازم أوامره ونواهیه حیث یقول :

علیك باشرع فالزم طریقته فحیثما سار فسر وإن یقف فقف[6]

فالمعاملة عند الأمیر"القیام بوظائف التكلیف والعمل برسم الشرع[7]" فی هذا الإطار یمكن القول أن الأمیر وضع قواعد الممارسة الصوفیة الخالصة من الشوائب التی نجمت عن إنحرفات بعض الصوفیة.

2- المكاشفة

---

(1):الطوسي،السراج،اللمع في التصوف،تح الن نكلسون، مطبعة بريا،ليدن،1914م،ص.66.

(2):الغزالي،أبو حامد،إحياء علوم الدين،ج4،مصدر سابق،ص.139.

(3):القشيري،عبد الكريم، الرسالة،ط1،دار احياء التراث العربي،بيروت،لبنان،1998م، ص. 34.

(4): الجزائری،الأمير عبد القادر،المواقف، ج2 ،المصدر السابق،ص.310.

(5): نفسه،ص.310.

(6): نفسه،ص.20.

(7): نفسه،ص.427.

تتجسد المكاشفة عندالأمير فى قوله:"إن فى الوجود معشوقة غير مرموقة،الأهوية إليها ناجحة والقلوب بحبها طافحة،والأبصار إلى رؤيتها طامحة،يطير إليها الناس كل مطار ويركبون كل الأخطار[1]"ويرى فؤاد صالح[2] فإذن هذه المعشوقة التى تهواها القلوب وتطمح لرؤيتها الأبصارويتسارع الناس إليها من كل حدب وصوب،كثر سالكوها وقل واصلوها ويفسرالأمير عبد القادر قوله تعالى"وأما بنعمة ربك فحدث" المراد بالنعمة هنا،نعمة العلم المعرفة بالله تعالى والعلم بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة و السلام والمراد بالتحدث بها افشاءها وبثها لمستحقيها المستعدين لقبولها"[3] ويقول فى موضع آخر:"...فإن من العلومالتوحدية مالا يجوزافشاءه مطلقا بل هو سر بينه وبين عبده على الموت"[4].

ج- الرمز والإشارة

يعد الرمز فى الأدب الصوفى أداة متميزة فى تبليغ الخطاب الشعرى[5] ومعناه أن يشار بالفظ القليل إلى معانى وهو عندهم ينبثق من فكرة السر أو الباطن[6]، لقد لجأ المتصوفة إلى اللغة الإشارية لأنها أقدر على نقل المعانى الروحية وترجمة الرؤى الفيضية ظاهرا وباطناحتى أنهم فسروا القرآن تفسيرا باطنيا يتفق مع أرائهم وأفكارهم بلذهبوا إلى اكثر من ذلك في تنظيراتهم لنصوص الشريعة وفي رؤيتهم للوجود والحياة والإنسان ،في هذا السياق فقدفسروا الحروف و النقط تفسيرا غريبا[7]، فالتصوف فى جوهره نوع من التسامى فى الروحانية والصوفية الأخيار كانوا فى الأصل من عشاق الصور الحسية ثم ضاقت أمامهم دنيا الحس

---

(1):الأميرعبد القادر،المواقف،المصدرالسابق،ج2،ص.90.

(2):السيد،فؤاد صالح،المرجع السابق،ص.160.

(3):الجزائري،الأميرعبد القادر،المواقف ،ج2، المصدر السابق ،ص.221.

(4): نفسه،ص.221.

(5): حمادة،أحمد حمزة،الرمزالصوفى فى ديوان ابى مدين شعيب،ط1،مطبعة مزوارالجزائري الجزائر،2009م،ص.45.

(6): العسكرى،أبو هلال،كتاب الصناعتين،ط1، دار احياء الكتب العربية،سوريا،1952م،ص.348.

(7):الركيبى،عبدالله ،الشعرالدينى الجزائرى الحديث،ط1،ش،و،ن،ت،الجزائر،1981م،ص354.

فتساموا إلى دنيا الروح وهى دنيا حافلة بمعانى الحب والجمال[1] فوراء علم الظاهر علم الباطن وهو لا يفهم من الوضع اللغوى ولا من البراهين المنطقية إنما يفهم عن طريق الإلهام والمكاشفة[2].

إن الأمير عبد القادر لم يشد عن الطريق الذى رسم معالمه متصوفة القرون الأولى من منطلق أن توظيفه للرمز اختصر فيه تجارب المتقدمين و المتأخرين،ومن أهم المواضيع التى وظف فيها الأمير الرمز:

1-وحدة الوجود

يذهب بعض الباحثين إلى أن الأمير إمتداد لابن العربى فى بعض أرائه[3] وقصائده حيث يرى صاحب الفتوحات المكية "أن الوحدة فى الإيجاد و الوجود والموجود لا يعقل و لا ينقلإلا فى لاإله إلا الله[4]" ويفسرهذا المعنى بقوله[5]" فالأحادية معقولة لا تتمكن العبارة عنها إلا بمجموع مع كون العقل يعقلها وهى أحادية المجموع وآحاده"، لقد سار الأمير على خط ابن العربي فى تنظيره لفكرة وحدة الوجود حيث يقول فى بعض قصائده[6]:

أنا حق أنا خلق أنا رب أنا عبد

أنا عرش انا فرش وجحيم أنا خلد

أنا ماء أنا نار وهواء أنا صلد

أنا كم أنا كيف أنا وجد أنا فقد

---

(1):زكى،أحمد،التصوف الإسلامى فى الأدب و الاخلاق،ج1،ط 1،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، 1938م،ص.45.

(2): أمين،أحمد،ضحى الإسلام ،ط10،ج،دار الكتاب العربى،بيروت، لبنان،1987م،ص.249.

(3): الركيبى،عبد الله،المرجع السابق،ص.342.

(4): ابن العربى،محى الدين،الفتوحات المكية،ج،ص.623.

(5): نفسه،ص.623.

(6): الجزائري،الأمير عبد القادر،المواقف ،ج1، المصدر السابق،ص.211..

فمن خلال هذه القصائد يظهر التقاطع بين الأمير و شيخه ابن العربي فى رؤيتهما لوحدة الوجود التى لا تتنافى فى نظر الأمير مع تنزيه الله تعلى عن التشبيه أو الحلول والإمتزاج.

2- الخمر

إن الخمر عند الأمير يختلف عن خمر الدنيا الذي يذهب بالعقل وإنما المقصود الخمر الإلهي والسكر منه هو سكرمن لذة الوصال والقرب من الله تعالى[1] ويصفها الأمير قائلا:

ويشرب كاسا صرفة من مدامة فياحبذا الكاس ويا حبذا الخمر

فلا غول فيها لا ولا عنها نزفة وليس لها برد وليس لها حر

معتقة من قبل كسرى مصونة وما ضمها دن ولا نالها عصر[2]

وهي عنده محور العلم لايدرك كنهها إلا السائرين وأن الذين لم يتذوقوها حقت عليهم الخسارة في الدنيا حيث يقول الأمير[3]:

هي العلم،كل العلم والمركزالذي به كل علم حين له دور

فلا عالم إلا خبيرا يشربها ولا جاهل إلا جاهل بها غر

ولا غبن في الدنيا ولا من رزيئة سوى رجل عن نيلها حظه نزر

لقد سارالأميرفي الخمريات على نهج من سبقوه من المتصوفة الذين تأثروا بدورهم بأبى نواس وغيرهم، فيقول[4]:

وقال اسقني خمراوقل لي هي الخمر ولاتسقني سرا،إذا أمكن الجهر

وصرح بمن تهوى ودعني من الكنى فلاخير في اللذات من دونها ستر

ويصور الأميرشاربيها في حالة من الهيام فقد انعزلوا عن عالمهم المادي حيث يقول:

---

(1):الجزائري،الأمير عبد القادر ،ديوان الأمير عبد القادر،المصدر السابق،ص.193.

(2): نفسه،ص.ص.94-95.

(3): نفسه،ص.94-95.

(4):نفسه،ص.94-95.

ترى سائقيها كيف هامت عقولهم ونازلهم بسط وخامرهم سكر[1]

لقد عكس توظيف الأمير للخمرة أسمى حالات الفناء التي عايشها ومراتب العرفان

3- المرأة

"لقد وصل الأمير في مجاهداته إلى مرحلة التحقيق والمشاهدة التي تؤمن له الإيمان الذوقي الحقيقي فعرف وصال الحبيب الأول[2]،" فحين يريد الأمير عبد القادر أن يصورحبه أولهفه أو شوقه الذي تفيض به مشاعره وأن يبالغ في وصف أثر هذا الشوق في نفسه لا يجد سوى صورة الخليل[3]" كقوله:وفي بعدنا شوق يقطع مهجتي كتقطيع بين الشعر للنظم ميزانا[4]فغزله الصوفي ليس له بعدا حسيا كما انه لا يتقاطع مع ما اشتهر به الشعراء العذريين ذلك لأن تغنيه كان بذات الإلهية لا بليلى أوعنيزة[5]،إن المرأة في شعر الأمير جسدت المعرفة الحقيقية التي تجاوزت حدود الفضاء الحسي إلى عالم المشاهدة والتجلي،في هذا الإطار يقول الأمير:

فيزداد شوقي كلما زدت قربة ويزداد وجدي كلما زدت عرفانا

فيا قلبي المجروح بالبعد واللقا دواك عزيز لست تنفك ولهانا

آنا الحب والمحبوب والحب جملة انا العاشق والمعشوق سرا وإعلان[7]

خلاصة يمكن القول أن الرمزعند الأميرهو أداة تواصله مع عالمه الروحي، ترجم حالة

---

(1): الجزائري،الأميرعبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،المصدر السابق،ص.94-95.

(2): بكري،الشيخ أمين ،مطلعات في الشعرالمملوكي والعثماني،المرجع السابق،ص.257.

(3):الجزائري،الأميرعبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،المصدر السابق،ص.195.

(4):السيد،فؤاد صالح،الأمير عبد القادر الجزائري،متصوفا وشاعرا،المرجع السابق،ص.219.

(5): الركيبي،عبد الله،الشعرالديني الجزائري الحديث،ط١،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1981م،ص.344.

(6): سعد الله،أبو القاسم،دراسات في الأدب الجزائري الحديث،ط3،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1985م،ص.73.

(7): الجزائري الأمير عبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،ص.206.

عرفانيةتذوقها وتجربة روحية عايشها،وبالتالي فألفاظ اللغة المتعارف عليها لا تعكس أبعاد هذه التجربة،وعليه فمعاني الخمر والمراة وغيرها من الرموزعند الأمير هي معاني مجازية، لقد أثار توظيف الأمير للرمز الكثيير من الإنتقادات وجعلها شخصه عرضة للأحكام المسبقة حتى ان بعض المهتمين[1] بتاريخ الأمير أنكر نسبة المواقف له من منطلق تناقضه مع الثابت من سيرته بحكم أن الأمير إلتزم بالسنة اعتقادا وسلوكا والدارس لفقه يتضح له مدى تمسكه بالكتاب والسنة ،فقد أشارت المصادر التي أرخت لسيرته إلى جهوده في إحياء علوم الحديث ولو كان من أهل البدع ما أشاد به كبار العلماء والفقهاء الذين عاصروه، ومن منطلق إجماع كثيير من الباحثين[2] على نسبة المواقف للأمير،فإن البحث في تصوف الأمير من وجهة نظرنا ينطلقمن رؤية شمولية تأخذ بعين الإعتبار جملة من المعطيات:

أ - الثابت من سيرة الأمير ومواقفه وآرائه من خلال مؤلفاته في المراحل المختلفة من حياته

ب - أقواله التي يتبرأ من خلالها من كل إعتقاد يخالف أهل السنة والجماعة.

ج-فهم طبيعة تصوف الأمير

4 - ملامح التحرر في تصوف الأمير

لقد عكس تصورالأمير وممارسته للتصوف أسمى معاني التحرر،حيث أشارت المصادر التي أرخت لسيرته إلى أن مظاهرالتصوف من تواضع وزهد وخلوة وصبر طبعت حياته ورغما مكانته وسلطته فقد عزف عن ملذات الدنيا ومغرياتها والتزم البساطة في نفسه وفي

---

(1):للإطلاع أكثر:الحسني،الأميرة بديعة،فكر الأميرعبد القادر الجزائري، مرجع سابق.

(2): للتعرف أكثر على أراء الباحثين في كتاب المواقف ينظر:

بلدي عثمان،فضيلة،المنهج الصوفي عند كل من النفري والأمير عبد القادر،رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية،تخصص عقيدة،كلية العلوم الإسلامية،جامعة الجزائر(2006م – 2007م).

(3):سموا بذلك لإنتسابهم لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم،وإجتماعهم على الأخذ بها ظاهرا وباطنا وفي القول والإعتقاد والعمل،فهم إجتموا على الحق الثابت بالكتاب والسنة،ولم يتفرقوا في الدين واتبعوا ما أجمع عليه سلف الأمة. راجع:فوزان،صالح شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية،ط7،إدارة البحوث العلمية والإفتاء،الرياض، 2002م،ص.ص.13-14.

تعامله مع الآخر،فأخلاقيات التصوف التي تحلى بها الأمير ترجمت تحررالذات وانعتاق النفس،ومن منطلق أن غاية التصوف التقرب إلى الله تعالى فإن الجهاد في سبيله يعد منأجل الوسائل لتحقيق هذه الغاية،لذا فإن رؤية الأمير للجهاد هي ثمرة تصوره للعلاقة بين التصوف والتحرر،فالتصوف الحق عنده لا يتوقف عند تحرير النفس بل لا يكتمل إلا بتحرير الآخر، تأسيسا على ما سبق فقد تعددتمظاهر التحرر في تصوف الأميربتعدد أبعاده .

4 -1- البعد السياسي في تصوف الأمير

إذا كان التصوف فيما سبق يقتصر على ممارسات معينة تعنى أساسا بالجانب النفسي و يتخذ أماكن خاصة لهذا الغرض أو مجالا جغرافيا محددا وإذا كان المتصوفة في كثير من الأحيان في منئ عن التحولات السياسية والإجتماعية مستغرقيين في أنشطتهم الروحية،فقد استطاع الأمير تسيس التصوف وتجلى ذالك من خلال:

أ - إعلان قيام الدولة

لقد تحالف المتصوفة الجزائريين مع العثمانيين الذين استحوذوا على إدارة الشؤون السياسية مقابل منح المرابطيين[1]عدة إمتيازات واستطاعوا تحديد وتوجيه مجال نشاطهم وبلمقابل أبعدوهم عن المناصب السيادية،لذا يمكن القول أن إعلان قيام الدولة الجزائرية[2] بعد سقوط الإيالة يشكل منعرجا هاما في تاريخ التصوف الجزائري ونقلة نوعية تجاوز من خلالها برامجهم الروحية إلى برامج سياسية وأعلن جمع من زعماء الطرق[3] إنخراطهم في مشروع الأمير ومساندتهم للمسار التحرري الذي حظي بإجماع غالبية القبائل التي بايعت الأمير.

---

(1): Merad,Boudia,op.cit,p.341.

(2):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدر السابق،ص.ص.96-101.

(3):الطريقة : تطلق لغة على السيرة والمذهب والحال،أنظر: ابن منظور،جمال الدين ،لسان العرب،ج10،ط1،دار الفكردمشق، 1410ه،ص.221. أما إصطلاح فتعني السيرة المختصة بالسالكين إلى الله،من قطع المنازل والترقي في المقامات.راجع: الجرجاني،عبد القاهر،التعريفات،ط3،دار الكتب العلمية،بيروت،1408ه،ص.141.

ب - تجنيد المرابطيين ومنحهم مناصب في الدولة

لقد أدرك الأمير طبيعة وأهمية دور المتصوفة في المجتمع الجزائري،لذا فقد سعى منذ تأسيس الدولة إلى تجنيد المرابطيين ودعوتهم للجهاد،واستطاعت هذه الفئة بفضل مكانتها من تحريض السكان وحثهم على المقاومة[1]،كما أسند الأمير هذه الطائفة مناصب هامة حيث أختار خلفائه من العائلات المرموقة التي أشتهرت بالعلم والصلاح،من جانب آخر فإن هذه الفئة تستجيب للمعايير التي وضعها الأمير في اختيار القادة والخلفاء،من منطلق تمتع المرابطين بمؤهلات علمية وأخلاقية أضفت طابع المصداقية على أداء مختلف أجهزة الدولة،إضافة إلى ذلك يمكن القول أن الحضور الصوفي يعد من أهم العوامل التي ساهمت في إستمرارية الدولة والمقاومة نظرا للكفاءة المتميزة التي أظهرها المرابطون إلى جانب إخلاصهم لقضيتهم.

4 -2- البعد الوطني في تصوف الأمير

تمكن الأمير بعد المبايعة من بسط نفوذ الدولة على مختلف المناطق وأذعنت القبائل لسيادته وانتظم الزعماء تحت لوائه[2]،وذابت الفوارق الجغرافية والعرقية في مشروعه،لقدحدد الأمير في خطابه بعد البيعة معالم الهوية الجزائرية كمرجعية للدولة الجزائرية سعى من خلالها إلى ترسيخ المفاهيم الوطنية بأعتبارها عاملا محركا للمقاومة وأساس مشروعه التحريري،لقد تجلت ملامح الوطنية في التصوف الأميرمن خلال:

أ - تغليب المرجعية الوطنية على المرجعية الطرقية

تميزالمشهد الثقافي والديني في عهد الأميرعبد القادربهيمنة الزوايا وإنتشارالطرق االصوفية وتنوعها مما أدى إلى تعدد المرجعيات ويرجع ذلك إلى جملة من العوامل من أهم التباين في أصول وجذور كل الطريقة،إضافة إلى الاختلاف في المناهج من طريقة إلى

أخرى لقد أدرك الأمير أن هذا التنوع ليس من ثوابت المجمتع الجزائري،لذا جاء مشروعه جامعا قائما على المرجعية الوطنية،ومما يؤكد هذا مساواة الأمير بين شيوخ الطرقية في الحقوق

---

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدر السابق،ص.104.

(2): نفسه،ص.ص.136-148.

والواجبات ولم تحظ أي طريقة بمعاملة خاصة أو استثنائية ورغم كثرة أتباع الطريقة القادرية فإن الأمير لم يسع لتمكين لها على حساب الطرق الأخرى،من جانب آخر فقد تعامل برفق وحكمة مع الطرق التي لم تساند المقاومة،ومن خلال إطلاعنا على مختلف المصادر التي أرخت لسيرته لم نعثر على ما يثبت إلتزام الأمير بممارسات طرقية معينة،أما فيما يخص مواجته مع شيخ الطريقة تيجانية فيرجع أساسا لموقف هذا الأخير الرافض للبيعة، الأمر الذي اعتبره الأمير خروجا عن ولي الأمر الذي ولته الغالبية حكم البلاد.

ب - الحفاظ على الوحدة الوطنية: مواجهة الحركات الإنفصالية الطرقية

لقد واجه الأمير الحركات التي وظفت الصوفية لتفكيك الوحدة الوطنية ومن أبرز الحركات التي تصدى لها جيش الأمير حركة محمد بن عبد الله البغدادي حيث ورد في تحفة الزائر "زعم أنه من ذرية الغوث الأكبر والقطب الأشهر سيدي عبد القادر الجيلاني فاحتفل به سيدي الجد...ثم لحق بالمغرب الأقصى...وبعد سنين رجع إلى المغرب الأوسط [1]" ثم ما لبث أن إلتحق بمحمد بن عودى زعيم أولاد مختار الذي دعا ناس إلى نصرته على أساس أنه المهدي المنتظر واستقطبت دعوته كثير من خلق،إلا أن الأمير استطاع القضاء عليه بعد ان انتهى من عقد معاهدة تافنة وفي هذا الصدد يقول صاحب تحفة الزائر"...بعث إلى الأمير يخبره فوجم لذلك وسارإليهم في جيوشه وزحف إليهم الخليفة بعسكره في وقت عينه له الأمير ... والتقى الجمعان والتحم العسكر بالحشود...وفي اليوم الرابع جاء الأمير من وراء الحشود ..فانكشفوا وأثخن فيهم بالقتل والأسر وفر الثائر وصاحبه ابن عودى ... وتفرقت جموعهما[2]" كما تمكن الأميرمن القضاء على تمرد التيجانية وإرغام زعيمها على

الإستسلام ،من خلال ما سبقيتضح حرص الأمير على وحدة الصف ومحاربة كل حركة تسعى لتقويض أركان الدولة،من جانب أخر فإن تصدي الأمير لهذه الحركات يندرج في إطار محاربة الخرفات والبدع التي مورست بإسم التصوف،وعليه يمكن القول أن الأمير سعى لمحاربة كل مشروع تفكيكي يستهدف الوحدة الوطنية.

---

(1):ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدر سابق،ص.185.

(2):نفسه،ص.186.

4 -3-البعد الجهادي

تتبين العلاقة بين الجهاد والتصوف من خلال التقاطع في الغايات والأحوال،فغاية التصوف صقل نفس وتهذيبها وحملها على ما تكره والصبروالتجلد للوصول إلى أسمى مراتب التزكية والفناء في حبه والشوق إلى لقائهوالجهاد في سبيل الله صبر ومكابدة والعزوف عن الدنيا وغايته الشهادة ولقاء الله،والمتأمل في سيرة الأمير الجهادية يخلص إلى أنه وهب نفسه وماله وكابد المشاق في سبيل الله، فالجهاد كترجمة للرغبة في لقاء الله هو حالة فناء عاشها الأمير وفق هذا المنظور فإن الجهاد هو اختبار للمتصوفة ومؤشر لصدقهم وإخلاصهم في حبهم لله ولهفتهم للقائه،إن تجليات العلاقة بين التصوف والجهاد عند الأميرعبد القادر تكمن في أنه تصوف في جهاده وجاهد في تصوفه في هذا الإطار يقول محمد كامل حسن أنالأمير جمع"بين شطري التصوف الإسلامي،جهاد أعداء الوطن والإسلام وجهاد النفس الأمارة بالسوء[1]"،ويرى محمد الطاهرأن الأمير جمع بين الجهاد والتصوف فتصوفه تصوف جهاد[2]وعليه فالتصوف عند الأمير ليس إنطواءا على الذات وترديدا لأوراد معينة بل هو وسيلة لتحرير النفس وقطع تعلقها مع مغريات الدنيا ولا يكتمل إلا بأداء فرائض الشريعة وسننها لذا فإن جهاد الأميرلتحريرأرض الإسلام وأهلها هو أداء فريضة دينية واقتداء بالرسول(ص) وخلفائه الراشدين الذين جمعوا بين الزهد والجهاد في سبيل الله،مما سبق يمكن القول ان التحرر في تصوف الأمبرهو ثمرة تفاعل التصوف مع معطيات الواقع،مما يعني أن رؤية الأميرللتصوف هي رؤية شمولية تجمع بين التصوف والجهاد وتزاوج بين السياسية والتصوف وبين الوطنية والتصوف، وفق هذا المنحى فان تحرير النفس والإنسان

والأرض هو قيمة صوفية ترجمتها أقوال وأفعال ومواقف الأمير،فغاية التصوف الحرية كفضاء للتلقي وتواصل بلا حواجز وغاية الجهاد تحرير الإنسان والأرض.

---

(1): المحامي،محمد كامل حسن،عظماء الإسلام،الأمير عبد القادر الجزائري،ط3،إشراف ومراجعة عادل نويهض،المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1980م،ص.81.

(2): الطاهر،محمد،تصوف الأمير عبد القادر،ثورة جهاد،مجلة المجلس الإسلامي الأعلى،دورية في الثقافة الإسلامية،العدد الأول،1998م،ص.

الفصل الثالث

مظاهرالفكر الوطني للأمير عبد القادر

مظاهر الفكر الوطنى للأمير عبد القادر

اولا : المقاومة

تعد مقاومة الأميرعبد القادر من أهم العوامل الفاعلة في التحولات التي شهدتها الجزائر بعد الغزو الفرنسى بحكم ما ترتب عنها من إنجازات سياسية وإجتماعية وإقتصادية رسخت البعد الوطني ووضعت أسس الدولة الوطنيةالحديثة وفق هذه الرؤية فقد شكلت مقاومة الأمير عبد القادرفي بعدها التنظيري الأداة التي سعى من خلالها إلى بعث المقومات الوطنية القائمة على الوحدة الدينية والسياسية واجغرافية.

1-تبلورالفكر الوطنى: الجذور و العوامل

عرفت منطقة الغرب الجزائري ما بين 1830م -1832م حراكا دينيا وسياسيا واجتماعيا وعسكريا[1] أدى إلى قيام دولة سيطرت على ثلاث أرباع الجزائر فيما بعد،الأمر الذي يدفعنا إلى القول أن هذه الفترة شكلت منعطفا حاسما في تاريخ المنطقة كونها اختزلت جملة من المعطيات عكست الإنتقال من نموذج الأيالة إلى الإمارة ومن هيمنة العنصر التركي إلى تحدي العنصر المحلي كما عرفت المقاومة خلال هذه الفترة نقلة نوعية إذ تحولت من اللاّ تنظيم[2] واللاّفعالية إلى مقاومة دولة كما تكاثفت جملة من العوامل إدت إلى تحول مفصلي في المنطقة تجلى في الانتقال من النسق القبلي إلى نظام الدولة ومن تعدد الزعامات و القيادات إلى وحدة سياسية تستند إلى مرجعية فكرية وتتميز بأطرها التنظيمية،من هذا المنظور فإن الفترة مابين 1830م -1832م هي مرحلة مخاض اختمرت فيها المبادرة المحلية ونضج فيها المشروع السياسي في ظرف قياسي مقارنة بظروف الاحتلال وخصوصية الواقع الجزائري وتداعيات الإرث الإجتماعي والثقافي،لذا فإن الوقوف على هذه العوامل يشكل حلقة هامة في فهم قيام الدولة الوطنية بمختلف أبعادها وتطور الوعي الوطني في المنظومة الفكرية للأميرعبد القادر و في مشروعه التحريري.

---

(1): سعدالله،أبوالقاسم،تاريخ الحركة الوطنية،ج1،مرجع سابق،ص.166.

(2): المرجع نفسه،ص.172.

1-1- العامل الديني:

أدى سقوط نظام حكم الأيالة إلى فراغ سياسي وإداري،تحولت بفضله المؤسسة الروحية إلى سلطة بديلة،فقد ذكر حمدان خوجة[1] أنّ شيوخ الطرق الصوفية هم من قاموا بتعبئة الناس للجهاد ،فلا يوجد ثورة من ثوراة الأهالي إلاّ كانت وراءها يد مرابطية علىّ حد رأي أوكتاف ديبون[1]،ومن خلال مقاربة بين الدور الجهادي لعبد الرحمن الثعالبي أواخر القرن التاسع بمدينة الجزائر وسهول المتيجة إبّان الغزو الاسباني[2]،وبين محيي الدين في بايلك الغرب تتضح بصمات وآثار العامل الديني في صنع التحولات التي انتهت بتأسيس أيالة الجزائر سنة (1520م)[3] ودولة الأمير سنة(1832م)،كما تبين من خلال هذه المقاربةتماثل الظروف التي ساهمت في انبعاث النموذج الصوفي في المقاومة الذي خضع لإطار تصوري تحكمت فيه عوامل مختلفة،فلقد انطلق كل من عبد الرحمن الثعالبي ومحيي الدين من رؤيا ،فأمّا الأول فقد عبّر عنها فيرسالته إلى محمد بن أحمد بن يوسف ببجاية[4]،أمّا الثاني(فلقد رأى أنّ عبد القادر الجيلاني ظهر له في حلمه وأعلمه بوجوب انتخاب عبد القادر[5].

إنّ دور العامل الديني في منطقة بايلك الغرب تجلى في تأطير المرابطين للمقاومة،فقد حلّ رجال الدين محل فرسان السلاح وقاموا باجتماعات عديدة قدّروا أن يعهدوا بالأمور لمحيي الدين[6] ،هذا الأخير الذي ثار في وجه المستعمر وانتصر عليه في معارك متعددة،وبالتالي يمكن القول إنّ العامل الديني كان سببا وهدفا وثمرة لحركة المقاومة.

---

(1): مفتشعام للبلديات الممتزجة صاحب كتاب الطرق الدينية اللذي صدر عام 1887.

(2): المدني،أحمد توفيق،مرجع سابق، ص.96.

(3): سعد الله،أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ،ص.131.

(4): سعد الله،أبو القاسم،مرجع سابق،ص.209.

(5: تشرشل،شارل هنري،المصدر السابق ،ص.58.

(6): اتين،برونو،عبد القادر الجزائري،مرجع سابق،ص.139.

1-2- العامل السياسي: الإحتلال وسياسة ملىء الفراغ

تعددت أدوار الفاعلين السياسيين في المنطقة من أجل احتواء الوضع حيث أضحت منطقة نفوذ تحرك أحداثها أطراف تباينت غاياتها وتمايزت أهدافها،فقد اتسمت السياسة التوسعية في بايلك الغرب بطابعين:

أ ـ الطابع العسكري: لقد مر التدخل الفرنسي بمرحلتين،الأولى في 14 أوت 1830م انتهت بمقتل بورمو[1] وهزيمة الحامية،أما الثانية فكانت في 04 يناير 1831م حيث احتل المستعمر المرسى الكبيروحصون وهران[2].

ب ـ الطابع السياسي:

ب-1ـ إفشال المبادرة المغربية: نظرا للأوضاع المتردية التي عايشها الإقليم الغربي ضف إلى ذلك صعوبة المعيشة عوامل دفعت بأهل الحضرإلى التفكير[3]في حل سياسي لتجاوز الفراغ السياسي الذي نجم عن سقوط الإيالة واستقرالرأي على أن الحل يكمن في دخولهم في طاعة حاكم مسلم يمنحونه البيعة،لذا اتفقوا على الإستنجاد بسلطان المغرب المولى عبد الرحمان[4]بحكم مايتمع به من مؤهلات، فلقد سبق أن التجأ إليه حضر تلمسان إبان الثورة الدرقاوية[5] 1806م،فتوجه وفد إلى فاس وتم استقبالهم من طرف السلطان المغربي الذي أكرمهم وعاملهم معاملة الخاصة[6] إلا أنه تأخر في الإجابة عنه مدة ستة أشهر[7].

---

(1): سعد الله،أبو القاسم،الحركة الوطنية،ج1،مرجع سابق، ص168.

(2):العربي،إسماعيل،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر،مرجع سابق،ص.26.

(3): سعد الله،أبو القاسم،المرجع السابق،ص.168.

(4): العربي،إسماعيل،المقاومة تحت لواء الأمير،المرجع السابق،ص.28.

(5): تنسب إلى ابن الشريف الدرقاوي الذي دارت بينه وبين باي وهران مصطفى العجمي معركة كبيرة في موقعة فرطاسة الواقعة جنوب مدينة غليزان وتعرف اليوم بواد الأبطال لمزيد مزيد من الإطلاع ينظر: http://zawya-derkaouia.blogspot.com/p/blog-page_09.html

(6): تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.35.

(7): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدر سابق،ص.206.

ورشح السلطان عبد الرحمن[1] ابن عمه مولاي علي خليفة له لما يتتمتع به من مؤهلات إلا أن الحملة المغربية اصطدمت بالكراغلة وجزء من قبيلة الدوائر والزمالة[2] فاضطر السلطان إلى إصدار أمر إلى خليفته في 08 مارس1831 بالعودة إلى المغرب الأقصى[3] وفي 13أوت عين السلطان عبد الرحمن محمد بن الحمري الذي امتد نفوذه حتى مليانة والمدية[4] إلى أن الديبلوماسية الفرنسية نجحت في إدارة الأزمة حيث تمكن لويس فليب[5]من إقناع السلطان بسحب قوات بن الحمري عن طريق مبعوثه الكونت شارل دي مورلي.

ب-2- الصفقة الفرنسية التونسية: بعد تحليله وقراءته للوضع قرر كلوزيل[6]عدم المغامرة ولجأ إلى مفاوضة باي تونس عن طريق القنصل الفرنسي في مدينة تونس والتي انتهت في 04 فبراير1831 [7] بتعيين باي على وهران في مقابل ضريبة تقدر ب مليون فرنك[8] تدفع إلى سلطات الإحتلال،إن التدخل التونسي في الشأن الجزائري عكس رغبة فرنسا في اشراك تونس في مخططها الإستعماري وبالتالي الدخول في تصادمو مواجهة مباشرة مع الجزائريين

---

(1): الناصري، أحمد السلاويج9،مصدر سابق،ص.29.

(2): لمّا خيّم الباي محمد في ظاهر معسكر،خرج الناس بخروجه،فعيّن من هؤلاء الخدم وأنزلهم في في دائرة خيامه،فسموا الدوائر،كما عيّن آخرين لحمل أثقاله وأثقال عساكره،فسموا الزمالة،ومع مرور الزمن نالت الطائفتان حضوة عند الأتراك،وأصبحوا يتمتعون بامتيازات عن باقي السكان أنظر: العربي إسماعيل، المقاومة الجزائري تحت لواء الأمير،مرجع سابق،ص.44.

(3): تشرشل،هنري،المصدر سابق،ص.54.

(4): العربي،إسماعيل،المرجع السابق،ص.31.

(5): لويس فليب:(1773-1850م)،ينظر:خوجة،حمدان،المرآة،تح محمد العربي الزبيري،ص.240.

(6): بورتون دو كلوزيل ولد بتاريخ12ديسمبر1772،وتوفي في 21أفريل1842،شغل منصب مفتش عام للسلاح،ثم حاكم عام للجزائرمن1835-جانفي1837،ينظر:حرب،أديب،ج1،مرجع سابقص.51.

(7): العربي،إسماعيل،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير،مرجع سابق،ص.53.

(8): نفسه،ص.35.

إلا أن تجربة تونس التوسعية انتهت بالفشللعدة أسباب أهمها فراغ خزينة البايليك وقلة الموارد إضافة إلى حملات السلب والنهب التي قامت بها الحامية التونسية[1].

ب-3- موقف الباي حسن[2] :اتسم حكم الباي حسن بن موسى بالتسلط والإرهاب فهو لم يكن يحظى بنفوذ شعبي ولا نخبوي[3]وتميز موقفه من خلال:

أ - استشار أعيان الأقاليم فلم يرضوه[4]

ب - طلب اللجوء إلى محي الدين[5]والد الأمير الذي رفض طلبه بعد تدخل الحاج عبد القادر من منطلق عدم القدرة على حمايته من الغضب الشعبي ضف إلى ذلك تخاذله في مواجهة المحتل،وأخيرا خوفا أن تفقد الأسرة مكانتها بسبب موقف الناس من حكمه المتسلط وإعدامه لكثير من الخلق[6].

ج - وقوفه إلى الجانب الفرنسي في مواجهة السلطان عبد الرحمن ويتضح هذا من خلال رسالته إلى السلطان مفادها أن تلمسان وما ولاها من التراب الجزائري مصيرها سيكون رهن مصير الجزائر[7]، لقد كان بإمكان باي وهران التخندق إلى جانب المقاومة أسوة بباي قسنطينة الذي وقف في وجه الإحتلال،إلا أن عامل المصلحة طغى على رؤيته خصوصا بعد الضمنات التي منحها المستعمر للإنكشاريين بضمان أمنهم وسلامتهم مقابل عدم مقاومة الإحتلال اذي يتكفل بتأمين خروج آمنا لهم،لقد ترجم موقف الباي حسن الوضع الذي آل إليه الحكم العثماني في إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني بعد وصول طبقة من الحكام ساهمت في تدهور الوضع

---

(1): الباي حسن:باي وهران أثناء الاحتلال،استسلم للفرنسيين في04جانفي1831،ونقل إلى الاسكندرية،ينظر:تشرشل،هنري،مصدر سابق،ص.52.

(2): سعد الله،أبو القاسم،الحركة الوطنية،ج1،مرجع سابق ص.167.

(3): نفسه،ص.167.

(4):حرب،أديب،رجال وتاريخ عبقرية الأمير عبد القادر،مجلة أوّل نوفمبر،ع161،الجزائر،1999م ص.49.

(5): تشرشل،هنري،مصدر سابق،ص.51.

(6): العربي،إسماعيل،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير،مرجع سابق،ص.31.

(7): سعد الله،أبو القاسم،الحركة الوطنية،ج1،مرجع سابق،ص.166.

1-3- العامل العسكري:

يرى أبو القاسم سعد الله "أن المقاومة الشعبية في إقليم الغرب كانت أوسع انتشارا وأكثر استمرارية من حركة الأمير فقد انطلقت منذ 1830م واستمرت حتى ما بعد 1847م،لكن شخصية الحاج عبد القادر طغت على كل الأحداث وأصبحت حركته رمزا للمقاومة.[1]

لقد اتسمت هذه المقاومة بالتلقائية والإندفاع حيث لم تمض شهور حتى كانت المتطوعة تملأ السهول لتؤدي الواجب المقدس ويمكن تقسيم هذه المقاومة من حيث الطبيعة إلى قسمين

أ ـ المقاومة الشعبية:

لقد انطلقت المقاومة في الغرب بمجرد حلول القوات الفرنسية وتموقع جنود الحامية في الموانئ وكان دو برومون قد صرح من قبل أن فرنسا ستحتل كامل الولاية [2] ومما يؤكد خيار المواجهة والجهاد لدى السكان وقبائل المنطقة حصارهم للباي حسن صحبة جنوده الثمانمائة بعدما اتضحت رغبته في تسليم المدينة إلى الفرنسيين.

ب ـ مقاومة عائلة محيي الدين:

دفعت الفوضى المتفاقمة بشكل كبير محي الدين إلى تشكيل فرقة صغيرة عهد بها إلى أبنائه كانت تجوب السهول والجبال لحماية الهاربين الذين تركوا وهران ولفض الخلافات بين القبائل التي هجرها الأتراك كما كانت تقوم بحرب العصابات على أبواب المدينة[3] ،وورد في كتاب هنري تشرشل (أن العرب كانوا يقومون بمحاولات عديدة لاستعادة وهران)[4] وهاجموا في العديد من المرات قلعة فليب،وهي قلعة في جنوب المدينة وكان عبد القادرهو الذي يشرف على العملية ويقف محرض في الصفوف الأولى وفي هذا دلالة على شجاعته وصلابة عوده وقوة استعداده وليلهب حماس المجاهدين كان يقول:" أنا الحاج عبد القادر ابن الشريفمحي

(1): سعد الله،أبو القاسم،الحركة الوطنية،ج1،مرجع سابق،ص.170.

(2): اتين،برونو،عبد القادر الجزائري ،مرجع سابق،ص.137.

(3): نفسه،ص.138.

(4): تشرشل،هنري،مصدر سابق،ص.54.

الدين الحسني من المهم أن تعرفوا إسمي،فليدع في جميع الدوار وفي الساحات والأسواق وزوايا الدارسة ولينادبه أنصاره أنا لا أسع لأي هيمنة ولا أريد أي نفوذ قد تفكرون به،إنما علينا أن ندخل مدينة الجزائر ونطرد الكافر من أرضنا[1]"،وورد في مذكرات الأمير أن بعد مبايعة الشيخ محي الدين،نادى في الناس بإعلان الجهاد وأصبح مركز قيادته العليا القيطنة حيث ألف جيش من الفرسان خاض به معرة خنق النطاح الأولى في 03 ماي 1832،وكانت لصالح محي الدين كبد المحتل خسائر فادحة، شارك فيها الأمير كجندي أما معركة خنق النطاح الثانية التي وقعت في 04ماي1832 فقد قادها الأمير بعد مرض والده، جرت هذه المعركة بواد سيق ثم انتقلوا إلى عين الكرمة قرب وهران بالمكان المسمى خنق النطاح حيث نشبت الحرب بين الطرفين[2]،كما شارك محي الدين بنفسه في معركة برج راس العين في 03 سبتمبر1832 وعقد لواء الجهاد لابنه[3]

4 ـ العامل الاجتماعي:

سجلت الكثير من المصادر الاضطرابات التي نجمت عن سقوط نظام الإيالة حيث يقول الشقراني[3] :"وقد دخل هؤلاء الفرنسيون صحوة يوم الاثنين في أول الصيف في 14 من المحرم سنة ست وأربعين ومائتين وألف وفي الشهر المذكور دخلوا وهران وفر المسلمون منها وانتشروا مع الطرق وانتهبوا ما بأيديهم من الأموال والأمتعة وثار الثوار بعضهم على بعض بالقتل،وشنت الغارات ووقع الفزع في الناس،ووقعت حروب كثيرة بين قبائل المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله واستمروا على نحو سنتين"[4]،وفي هذا دلالة على الوضع المتردي الذي نجم عن إنهيار السلطة العثمانية وزوال السلطة المركزية حيث اتسم الوضع بشيوع الفوضى وإنتشارالإضطربات وانعدم الأمن،لقد وصفت االعديد من المصادر الأوضاع التي

(1): اتين،برونو،مرجع سابق،ص.146.

(2: بن تهامي،مصطفى،سيرة الأمير وجهاده،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1995م، ص.240 .

(3): إتين،برونو،المرجع السابق،ص.147.

(4): الشقراني،أحمد بن عبد الرحمن،القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط، تح وتقديم ناصر الدين سعيدوني،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1991،ص.34.

حيث يقول في هذا الشأن ابن خدة الراشدي:"في هذه السنة التي هي المحرم سنة 1248ه فقد اشتدت المحن وكثرت الفتن من يوم خربت الجزائر وثغروهران بسبب الروم والفرنصيص فخلت الأرض من الحكام وكثر القتل والهرج والخصام وتعطلت الشرائع وعمت الذرائع وذلك من عمالة تونس إلى بلاد وجدة والمؤمن في حيرة كالشاة في الليلة المطيرة"،[1]كما وصف محي الدين أوضاع الفترة قائلا:"عمت الفوضى والانشقاقات والفتنة قامت في كل مكان بين المسلمين...والبنيان الاجتماعي قد انهار،وكل واحد يرفع يده على جاره، وانصرف شعبنا إلى أهوائه الحقيرة،يخالف كل يوم شرائع الله وشرائع البشر"[2] .

يتضح مما سبق أن سقوط نظام الأيالة أدى إلى انهيار البنيان الاجتماعي نتيجة فقدان الأمن واقتتال القبائل فيما بينها وانتشار المحرمات والرذائل، ضف إلى ذلك نزوح السكان وفرارهم وما يترتب عنه من اختلال إجتماعي واقتصادي،بالتالي فإن تعطيل الشرائع وضياع الحقوق تضرر المصالح شكل دافعا رئيسا في البحث عن سلطة بديلة تكفل النظام.

إن أهمية هذه الفترة تكمن في أنها أفضت إلى قطيعة مع نمط الحكم الذي كان سائدا في المنطقة طيلة عهود،ففشل الحلول الأجنبية،والبحث عن قيادة محلية عكسا مرحلة هامة من مراحل تبلور الجزائرية كبعد انتمائي،كما أن إلتفاف السكان بمختلف طبقاتهم وأعراقهم وثقافتهم حول هذه القيادة ساهم في ترسيخ الوعي الوطني إنطلاقا من القواسم المشتركة المتمثلة في وحدة العقيدة ووحدة المصير،لقد كشفت هذه الفترة عن ارتباط الشرعية السياسية بالشرعية الثورية،مما يعني أن خيارات وتوجهات الدولة المستقبلية قد تحددت في هذه الفترة،فرجال الدين الذين بادروا بالمقاومة سيتولون مقاليد الأمور فيما بعد،كما أن خصوصية المجتمع الجزائري والظروف التي فرضها المحتل وتعامل الأميرعبد القادر مع هذه المعطيات ستحدد طبيعة النموذج الوطني في بعده السياسي والتحرري وفي تصوره

الحضاري كما أنها ستصنع بالتوازي مختلف التحديات التي ستحول دون نجاح واستمرارية مشروعه الوطني

---

(1): هو محمد العربي بن أويس بن محمد بن عبد القادر بن أحمد عبد القادر بن أحمد المعروف بابن خدة الراشدي يجتمع مع الأمير في جده الرابع سيدي عبد القادرقادة بن المختار:ينظر
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=88208
(2): إتين،برونو،عبد القادر الجزائري،المرجع السابق،ص.140.

2 - إديولوجية المقاومة : قراءة في الأبعاد

استمدت مقاومة الأميرعبد القادرخصوصيتها من العامل العقائدي والذي على أساسه استجاب الناس لنداء الجهاد ضد المحتل من منطلق ما تفرضه مقاصد الإسلامية من وجوب الذوذ عن الأرض و حماية الأعراض والأموال،لقد ساهمت المقاومة في تغيير الكثيرمن المعطيات الداخلية بحكم ما ترتب عنها من نتائج سياسية وإجتماعية وإقتصادية جسدت الخصوصية الوطنية، مما يدفعنا إلى القول أن المقاومة التي خاضها الأميرعبد القادرتعد من أهم مظاهر الفكرالوطني والتحرري.

2-1-البعد الديني

يعد الجهاد أساس التحولات التي شدها الواقع الجزائري ووقودها بحكم أن القيام بهذه الفريضة يستدعي مبايعة أمير يتحمل الأعباء وتتوحد تحت رايته الجيوش،مما أدى إلى بعث عملية سياسية إنتهت ببيعة[1] الأميرعبد القادر،لذا فقد شكل الجهاد محور برنامج الأمير[2]في مشروعه التحرري،ويمكن القول أن رؤيته للجهاد ارتكزت على:

أ - من حيث المشروعية: يرى الأميرأن الجهاد فرض لرد الإعتداء وتحقيق مقاصد الشريعة تجلى ذلك من خلال رسائله إلى قادة المحتل كما أن جنوحه للهدنة[3] ترجم رؤيته وتصوره للجهاد المرتكزعلى كتاب الله وسنة رسوله(ص) لقوله تعالى:" وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين"[4]وقوله تعالي:"أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير"[5] كما لم يتردد الأمير في قتال المنشقين والمرتدين الذين تحالفوا مع المحتل

وحاربوا في صفه بعد أن استشار العلماء الذين أفتوا بوجوب قتال الخارجين الرافضينلطاعة الأمير.

---

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،المصدرالسابق،ص.101.

(2):تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.57.

(3): بوعزيز،يحي،الأميرعبد القادررائد الكفاح الجزائري،المرجع السابق،ص.45.

(4): سورة البقرة،الآيةرقم،190.

(5):سورة الحج،الآية رقم،39.

ب - من حيث الإلتزام بالأحكام : لقد حرص الأميرعلى الإلتزام بأحكام الشريعة ومبادئها حتى وهو يخوض أشرس المعارك، فكان ينهي عن التنكيل والتمثيل كما كان يوصي جنده بعدم التعرض للشيوخ والنساء والأطفال أو إتلاف الزرع أسوة بالرسول(ص) كما اعتنى بالأسرى وأحسن معاملتهم[1].

2-2- البعد الإنتمائي

لقد جسدت المقاومة الإنتماء الحضاري والجغرافي للأمة الجزائرية من منطلق شموليتها وطبيعة أهدافها،ومما يؤكد هذا المنحى لجوء الجزائريين إلى مبايعة السلطان المغربي[2] وإعلان الأميرالولاء للسلطان العثماني في العديد من رسائله[3]وفي رسالته إلى ديميشل يقول الأمير:"ولا تظنوا أنا نأسف إذا اضطررنا لترك البلاد لأننا نعلم يقينا أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وقد سلمنا وراثتها فحيث ما كنا نجد أمتنا...أنكم تحتقرون قوة العرب مع دوام استعدادهم للقتال ومسابقتهم للنزال في كل مكان وزمان وإذا فتحتم التواريخ تروا ما أجروه في تروا ما أجروه في آسيا وجهات الشام من الجراءة والثبات والإقدام والفتوحات التي أظهرها الله على أيديهم"[4]،من خلال من الرسالة يتضح تصور الأميرعبدالقادرللوطن الذي يرتكزعلى العامل العقائدي كإطارجامع تنصهرفيه الأعراق وتذوب فيه الثقافات مع مراعاة الخصوصية المحلية،لقد وضع الأميرمعايير الإنتماء إلى الوطن والتي تجلت في:

أ - المعيارالسياسيي: المتمثل في إختيار قيادة وطنية تشرف على إدارة البلاد

ب - المعيار الجهادي: حيث اعتبرالأميرجهاد المحتل والدفاع عن البلاد أساس الإنتماء الوطني،من منطلق أن الأميرلم يتردد في قتال المنشقين والمتعاونين مع الإستعمار من القبائل التي قدمت له الدعم والمساندة وانخرطت في مشروعه الإستعماري.

---

(1): عزوزي،علي،الأميرعبد القادروالأسرى،في"الملتقى الدولي حول الأميروالقيم الإنسانية" عدد خاص،دار الأمة،2001م،ص.192.

(2): العربي،إسماعيل،المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر،مرجع سابق،ص.28.

(3):التميمي،عبد الجليل،المرجع السابق،ص.202.

(4):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدر سابق،ص.113.

3- المسار الوطني لمقاومة الأميرعبد القادر: قراءة في الإنجازات

يكتسي المسار الوطني للمقاومة الأميرأهمية محورية من منطلق أنه شكل الإطارالذي اتضحت من خلاله معالم الدولة الجزائرية بمختلف أبعادها الجيوسياسية وأساس التغيرات الجدرية التي مست المجتمع في إنتقاله من النمط القبلي إلى الذوبان في وحدة سياسية ونظام إجتماعي جديد،لقد استطاعت مقاومة الأمير إحداث تغيير الكثيرمن المفاهيم السياسية والعادات الإجتماعية والممارسات الثقافية وأضحى الصراع مع المستعمروقود التحولات الداخلية والأداة الفاعلة في الحراك الوطني بحكم أن المواجهة والصدام ترجمت الإرادة الجماعية في الدفاع عن الأرض والهوية وإعتبار المستعمرعنصر دخيل يهدد الكيان الجماعي، وفق هذا المنحى فقد عكست المقاومة وجود أمة لها خصوصيتها ومكوناتها الروحية والثقافية وتناسقها الإجتماعي وامتدادها التاريخي.

3 -1- جغرافية المقاومة : الحدود الوطنية لدولة الأميرعبد القادر

لقد تمكن الأميرعبد القادرمن خلال المقاومة من رسم الفضاء الجغرافي لدولته الفتية منتهجا أساليب متنوعة وموظفا العديد من الوسائل والأدوات في إطار الشرعية السياسية والتفويض الشعبي الذي منح له لحكم وإدارة البلاد.

شرع الأمير منذ توليه مقالد الحكم في التاسيس للدولة الوطنية فأقام هياكلها وشرع يتوسع في بسطها عبر التراب الوطني[1]،"حيث بادر بمزاحمة العدو على الأقاليم التي كانت

في وضع شبه متسيب خاصة أقاليم الصحراء والتيطري والجنوب القسنطيني[2]، حيث وصل إمتداد دولته من الحدود التونسية إلى الحدود المغربية ومن الساحل إلى الصحراء،ويذكر صاحب تحفة زائرأن الأمير:"..لما استقام له الأمرقسم ما دخل في طاعته إلى مقاطعتين،مقاطعة تلمسانوولى عليها السيد محمد البوحميدي الولهاصي[3] ومقاطعة معسكروولى عليها محمد بن فريحة

---

(1): العشراتي،سليمان،الأميرعبد القادرالسياسي،مرجع سابق،ص.39.

(2): نفسه،ص187.

(3):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق،ص.199.

المهاجي ولما قتل ولى عليها السيد الحاج مصطفى بن التهامي، ولما امتدت طاعته إلى ماوراء وادي الشلف جعل مليانة مقاطعة ثالثة وولى عليها محي الدين بن علال القليعي ولما مات ولي عليها محمد بن علال من أقاربه ...ثم دانت له بلاد التيطري فجعلها مقاطعة رابعة وجعل حاضرتها المدية وولى عليها أخاه السيد مصطفى بن محي الدين ثم عزله وولى عليها السيد محمدالبركاني ثم تزايد الفتوحات في الجهات الشرقية والجنوبية فاتسعت المملكة وأخذت في الشرق إلى ما وراء بلاد مجانة قرب قسنطينة وفي الجنوب إلى القفر فيما وراء حيث مجالات التوراك من بقايا الملثمين وفي الشمال إلى ما وراء جبال زواوة فجعل مقاطعة مجانة مقاطعة خامسة وحاضرتها صطيف ومقاطعة الزيبان مقاطعة سادسة وحاضرتها بسكرة ومقاطعة الجبال مقاطعة سابعة وحاضرتها برج حمزة...وجعل الصحراء الغربية مقاطعة ثامنة وولى عليها السيد قدور بن عبد الباقى"[1].

اعتمادا على ما ذكر مؤلف التحفة يمكن القول ان النواة الجغرافية لدولة الأميرأخذت في الإتساع تدريجيا بالموازات مع إزدياد نفود الأميرعبد القادر نتيجة إقبال القبائل والتفافها حول مشروع المقاومة الأمر وعليه يمكن القول أن استراتجيته التوسعية ارتكزت على جملة من العوامل أهمها:

3-1-1- الميايعة

سارعت الكثير من القبائل الجزائرية إلى مبايعة الأميرعبد القادر بعد توزيع مناشير البيعة ومن منطلق توزعها وتباين مواقعها وما تملكه من أراضي فقد،تمكن الأميربفضلها من بسط نفودها على مناطق واسعة من البلاد،ففي المنطقة الغربية التى تعد مركز المقاومة والمجال الحيوي لدولة الأمير عبد القادر بايعته كل من قبيلة بني عامر[2] وبني مجاهر[3] وقبيلة

---

(1): محمد،بن عبد القادر،تحفة الزائر،ج1،ص.ص.96 -101.

(2): قبيلة تضم 26 بطنا أي حوالي 7315 خيمة وموزعة على المناطق التي تضم حاليا سيدي بلعباس وهم من أعظم القبائل إخلاصا للمقاومة ،أنظر:مذكرات الأمير،ص.117.والتحفة، ج1،ص.321.

(3): قبيلة المجاهر: تسكن نواحي مستغانم وقفت إلى جانب الأمير وانخرطت في المقاومة،أنظر:أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر،ج1، مرجع سابق،ص.87.

الغرابة[1]،كما استطاع الأمير إمالة زعماء القبائل والتأثيرعلى المرابطين ذوي النفود والهيمنة خاصة في المناطق الصحراوية حيث تمكن أحد المرابطين من إقناع عشرين قبيلة بإعلان الولاء للامير[2]،وجاء في تحفة الزائر:" ...وممن حضر هذه البيعة وبايع وسمع لها وتابع من القبائل الشرقية والأحياء الغربية...وأعيان القبائل الشرقية كالعطاف وسنجاس وبني القصير وبني العباس وعكرمة والمحال ...وكافة قبائل يعقوبية ...ثم القبائل القبلية كأولاد شريف و أولاد الاكرد...وغيرهم ممن يطول ذكرهم من قبائل المغرب الأوسط...ثم الكل بايعوا على أنفسهم وعن قبائلهم...[3]"، مما سبق يتضح إجماع القبائل على شخص الأمير عبد القادر ودخولهم طواعية تحت إمرته عكس إرادتهم في إختياررجل المقاومة وامتثالهم للواجب الديني وبالتالي يمكن القول أن الدور البطولي الذي قام به الأميرعبد القادرفي مواجهة المستعمركان سببا في إلتفاف الناس حوله ومساهمتهم في مشروع المقاومة، إن إقرار هذه القبائل بالطاعة يعني إتساع المجال الجغرافي لدولة الأمير عبد القادر.

3-1-2 - القتال

أ - تمهيد الجبهة الداخلية

إن جنوح الأمير إلى القوة وإعلانه الحرب على القبائل المتمردة من جهة ووقوفه ضد التوسع الإستعماري ساهم في امتداد دولة الأمير،حيث أضحى الفضاء الجغرافي لهذه القبائل تحت سلطة الأمير، ومن أبرزالأمثلة على ذللك ما ورد في تحفة الزائر[4]: "ولما تم استلاء الفرنسيس على قسنطينة وفر صاحبها أحمد باي إلى الزيبان حشد الحشود وزحف على بسكرة حاضرة تلك البلاد فدخلها وفرصاحبها فرحات ابن سعيد ولحق بالجزائرمستنجدا بحاكمها

---

(1): مجموعة من أهالي المخزن كانت في العهد العثماني تشكل 18 بطنا وتشكل أغاليك الغرابة وتقطن بين هضبة تليلات وغابة مولاي إسماعيل،من أهم عائلاتها بنو يعقوب،:الجزائري،الأمير عبد القادر مذكرات الأمير،مصدر سابق،ص.117

(2): تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.39.

(3): محمد،بن عبد القادر،المصدر السابق،ج1،ص.103.

(4): نفسه،ص.193.

العسكرى فلم يجبه وكان الأميروقتئذن في المدية فجاءه وشكي أمره إليه ودعاه إلى الإستلاء على بسكرة..فاجابه إلى ذلك وجهزالخليفة البركاني في الجيوش المنظمة و المتطوعة وسار بهم مع فرحات إلى بسكرة وكان خبرهم إتصل بأحمد باي ففر منها ولحق القفر مما يلي الصحراء واستولى الخليفة على بسكرة ووفدت عليه أعيان العرب والبرر من نفزاوة والزواودة وغيرهم وقدموا طاعتهم وطاعة من وراءهم وأرسل الخبر إلى الأميرفسر به وأمره بتمهيد البلاد تلك النواحي إلى أطراف الصحراء ثم الإنقلاب إلى صطيف وما إليها من بلاد مجانة إلى جبال زناتة[1]"،على ضوء ما سبق يمكن القول أن الأميرعبد القادر اتخد من العمل العسكري وسيلة لبسط نفوده وتوسيع الرقعة الجغرافية لدولته،وأداة لتطويع القبائل التي بادرت بإعلان الطاعة للأمير،حيث قام في"في المحرم سنة ثمان وخمسين و مائتين وأربعين وثمانمائة توجه الأمير وخليفتاه السيد محمد بن علال والسيد محمد البركاني في ثلاثة ألاف من العسكر المنظم وعدد كثير من المتطوعة واحتل بوادي الشلف ثم تجاوز جبال مليانة إلى أرض متيجة وبث البعوث في جهاتها وشن الغارات على نواحيها وحصلت بين المسلمين والمتنصرة وقائع عظيمة"،لقد كان لهذه الحملات الأثر الإجابي في رجوع

قبائل المنطقة إلى الصف الوطني[2]،كما كشفت عن عمق إدراك الأمير للطبيعة القبلية،فسعىلإمالتها موظفا مختلف الأساليب.

إن سياسة الحزم التي تبناها الأمير في إخضاع القبائل المتمردة وطدت سلطان الدولة ،من الأمثلة على ذلك:

- إخضاع قبيلة فليتة[3]

ورد في تحفة الزائر أنه لما آل الأمر إلى الأمير عبد القادر" رفع الناس أمرهم إلى أعتابه

---

(1): بن عبد القادر،محمد ،تحفة الزائر،ج1، المصدر السابق،ص.195.

(2): نفسه،ص. 278.

(3): مجموعة من الأهالي تقطن بين أغاليك الغرابة و مجاهر وأغاليك الشراقة بوادي الشلف على نهر مينة ومنداس،لهم 21 بطنا ،العناترة والمحال وأمية،الشرقة ن أولاد سيدي يحي، الحرارة،تحت قيادة ميلود بوطالب ابن عم الأمير.يظر: الجزائري ،الأمير عبد القادر،مذكرات الأمير،ص.203.

وطلبوا منه أن يقطع شأفة فسادهم فأجابهم إلى ذلك ونهض من الحضرة عقب رجوعه من أرزيو ونزل بالبطحاء المعروفة الآن بهبرة ومنها أغزا السير إليهم بجموعه فصبحهم واكتسح أموالهم وشتت شملهم وجعلهم عبرة لغيرهم[1]"

لقد أشتهر قبيلة فليتة باعمال السلب والنهب وقطع السبيل أيام الحكم العثماني في إيالة الجزائرو لما آل الأمر إلى الأمير عبد القادررفض زعيمها العريبي مبايعته[2] رغم ما اتسم به موقف الأمير من نصح و ليونة في بادئ الأمر[3]،فهاجم الأمير القبيلة على راس خمسة ألاف فارس وتمكن من إخضاعها واستسلم زعيمها وقدم ابنه كرهينة[4].

أ-1- قتال الدوائر والزمالة

لقد تحالفت هذه القبائل مع المستعمر وساهمت في تثبيت أقدامه وإضعاف المقاومة[5]من خلال إشاعة الفوضى وتحريض القبائل ودخلت مع الأمير في حرب من سنة 1834م إلى غاية سنة 1843م[6] بقيادة زعيمها مصطفى بن إسماعيل الذي بايع الأمير ظاهريا بعد ما رأى التفاف القبائل حوله وخوفا من إزدياد نفود الأميرلجأ إلى التحالف مع الفرنسين في 16

جوان 1835م[7]،لقد لعبت هذه القبائل دورا محوريا في إستنزاف المقاومة من خلال الجهود المعتبرة التي قدمتها للمستعمرتحت قيادة بن اسماعيلالذي حاول الدخول تحت سلطان المغرب[8] وكانت نهايته على يد جيش ألامير ويصور بن عبد القادرهذه النهاية قائلا:"...وولوا الأدبار فلحقهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويسلبون وكان فيمن قتل وشفا المسلمون انفسهم منه الرئيس بن

---

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدر سابق،ص.104.

(2): تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.61.

(3): الحسني،الأميرة بديعة،ناصر الدين،مرجع سابق،ص.48.

(4): تشرشل،هنري،مصدر سابق،ص.65.

(5): العربي،إسماعيل،المقاومة تحت لواء الأميرمرجع سابق،ص.45.

(6): سعيدوني،ناصرالدين،عصرالأمير،مرجع سابق،ص.235.

(7): تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.94.

(8): المزاري،ابن عودة،طلوع سعد السعود،ج2، مصدر سابق، ص.113.

وكان قتله سببا في الهزيمة ووقف عليه بعض المجاهدين فوجده يتخبط في دمه فاجهز عليه وقطع راسه...لما وضع الرأس بين يدي الأميرنظرإليه واستعاذ بالله من غضبه وعقابه"[1].

أ-2-إخضاع قبائل وادي الزيتون[2]

جاء في تحفة الزائر"...لما وصلوا لوادي الزيتون أمر بترتيب الجيش للهجوم وقسمه أربعة قسم للميمنة وقسم للميسرة وقسم لجمع المجاريح وتعقيب المنهزمين وأبقى الباقي في معيته على رابية مشرفة على ساحة القتال...وشرعت الجنود بالزحف حتى قطعوا الوادي وابتداوا بالصعود...فقابلتهم العصاة بإطلاق البنادق من وراء جبال الصخور وقتلوا عددا من الجنود فتوقف الباقي فتوقف الباقي عن التقدم...وأمر الأميربالحمل عليهم من كل جانب، فحملوا عليهم حملة رجل واحد وعلا القتام وضجت الأصوات من الفريقين وصعد الجند

أعلى الروابي...ولتحمت الرجال بالرجال..ومازال السيف يعمل والابطال تقتل وتجندل إلا أن دب بالأعداء الفشل وسلموا أنفسهم الأسر[3]...".

لقد إلتجا الأميرإلى الحل العسكري مع قبائل وادي الزيتون بعد ما استنفدا جميع السبل[4] ومن بين النتائج التي ترتبت عن هذه الغزوة دخول القبائل المحالفين لقبائل وادي الزيتون في طاعة الأميربسبب المعاملة الحسنة التي حظيت بها هذه القبائل خصوصا بعد إعلان الأمير العفو عنهم ودفع ما عليهم من مستحقات،كما عين على كل قبيلة رئيس وبالتالي يكون الأميرقد تحقق له من خلال اعتماد الحل العسكري مع قبائل وادي الزيتون ولائهم بالإضافة إلى الدعم المادي والعسكري للمقاومة وامتداد نفود دولته واتساع حدودها الوطنية.

ب - مواجهة المحتل

وبالتوازي مع الحرب التي شنها لضبط الجبهة الداخلية لتوحيد الصف تحت الراية الوطنية،

---

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1 ،مصدر سابق،ص.282.

(2): نهريصب من حبل سيف العلي ويمر بين تلمسان وصبرة 20كلم جنوب تلمسان،ينظر:الجزائري، الأميرعبد القادر،مذكرات الأمير،مصدر سابق،ص.121.

(3): انفسه،ص.192.

(4): نفسه،ص.191.

حاول الأمير من خلال حربه مع المستعمرحصر وجوده في المناطق الساحلية وتوقيف زحفه نحو الداخل، في هذا الإطار فقد اصطدم جيش الإحتلال بالمقاومة أثناء توسعه نحو الداخل، ففي27ماي 1833م قام الأمير بفرض الحصار على الجيش الفرنسي بقيادة بويي[1]،كما هاجم الأميرحصن سانت أندري وحصن أورليان،إلا أن جيش الإحتلال تمكن من دخول وهران في01 جوان 1833م بقيادة دي ميشال الذي واجه الأمير بعين البريدية[2] ،لقد شكلت هذه المعركة محطة هامة بالنسبة للأميرلمعرفة قوة العدو وإستعداداته، كما دخل مدينة أرزيوإلا أنه لم يستطع الصمود أمام قوة الجيش الفرنسي الذي دخلها في 5 حويلية 1833م[3] وأبقى فيها على حامية[4]،وفي 27 جويلية 1833م هاجم جيش المقاومة قوات الإحتلال في مستغانم وانسحب بعد ذلك ليدخلها الجيش الفرنسي[5]،وفي 28 جوان تمكن

الأميرمن الإنتصارعلى الجيش الفرنسي في معركة المقطع حيث جاء في التحفة"لما ارتحل الجنرال تريزل من حرش مولاي اسماعيل قاصدا أرزيو حشرته جيوش العرب عند المقطع وهو المحل الذي أعده الأمير عبد القادر لدفن العساكر الفرنسوية ثم هجمت عليه جموع المسلمين يقدمها حضرة الأميركالعقبان على الطيور الضعيفة وفي أقل زمان فتكت بالعساكرفتكا لم يعهد نظيره وكرت على باقي الجيش فشتت شمله ولم تكتفي حتى حكمت سيوفها في أعناقهم وقد حاول العسكر الفرنسي الذي أكثره جرحى أن يفروا فلم يهتدوا إلى الطريق ومن اقتحم النهرمنهم هلك والعرب في وسطهم كالجزاراستعمل مديته في أعناق غنم محبوسة وفي وقت الغروب تلاحق الباقون"[6]

---

(1): Abdelkader,ed,Nouvelle,Tlemcen,1886,p.24.J.Pichon,

(2): P.Azan,L'emir Abdelkader,du fanatisme musulmanau patriotisme francais,p.19.

(3): L.plee,Abdelkader,op.cit,p.66.

(4): حرب،أديب،التاريخ العسكري والإداري للأميرعبد القادرج1،مرجع سابق،ص.105.

(5): P.Azan,op.cit,p.19.

(6): المقطع: منطقة بين سيق والمحمدية : ينظر الخريطة في الملحق

(7): بن عبد القادر،محمد ،تحفة الزائر،ج1 ، مصدر سابق،ص.151.

من بين أهم النتائج التي ترتبت عن معركة المقطع الخسائر الفادحة في صفوف الجيش الفرنسي حيث قدرتها بعض المصادر بحوالي 800 قتيل[1] والبعض الآخر قدرها ب 280 قتيل و500 جريح و17 أسير[2]،أما على المستوى السياسي فقد طالب البرلمان الفرنسي بتغيير القيادات العسكرية في الجزائرحيث قامت الحكومة الفرنسية بتعيين الجنرال كلوزال حاكما عاما ودارلونج خلفا لتريزل[3]،أما داخليا فقد رفعت من معنويات المقاومة وقضت على أسطورة الجيش الذي لا يقهر بل ذهب بعض قادة الجيش الفرنسي لحد الإعتراف بقوة وبسالة الجيش الفرنسي[4] لمحوأثار هزيمة المقطع سعت قوات المستعمر لتحقيق نصر ميداني حيث أضخت السواحل الغربية تحت مراقبة الجيش الفرنسي مما دفع بالأمير إلى مواجهة قوات الإحتلال فى نواحي سيق فى 3 ديسمبر1835م أين تمكن المستعمر من رد

هجوم المستعمر[5] وفي 25 جانفي 1836م هاجمت قوات الأمير الجيش الفرنسي بقيادة كلوزيل في يسر تافنة إلا أن المحتل تمكن من صد الهجوم[6]، وفي اليوم الموالي هاجم جيش الأميرالجيش الفرنسية بقيادة كلوزيل مما دفع بقوات المستعمر للتراجع نحو تلمسان، استطاع الأمير بفضل هذه المعركة من السيطرة على طرق الموصلات لفك العزلة عن المناطق التي تحت نفوده وفي 15 أفريل من سنة 1836م تكبدت قوات العدو خسائر هامة إثر هجوم الأميرعلى الجيش الفرنسي بقيادة دارلونج[7]كما تمكن جيش الأمير من محاصرة الحامية الفرنسية في تلمسان بعد معركة سيدي

---

(1): C.Rousset,La conqueted'Alger,op.cit,p.393

(2): A.Delpech,Histoire d'elhadj Abdelkader par son cousin Elhossin Ben ,revue,Africaine: t.20,1876,p.428.

(3): De Mintimpry,souvenirsd'un,officier d'etatmajorhistoirede l'etablissement de domination francaise dans la province d'Oran,op.cit,p.13.

(4): E.Cavignac,la regence d'Alger notes sur l'occupation,ed,Magen,Paris,1839,p.32.

(5): P.Azan,op.cit,p.62.

(6): حرب،أديب،المرجع السابق،ج1 ص.257.

(7): Ibid,p82.

(8): نفسه،ص.278.

يعقوب 25 أفريل 1836م، لقد دفعت الهزمات المتكررة للجش الفرنسي على يد الأمير عبد القادر السلطات الفرنسية إلى تغيير إستراتجيتها العسكرية من خلال تعيين قيادات جديدة و في هذا الإطار تم إرسال بيجو"بثلاثة آلاف لإغاثة دارلونج فسار من باريز في جيوشه إلى وهران ثم في السادسوالعشرين من الربيع الأول سنة ثلاث وخمسين واول يوليه سنة سبع وثلاثين وثمانمائة سار إلى تلمسان بالدخيرة إلى جيشهم المحصور في قلعتها[1] "و في طريقه إصدم بجيش الأمير في واد السكاك،ويصور مؤلف التحفة هذه المعركة قائلا:" و كانت الجيوش الإسلامية من المتطوعة قد لحقها الضجر وطالت عليها المدة في الحروب فلحقت بأوطانها ولما اتصل خبربيجوبالأميروهو في ندرومة سار إليه فيمن معه من العسكر والتقى الفريقان على نهر السكاك...فاستطرد لهم بيجو حتى أجازوا النهرثم انعطف فأثخن

فيهم وانكشفوا أمامه وكثرت القتلى والجرحي"[2]،لقد كان من نتائج هذه المعركة 120 شهيد في صفوف جيش الأميرو240 جريح[3] و130 أسير أما الخسائرفي الجيش الفرنسي فحوالي 32 قتيل و70 جريح[4]،لقد حول الأميرهذا النصر إلى هزيمة من خلال قيامه بجمع الجيوش لمحاصرة تلمسان،حيث جاء في التحفة"وبعد واقعة نهرسكاك أرسل الأميرفي المدائن والضواحي ينادي بالجهاد فاجتمع المسلمون في الجهات والضواحي التي عينها لهم لإنتظارخلفائه فيها وسار من ندرومة بعد أن أزاح العلل في نواحيها فنزل تلمسان بقوته وضيق حلقة الحصارعليها وضبط خارجها فاشتد الأمرعلى أهلها ونفذت دخائرهم واجهدهم الجوع [5]"،لم يكتفي الأمير بمحاصرة المدن وقطع طرق الإمداد بل غير من إستراتجيتها بإرساله البعوث إلى الساحل وفي هذا الصدد يذكرصاحب تحفة الزائرأن الأمير انتهز غياب

---

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، المصدرالسابق،ص.166.

(2): نفسه،ص.167.

(3):حرب،أديب،المرجع السابق،ح1،ص.302.

(4):.P.Azan,L'emir Abddelkader 1808-1847,op.cit,p.85

(5):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1 ،ص.167. ينظر كذلك: بوطالب،عبد القادر،الأميرعبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر،2010م،ص.ص.70-60.

" وجهز البعوث إلى السواحل فسرح خليفته السيد مصطفي بن تهامي والبوحميدي إلى وهران في جموع قبيلتى الغرابة وبني عامر ومن انتمى إليهم فاكتسحوا نواحيها واشفوا مزارعها واستولوا على ماشيتها وانتهبوا الأبراج والأكواخ القريبة من أصوارها وضربوا عليها سياجا من الرماة والأنجاد وقطعوا عنها مواصلة المتنصرة من العرب وأمست محصورة من جميع نواحيها البرية ثم سرح إلى الجزائر خليفته السيدمحمد بن علال فعاث في نواحيها..وانتهبتها جيوشه...ووصلت خيله إلى أبواب الجزائر وجعل الأرصاد على من يواصلها..."[1].

وسجلت الفترة الممتدة بين 1839م و1840م العديد من الموجهات بين جيش المقاومة بقيادة الأميروعسكرالإحتلال لوقف زحفه نحو الداخل بعد ما تبنت الحكومة الفرنسية

سياسية الإحتلال الكلي والشامل،أجبرت القوات الفرنسية على التراجع [2]رغم تعداد عناصرها وفي 27 أفريل 1840م إصدم الجنرال فالي[3] بجيش المقاومة بقيادة خليفة الأمير محمد بن علال الذي تمكن من عرقلة تقدم جيش الإحتلال وفي 12 ماي 1840م كبد الأمير الجيش الفرنسي بقيادة شونقارني[4] خسائرمعتبرة حوالي 84 بين جندي وضابط و152 جريح،وفي 20 ماي1840م جرت معركة غابة الزيتون حاول الأميرزعزعة الجيش الفرنسي حيت تتحدث المصادر الفرنسية عن 40 قتيل و212 جريح في صفوف المحتل[5].

---

(1): بنعبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، المصدرالسابق،ص.170.

(2):P.Azan,L'emir Abdelkader,op,cit,p.85.

(3):ولد في 17 ديسمبر1773م،شارك في الحروب الإسبانية 1809م-1811م،عين حاكما عاما للجزائرفي 1 ديسمبر1837م إلى غاية 1841م،قاد عدة معارك أهمها غابة كرزازة و موزية وغابة الزيتون أنظر: حرب،أديب،المرجع السابق،ج2،ص.131.

(4): ولد في 26 أفريل1793م تمدرس في الكلية الحربية سان سير،تسلم في 15 ماي1843م قيادة ا لكتيبةمن أهم المعارك التي خاضها ضد المقاومة الجزائرية معركة وادي متوس ومعركة جبل كركور،توفي في14 فيفري 1877م،ينظر .P.Azan,Les soldats de l'Algerie,p.90

(5):Ibid,p.65.

وفي 23 سبتمبر1845م جرت معركة وادي متوس[1] 1845م بين جيش المقاومة بقيادة خليفة الأميرالبوحميدي وجيش الإحتلال بقيادة العقيد مونتينياك الذي أصيب في المعركة ،ثم تجددت المواجهة في جبل كركور[2] أين تم القضاء على العديد من الضباط الفرنسين وتم أسر الضابط داكونور و80 جندي ونجا حوالي 82 جندي والضابط جارو الذي حوصر ومن معه في ضريح سيدي براهيم في 26 سبتمبر1845م وتمكن من الإنسحاب نحو وادي مرسي أين اصطدم بجيش الأميرلم يبق منهم سوى 20 جندي تمكنوا من الفرار بمساعدة حامية الغزوات.

مما سبق يتضح أن الأمير استمات في الدفاع عن الحدود الوطنية وتمكن من إعاقة تقدم الجيوش الفرنسية نحو الداخل رغم النقص الذي ميزالمقاومة في العدد والعتاد أمام الحشد المتزايد لقوات المحتل.

3-1-3-المفاوضات

تعد المفاوضات من أهم الأدوات التي اعتمد عليه الأميرفي توسيع نفود وترسيم الحدود الوطنية ،فاتفاقية دي ميشال التي عقدت في 26 فيفري 1834م[4] هي اعتراف بوجود دولة لها قيادتها السياسية تجلى ذلك من خلال بنود المعاهدة حيث جاء في تحفة الزائر[5]...الجنرال دي ميشل والأميرعبد القادراعتمد واتفق على ما يأتي ذكره أولا منذ يوم تحريره يصيرترك الحروب والخصومات بين الفرنساوين والعرب وكل من الجنرال دي ميشيل والأميرعبد القادر يجتهد في إلقاء الألفة بين شعبين اقتضت الإرادة اللإلاهية أن لا يكونا تحت سلطة واحدة ولأجل ذلك تعين وكلاء من الأميرعبد القادر في وهران ومستغانم وارزيو كي لا تقع

---

(1): حرب،أديب،المرجع السابق،ج2،ص.520.

(2): المرجع نفسه،ص.525.

(3): نفسه،ص.536.

(4). بوطالب،عبد القادر،الأميرعبد القادر وبناء الأمة الجزائرية،المرجع السابق،ص.63.

أنظركذلك: بوعزيز،يحي،الأميرعبد القادر رائد الكفاح الجزائر،مرجع سابق،ص.67.

(5): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، المصدر السابق،ص.106.

الخصومة بين الفرنساوية والعرب كما أنه يقوم وكيل عن فرنسا ضابط فرنساوي في معسكر...من أراد من الأروبين السفر إلى داخلية البلاد يجب أن يكون مصحوبا بتذكرة تكون عليها علامة وكلاء الأمير"،مما سبق يتضح لنا أن معاهدة دي ميشال إعترفت بسلطة الأميروبحدود دولته.

كما تم في معاهدة تافنةالمنعقدة في 30ماي 1837م[1] ترسيم الحدود بين دولة الأميروالمحتل ورد في تحفة الزائر"...على الشرط الأول أن الأمير يعترف بسلطة دولة

فرنسا على مدينة الجزائرووهران..يحد ذلك شرقا نهر المقطع والبحيرة الذي يخرج منها جنوبا بخط ممتد من البحيرة المذكورة فيمر على الشط الجاري إلى وادي المالح على مجرى نهر سيدى السعيد ومن هذا النهر إلى البحر...وفي إقليم الجزائرمدينة الجزائرمع الساحل وأرض متيجة يحد ذلك شرقا وادي القدرة وجنوبا رأس الجبل الاول من الأطلس غلى نهر الشفة مع البليدة وغربا نهر الشفة إلى كوغ مزغران...على دولة فرنسا أن تعترف بإمارة الأميرعلى إقليم وهران وإقليم التيطرى والقسم الذي لم يدخل في حكم فرنسا من إقليم مدينة الجزائر لجهة الشرق بحسب التحديد المعين في الشرط..."[2].

لقد رفض الأمير التنازل عن المناطق التي بقت محل نزاع بينه وبين المستعمر واصفا ذلك بالمستحيل معنويا وسياسيا[3]،بل إن المعاهدة حصرت اتواجد الإستعمار في شريط ساحلي ضيق ومنحت الأميرفرصة التوسع في باقي مناطق البلاد وبالتالي يمكن القول بأن التفاوض شكل عاملا مهما في تحديد المعالم الجغرافية لدولة الأميرعبد القادر،حيث استطاع من خلاله ترسيم حدود سياسية مؤقتة للدولة الجزائرية.

---

(1): للإطلاعأكثر على المعاهدة ينظر:

أبوالعيد،دودو،الوجه الآخرلمقابلة تافنة،المجاهد الثقافي،العدد 8،جوان،الجزائر، 1969م،ص.30.

وكذلك،إلعربي،إسماعيل،معاهدة تافنة،إنتصار الدبلوماسية الجزائرية،مجلة تاريخ وحضارة المغرب، تونس،العدد 14، 1974م،ص.26.

(2):بن عبد القادر،تحفة الزائر،ج1، محمد،المصدرالسابق،ص.177.

(3):تشرشل،هنري،مصدر سابق،ص.170.

2-3- دورالمقاومة في ترسيخ الهوية الوطنية

لقد كان للمقاومة الدورالحاسم في توحيد القبائل تحت راية الجهاد،فاستماتة الأميرعبد القادر وانتصاره على المحتل في العديد من المعارك جعله محل ثقة القبائل التي " قامت بحمل السلاح للدفاع عن العقيدة الإسلامية والإستقلال ضد الغزاة لبلدهم وأعداء دينهم تحت راية مرابطها الممتاز"[1]،كماأعلنت الكثير من القبائل بيعتها للأميررغم بعدها عن مركز الخلافة ومنها من تركت أملاكها وأموالها واستجابت لنداء الهجرة[2] واجتنبت التعامل مع

المحتل،ولم تترد في تقديم الدعم للمقاومة[3] بعد أن أدركت طبيعة الرسالة التي أوكلت للأميرالقائل:"إنكم الآن أصبحتم تحت رحمة رومي يقاضيكم رومي ويدير شؤونكم رومي...إن الرومي قد انتهك مساجدكم وأخذ أحسن أراضيكم...أيها المسلمون إن الله قد وضع بسيفه الملتهب في يدي وإننا جميعا سنمضي إلى الأمام ونروي حقول وطننا بدماء الكفار"[4] ،كما لجأ الأميرإلى حد إستعمال القوة للإخضاع القبائل المتمردة كقبيلة فليتة[5] وقبائل الدوائروالزمالة[6] وكراغلة وادي الزيتون[7]كما واجه الأمير الزعمات الدينية التي أعلنت العصيان والخروج عن طاعة الأميروفي هذا الإطار فقد قاتل زعيم الطريقة التجانية[8]بعد ما طلب منه الرجوع إلى جماعة المسلمين وانتهى حصار عين ماضي بطلب زعيم تجانية الصلح بشروط فرضها الأميرعلى رأسها مغادرة التجاني البلاد ودخول أتباعه في طاعة الأمير.

---

(1):الكولونيل،سكوت،المصدرالسابق،ص.108.

(2): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدرسابق،ص.251.

(3):الكولونيل،سكوت،المصدرالسابق،ص.109.

(4):.R.Mimoune;op.cit,p.130

(5):تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.61.

(6): سعيدوني،ناصرالدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.235.

(7): نفسه،ص.231.

(8): K.Filali,Le differend quadiriyya- tidjannyya,en Algerie,avec une lettre d'Abdelkader a altidjani, in revue d'histoire Maghrébine,Tunisie,n°87/88,1997,p.307.

ثانيا :نظام الحكم في عهد الأميرعبد القادر:المرجعية والمقومات

يعد تأسيس الدولة الجزائرية الإطار الرئيس الذى عكس ثراء الفكر الوطنى للأمير عبد القادروتنوعه،حيث استطاع بفضل المؤسسات الوطنية التى أنشأها أن يدير شؤون الجزائيين و يضبط أحوالهم،لقد ارتكز الفكرالوطني للأميرعبد القادرفي بعده السياسي على خصوصية الظرف و معطيات الواقع و استند إلى المرجعية الدينية يتضح ذلك من خلال:

1- الشرعية السياسية: قراءة في الآليات

تميز النموذج السياسي للأميربسمتين،الأولى أنّه انبثق عن خيار الإرادة الجماعية،وهذا ما أضفى عليه الطابع المدني من منطلق مشاركة الرعية في العملية السياسية،أما الثانية فتمثلت في كونه صورة لنموذج نظام الحكم الراشدي،الأمر الذي أصبغ عليه الطابع الديني،وأدخل الأمير في خانة المجددين،من منظور غياب هذا النمط من الحكم طيلة العهود التي خلتلقد استطاع الأمير تثبيت هذا النظام في فترة وجيزة،وتحت ظروف استثنائية،وفي هذا دلالة على عبقرية الأمير عبد القادر وعمق ثقافته من جهة،ومتانة الأسس التي قام عليها نظام حكمه من جهة أخرى.

1-1- نشأة الدولة الجزائرية الحديثة

يعد نظام البيعة ميزة تفرّدت بها الحضارة الإسلامية عن باقي الحضارات بما أضافه إلى الرصيد الإنساني،حيث شكّل نموذج البيعة قفزة نوعية في ممارسة الحق السياسي،والتأسيس للحريات الأساسية التي كانت عاملا هاما في ازدهار العهود الإسلامية الأولى بفضل اعتماد البيعة كأساس للحكم،وقد أدّى غياب هذا التصوّرإلى انتشارالأنظمة الإستبدادية عبر مختلف مراحل التاريخ الإسلامي،إنّ ظهورهذا النموذج في الجزائر عكس عبقرية الأمير من خلال قيامه بحركة سياسية تجديديةشكلت النواة الأولى لتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة.

---

(1):الحكم الراشدي يبدأ بخلافة أبو بكرالصديق،ثم عمربن الخطاب،ثم عثمان بن عفان ثم علي بنطالب.
ينظر:http://islamstory.com/

(2):بنعبد القادر،محمد،تحفة الزائر،المصدرالسابق،ص.ص.96-101.

أ- البيعة الخاصةالأولى:

إجتمع شيوخ وأعيان القبائل والعلماء والأشراف بموقع الدردارة الذي وصفه المزاري ببطيحة [1]من مزاري غريس يقال لها الدردارة محل وعدة رجال غريس من أحوازلمعسكر "وكان ذلك في(24 نوفمبر 1832م)[2] ،وهناك قدّم محيي الدين ولده عبد القادر قائلا[3]:"هذا هو السلطان الذي أعلنته النبوءة،هذا هو ابن الزهراء أطيعوه كما أطمعتموني،الله يحفظ

السلطان" معلنا بذلك عن أولى مراحل البيعة ،وكان ذلك أمام القبائل التي شاركت في البيعةومنها القبائل الجنوبية:الجعافرة،الحساسنة،بنوخالد،بنوابراهيم،وقبائل الجنوب الشرقي ولاد شريف،أولادالأكراد،صدامة،خلافة،وقبائل الجهة الشرقية،العطاف،سنجاس،بنوقصيرمرابطو مجاجة، صبيح،وبني خويدم،وقبائل الوسط لسهل غريس،عكرمة،المجال، فليتة،المكاحلية مجاهر البرجية،الدوائر،الزمالة،الغرابة،لقد بايع المجتمعون تحت الدردارة الأميرعبد القادروكان محيي الدين أوّل من بايعه على السمع والطاعة،وأوّل من لقّبه بناصرالدين ،ثم بايعه بعد ذلك أهل دائرته الخاصة،حيث جاء في تحفة الزائر"وقام عمّه علي بن أبي طالب وبايعه،وكذا الإخوة وسائرالقرابة،ثم الأشراف والعلماء والأعيان والرؤساء حسب مراتبهم وطبقاتهم،بايعوه على ما بايعه محي الدين، [4]"وتمت البيعة في 05رجب1248ه الموافق ل 28نوفمبر1832م[5]وورد في القول الأوسط :"وقعت البيعة في الثاني عشر من رمضان سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف."[6]

---

(1): المزاري الآغا،بن عودة،طلوع سعد السعود،المصدرالسابق،ص.104.

(2): حرب،أديب،التاريخ العسكري والإداري،ج1، مرجع سابق،ص.81.

(3): تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.58.

(4): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدر سابق،ص.156.

(5):اختلفت المصادر حول تاريخ انعقاد هذه البيعة،فقد جاء في مذكرات الأميرأنّ ذلك كان يوم 21 جانفي1833م،ينظر:الجزائري،الأمير عبد القادر،ص.131.

(6):الشقراني،أحمد بن عبد الرحمن،القول الأوسط،ص.35. لمزيد من الإطلاع ينظر: بن عبد القادر محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدر سابق،ص.ص.96 -101.

أنظر كذلك: سعد الله،أبوالقاسم،الحركة الوطنية،ج1،المرجع السابق،ص.174.

وقام بتحرير البيعة عمّه علي بن أبي طالب "...بايعناه على السمع والطاعة ولو في ولد الواحد منا أو نفسه وقدمنا نفسه على أنفسنا وحقه على حقنا".

وبعدها خطب الأمير في الناس وقت الظهر طالبا منهم السمع والطاعة، وعدم مخالفة تعاليم الشرع،واتباع نهج السلف الصالح،وتطبيق حدود القرآن[1]،ثم انطلق بعدها إلى معسكر أين وجد حوالي(10000)فارس في انتظاره تعبيرا عن رضاهم بتوليته سلطانا عليهم،وفي

هذا الصدد يقول ابن التهامي:"ورضي به الصغير والكبير،والجليل والحقير...لحسن سيرته وأدبه"[2] ليتم بعد ذلك توثيق البيعة حيث حرّر العلماء منشورات إلى رؤساء القبائل يعلنون فيها وقوع البيعة لعبد القادر بن محيي الدين أميرا مكلفا بإقامة الحدود الشرعية[3]،وحرّر الإعلان محمد بن عبد القادر الملقب بابن آمنة،جاء فيه:"فاعلموا معاشر العرب والبربر أنّ الإمارة الإسلامية والقيام بشعائر الملّة المحمدية قد آل أمرها الآن إلى ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدينوصار أميرا لنا،ومتكلّفا بإقامة الحدود الشرعية...ولا يكلّف الرعية شيئا لم تأمر به الشريعة المطهرة...سير راية الجهاد وشمّر على ساعد الجدّ لنفع العباد...فمن سمع النداء فعليه بالسعي لتقديم الطاعة وآداء البيعة...ولا تشق عصا الطاعة ويذهب الخلاف بكم إلى ما خير لكم فيه دنيا وآخرة."[4]

ب - البيعة العامة:

بعد مبايعة الخاصة للأميرعبد القادر وإجماع أهل العقد والحل على أهليه الأمير بعد أن رأوا توفرشروط الإمامة في شخصه الكريم تم إعلام القبائل بمجريات البيعة الخاصة،ولقدحظي الإعلان الذي وجّهه الأمير إلى القبائل،والذي دعاهم فيه إلى مبايعته[5] فإستجاب جمع غفير من القبائل،من مختلف جهات البلاد وبدأت مراسيم البيعة بمسجد الجامع بمعسكر

---

(1): تشرشل،هنري، مصدر سابق،ص.56.

(2): الجزائري،الأمير عبد القادر،مذكرات الأمير،المصدر السابق،ص.131.

(3): حرب،أديب،التاريخ العسكري والإداري،ج1، المرجع السابق ،ص.88.

(4): ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، المصدر السابق ،ص. ص.154-157.

(5): الزبيري،العربي،الكفاح المسلح،المرجع السابق،ص.27.

وكان ذلك(13رمضان1248ه/ 04 فيفري1833م)[1]،حسبما ورد في (التحفة)،وجاء في (القول الأوسط)أنّها وقعت(12رمضان1248ه/ 03فيفري1833م)[2]،وأهم ماجاء في نص البيعة العامة:"ولمّا انقرضت الحكومة الجزائرية من سائر المغرب الأوسط،واستولى العدو على مدينتي الجزائر ووهران أعادهم الله دار إسلام بجاه النبي...وصار الناس في هرج

ومرج وحيص وبيص،لاناه عن منكر،ولا من يغض ويزجر،قام من فوقهم الله للهداية ،و ظهرت عليهم العناية من رؤساء القبائل وكباراتها وصناديدها وزعمائها،فتفاوضوا في نصب إمام يبايعونه في جميع أحواله،وجالوا في ميدان أفكارهم في من هو لذلك أهل ،من روي الكمال والفضل،فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل إلاّ ذا النسب الطاهر ،والكمال الباهر رأس الملة والدين،قامع أعداء الله الكافرين،أبا المكارم السيد عبد القادر بن مولانا السيد محيي الدين أيّد الله به الإسلام والمسلمين،وأحيى به ما إن درس من معالم الدين،فبايعوه على كتاب الله العظيم،وسنة نبيّه الكريم."[3]

2-1-المشروع السياسي للأميرعبد القادر: المبادئ والمميزات

لقد حددت وثيقة البيعة الأولى الإطار العام والمحاور الأساسية التي بنى عليها الأمير مشروعه السياسي والتي تجسدت في:

-الوثيقة بمثابة البيان الدستوري الذي أعلن قيام الدولة،وحدّد المبادئ والأسس التي تقوم عليها المتمثلة في الشريعة كمنهج وكإطار للدولة مما يعني أن المرجعية الدستورية تتناسق وتعاليم الشريعة الإسلامية كمصدررئيس للقوانين و التشريعات على ضوئها تستنبط الأحكام - حدّدت الوثيقة ميزات وخصائص العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكوم.

- استعرض البيان برنامج[4] الأمير وتصوّره لحكم البلاد.

---

(1): ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، المصدر السابق،ص.157.

(2):الشقراني،محمد،القول الأوسط،المصدرالسابق،ص.36.

(3):.انظرابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ص.ص.96-101.

(4): بوعزيز،يحي،الأميرعبد القادر رائد الكفاح الجزائري،المرجع السابق،ص.20.

- جاء في البيان الأولويات التي يعتزم الأمير تحقيقها وتتمثل في:الجهاد،حسن تسييروإدارة الموارد المالية ،الأمن والالتفاف حول القيادة.

إنّ شرعية البيعة الخاصة تكمن في أنّ اختيار الأمير كان عن طريق النخبة المؤهلة وهم أهل الحلّ والعقد[1]،كما أنّ الأمير لم يكن سليل عائلة حاكمة،بل كان رجل زاوية،فكما يقول

رشيد رضا:"الإمامة عقد يحصل بمبايعة من أهل الحلّ والعقد لمن اختاروه إماما للأمة بعد التشاور بينهم، والأصل في البيعة أن تكون على الكتاب والسنة،وإقامة الحق والعدل من قبله،وعلى السمع والطاعة والمعروف من قبله." [2]

لقد تمت البيعة الأولى للأمير على أساس معايير أهمها:"رأىمحيي الدينأنّ ولده المنوّه به قد بلغ أشدّه،وترشح للإمارة وتأهل لها،واستمكلت فيه شروطها من الهدى،وعلوّ الهمة ،وقوة الحواس،وكمال الخلق،وجمال الصورة،وشرف النسب،وعزّة القوم والقوة والفتوة و العلم والحكمة والحماسة والسماحة والعزم والحزم والتحفظوالاتقاء والارتفاع ومكارم الأخلاق"[3] وورد في موضع آخر من (التحفة)"شاهدوا فيه من الصفات العليّة والنعوت السّنية"[4] ويذكر بن عودة المزاري كان الأمير"ذا حزم وشجاعة ورأي وتدبير وطاعة فأذعنوا له،وأنفذوا أمره،وأتموا غرضه،و أكملوا فخره،"[5] ممّا سبق يتضح أنّ الأميراجتمعت فيه شروط الإمامة،فقد جمع بين المؤهلات الدينية التي اختزلها علمه وخلقه ومؤهلاته الشخصية التى إستطاع بفضلها قيادة الجيوش والوقوف في وجه المستعمر وتحقيق النصر في عديد من المعارك رغم حداثة سنه وقلة تتجربته في فنون الحرب والقتال مما دفع القبائل إلى الإلتفاف حوله ومبايعته على السمع والطاعة[6].

---

(1): هم نخبة الامة ويمثلون المرجعية السياسية ويرجع اليهم اختيار الحاكم.

(2): رضا،رشيد،الخلافة،د.ط،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1992،ص.41.

(3): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج،1 ،مصدر سابق،ص.154.

(4): نفسه،ص.ص.96-97.

(5): المزاري،بن عودة،طلوع سعد السعود،المصدرالسابق،ص.104.

(6):بن عبد القادر،محمد،المصدرالسابق،ص.97.

أمّا فيما يخصّ وثيقة البيعة الثانية،فهي تتمة للبيعة الخاصة،حلّلت الأزمة التي تعيشها البلاد وطرحت حلول الخروج منها والمتمثلة في الالتحام والطاعة لمنع الفتن والقضاء على الآفات واستتباب الأمن وبسط سلطان الدولة والتفاف الناس حولها كما أشارت الوثيقة إلى الهدف الأساسي الذي عقدت من أجله والمتمتل في التفرغ لجهاد المستعمر وتحرير البلاد.

لقد كانت البيعة العامة بمثابة استفتاء بالمفهوم العصري،شكلت قطيعة مع أنماط الحكم السابقة التي حدّدت الوراثة فيها شكل الحكم،فالأمير استمد قوته من هذا التفويض الجماعي ممّا أضفى شرعية على قراراته وتوجهاته،كما أنّ حضورالقبائل النافذة كبني عامر وبني مجاهر والغرابة أعطت بعدا شعبيا لما تمثله هذه القبائل من ثقل في بايلك الغرب[1] ،كما أنّ توقيع الأعيان والعلماء[2] كشهود على صك البيعة له دلالاته التاريخية من منظور تقاسم المسؤولية بين المبايَع والمبايِع له،لقد استطاع الأميرمن خلال البيعتين الأولى والثانية أحياء نموذج البيعة الراشدية،من منطلق أن الإرادة الشعبية تشكل محور العملية السياسية.

2-السلطة من منظور الأمير عبد القادر: الطبيعة والمكونات

2-1- التشريع في دولة الأمير عبد القادر: الأدوات والأبعاد

يعد التشريع أحد أهم ركائز النظام السياسي الذي قامت عليه دولة الأمير[3]، تحددت من خلالها طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم،وترسخت بفضله دولة القانون، كمايعتبر من أهم العوامل التي استمدت منها دولة الأميرعبد القادر قوتها وصمودها أمام مختلف التحديات.

أ-أدواته : المجالس الشورية أنموذجا

أسس الأمير المجلس الاستشاري الأعلى والمجالس الفرعية التابعة له في مختلف الأقاليم

أ-1- المجلس الاستشاري الأعلى[4]: وهو بمثابة السلطة التشريعية،ويرأسه الأمير في كثيرمن

---

(1): حرب،أديب،التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر،ج1،مرجع سابق ،ص.87.

(2): المزاري،الآغا بن عودة،المصدر السابق،ص.105.

(3):أنظر: أوصديق فوزي،المرجع السابق،ص.27.

(4): حرب،أديب،المرجع السابق،ج2،ص.56.

الأحيان كما اختار الأمير أعضاءه بعناية ممن تتوفر فيهم أهلية المشورة،حيث يقول صاحب (التحفة):"رتّب مجلسا للشورة يشمل احدى عشر عضوا من أجلّة العلماء،وجعل رئاسته للعلامة وقاضي القضاة السيدأحمد الهاشمي المراحي"[1]ومن بين أعضائه أحمد المحفوظيابن

أحمد الطاهر، بن الشيخ المشرفي،ومحمد بن مختار،ومختار بن مكي، الحاج عبد القادر بن روكسي،ابراهيم بن القاضي،أحمد بن الهاشمي[2]،أمّا عن آلية عمله فكان يسجل مداولاته في مختلف المسائل،ثم تعرض بعد ذلك على الأمير،كما كان للمجلس الشوري الأعلى مهام قضائية حيث يقوم بالنظر في شرعية الأحكام التي يصدرها القضاة،ويطعن في كل ما يخالف أو يناقض الشريعة،كما ينظر في الأحكام الجنائية ويعقّب على القضايا والنوازل الصادرة عن المحاكم[3]ومهام مالية إذ له صلاحيات فرض الضرائب[4]،والمعونات في الحرب،كما كانت له مهام إعلامية حيث يقوم باعلام القبائل بالقوانين والقرارات الصادرة عن الدولة عن طريق صياغة المناشير،وأخيرا مهام سياسية،حيث ينظر في مسائل الحرب والسلام ويتشاور في مجمل القضايا التي تتعلق بخيارات الدولة وتوجهاتها.

أ-2- المجالس الاستشارية الثانوية : وتتنتشر في كافة المقاطعات،وهي تحت وصاية الخلفاء[5]الذين عينهم الأميروفي غيابهم يتولى القضاة رئاستها،مما يدل على اهتمام الأمير بهذه المؤسسات وهي هيئة منتخبة[6] عمومية ذات مهام استشارية مفتوحة على كافة العلماء الذين يرغبون في ابداء آرائهم ووجهات نظرهم في مختلف المسائل والقضايا ،لقد ساهمت هذه الهيئات في ترسيخ ثقافة المشاركة السياسية الأمر الذي يعكس بعد نظر الأمير واستراتيجيته في تغيير المجتمع ،من منطلق انها تشكل عاملا هاما في التحولات الإجتماعية والثقافية كما

---

(1): ابن عبد القادر،محمد تحفة الزائر،ج1 ،مصدر سابق،ص.158.

(2): الحسني الجزائري،بديعة،فكر الأمير،مرجع سابق،ص.45.

(3): ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،ص.162.

(4):مطاطلة،احمد،نظام الإدارة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر،مجلة الذاكرة(المتحف الوطني للمجاهد)،الجزائر،العدد4 ،1996م،ص.172.

(5): أوصديق،فوزي،النظام الدستوري الجزائري،مرجع سابق،ص.61.

(6): الحسني الجزائري،بديعة،فكر الأمير،مرجع سابق،ص.45.

تدل على حرص الأميرعلى عدم مخالفة أوامر الشريعة[1]ويشرف عليها المجلس الأميري الأعلى و يقوم بمراقبة نشاطها، أمّا عن مهامها فتمثل في النظر في دعاوي الأفراد المتعلقة

بمصالح الدولة وفي الفتاوي والآراء التي استقر عليها إجماع الأمة والفقهاء المجتهدين وتتلقى هذه المجالس تموينها من بيت المال.

ب -الأبعاد

إنّ الشورى عند الأمير شريعة استجابة لقوله تعالى:(وأمرهم شورى بينهم).[2] وقوله تعالى:(وشاورهم في الأمر)[3]،وهي ضرورة اقتضتها الظروف ،وتصوّر تمثل في أساليب تحقيقها والآليات التي وضعها في هذا الغرض،كما أنّها اختزلت الممارسة السياسية ،كون الأمير التزم بها طيلة مراحل حكمه.

ب-1- البعد السياسي

حاول الأمير إرساء تقاليد الحكم المباشر أين يشارك الرعايا في رسم سياسة دولتهم،وفي هذا دلالة على رفض الأمير الاستبداد السياسي والهيمنة والإنفراد بالسلطة،كما أنّ اعتماد مبدأ الشورى يعني القطيعة مع ممارسات النظام السابق،وفي هذا إشارة إلى أنّ الأمير قيّم التجربة السياسية العثمانية[4] في الجزائر،فأخذ بإيجابياتها وابتعد عن سلبياتها،لقد سعى إلى تسييس المجتمع،وتغيير ذهنية اللامبالاة والإنعزالية،وجعله طرفا في العملية السياسية.

ب-2- البعد الديني:

من منطلق أنّ الحكم في شريعتنا يرتكزعلى الشورى وإن اختلفت صيغ الحكم وأشكاله فإنّ الشورى أسمى من الدولة ونعني بذالك أنها تشكل في حد ذاتهامرجعية التشريع لا كما

---

(1): أوصديق،فوزي،المرجع السابق،ص.77.

(2): سورة الشورى،الآية رقم. 38 .

(3):سورة العمران،الآية رقم. 159.

(4): للإطلاع أكثرحول مسألة الشورى أنظر: أوصديق،فوزي،المرجع السابق،ص.ص.70 - 60.

نظرت له فلسفات الفقه الأوربي التي تجعل من الدولة صاحبة التشريع الوضعي،فقد رسمت الشريعة حدودا للشورى،فهي خاضعة لمبادئها الأخلاقية الثابتة وملتزمة بإطارها العام،إنّ الشورى عند الأمير تصوّر ونظرية عامة وشاملة تقوم على إرادة الشعوب،وحرية

اختياراتها وخياراتها،ويتجلّى ذلك من خلال تعميم الأمير وتوسيع دائرة الشورى ومجالاتها، فلم يتوان الأمير عن استشارة الأجانب الخبراء والعسكريين[1]،كما أولى اهتمامه لرأي الفقهاء من خارج الإمارة،كفقهاء المغرب[2]،وفقهاء الأزهر[3]،كما شملت مجالات الشورى عند الأمير مناحي الحياة المختلفة وكل المسائل التي تخصّ الإمارة،من هذا المنظور فإنّ مواقف الأمير شرعية لعدم مخالفتها الشرع،ومشروعة لأنّها تعبّر عن إرادة جماعية،لذا فإنّ تفسير مواقف الأمير وتوجهاته في الحرب والسلم يخضع لهذا التصوّر الشامل.

ب- 3- البعد الإنساني:

سعى الأمير من خلال الشورى إلى إرساء قيم اجتماعية وثقافية ميّزت البعد الإنساني فقد جعل من الفعل الشوري واجب بدليل تعميمه للشورى لتستوعب كل شرائح وطبقات المجتمع دون اقصاء،وتشمل عامة شؤون الإمارة،وهذا في حدّ ذاته ثقافة فأساس الشورى حرّية الأفراد في ابداء آرائهم ووجهات نظرهم، وهذه قيمة انسانية تجعل من الشورى أوسع من أن تكون نظرية سياسية أو قاعدة دستورية، فالجماعة وحقوقها مسؤولياتها مستمد من تضامن مجموع الأفراد،ومبدأ الشورى[4]يعني القرارات التي تعبّرعن إرادة جمهور الجماعة،فتصوّرالأمير للشورى قائم على أساس أنّها المنبع والمصدر التي تستمد منها الأمة وحدتها وسلطانها،ويستمد منها المجتع تضامنه وتكافله.ممّا سبق يمكن القول أنّ الأمير حاول احداث تحوّل من خلال الشورى تمثل في إرساء قيم ثقافية،اجتماعية،سياسية ودينيةمما يعني أن الأميرعبد القادرحاول إحداث نقلة نوعية ينتقل المجتمع من خلالها من واقع القبيلة إلى واقع الدولة ومن التهميش إلى المشاركة في إتخاذ القرارات المصيرية.

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.220.

(2): ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدر السابق ،ص.306.

(3): نفسه،ص.360.

ج - أمثلة من الشورى:

ج -1- الهدنة:

خصعت معاهدة تافنة لمناقشة مجلس الشورى أين برر عم الأمير علي ابن أبي طالب موقفه حيث ذكر المجلس بالتفوق العددي والمادي للمستعمر وقلة الامكانيات التي يتمتع بها جيش المجاهدين ناهيك عن النداءات التي وجهت لملوك المسملمين ولم تكن ذات فائدة ليسترسل بعد ذلك في الاستدلال على مشروعية المهادنة[1]مما دفع بالمجلس الى عقد اتفاقية تافنة بعدما تبين له عدم مخالفتها لأصول الشريعة.

ج -2-إعلان الحرب :

عقد الامير اجتماع في بوخرشفة حضره العلماء ورجال الدولة للنظر في تداعيات خرق المعاهدة من طرف المحتل, وكان من اهم قراراته مواصلة الجهاد حيث يقول الامير " حيث انكم تريدون الحرب ولا محيص عنها فاعلمو اني لا اتأخرعن اعلانه مرة اخرى وما عادا الله أن أتخلف عن الجهاد بل سأكون فيه بحول الله وتعالى وقوته أمام صفوفكم غير أن لي حقا عليكم وهو أن تعطوني عهدا وميثاقا على الطاعة وبدل النصيحة وأن لا تسلكوا معي ولا في سائرأمور الدولة والملة سبيل الخيانة والغدر وأن لا تولوا الأدبار يوم الزحف وأن لا تتخلفوا عن الجهاد"[2] .

ج-3- إنشاء الزمالة:

تدارس الامير مع مجلسه الشوري إستراتيجية الحرب التي رتكزعلى حرب العصابات كما وافق المجلس على انشاء عاصمة متنقلة ذات طابع اقتصادي وحرفي[3] لقد تعددت أهداف الأمير من خلال هذا المشروع،فمن الناحية الإستراتيجية سعى الأمير إلى تخفيف الضغط على المقاومة وتحكم في إدارة الصراع،من جهة أخرى ضمان استمرارية الدولة من منطلق صعوبة الوصول إلى عاصمتها االمتحركة.

---

(1): سعد الله ،ابو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية،ج1،مرجع سابق،ص.53.

(2): ابن عبد القادر، محمد، تحفة الزائر، ج1،مصدر سابق، ص .23.

(3):الحسني، الأميرة بديعة،المرجع السابق،ص.01

2-2- السلطة التنفيدية في عهد الأمير عبد القادر: البنية والأسس

1-2-2- السلطة الوطنية : حكومة الأميرعبد القادر

وهي أولى اللبنات في نظام حكم الأمير،سعى من خلال انشائها إلى تثبيت مركزية القرار بغية تحكم الأفضل في تسيير شؤون الدولة الفتية، ولتفادي سلبيات التجربة العثماني.

أ- التركيبة:

إنتدب الأمير لهذه الحكومة أعضاء من القبائل ذات العصبية ومن العلماء[1]،وفي هذا الإطارفقد عيّن السيد محمد بن علي الرحاوي حاجبا[2]،وهو يساوي منصب رئيس الوزراء بالمفهوم العصري،والسيد محمد بن العربي وزيرا، وجعل له كاتبان،أحمد بن علي بن أبي طالبومحمد الخروبي،وولّى الحاج الجيلالي ناظما على خزينة الحكومة،والحاج الطاهر أبا زيد ناظرا على الأوقاف،والسيد محمد بن فاجة ناظرا للخزينة الملكية،والسيد الجيلاني العلوي ناظرا على جباية العشور والزكاة والضرائب،وهومايعني وزير المالية بالمفهوم العصري أمّا الخارجية فقد أوكلها إلى الحاج ميلود بن عرّاج،والحاج مصطفى رئيس ديوان الانشاء[3].

أ-1 - مهامها:

تعدّ الحكومة جهازا سياسيا مركزيا يشرف على تسيير الشؤون العامة للبلاد فهي تشرف على القضاء والداخلية والمالية والخارجية،وشؤون الأوقاف والتعليم،وغيرها من المجالات وتتمتع بسلطة تنفيذية تترجم وتنفذ قرارات المجلس الشوري الأعلى،وتوجيهات الأمير.

أ - 2- مميزاتها: إنّ أهم ماتميزت به حكومة الأميرالكفاءة العالية لأعضائها كونهم يتمتعون بمؤهلات علمية وأخلاقية مكنتهم من أداء مهامهم ويمكن القول أن حكمومة الأمير تميزت:

---

(1): العربي،اسماعيل،الأمير عبد القادر مؤسس دولة وقائد جيش،المطبعة الشعبية للجيش الجزائر،2007م،ص.19.

(2): نفسه،ص.ص.18-19.

(3): بن عبد القادر،محمد،التحفة،ص.166.أنظر كذللك: بوطالب،عبد القادر،الأمير،عبد القادروبناء الأمة الجزائرية،ص.94. وأيضا: حرب،أديب،ج1، المرجع السابق،ص.56.

من حيث الشكلتتمتع بالشرعية من منطلق أنّ تعيينها يتمّ وفق اختيار الأمير لكونه منتخبا من طرف الرعية،فشرعيتها هي امتداد لشرعيته[1]،وهي كذلك حكومة تمثيلية من منطلق أنّ أعضائها ينتمون إلى قبائل كثيرة الفروع،وذات شوكة ونفوذ[2] وتأثير في التحولات الداخلية أما من حيث المهامفهي حكومة مصغرة محددة المهام،ويرجع ذلك أساسا إلى سعي الأميرعبد القادرللسيطرة على أوضاع الدولة الناشئة،بالإضافة إلى ما تفرضه أولويات المرحلة، فالخارجية والمالية والداخلية والقضاء هي الأركان التي ارتكزت عليها الدولة في صمودهاوفي استمراريته رغم العقبات والظروف التي اعترضت مسار البناء الوطني.

2-2-2 - السلطة في الأقاليم

إنّ من أبرز سمات الحداثة في دولة الأميرتجلت في نظامها الإداري،حيث أنّ فرنسا ورغم تطورها وخبرتها في هذا المجال أبقت على هذا النظام بعد السيطرة على الجزائر.

أ- التقسيم الإداري:

اعتمد الأمير في تسيير شؤون الدولة نظام المقاطعات(الخليفليك) وجعل على رأس كل مقاطعة خليفة[2]،وقسم المقاطعة إلى عدّة دوائر على رأس كل دائرة آغا،والدائرة تضم عددا من القبائل يحكمها ضابط إداري (القائد)وبما أنّ القبيلة تتكون من مجموعة من العشائر فقد أحدث الأمير منصب الشيخ الذي يتولى أمور العشيرة[3] ،اشتملت دولة الأميرعبد القادر في بداية نشأتها على مقاطعتين:مقاطعة الشرق ومقرها معسكر،وتتكون من سبعة أغاليكات تولاها ابن عمّ الأمير عبد القادر سيدي مصطفى أحمد بن التهامي،ومقاطعة الغرب ومقرها تلمسان وتتشكل من خمسة أغاليكات يرأسها البوحميدي الولهاصي،وبعد معاهدة تافنة استحدث الأمير عدّة مقاطعات:مقاطعة مليانة تولاها سيدي الحاج محيي الدين بن علال القليعيولما سيطر على التيطري أنشئت مقاطعة المدية تولاها مصطفى بن محييالدين ثم عزله الأمير وعيّن

(1):ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدر السابق،،ص.ص.173.

(2): العربي،اسماعيل،الأمير عبد القادر مؤسس دولة وقائد جيش،مرجع سابق،ص.ص.20-21.

(3): نفسه،ص.22.

محمد البركاني،ومقاطعة صاباو خليفتها محمد بن محيي الدين،بالإضافة إلى مقاطعة مجانة عاصمتها سطيف تولاها سيدي الحاج محمد بن عبد السلام المقراني وبعده محمد الخروبي القليعي،ثم محمد بن عمر العيساوي،ومقاطعة بسكرة والصحراء[1] الشرقية تولاها فرحات بن سعيد،ثم محمد الصغيربن عبد الرحمن،ومقاطعة حمزة البويرة البويرة حاليا أحمد بن سالمالديبسي،ومقاطعة القبلة(الصحراء)تولاها سيدي قدوربن عبد الباقي،لقد تمكن الأمير من احداث كل هذه المقاطعات بعد معاهدات السلام بينه وبين الفرنسيين الأمر الذي يعكس بعد نظر الأميرحيث تمكن خلال هذه الفترة من توسيع رقعة الدولة وبالتلي التحقيق التدرجيلوحدة الأمّة.

ب - المناصب الإدارية:

تعددت وتنوعت المناصب في الإدارة الإقليمية،كما جعل الأمير جملة من الضوابط تتعلّق باختيار رجال الإدارة ،ومن بين المناصب التي أحدثها:

ب -1-الخليفة: المسؤول الأول في ولايته،يراقب جمع الضرائب،ويسلّم نصيب منها إلى بيت المال،يقود جيش المقاطعة،ويتولّى تسليحه وتموينه،يبني التحصينات،كما يقيم المنشآت العسكرية،ويرأس المجلس الشوري للمقاطعة،يتقاضى الخليفة مرتب (110دورو) أي (550فرنك) بالاضافة إلى صاع (165ل)من الشعيريوميا،ويراقب الخليفة الآغا أثناء عملية جباية الزكاة وجمع الضرائب،حيث يباشر عمليات التفتيش في مقاطعته[2].

ب-2- الآغا[3]:وهو قائد الدائرة والمسؤول بعد الخليفة،مهمته جمع الضرائب وكان يتحصّل على عشر ما يجمعه كراتب كما يشرف الآغا على مجموعة من القياد(الضباط الإداريين).

ب-3- القائد(الضابط الإداري):نظرا لكثرة مهامه فقد استُحدِث منصب المساعدين أو

---

(1):حرب،أديب،ج1، المرجع السابق،ص.ص.46-51.

(2):(CH,A),julien,histoire de l’Algerie contemporaire(conquete et colonisation 1827-1870 P.U.F,Paris,p.p.85-87.

(3):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق،ص.103.
النواب ويتكفل القائد بتسيير شؤون مجموهة من القبائل،وله صلاحيات البث في القضايا المحلية دون الرجوع إلى الإدارة المركزية[1].

ب-4 - الشيخ: الناطق والمثل للعشيرة،يتكفل بكل أمورها،ويرفع مطالبها إلى القيادات المحلية[2] أمّا عن مراسيم التنصيب فتتم في الديوان الأميري،حيث ينصب الخليفة والضابط الإداري وتسلّم له شهادة تعيينه،وخاتم إدارته منقوش عليه اسمه[3]،ويُخلع عليه البرنوس الرسمي المصنوع من الجوخ،الذي يختلف نوعه باختلاف درجة المنصب الإداري.

ج - مميزات الإدارة المحلية:

لقد جمعت الإدارة المحلية بين المرونة والفعالية ومزجت بين الإدارة العثمانية والتجارب الخارجية كثمرة لرحلات الأمير في المشرق ومارآه من تمدن ونهضة وكنتيجة لاحتكاك الغرب الجزائري بدولة المغرب[4].

أحدث الأمير معايير دقيقة وشروطا خاصة في تولية الإداريين،فقد أبعد عن الإدارة كل من له مركز نفوذ في الإدارة القديمة،أو تورط بشكل ما مع الفرنسيين،كما يمكن القول أنّ الإدارةفي عهد الأمير جمعتبين المركزية واللامركزية من منطلق تمتع الأقاليم بصلاحيات واسعة جعلت من الخليفة شخصية دينية وسياسية وعسكرية[4] إلى درجة رفض ابن سالم تسليم القليعة والبليدة لمّا طلب منه الأمير ذلك[5] ،ومن مظاهر المركزية قيام الأمير بعزل وتنصيب رؤساء المقاطعات[6]،وبالتالي يمكن القول أنّ نظام المقاطعات ليس نظاما كونفدراليا مطلقا ولا مركزيا

---

(1):.T.R.Bugeaud,Expose' de l'etat actuel dela sosiete'arabe du gouvernement,p.30

(2): العربي،اسماعيل،الأمير عبد القادر مؤسس دولة وقائد جيش،مرجع سابق،ص.25.

(3): نفسه،ص.23.

(4): نفسه،ص.23.

(5): العربي،اسماعيل،المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر،المرجع السابق، ص.25.

(6): نفسه،ص26.

(7): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق،ص.164.

بأتمّ معنى الكلمة ويرجع ذلك إلى اعتبارات اجتماعية وثقافية وجغرافية كما أنّ الحرب فرضت واقعا استثنائيا لا بدّ من إدارة تتأقلم مع معطياتها،ومن أبرزالأمثلة على مرونة النظام الإداري في دولة الأميرعبد القادر إنشائه لعاصمة متنقلة تمكن من خلالها إدارة شؤون الرعية وتسيير أمور الدولة واستطاع أن يجعل منها عصب الدولة الأمر الذي أعطى نفسا للمقاومة وحافظ على إستمرارية الكيان السياسي.

ب -السلطة القضائية[1] : المعاييروالمميزات

استمدالقضاء في عهدالأميرعبد القادر أحكامه من الشريعة الإسلامية وانسجم مع الخصوصيةالجزائريةوتفاعل مع واقع الحرب،لقد أدرك الأمير أنّ العدل أساس الحكم،لذا حرص على العناية بالقضاء والقضاة ،ليكون جهازا فعالايستطيع من خلاله إحتواء الداخل.

ب -1- القضاة:

أ- مؤهلاتهم:كان اختيار القضاة على عهد الأمير يتم وفق شروط ومعايير معينة تتوفر في القاضي،وتتمثل في الكفاءة العلمية خصوصا الإحاطة بعلوم الشريعة وأحكامها إضافة إلى المؤهل الخلقي كالصدق والأمانة والنزاهة والتواضع[3] ،وأخيرا الاحترافية أو المهنية التي تعكس قدرات القاضي في اتقان الوظيفة،ولا يتم تنصيبه إلا بعد إجازة أعلام القضاء،ثم يعين مباشرة من الأمير بعد استشارة قاضي القضاةالذي يخضع له فيما بعد[4]،مما سبق يتضح حرص الأمير على ترسيخ دولة القانون من خلال المعايير التى اشترط توفرها في القاضي لضمان استقلالية القضاء وحياده.

---

(1): أوصديق،فوزي،النظام الدستوري،مرجع سابق،ص.30.

(2): مطاطلة،أحمد،نظام الإدارة،مقال سابق،ص.182.

(3): نفسه،ص.181.

ب - أصنافهم:

لقد أوجد الأمير نوعين من القضاة:

ب-1- قاضي المحلة: وهو قاضي الجيش مهنته إقامة العدالة في المناطق العسكرية والثكنات[1] ونظرا لما تمثّله المؤسسة العسكرية من ثقل كونها عصب الإمارة،فقد حرص القضاة على ترسيخ هيبة الدولة من جهة وانضباط الجند من جهة أخرى.

لقد تعددت مهام القضاة فهم يرأسون الصلاة ويعنون يتعليم الجند شؤون الشريعة[2] ،وفي هذا يقول الأمير:"أينما ذهب جيشي كان مرفوقا بقاض ومساعدين،أحدهما رئيس الشرطة وكان ينفذ الأحكام،وهو في الواقع ليس المنفذ للقتل ،بل للقانون."[3]

ب-2- قاضي الطرائق:مهمته حماية أملاك الدولة والمال العام الذي يعدّد مصادره كما يراقب الخزينة[4].

ج - امتيازاتهم :

لقد تمتع القضاة بمزايا مادية ومعنوية :

ج-1- ماديا : خصص الأمير للقضاة مرتبات على عكس مااعتادوا عليه،ضف إلى ذلك علاوة نتيجة قيامهم لبعض الواجبات،حيث ورد في مؤلّف تشرشل"عيّن السلطان عبد القادر لكل قبيلة قاضيا يتقاضى أجره من الخزينة العامة لإدارة العدل،" [5]مما سبقيتضح مدى حرص الأمير عبد القادر على تحقيق العدالة بين مختلف شرائح المجتمع كما يتضح اعتماده على مبدأ لا مركزية في القضاء للتعميم العدالة،إضافة إلى إهتمامه التام بالقضاة ماديا.

---

(1): Benachenhou,A,l'etat Algérienne en1830des institution sous l'emir Abdelkader,p.86.

(2): Ibid,p86.

(3): تشرشل،هانري،مصدر سابق،ص.193.

(4): مطاطلة،أحمد،المقال السابق،ص.179.

(5): تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.86.

ج-2- معنويا: الاستقلال في اصدار الأحكام التي كان يحرص الأمير على مراقبتها وعلى تطبيقها[1]،ونظرا لأهمية وحساسية وظيفة القضاء فقد عيّن الأمير إلى جانب القاضي كاتبين.

2-2-أقسام القضاء:

أ- القضاء المدني:

يختص في شؤون الأملاك والميراث والأحوال الشخصية[2] ،وقد يقوم القاضي بالتغريم والحبس في الحالتين الآتين:

-المطالبة بالتعويض من أطراف تعدى إليها الضرر.

- تطبيق الحدو د والحكم بالتعزير[3].

وتسجل الشهادات وتكتب وتوثق في شكل عقود في المحكمةالتي يرأسها القاضي وتتم فيها المحاكمات علانية أو مغلقة بحسب ما تقتضيه الحالة،وحرصا على حماية الحقوق فإنّ أبواب الطعن والاستئناء مفتوحة، وقد ينتقل القاضي إلى فاس للاستشارة بعدما يتعذر الحكم في مسألة ما مما يدل على حرص الأميرعلى تطبيق العدالة في إطار الإلتزام بالشريعة الإسلامية تفاديا للأخطاء القضائية التي قد يكون ضحيتها المتقاضين.

ب - القضاء الجنائي:

مورس هذا النوع من القضاء من طرف الإداريين حسب التسلسل الإداري،إذ كان الخليفة والآغا والشيخ والقائد ينوب عن الأمير في شؤون العدالة،أمّا فيما يخص طبيعة القضايا التي يحكم فيها قضاة الجنائي فتتمثل في السرقة وقطع الطرق والخيانةوالجنح و المخالفات،وبما أنّ الأحكام الجنائية لا استئناف فيها فقداهتدى الأمير إلى إنشاء وظيفة صاحب المظالم،وهي من اختصاص الأميرعبد القادر وحده،حيث ينظر في شكاوي الرعية التى تصل إلى

---

(1): Benachenhou,A,op.cit, p.85.

(2): مطاطلة،أحمد،المقال السابق،ص.187.

(3): دردار،فتحي،المقال السابق،ص.85.

الديوان الأميري[1]،حيث يقول في هذا الصدد الكولونيل سكوت في مذكراته:"كل شكوى ضد حاكم المدينة تقدم إلى الأميرعن طريق الخليفة،أو تعرض عليه مباشرة أثناء الجلسات التي يعقدها للفصل في القضايا وتستمر حتى الساعة الثالثة،"[2] وكانت أحكام التي يصدرها الأمير بصفته القاضي الأول تتراوح بين تطبيق الحدود والتعويض والتعزير[3].

ج - نماذج من الأحكام القضائية:

ج-1- حدّ السرقة:

سعى الأمير إلى تحرّي الدقة في تطبيق الحدود على عكس ماكان في عهد الأتراك الذين كانوا في بعض الأحيان يحكمون بالموت تبعا لنزوة أو مجرد خطأ[4]،ومن أجل هذا أسس ديوان المظالم ليجنب الرعايا ضياع الحقوق،وكمثال على تطبيق حدّ السرقة،فقد طبّق الأمير الحدّ على معتد حاول السطو على خيمة زوجة الأمير ونفذ الحكم في ساحة تاقدامت.

ج-2- الخيانة العظمى:

لقد حدّد الأمير مظاهر الخيانة التي تستوجب الحدّ كالتعاون مع العدو والإتجار معه أو إعانته وتمويته،فقد اعتبر الأمير أنّ هذه ردّة تستوجب القتال،حيث اعتبر أن إعانة المستعمر ردة كما أن الخروج عن الأمير يعد نكثا للبيعة وخرقا لإجماع الأمة، وتاريخ مقاومة الأمير حافل بالقبائل التي غزاها الأمير بغية تأديبها وإرجاعها للصواب،كإعدام قاضي أرزيو وقبائل بني عامر والدوائر والزمالة[5] وغيرهم من القبائل التي رفضت الإنصياع للأميرعبدالقادر

ج-3- التغريم:

قام الأمير بتغريم الكثيرمن القبائل التي امتنعت عن آداء الزكاة، كهوارة،وقبائل واد الزيتون[1]

---

(1): أوصديق،فوزي،النظام الدستوري،مرجع سابق،ص.70.

(2): الكولونيل،سكوت،مذكرات سكوت،مصدر سابق،ص.113.

(3): Benachenhou,A,op.cit,p186.

(4): تشرشل،هنري،المصدر السابق،،ص.153.

(5): مطاطلة،أحمد،المقال السابق،ص.172.

3- البعد الوطني في أنظمة الأمير عبد القادر: النظام العسكري والمالي أنموذجا

3-1-الجيش الوطني في عهد الأمير: ملامح التحديث

يعتبر جيش الإمارة أحد أهم مظاهر الفكر الوطنى للأمير كونه حامي الدولة و عصب المقاومة إن وطنية هذاالجيش تكمن فى تركيبته ومهامه وانضمام الجزائرين إليه باختلاف طبقاتهم و أعراقهم ومناطق تواجدهم .

أ- بنية الجيش

أدرك الأمير أن تاسيس جيش نظامى أولوية اقتضتها طبيعة المعركة من جهة و الحفاظ على هيبة الدولة و استمراريته من جهة أخرى،فقد جاء فى تحفة الزائر أن الأميراجتمع برجال الدولة وأعيان الرعية و خطب فيهم خطبة أوضح فيها فوائد العسكرفأجبوه إلى ذلك وخرج المنادى:"...صدر أمر مولانا ناصرالدين بتجنيد الأجناد و تنظيم العاسكر من كافة البلاد فن أراد الدخول تحت اللواء المحمدى ويشمله عزالنظام فليسارع إلى دار الإمارة معسكر ليتقيد اسمه فى الدفاتر الأميرية..."[1] ،لقد تولى الامير تنظيم الجيش بنفسه ،فقسمه إلى ثلاث أصناف،فرقة المشاة و فرقة الخيالة وفرقة المدفعيون[2].

أما العسكر المحمدي فقسمه إلى ثلاث وحدات كل وحدة تحوى مائة جندى كما قسم الوحدة إلى ثلاث أقسام و لكل قسم عين رئيسا و نائبا(خليفة) وعلى كل ثلاث أقسام[3] رئيسا (سيافا) وعلى كل عشرة سيافين أغا كما استعان الأميربعدد من الخبراء والمتمرسين الذين ذاع صيتهم وبطولاتهم أمثال "قدور بن بحر"و"عبد القادر بن عز الدين" ومحمد قوشارمة" و"محمد السنوسى" وغيرهم[4]،مما سبق يتضح أن الأمير حاول تأسيس جيشا نظاميا يستجيب لمعايير حديثة وقد يكون الأمير قد تأثر بما رأه في الجيش الفرنسي من تنظيم

وعصرنة كما يمكن أن يكون قد استفادا من التنظيم الإنكشاري الذي كان سائدا فترة الحكم العثماني للجزائر.

---

(1):ابن عبد القادر، محمد،تحفة الزائر ،ج1،المصدر السابق، ص.121.

(2):نفسه،ص.121.

(3):بوعزيز،يحى،الأميرعبد رائد الكفاح الجزائري،مرجعسابق،ص.122.

ب - تسليح الجيش

قام الأميربتسليج جيش المقاومة عن الطريق الصفقات التجارية المبرمة مع الخارج عن طريق وكلاء تجاريين[1] كما مكنته اتفاقية دي ميشال من شراء الأسلحة[2] من فرنسا كما نص البند السابع من معاهدة تافنة على حق الأميرفى شراء السلاح من فرنسا[3] بالإضافة إلى المساعدات التي قدمها سلطان المغرب للمقاومة[4]،كما أعتمد الأميرعلى الصناعة المحلية لتدعيم الجيش بالعتاد الحربيمن خلال ما سبق يمكن القول أن الأميرحاول الإستفادة من الخبرة الأجبية في مجال التسليح من أجل النهوض بصناعةحربية وطنية تحقق الإستقلالية.

ج -الإستراتجية العسكرية

تجسدت الإستراتجية العسكرية في الأساليب القتالية المبنية على الكروالفر[5] والتجسس[6] كما قام الأميربإنشاء شبكة إستخبارتية تطلعه على ما يجري في الدوائر الفرنسية وفي العاصمة ووهران كما كان له عميل فرنسي متقاعد يزوده بالمعلومات مقابل خدمات[7]يقدمها له الأمير،لقد استطاع الأميرتكوين خطوط دفاعية من خلال الحصون والقلاع المنتشرة في مختلف الأقاليم،وبإنشائه للزمالة العاصمة المتحركة أعطى دينامكية للمقاومة ويصف بيجوأسلوب الأميرفي الحرب قائلا:"هل تعلمون أين تكمن قوته،تكمن في استحالة العثورعليه... في حياة الترحال التي خطها كأسلوب لحربنا".

---

(1): العربي،إسماعيل،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأميرعبد القادر،مرجع سابق،ص.287.

(2): الكونونيل،اسكوت،المصدر السابق،ص.187.

(3): نفسه،ص.203.

(4): نفسه،ص.70.

(5):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، المصدرالسابق،ص.152.

(6):يلحميسي،مولاي،الإستخبارات العسكرية ودورها في استراتجية الأميرعبد القادر،في أخبار معسكر، ع3،أخبار وهران،معسكر2001م،ص.26.

(7): M,Emirit,l'Algerie a l'époque d'Abdelkader,p290.

(8): للإطلاع أكثر على استراتيجية الأمير،أنظر: بكاي،لخضر،دراسة لموقع تازا برج الأمير عبد القادر مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية،معهد الآثار،جامعة الجزائر،2005م - 2006م،ص.77.

د - توزيع الجيش

تحكمت جملة من العوامل العسكرية و الجغرافية و الاقتصادية فى توزيع جيش الأمير الذى جاء على النسق الآتى:

أ- ولايات الغرب: خليفة تلمسان "البوحميدى الولهاصى" يتصرف :

المشاة..... 800 رجل

فرسان منظمون.....200 رجل

جنود مدفعية.....30 رجل

مشاة غيرمنظميين.....4000 رجل

فرسان غير منظمين.....8000 رجل

المجموع..... 1300 رجل

ب- معسكر:الخليفة الحاج مصطفى بن التهامى يتصرف:

مشاة منظمون.....1000 رجل

فرسان منظمون.....200 رجل

رجال المدفعية.....30 رجل

فرسان غير منظمين.....1200 رجل

مشاة غير منظمين.....2000 رجل

المجموع.....15230 رجل

ج- الولايات الوسطى:خليفة مليانة "محمد بن علال المبارك"يتصرف فى:

مشاة منظمون.....1200 رجل

فرسان منظمون.....200 رجل

رجال المدفعية.....40 رجل

فرسان غير منظمين.....5000 رجل

---

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1 ،مصدر سابق،ص.205.

لمزيدمن الإطلاع أنظر: Benachenhou,A,l'etat Algerien en 1830,Alger,SD, p.93.

مشاة غير منظمين.....4000 رجل

المجموع.....10440 رجل

- المدية[1]:الخليفة السيد محمد البركانى يتصرف فى

مشاةم نظمون.....600 رجل

فرسان منظمون.....200 رجل

رجال المدفعية.....30 رجل

فرسان غير منظمين .....4000 رجل

مشاة غير منظمين.....2000 رجل

المجموع..... ..6830 رجل

- برج حمزة:الخليفة السيد احمد بن طالب بن سالم الدبيسى يتصرف

مشاة منظمون.....300 رجل

مشاة غير منظمين.....2000 رجل

فرسان منظمون..... ...50 رجل

فرسان غير منظمين.....2000 رجل

ج- ولايات الشرق[2]:

- مجانة: الخليفة محمد عمر العيساويتصرف فى

مشاة منظمون.....300 رجل

فرسان منظمون.....50 رجل

المجموع.....350 رجل

- الزيبان:الخليفة السيد الحسن بن عمريتصرف

مشاة منظمون.....300 رجل

فرسان منظمون.....50 رجل

---

(1):بوعزيز،يحي،الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ،المرجع السابق،ص.88.

(2): نفسه،ص.89.ينظر: أديب،حرب،التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر،ج1، مرجعسابق،ص.72.

مشاة منظمون.....300 رجل

فرسان منظمون.....50 رجل

المجموع..... .350 رجل

الصحراء الغربية:السيد قدور بن عبد الباقى رئيس قبيلة أولاد الشليف يتصرف

المشاة المنظمون..... ....300 رجل

مشاة غير منظمين..... 2000 رجل

فرسان منظمون..... .....50 رجل

جنود المدفعية..... .30 رجل

فرسان غير منظمين..... 6000 رجل

المجموع..... .8380 رجل

من خلال ما سبق فإن إمريت مرسال يقدر جيش الأمير بحوالى 58960 رجل[1]

4-5- البنى التحتية العسكرية

وفى هذا الصدد يقول الأمير عبد القادر:"لقد أُقمت على حدود التل عدد من الحصون كلفتنى أموالا طائلة...منجهة الغرب فى سبدو وفى سعيدة بالنسبة لجنوب تلمسان وفى تاكدمت بانسبة لجنوب معسكر وفى تازة بالنسبة لجنوب شرق نفس المدينة وفى بوغار بالنسبة لجنوب مليانة وفى بلخورط جنوب شرق مدينة الجزائر واخيرا فى بسكرة لجنوب شرق قسنطينة[2]، لقد كان الأميريهدف من خلال بناء المنشآت العسكرية[4] إلى تقوية ودعم جيش المقاومة الجزائري من خلال بعث الصناعة الحربية ومواكبة التطورات الحاصلة في

هذا المجال كما عكس توزع المنشآت العسكرية على التراب الوطني الإستراتجية العسكرية التي تبناها الأمير عبد القادر

---

(1): Emerit,marcel, l'Algerie à l'Epoque,op,cit,.p.277. 280

(2): تشرشل،هنري،المصدرالسابق،ص.89.

(3): تازة : تقع أقصى الشمال الشرقي لولاية تسيمسيلت.

(4): للتعرف اكثرعلى سلاح وتحصينات الأمير: شعباني،بدرالدين،أسلحة الأمير،مذكرة ماجستير،قسم الآثار،جامعة الجزائر،2000م - 2001م وأيضا: دحدوح،عبدالقادر،استحكامات الأميرعبد القادر (1832م- 1847م)،رسالة ماجستير،قسم آثار،جامعة الجزائر،2004م.

حيثأنشأ قلعة تاكدمت[1] في سنة 1836م بغرض توفير المؤنومراقبة تحركات المستعمروكما شكلت نقطة تواصل والتقاء القبائل[2]،وفي ماي1838م أنشأ قلعة تازة[3]،وفي جانفي 1939م بنى قلعة سعيدة وكانت تحتوي على مخازن وطاحونة هوائية ومصانع للأسلحة ودورا لتصليحها[4].

كما بنى معامل حربية فى كل من المدية و مليانة و معسكر و فى تلمسان أقام مصنع للمدافع أسند إدارته إلى خبير اسبانى وفى تاكدمت شيد معملا لصنع السلاح استجلب له خبراء و فنيين من فرنسا و اسبانيا لصنع البنادق و الحراب و السيوف[5].

2-3–النظام المالي : ترسيخ وحدة وسيادة الدولة

شكل الإقتصاد عصب دولة الأميروشريانها الحيوي والدعامة التي استمدت منها المقاومة استمراريتها،لذا فإن الإقتصاد في مختلف مجالاته عكس مظهرا من مظاهرالفكرالوطني للأمير عبد القادر،لقد تجلت الأبعاد الوطنية في النظام المالي الذي استحدثه الأميرمن منطلق أنه جسد المساهمة الجماعية في الدخل الوطني من خلال النظام الضرائبي والسيادة الوطنية من خلال العملة الوطنية كما أن الإنجازات التي حققها الأميرفي شتى المجالات الإقتصادية عكست البعد الشمولي في فكر الأمير عبد القادر.

لقد سعي الأميرمن خلال إصدارعملة وطنية إلى تحقيق الإستقلال الوطني والتحكم في التنمية الإقتصادية ،لذا فقد شرع منذ سنوات الأولى لتأسيس الدولة في ضرب النقود بتاكدمت سنة 1250ه الموافق ل1835م، ويرى بعض الدارسين أن ضرب النقود في عهد الأمير بدأ

---

(1): A.De France,Les prisonniers d'Abdelkader ou cinq mois de captivite chez les arabes,ed,Desessart,Paris,1837,t.1,p.170.

(2): L.Roche,dix ans a traver l'islam,1834-1844,ed,didot,Paris,t.1,p.277.

(3) P.Aan,L'emir Abdelkader 1808-1883,op.cit,p.171.

(4): De mintinpry,Souvenir d'un officier d'etat major histoire de l'etablissement de la domination francaise dans la province d'Oran,ed,quantin,Paris,1886,p.120.

سنة 1252ه،ثم انقطعت عام 1253ه ثم أستأنف سنة 1254ه ليستمر إلى غاية 1256ه،إلا أن الباحث لافوا نشر قطعة نقدية من نقود الأميرعبد القادرتعود لسنة 1253ه[1]كما ضرب الأميرنوعين من العملة،المحمدية والنصفية،فيما يخص المحمدية فهي عبارة عن قطعة من النحاس مستديرة الشكل قطرها حوالي 16-17 ملم ووزنها حوالي 75غ أما قيمتها النقدية فتقدر ب0.05 فرنك وهي بحسب الكتابة على الوجه تنقسم إلى أربع أنواع:

النوع الأول: "ومن يبتغ غيرالأسلام دينا فلن يقبل منه"

النوع الثاني: "إن الدين عند الله هوالإسلام"

النوع الثالث: "ربنا أفرغ عليا صبرا وتوفنا مسلمين"

النوع الرابع:"حسبنا ونعم الوكيل"

أما على الظهر فقدكتب عليها مكان الضرب وتاريخه وفق الشكل التالي:

- ضرب

- في

- تاقدمت

- 1255ه

وفيما يخص النصفية فهي عبارة عن قطعة نقدية مصنوعة من من النحاس امستديرة الشكل يبلغ قطرها 14ملم ووزنها 53غ وقيمتها حوالي 0.02 فرنك كتب على وجهها في أربعة أسطر أفقية :

- الله

- حسبنا

- ونعم

- الوكيل

---

(1): H.La voix ,Catalogue de la monnaies musulmanes de la bibliotheque national,ed, Tournis Arnado,1977,p.511.

(2): بنعبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج،1المصدرالسابق،ص.204.

أما الظهرفقد كتب عليه مكان الضرب وتاريخه

- ضرب

- في

- تاقدمت

- 1255ه

أما الظهر[1] فقد كتب عليه

- ضرب

- في

- تاقدمت

- 1256

لقد كانت النقود تستعمل في دفع رواتب الجيش وموظفين الدولة والمصالح العامة التابعة للدولة غيرأن وجود نقود أخري متداولة،استلزم انشاء نظام معادلة بين النقود المختلفة.

ب - الضرائب

تعد الضرائب[2]ركيزة النظام المالي الذي استحدثه الأميرعبد االقادر و وضع آلياته وأرسى أسسه اعتمادا على مبادئ الشرعية وانطلاقا معطيات الواقع و بعد أن استشار الفقهاء، في هذا الإطار قام الأمير عبد القادر بإلغاء بعض أشكال الضريبة التي سائدة إبان العهد العثماني والتي اثقلت كاهل الجزائريين كاللزمة والغرامة والعوائد لذا فقد اتخذت الضريبةفي عهده

---

(1):بن رويلة،قدور،المصدر السابق،ص.41. ينظر كذلك: الجيلالي،عبد الرحمان،سكة الأميرعبد القادر الجزائري، وزارة التربية الوطنية،1996م،ص.ص.10-14.

(2):سعيدوني،ناصرالدين،النظام الضرائبي لدولة الأميرعبد القادر،مجلة الثقافة والسياحة،ع75،الجزائر 1983م،ص.ص.127-128.

(3):تأخذ اللزمة من الأرض المشاعة (العرش)،وهي ضريبة سنوية،أما العوائد فترتبط أساسا بفاعلية فرسان المحلة وبالفصل االذي تؤخذ فيه.انظر،سلطانة،عابد،التراتبية الاجتماعية ببايلك الغرب و اثرها على مقاومة الأمير(1830م -1847م) مقاربة منوغرافية ،مرجع سابق،ص.107.
الأشكال التالية :

- العشور:تجمع من كل أصناف المزروعات من الحبوب والخضاروالفواكه.

- الزكاة: تؤخذ من المواشي بنسب مختلفة[3].

- المعونة[1]: تدفع في كافة الأقاليم لدعم المجهود الحربي أستحدثت سنة 1939م،وخضعت قيمتها لمتغيرات لظرف،استحدثها الأميربعد أن استفت فقهاء[2] الداخل وحتى الخارج،بل ذهب إلى حد اعتبارالقبائل الممتنعة عن أدائهاقبائل مرتدة وسعى لإخضاعها بالقوة[3]،إن مواجهة الأميرلهذه القبائل يرجع أساسا لأهمية هذه الضريبة في دعم المقاومة والتخفيف من معاناة الجند بعد الحصارالذي فرضه المستعمرعلى جيش الأميروحاجة هذا الأخيرإلى المؤن والعتاد.

- الخطية [4]:غرامة استحدثها الأميرلمعاقبة من يركتب خطأ فاحشا أو جماعيا أوجريمة نكراء لقد كان الأمير يهدف من خلال فرض هذه إلى تطهير المجتمع من الافات ووضع حد للإجرام،بالإضافة إلى أن هذا الشكل من العقاب يتناسب مع طبيعة وخصوصية

الجزائريين،لقد أوكل الأميرمهمة جباية الأموال إلى خلفائه الذين يخرجون مرتين في السنة،الأولى في الربيع لتحصيل الزكاة والثانية في فصل الصيف بعد الإنتهاء من موسم الحصاد،كما أنشأ الأمير مستودعات ومطاميرفي كافة الأقاليم وأقام عليها حراس دائمون،لقد كان غرض الأميرمن إقامة هذه المنشآت الإستعداد للظروف الإستثنائية ومواجهة الأزمات لتأمين قوت الرعية ،لقد عكس هذا النظام الضرائبي حسن التدبير الذي اتسم به .

على ضوء ما سبق يمكن القول أن النظام المالي في عهد الأميرعبد القادر يعد من أهم مظاهر الوحدة ،جسد حضور الدولة وعكس سيادتها،وترجم تصور الأمير ورؤيته للنهضة الوطنيةمن خلال القضاء على مختلف أشكال التبعية.

---

(1): سعيدوني،ناصرالدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.218.أنظركذلك:.P,Azan,op.cit,p.46

(2):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، المصدر السابق،ص.237.

(3):ينظر أجوبة التاسولي في تحفة الزائر،ج1،ص.251

(4): سعيدوني،ناصر الدين،النظام الضريبي ،المقال السابق،ص.127.

4- مميزات نظام الحكم في عهد الأميرعبد القادر: تجليات الحكم الراشد

إن إستمرارية دولة التي أسسها الأميرعبد القادر وصمودها أمام مختلف التحديات يرجع أساسا من وجهة نظرنا إلى طبيعة وخصوصية نظام الحكم الذي أرسى دعائمه الأمير وتمكن بفضله من إدارة شؤون البلاد وحماية الحقوق والحفاظ على الممتلكات وضبط الجبهة الداخلية.

لقد ارتكزت سياسة الأمير على جملة من المعايير تحددت من خلالها آليات الحكم وأساليب ممارسة السلطة و تفاعل بفضلها المجتمع مع الدولة وأظفت طابع الحداثة على نظام حكم الأمير عبد القادر،إن قراءة في هذا المعايير من شأنها تسليط الضوء على ملاح الحكم الراشد بالمفهوم المعاصر.

4 -1- مفهوم ومعايير الحكم الراشد

اختلف الباحثون في رؤيتهم وتفسيرهم للحكم الراشد كما تناولته المؤسسات والمنظمات الدولية

من زوايا متعددة،فبعض تعاريف تركز على الجانب الاقتصادي وأخري على الجانب السياسي والإجتماعي.

أ - مفهوم الحكم الراشد

يعرفه البنك الدولى بانه" الأساليب الخاصة بإدارة وممارسة السلطة السياسية والإقتصادية والإدارية[1] "وفي تعريف آخرلبنك[2]" الحكم الراشد يتضمن العمليات والمؤسسات التي تمارس من خلالها السلطة في بلد ما معتمدة في ذلك على السير الحسن للمؤسسات واختيار السياسات وتنسيقها"،أما البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة فإن الحكم الراشد مرتبط بتنمية القدرات الأساسية للمجتمع كالمؤسسات الحكومية والامركزية ودعم الحكم المحلي.

---

(1): دحماني،نبيل،الديموقراطية كآلية لتجسيد الحكم الراشد في الجزائرخلال الفترة الممتدة من 1999م إلى 2000م،مذكرة ماجستير في العلوم السياسية ،تخصص الديموقراطية والرشادة،كلية الحقوق جامعة منتوري ،قسنطينة،2010م -2011م،ص.ص.105 - 106.

(2): ازروال،يوسف،الحكم الراشد بين الأسس النظرية وآليات التطبيق،مذكرة ماجستير في العلوم السياسية،تخصص التنظيم السياسي والإداري،كلية الحقوق،جامعة العقيد الحاج لخضر،باتنة ص.18.

ب - معاييرالحكم الراشد

حسب البرنامج الإنمائي[1] للأمم المتحدة فإن معايير الحكم الراشد تتمثل في المشاركة في الحياة السياسية وفي صنع القراروسيادة القانون مع مراعات الإنصاف وحماية حقوق الإنسان إضافة إلى الشفافية في اتخاذ القرار وفي تسيير شؤؤن الدولة في ظل إجماع وطني على السياسات المنتهجة وتحقيق العدالة بمفهومها الواسعى إلىجانب الكفاءة والفعالية والرؤية الإستراتيجية وأخيرا المراقبة والمساءلة[2]،اما البنك الدولي فيحدد هذه المعايير من خلال قيمتين الأولى تضمينية ترتكز على المساواة وتضمن الحقوق الأساسية والثانية المساءلة وترتكز على مفهوم المحاسبة[3].

من خلال ما سبق يتضح أن الحكم الرشد بالمفهوم المعاصر يقوم على جملة من المرتكزات السياسية والإدارية والقانونية والإقتصادية والإجتماعيةتحقق بفضلها التنمية المستدامة، وإذاعدنا إلى جوهر موضوعنا وهو تجليات الحكم الراشد في عهد الأمير سنجد أنفسنا مطالبين بالإجابة على التساؤل التالي هل تحققت معايير الرشادة في نظام حكم الأمير عبد القادر؟.

4 - 2- ملامح الحكم الراشد في عهد الأمير عبد القادر

إن مظاهر الرشادة في حكم الأمير تجلت في مختلف المجالات ففي:

أ - الجانب السياسي:

لقد تمتع الأمير بشرعية السياسية منذ أن بايعته القبائل فحكمه كان بتفويض من الإرادة الشعبية

---

(1): البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة: شبكة تنموية دولية تابعة للأمم المتحدة مخصص لربط الدول بالمعلوماتية ومساعدتها على تحقيق أهداف التنمية ويهتم بأربعة محاور وهي الحد من الفقر وتحقيق أهاف التنمية والحوكمة الديموقراطية ومنع الأزمات والتغلب عليها والبيئة والتنمية المستدامة.

أنظر:
http://www.mcit.gov.eg/Ar/International_Relations/Cooperation_with_Development_Partners

(2):أزروال،يوسف،الحكم الراشد بين الأسس النظرية وآليات التطبيق،مرجع سابق،ص.21.

(3): نفسها،ص.23.

لذا فقد حرص الأمير على أن تشاركه هذه الإرادة تسيير شؤون البلاد وحققت توجهاته الإجماع الوطني،فكان لا يعلن حربا[1] ولا يعقد سلما إلا بموافقة[2] رعيته ولا يفرض أمرا إلا بمشورتها ولقد أسس لهذا الغرض مجالس شورية[3] في مختلف الأقاليم،مما يعني أن المشاركة السياسية شكلت أهم الأسس التي ارتكز عليها الأمير في قيادة وإدارة الإمارة.

ب - الجانب الاجتماعي

سعى الأميرعبد القادر إلى تجسيد مبدأ المساواة وتحقيق العدالة من خلال القضاء على الفوارق الطبقية وإلغاء إمتيازات الفئات التي كانت مقربة من الحكم العثماني كالكراغلة

وقبائل المخزن،وساوى بين رعيته في تحصيل الضرائب والزكاة لأعانة الفقراء[4] ،بل ذهب أبعدمن ذلك حين أوجب على نفسه ما أوجبه على رعيته[5]،كما اعتنى بالطبقات الفقيرة والمحرومة،من جهة أخرى فقد تكلفت حكومة الأمير بضحايا الحرب وأجرت راتبا لأسرهم وقضى على تمييز بمختلف أشكاله حيث اعتنى بغير المسلمين من يهود ونصارى واتخذ منهم المستشاريين والوسطاءوأوكل لبعضهم الإشراف على الصناعات الحربية.

ج - الجانب القانوني

تميزت المنظومة القانونية في عهد الأمير بالمرونة والوسطية من منطلق أنها تكيفت مع الواقع الجزائري بمختلف أبعاده ،وحرصا منه على فرض هيبة الدولة وسيادة القانون تكفل بمراقبة ومساءلة قادة جنده وكبار الموظفين[6]وأنشئ المظالم ليحد من تعسف السلطة وفساد الإدارة،ات لقد سعى الأمير من خلال هذه المنظومة لضمان الحقوق وحماية الحريات.

---

(1):أبو القاسم ،سعد الله،الحركة الوطنية،ج1،المرجع السابق،ص.53.

(2):تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.115.

(3):الحسني الجزائري،بديعة،فكر الأمير،مرجع سابق،ص.45.

(4):زروخي،إسماعيل،الدولة في الفكر العربي الحديث،دراسة فكرية وفلسفية ،ط1 ،دار الفجر للنشر والتوزيع ،القاهرة،1999م،ص.ص.521 – 522.

(5):تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.54.

(6):العزوي، محمد الطاهر،المقال السابق،ص.190

د - الجانب الإقتصادي

بفضل سياسة الحزم التي انتهجها الأميرساد الأمن في ربوع البلاد مما أدى إلى إزدهار التجارة،فقد انتظمت تجارة القوافل كما قامت الدولة بتنظيم الأسواق،واستحدث الأميروظيفة المحتسب لمراقبة الأسعاروجودة السلع[1]،كما ربط الأمير علاقات تجارية مع الصحراء والبلدان المجاورة[2]،كما استفاد الأميرمن اتفاقية الهدنة مع دي ميشال التي كرست مبدأ حرية

التجارة حيث فرض الأميرعلى سلطات المستعمر حرية التجارة بالموانئ الجزائرية التي كانت تحت سلطة الإحتلال الفرنسي وهران وأرزيو كما وظف اليهود كوسطاء تجاريين بحكم علاقاتهم الخارجية وخبرتهم في هذا المجال[3].

لقد ادرك الأمير أن سرتفوق المحتل يكمن في قوة تجهيزه وعتاده الحربي كنتيجة لتطور الصناعة الحربية في الغرب لذا فقد سعي الأمير لأنشاء صناعة وطنية لوضع حد للتبعية الخارجية و تطوير قدرات جيش المقاومة وفي هذا الإطار ارتكزت جهود الأميرعلى بعث صناعة حربية من خلال الإستفادة من الخبرة الأجنبية في مجال التعدين مقابل أجورقدرت بثلاثة ألاف فرنك فرنسي[4]،كما بنى المصانع ومنح إدارتها للمختصين في هذا المجال،حيث عين الخبيرقيومينمديرا لمصنع تاقدامت للأسلحة ودي كاسمديرلمصنع مليانة[5]،واستعمل دون خوسيفي تعليم الصناعة[6] وجسترنجرفي تدريب الجيش كما قام ألبنقوبإذابة المعدنوصهر الأجراس،والمصانع التي أنشاها الأميرمصنعا للسلاح بمعسكر للأسلحة الخفيفة[7]ومصنعا للبنادق وأخر لإنتاج البارود بمليانة، كماكانت تصنع في مراكز الملابسالعسكرية

---

(1): B.Abdehamid, l'etat algerienne en 1830,Les institution algeriennes sous l'etat de Abdelkader;p.87.

(2): Ibid,p.101.

(3):H,D'Estre,Les conquerants de l'Algerie (1830-1852),op.cit,p.33

(4): A.Belmare,Abdelkader sa vie politique et minitaire,op.cit,p.121.

(5): M.Emirit,l'Algerie a l'epoque d'Abdelkader,op.cit,p.290.

(6):سكوت،الكولونيل،المصدرالسابق،ص.67.

(7): E,Dauma,op.cit,283.

ويصف الكونت دي سيفري النشاط الصناعي بقوله"كانت المشاغل والمخازن والمعامل والصناعات الحربية والحصون والأسواق والمدن كلها تنبعث وكأنها نتاج أعمال سحرية"[1].

لقد سعي الأمير لتحقيق الإكتفاء الذاتي فانشأ لهذا الغرض المخازن في مختلف الأقاليم كما ألغي ضريبة الخراج وحقق القطاعي الفلاحي أرقاما قياسية،ففي سنة 1837م ارتفع

الإنتاج مقارنة بالسنوات السابقة وفي سنة 1839م،كان احتياطي الحبوب في المقاطعات يكفي جيش الأمير لسنوات وانتاج سهل غريس ل10 سنوات[2].

مما سبق يتضح لنا ان أنموذج الحكم الذي أرسى دعائمه الأمير عبد القادر اتسم بالرشادة من خلال المعايير والأسس التي قام عليها.

خلاصة يمكن القول أن الفكر الوطني للأمير عبد القادرتجلت مظاهر فى مختلف جوانب الحياة، فالكيان السياسي جسد الوحدة الوطنية والمنظومةالإقتصادية عكست إرادته في التوزيع العادل لثروات البلاد وتمحورفكره العسكري حول تأسيس جيش وطني يضم مختلف الشرائح الإجتماعية وتمكن من خلال المنظومة الإدارية التي استحدثها تأكيد حضور الدولة وتسيرها لشؤون الرعية كما سعى الأميرإلى إزالة الفوراق الإجتماعية وتحقيق العدالة الإجتماعية بفضل المنظومة القضائية التي أرسى دعائمها، لقد إختصرت إنجازات الأمير السياسية والعسكرية والإقتصادية والإدارية البعد الوطني في فكر الأمير عبد القادر،مما يدل على شمولية هذا الفكروثراء مادته.

---

(1): بوطالب،عبد القادر،المرجع السابق،ص.105.

(2): العربي،اسماعيل،المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر،المرجع السابق،ص.24.

ثالثا: دبلوماسية الأميرعبد القادر بين المقاومة السياسية والحضور الدولي

تعد دبلوماسية الأميرمن أهم اسقاطات فكره الوطنى و تجلياته، من منطلق أنها شكلت حلقةهامة فى المسار السياسى لدولة الأمير،عكست سياسته الخارجية فى بعدها الإقليمى والدولى،وترجمت جهود الأمير فى فك العزلة وتدويل القضية الجزائرية ،من خلال سعيه لإيجاد الدعم و الإعتراف الخارجي،كما ترجمت خبرته السياسية في إدارة الصراع الداخلي

1- داخليا: الحوار السياسي: المنطلقات والأسس:معاهدة ديميشال وتافنة أنموذجا

تعتبر معاهدات[1] الأمير عبد القادر مع المحتل منعطفا هاما في تاريخ المقاومة إستطاع الأمير من خلالها تحقيق شروطه وفرض تصوره للسلام في إطار رؤية استراتجية تستند إلى الشريعة كمرجعا وتتخذ من الحوار أداة وتتمسك بسيادة الدولة وبالدفاع عن مصالحها.

1-1- معاهدة دي ميشال:

أ- دوافع المعاهدة:

من أبرز العوامل التي أدت إلى انعقاد هذه المعاهدة العزلة التي فرضها الأمير عبد القادر على جيش الفرنسي ونجاح الحصارالإقتصادي[2]الذي ضربه على هذا الجيش تحت قيادة دي ميشال الذي أرسل بغرض الثأر لهزائم بوابيه،حيث تمكن الأمير من قطع طرق التموين والإمداد ضف إلى ذلك تعرّض كوكبة من حامية دي ميشال إلى هجوم في نهاية شهر أكتوبر(1833)[3] أدى إلى أسر الجنود الفرنسيين ،كما كان لتوجهات الرأي العام الفرنسي

---

(1): للتعرف على معاهدات و اتفاقيات الأمير انظر:

L.Blondel,nouvel aperçu sur l'Algérie,trois nécéssités en Afrique(conserver,pacifier, coloniser),palais royale galerie d'orléans,Paris,p.p.69-75.

A.Ferrah le temp d'une halt rencontre avec l'emir ;éddition apic,Alger,2004p.p.50-55.

Desmichel,L,Oran sous le commandement du général Desmichel,librrairie millitaire d'inselin,Paris,pp70-93.

(2): اتين،برونو،عبد القادر الجزائري،المرجع السابق ،ص.177.

(3): نفسه،ص.77.

تأثيربالغ في توجيه الأحداث[1]،وبالمقابل شهدت الجبهة الداخلية للأمير تصدعات وانشقاقات أضحت تهدد الدولة الفتية.[2]

ب - ظروف المعاهدة:

لقد تعامل دي ميشال مع المعطيات التي فرضتها حرب الأمير بأسلوبين،الأسلوب الأول اتسم بالحل العسكري،في هذا الصدد قام بعدة عمليات استهدفت فك الحصار الإقتصادي المفروض على مدينة وهران، حيث تمكن من إلحاق خسائر فادحة بالمدينة[4] ثم أرسل قوة إلى أرزيو فاحتلها وحصّن مناءه،وفي هذه الأثناء قام الأمير باخضاع مدينة تلمسان وأعلن سلطانه عليها،ثم توجه إلى مستغانم التي احتلها دي ميشال،وهنا قام هذا الأخير باستغلال فرصة تنقل الأمير وغزا قبيلة الزمالة،الأمر الذي دفع بالأمير إلا مضاعفة الجهد لتضييق الخناق على الفرنسيين،وفي هذه الأثناء تغيرت سياسة دي ميشال بعد أن أصبح جيشه محاصرا ولا يمكنه تجاوز الشواطئ،فاعتمد أسلوب التفاوض حيث كتب إلى الأمير رسالة وذلك بعد أسر الفرنسيين في أكتوبر 1833م،جاء فيها:" لم أتردد في اتخاذ المبادرة الأولى وأخاطبكم مباشر في أمر لا يسمح به مركزي،ولكن تحثني عليه بواعث إنسانية،وهو إطلاق سراح الفرنسيين الذين وقعوا في الكمين وهم يحرسون رجلاعربيا،ولا أفترض أنكم ستضعون شروطا لإطلاق سراحهم[3]"وقد ردّ عليه الأمير عبد القادر في في (06جمادى الثاني1249 ه / أكتوبر1833م):"[4] رسالة موجهة إلى الجنرال دي ميشال حاكم وهران من الحاج عبد القادربن محي الدين أمير المؤمنين وحاميهم نصر الله جنده بعد التحية تلقيت الرسالة التيتعبر فيها عن الأمل بإطلاق سراح الأسرى الأربعة الذين بين يديوفهمت مضمونها وإليكم

---

(1): العربي،اسماعيل،المقاومة تحت لواء الأمير،المرجع السابق،ص.ص.49-76.

(2): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق، ص.114.

(3): العربي،اسماعيل،المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر،المرجع السابق،ص.50.

(4):اتين،برونو،عبد القادرالجزائري،ص178.أنظركذلك:تشرشل،هنري،حياةالأمير،ص83. وابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق، ص.ص.176- 179.

تعبر فيها عن الأمل بإطلاق سراح الأسرى الأربعة الذين بين يديوفهمت مضمونها وإليكم ردّي، لم أفكر بأن أقترح عليكم دفع فدية عن جنودكم،إنما بعد أن أكّد لي هؤلاء استعدادكم للتضحية في سبيل فك أسرهم قرّرت أن أقدم لكم اقتراحا بهذا الشأن(وطلب ألف بندقية فدية عن كلّ واحد منهم) تقول إنّك رغم مركزك قررت القيام بهذه المبادرة،هذا هو واجبك وفق

قواعد الحرب؛ولكل يومه بين المتاخصمين،يوم لك ويوم عليك، ورحى الحرب تدور...تأكدوا أنّ ما طلبته بشأن هؤلاء الأشخاص لا يعود لكوني راغبا في الحصول على المال،وإنّما من أجل معرفة استعداداتكم للعمل من أجلهم...آن الأوان لرحيلكم،إذ إن بقيتم لدينا فإن سوء حال سكان المقاطعة التعساء وما عرّضتموه لهم سيطول إلى ما لا نهاية."[1]

ولما بدأ دي ميشال يضايق مجددا الدوائر والزمالة إنقض عليه عبد القادر من منطقة بني عامر في خمسة آلاف فارس قطعوا المسافة في أقل من ثلاث ساعات،ومرة أخرى اضطر الجنرال فجأة إلى الانسحاب حتى أبواب وهران،كما أفرغ الأمير محيط المدينة بارسال القبائل إلى سهل تلمسان[2]،وانحصر دي ميشال وكتب الى الأميربالحاح ثلاث مرات فى الشهر التالى يؤكد له فيها بان الفرنسين يطلبون التفاوض،فأرسل إليه أمينه ميلود بن عرّاش[3]،يرافقه ولد محمود أحد كبار ضباطه فتمّ اللقاء بين الطرفين بمكان قرب وهران وهناك أعطى الوفد الفرنسي مذكرة دي ميشال لوفد الأمير تنص على البنود الآتية:

ج - بنود المعاهدة

- وقف القتال بين الطرفين ابتداءا من التاريخ المذكور.

- احترام الديانة الإسلامية والعادات المحلية

- حرية الأسواق التجارية

---

(1): اتين،برونو،المرجع السابق،ص.79.

(2): المرجع نفسه،ص.97.

(3): كان شخصية محبوبة لدى الأمير ووزير خارجيته،وكان قبلها آغا منطقة في الشرق.أنظر:. تشرشل،هنري،مصدر سابق،ص.76.

- التزام الأمير برد الفارين إليه.

- عدم تنقل الفرنسيين داخل الوطن إلا برخصة.[1]

وبعد عودة الوفدالمفاوض وافق الأمير على هذه الشرط وأضاف إليها شروط أخرى هي:

- حرية العرب في شراء الأسلحة.

- تكون التجارة في أرزيو تحت مراقبة الأمير عبد القادر.

- التزام الجنرال بارجاع الفارّين إليه.

- عدم منع المسلم من الرجوع إلى بيته متى أراد.

ورأى الجنرال دي ميشل بأن توضع وثيقة واحدة تحتوي على الشروط العربية مكتوبة باللغة العربية،وعلى الشروط الفرنسية مكتوبة باللغة الفرنسية،وتمّ ذلك وسُجلت الوثيقة بتاريخ(24فيفري1834م).

2-1 ـ معاهدة تافنة:

شكلت هذه المعاهدة منعرجا حاسما في تاريخ المقاومة الجزائرية ترتب عنه العديد من النتائج.

أ ـ دوافع المعاهدة

نظرا للهزائم المتلاحقة للمستعمر[2] وعجزه عن القضاء على الأمير خصوصا بعدما أرسلت الحكومة أحنك قادتها الجنرال بيجو[3]على رأس جيش كبير لمجابهة الوضع،فاتضح له فيما بعد أنه لا يمكن تحقيق نصرا ساحقا على الأمير،فبادر باقتراح وتحت ضغط الأوساط

---

(1): العسلي،بسام،الأمير عبد القادر،المرجع السابق،ص.ص.81-82.

(2):.Bernarel,P,les grands soldas de l'Algérie,cahier de centenair de l'Algerie,N4,1931,p.32

(3): توماس روبير بيجو ماريشال من نبلاء بيكو(فرنسا)ملقب بدوق آسلي،ولد في1784،وتوفي 1849 عيّن قائدا لمنطقة وهران،وخاض ضد الأمير عدة معارك،ينظر:

http://www.universalis.fr/encyclopedie/thomas-robert-bugeaud

السياسية[1] معاهدة عام 1837م عرفت بمعاهدة تافنة[2]،أما بالنسبة للأمير فإن إنهزامه في معركة السكاك[3]أدت إلى تفرق القبائل من حوله وشيوع روح اليأس وبالمقابل أعطت عزيمة للفرنسيين الذين انتشوا بهذا الانتصار،ضف إلى ذلك تململ الجبهة الداخلية[4]دفع بالأمير إلى

عقد معاهدة مع المستعمر رافضا أن تكون المبادرة انفراديا قائلا:" لا أريد أن أسمع أحدا منكم يتهمني بالرغبة في عقد السلام مع المسيحيين إن قضية السلام والحرب قضية أنتم تبثون فيها."[5]

ب ـ التمهيد للمعاهدة:

ترجع أولى اتصالات بيجو بالأمير بعدما وجه رسالة إلى وزير الحربية يعلن فيها إرادته في عقد الصلح مع الأمير[6]،وفي 12 أفريل 1837م وجه رسالة إلى الأمير عبد القادر جاء فيها:" إلى سمو الأمير عبد القادر أخبركم أني قد حضرت إلى وهران مكلف من طرف دولةفرنسا بإجراء أحد الأمرين إما الصلح وهو الأولى وإلا السلم على شروط خيرها ونفعها عائدين على الأمة العربية والفرنسية،وإما الحرب إلى آخر درجة تصل إليها الاستطاعة فأرجو بعد التأمل فيما ذكرناه أن تتنازلوا لرد الجواب."[7]

لقد أدرك الأمير أن المستعمر مصمم على الحرب وفي حاجة إلى هدنة محددة من شأنها أن تضعف قوة وحماس الجيش الجديد،وعليه بعث برسالة إلى بيجو:"إنني أشد الناس رغبة

---

(1): العربي،اسماعيل،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير،المرجع السابق،ص.138.

(2): العربي،المنور،تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19،مرجع سابق،ص.192.

(3): أحد روافد يسر الغربي،وقعت بين الأمير وبيجو في 06 جويلية1836م،أنظر،مذكرات الكولونيل سكوت،مصدر سابق،ص.110.

(4):الخضير،ادريس،البحث في تاريخ الجزائرالحديث،ج1،دار الغرب للنشروالتوزيع، وهران،ص.192.

(5): العربي،المنور،المرجع السابق،،ص.192.

(6):أوصديق،فوزي،النظام الدستوري الجزائري،مرجع سابق،ص.115.

(7):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،المصدر السابق،238.

في حصول العافية وأشد بغضا لسفك الدماء بدون موجب شرعي،وأن فرنسا لا تعلم أنني أرغب في عقد صلح وإقامة دعائمه على أساس قوة لا تتضعضع،ويشهد لذلك ما خابرته به على يد سفيرها بطنجه فإن ساعدت العناية الإلهية على إجراء هذا الأمر على يدكم فهو دليل على صفاء نيتكم وصدقرغبتكم وخدمتكم للشعب والدولة معا"،[1]فرد بيجو برسالة مفادها "

سمو الأمير عبد القادر أخبركم بوصول رقيمكم وجميع ماحولها من كلامكم صار معلوما عندي ولرغبتي في حصول الخير للأمتين فقد حمّلت الرسول ورقة ذكرت فيها الشروط التي يتوقف عيها إجراء الصلح،وإنني أطلب أن تقبلوا إحترامي لجنابكم الغالي وإليكم الشروط:

- ان يعترف الأمير برئاسة فرنسا[2].

- آداء الجزية.

- أن يعطي رهينة كفالة وفعلا موافقا لكل معاهدة يتوقف عليها في المسقبل.

- كل من يلجأ من الاثنين إلى الآخر لايجبر على الرجوع إلا إذا كان قاتلا.[3]

- تحديد مملكته إلى نهر الشلف.

إلا أن الأمير رفض شروط بيجو بعد إطلاعه على رسالته ،وقرر مراسلة الحاكم العام،دامريمون:"إنه لم يخف على حضرتكم ما جرت به المفاوضات بيننا وبين بيجو حاكم وهران في عقد الصلح والهدونة عن الحرب التي أضرت بالأمتين،وحيث أنني وجدت مطمح أنظاره بعيدا عن المطلوب عدلت من مفاوضته إلى مفاوضة حضرتكم أملا في نجاح ذلك[4]"، لكن تحت تأثير بيجو الذي اعتبر أن الأمر تدخل في صلاحيته كتب دامريمون إلى الأمير:[5]"لقد أخبرتكم برغبتي في إجراء الصلح وإلى الآن لم أزل على ذلك غير أن أمر الحرب مرتبط

---

(1): الخضير،ادريس،المرجع السابق،ص.ص.109-110.

(2): العربي،اسماعيل،مقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر،المرجع السابق،ص.127.

(3): نفسه،ص.127.

(4): الخضير،ادريس،البحث في تاريخ الجزائر،المرجع السابق ،ص.111.

(5): نفسه،ص.122.

بالجنرال بيجو "،لما أدرك بيجو بعد وصوله إلى تافنة أن الأمير يحشد الجموع للجهاد رأى تجديد المفاوضات إلا أن الأمير عدّل بنودها بعد المشاورة مع أعيان دولته لإجرائه معه

فافعلوا واقبلوا مني مزيد اعتبار لمقامكم"[1]،خصوصا فيما يتعلق بممارسة فرنسا سلطانها على المسلمين الذين يقيمون في مناطق الاحتلال[2]،فاتفق الطرفان على وقف القتال واستمرت الاتصالات بينهما عن طريق سي حمادة صقال بشأن وضع الصيغة النهائية[3]،وبعد الاتفاق تم التوقيع على معاهدة التافنة(30ماي1837).

ج - قراءة في أهم بنود المعاهدة

لقد تضمنت المعاهدة خمسة عشر بندا تم من خلالها الاتفاق على جملة من القضايا أهمها إعتراف الأمير بسلطة فرنسا في المناطق التي حددها المعاهدة والتي بموجبها تسيطر دولة الأمير عبد القادر على ولاية وهران والتيطري والجزائر غرب،كما نصت المعاهدة على وجوب إحترام حرية المعتقد وحرية تنقل الأشخاص،كما يدفع الأمير ما مقداره 30000 كيل وهراني من القمح و30000 كيل وهراني من الشعير و 5000 رأس من البقر[4]،ومن أهم ما تضمنته المعاهدة تموين جيش الأمير بالدخيرة والسلاح،وتسليم تلمسان وقلعة المشور وجزيرة رشقون للأمير،إضافة إلى اعتراف فرنسا بسلطة الأمير وتبادل التمثيل الدبلوماسي بين الطرفين، أثار بعض الباحثين العديد من التساؤلات حول وثيقة المعاهدة بحكم اختفاء النص العربي الأصلي والنص المترجم الذي عثر عليه غمريت مارسيل يتناقض وأسلوب الأمير،و في تعليقه على المادة الخامسة " بموجب شريعة دينهم على يد قاضيهم كبير الإسلام"يري إسماعيل العربي ان تعبير كبير الإسلام يجعل للأمير عبد القادر السلطة العليا

---

(1): العربي،اسماعيل،المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر،المرجع السابق ،ص.144.

(2): الخضير،ادريس،المرجع السابق،ص.117.

(3): العماد طلاس،مصطفى،فارس الجزائر الأمير عبد القادر،دمشق،1980،ص.131.

(4): للاطّلاع على بنود المعاهدة،أنظر:

Emirit,M,le texte arabe du traité de la tafna,in,R.A,T20/1876,pp417-456.

Azan,P,le général Bugeaud(1804-1863),in,R.A,N5,1906.

وهذا الأمر لا يمكن أن يوافق عليه الأمير الذي يوقع رسائله باسم أمير المؤمنين.فكل هذا دليل على أن الترجمة الرديئة للنص الفرنسي الذي وضع ليحل محل النص الأصلي[1]،كذلك لم تحدد الثيقة المناطق التي تم التنازل عنها لفرنسا،فقد غاب مثلا عن بيجو أن يحتفظ لفرنسا بالطريق الرابط بين أرزيو ومستغانم إذ أضحت هذه الأخيرة منطقة منفصلة عن بقية المناطق الفرنسية[1]،كما تعمد تعطيل البند السابع بعد اعتقال عميل الأمير في الجزائر حيث رأى الأمير أن ذلك يشكل انتقاصا لحقوقه الشرعية[2].

2 - خارجيا:إستراتجية الأمير بين رفع الحصارعن المقاومة وتدويل القضية الجزائرية

لقد أدرك الأميرطبيعة الوضع الدولي فسعى إلى الإنفتاح على الخارج من خلال إقامة علاقات دبلوماسية بغية الحفاظ على المكاسب التي حققتها المقاومة والحفاظ على الدولة الجزائرية الفتية،لذا فقد حرص الأمير على إقامة علاقات متينة مع الخلافة العثمانية،أما أروبيا فقد حاول الأمير توظيف التنافس الإستعماري لصالح قضيته في هذا الإطار فقد تواصل مع مختلف الدول الفاعلة في حوض المتوسط كما سعى إلى كسب دعم وتأييد الدول المجاورة. 2-1-العلاقات الجزائرية الإسلامية فى عهد الأمير بين الخصوصية المحلية والولاء الخارجى

تجسيدا للإنتماء الحضارى وترسيخا للبعد العربى والإسلامى للدولة الجزائرية الفتية ،فقد

سعى الأميرإلى تمتين علاقاته مع دول الجوار، كما أجرى العديد من الإتصالات مع السلطان

العثمانى وراسل خديوى مصروشريف مكة[3]محاولا فك العزلة عن الجزائروباحثا عن الدعم و المساندة لقضيته و فى هذا الإطارفقد تبين من مراسلاته أن المصلحة الوطنية كانت المحرك الأساسى لمختلف مبادراته و أفكاره.

2-1-1-العلاقة مع الخلافة العثمانية

أ - قراءة في رسائل الأميرإلى الباب العالي

---

(1):العربي،اسماعيل،المقاومة الجزائريةتحت لواء الأمير عبد القادر،المرجع السابق،ص.155.

(2): نفسه،ص.154.

(3):بوعزيز،يحى،الأميرعبد القادر رائد الكفاح الجزائرى، مرجع سابق،ص.88.

يرى عبد الجليل التميى أن الأمير عبد القادرلم يعترف بالسلطان العثمانى فى بدء جهاده خلافا لأحمد باى الذى ما فتئ يوجه رسائله للباب العالى معلنا خضوعه للخلافةإلا أن هناك ثمة أسباب أخرى فى نظرنا جعلت الأمير يعزف عن مراسلة الأستانة من بينها الموقف السلبى للخلافة إتجاه إحتلال الجزائربالإضافة إلى انتصارات الأميرو الدعم الذى لقيه من السلطان المغربى.

لقد جاءت إتصالات الأمير مع السلطان العثمانى تتويجا لجهود حمدان خوجة حيث يقول فى رسالته لهذا الأخير:"اعتمدنا استشارتك بهذا الراى الرشيد و استعطفنا سيدنا ومولانا.."[1] لقد ارتكزت مراسلات الأمير مع الباب العالى على:

أ -1- شرح الواقع الجزائرى

حيث جاء فى رسالته إلى السلطان العثمانى :"وذلك أن الينيشارية(كذا) الذين كانوا بالجزائر لما خرجواعن طاعة أمير المؤمنين والدكم المرحوم ،عاقيهم الله بسوء فعلهم وسلط عليهم من لا يرحمهم،العدو الكافرالغاشم،فبدد شملهم واجتث أصلهم وملك القربوالمداين(كذا)..وأهل هذا الوطن بالأصالة ضعاف منذ عاملهم عمال الجزائر فى السابق بالظلم الكبيروالإعتصاف.."[2]،ويرى الأمير أن قيام إمارة الجزائرنتيجة حتمية لما آلت إليه أوضاع الجزائر،فيقول:"إحتاج الناس إذ ذاك إلى من يضبط جهادهم ويقوم بجميع أمورهم و يجمعهم و يجمع ما به قوام جهادهم و يتكلف سياسة خاصتهم "[3]، يتضح من خلال الرسالة أن الأمير يرى وجودهه على رأس الإمارة ضرورة فرضها الواقع و أملتها قناعات الجزائرين وإرادةهم وبالتالى تعامله مع السلطان يندرج فى هذا الإطار، كما يتضح من خلال الرسالة رؤية الأميرلطبيعة العلاقة مع الخلافة العثمانية والتي تاخذ بعين الإعتبار التوجهات الوطنية والخصوصية المحلية.

---

(1):التميمى،عبد الجليل، بحوث و وثائق فى التاريخ المغربى ،مرجع سابق، ص.20.

(2): نفسه،ص.197.

(3):نفسه،ص.198.

أ -2- طلب الدعم

من منطلق ما تمثله الخلافة العثمانية من ثقل عالمي و بحكم ارتباطها بالعالم الإسلامي فقد طلب الأمير من الخليفة والقادة العثمانيين تقديم مختلف أشكال الدعم للمقاومة التي يقودها الأميرعبد القادر،ففي الرسالة التي وجهها إلى السلطان عبد المجيد في 28 ديسمبر1838م يطلب الأميرمن الخليفة العثماني إعانة ومساندة الجزائريين في مقاومته للإحتلال الفرنسي،كما استعان بالعقيد سكوت في شهرديسمبر1841م وحمله أربع رسائل يسلمها للخارجية البريطانية والتي بدورها تقوم بتسليمها إلى السلطات العثمانية، حيث يقول والأمير:"بلغنا على لسان الكوازيط أن كبراء الإنقليزأشفقوا على حالنا وناولوا الكلام في شأننا وقالوا إن الفرنصيص ظلموا العرب..ولا بدا أن نتكلم في أمرهم وكما أعلمنا محبتكم وأنكم تذكرونا بخيرنحب منكم أن تعملوا فينا مزية كبيرة وذالك أن لنا مكاتب في إسطنبول وليس لنا طريق إليها من غيركم فنحب أن تبعثوا علي أيديكم إلى السلطان عبد المجيد و أخرى إلى الوزير الأعظم واخرى إلى قبطان باشا وأخرى إلى صاحبنا رشيد باشا ونحب من حضرتكم أن تحرصوا على رد الجواب منهم[1]"

أ -3- التوسط لدى الخلفية

راسل الأميرعدة شخصيات بقية إقناع السلطان العثماني لتغييرمواقفه إتجاه المقاومة الجزائرية وفي هذا الشان أرسل الأميرإلى حمدان خوجة[2] في 10 ديسمبر1841م رسالة حاول من خلالها التواصل مع عدد من الشخصيات من أجل التوسط لدى القادة العثمانينلدعم المقاومة وإنهاء الإحتلال.

ب- موقف الباب العالى من معهادات الأميرعبد القادر

برغم من الواقع الجديد الذي فرضه المحتل،فقد اعتبرت الخلافة لعثمانية الجزائر إيالة عثمانية

---

(1):المدني،أحمد توفيق،أبطال المقاومة الجزائرية،حمدان خوجة،أحمد باي قسنطينة،الأمير عبد القادر والدولة العثمانية،مجلة التاريخ،ع4،الجزائر،1977م،ص.100.

(2):نفسه،ص .109.

وعليه فقد كان موقف الخلافة معارضا للمعاهدات التى أبرمها الامير مع فرنسا حيث أرسل "نورى أفندى" سفر الدولة العثمانية بباريس 11 فى جوان 1837م رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسى يطلب فيها تعيين وقت لمقابلته أوضح فيها "إستغرابه وتأسفه الكامل الموجب...بسبب وضع شخص عادى تابع للسلطنة العلية بشكل حاكم و مصالحة جناب فخامة دولة فرنسا مع ذلك الشخص المرقوم مناف لأصول روابط الإخلاص و الصفاء القائمة بين فرنسا و الدولة العثماني العلية."[1]، بل ذهب الباب العالى أبعد من ذلك حين طلب من سفيره فى باريس العمل على عرقلة عقد هذه المعاهدة،ففى نظره أن إتفاق بهذا الحجم يجب أن يتم بين الأستانة و باريس[2]،فالجزائر فى اعتبار الخلافة لازالت مقاطعة عثمانية.

لقد دافع الأمير عن سياسته تجاه فرنسا ففى رسالة مؤرخة فى 24أكتوبر1840م يقول"لم أكن متفقا مع الفرنسين أذ لم يقع ذلك البتة و حسب مبادئ الإسلام يسمح بإستعمال الحيلة و المداهنة مع العدو و هذا ما قمت به اتجاه الفرنسين."[3]

مما سبق يتضح أن الأمير ومنذ توليه الخلافة سعي إلى فتح قناة للتواصل بينه وبين الخلافة العثمانية مستعملا كل الأساليب بغية إيصال صوت المقاومة وجعل الخلافة أمام الأمر الواقع،إلا أن جهوده لم تلقي أي صدي لدى السلطان العثماني،ويرجع ذالك اعتبارالخلافة مقاطعة عثمانية وأن أحمد باي الوريث الشرعي لحكمها،ضف إلى ذلك إختلال موازين القوي في حوض البحر الأبيض المتوسط وتربص الدول الأروبية بالدولة العثمانية بعد أن شهدت هذه الأخيرة تقهقر في كافة المجالات خصوصا العسكرية،من هذا المنظور فقد اتسم الموقف العثماني اتجاه مقاومة الأمير بالسلبية،لقد تعاملت السلطات العثمانية مع الأميرعبد القادر وفق معطيات خاطئة عن الوضع في الجزائر وعن شخص الأمير.

---

(1):كوران،آرجمنت،السياسة العثمانيى تجاه الإحتلال الفرنسى للجزائر،ترجمة عبد الجليل التميمى،منشورات الجامعة تونسية،تونس،1970م،ص.100.

(2): نفسه،ص.198.

(3):نفسه ،ص.198.

(4):التميمى،عبد الجليل،بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، المرجع السابق،ص.202.

2-1-2- طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأميرعبدالقادربين المساندة والعداء

شكلت العلاقة بين الأميرعبد القادر والسلطان المغربي محطة تاريخية هامة أثرت في قوة واستمرارية المقاومة الجزائرية بحكم ما ميزها من تحولات انعكست سلبا على جهاد الأمير،لقد ارتبطت العلاقة الدبلوماسية بين دولة الأميروالمغرب بجملة من العومل الدينية السياسية،العسكرية وحتى الجغرافية التي حددت طبيعتها وتحكمت في مسارها التطوريفمن الخلال المصادرالتى أرخت للفترة فإن العلاقات الجزائرية المغربية مرت بثلاث مراحل:

أ - مرحلة التدخل المباشر1830م - 1831م

استقرأمر رجال المقاومة بزعامة محي الدين وكبارالعلماء على مبايعة السلطان المغربي كخيار استراتيجي لمواجهة الغزو وذلك لعدة إعتبارات أهمها أن المغرب يشكل إمتدادا للجزائر كما أن توحد الجزائر والمغرب قد يضع حدا للإحتلال،ضف إلى ذلك الإمكانيات التي يتمتع بها من المغرب من عدة وعتاد وتجسيدا لهذا الرغبة قام محي الدين ومن معهبأرسل وفدا إلى السلطان عبد الرحمان[1] الذي رحب ببيعة الجزائريين تجلى ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها الوزير بن عبد الله بن ادريس[2] إلى قائد الجيش الموفد إلى تلمسان حيث يقول:"..وكرم سيدنا كل واحد بما يناسبه من من الكسوة ووضع لهم في كل بلد دخلوه مهرجانا وأدخلهم سيدنا لوسط داره وجميع جهاته وأماكن المملكة التي لا يدخلها إلا الخاصة ،غياية أنهم نالوا من العناية فوق الظن[3]"، واستجابة لطلب الأعيان والعلماء أرسل السلطان جيشا بقيادة ابن عمه حيث جاء في رسالة ابنعبد الله بن ادريس:"..ورشحابن عمه لمايعلم من عقله ودرايته...رشحك لتكون واسطة بينهم وبينه،لتكون الأوصاف المذكورة موجودة فيك فكن عند الظن بك وإياك والطمع،وازهدوا فيما أيدي الناس وكل ما تحتاجون إليه مما لا

---

(1):هو المولى عبد الرحمان بن هشام بن محمد الحسني،(1823م-1859م)،أنظرفي ترجمته:الناصري، أحمد السلاوي،ج9،مصدر سابق،ص .80.

(2):أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عبد الله العمراوي المتوفي سنة 1847م وأديب وشاعر وتولى

الوزارة في عهد عبد الرحمان،أنظر:كنون،عبد الله،النبوغ المغربي في الأدب العربي،ج[1]،ص.326

(3):الناصري،أحمد السلاوي،ج9،مصدر سابق،ص.30.

بدا منه أخبرون به يصلكم[1]" إلا أن الجيش المغربي سرعان ما انسحب بعد تهديدات الفرنسية واكتفي بالتمثيل الدبلوماسي عن طريق مبعوثه الذي طالب االمحتل من السلطان عبد الرحمان بسحبه ،إلأ أن السلطان كان يريأن أهل البلد من مرسى قسنطينة إلى تلمسان وبلاد الجريد قد بايعوه بيعة شرعية ،ثم قررالسلطان سحب مبعوثه تفاديا للمواجهة مع فرنسا.

ج - مرحلة الإعتراف بدولة الأمير ودعم المقاومة 1832م -1844م

لقد بادر السلطان عبد الرحمان بالإعترف بدولة الأميرعبد القادر حيث بعث وفدا لتهنئته محملا بهدايا نفيسة وعتاد حربي وارسل معه بعض الجنود الفارين من الجيش الفرنسي[2]،إن أهم ما تميزت به العلاقة بين الجزائروالمغرب في هذه الفترة التنسيق الذي تنوعت مظاهره

د - مرحلة الصدام والمواجهة 1844م – 1847م

شهدت هذه المرحلة إنكماش المقاومة وانحسارها بسبب ضعف العدة والعتاد،فبعد سقوط الزمالة على الدوق دومال[3] في 16ماي1843م اتجه الأميرنحوالمغرب وأرسل وفدامتكونا من ميلود بن عراش والبركاني ومحمد بن بوزيد وولد الحاج إلى السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان طالبا الدعم[4] ،كما اتصل مع قائد وجدة لتزويد الدائرة ببعض المؤن،لقد أدرك المستعمر خطورة الإستراجية الجديدة لمقاومة الأمير،فقام الجيش الفرنسي بقيادة بيجوولامورسييربتتبع دائرة الأمير[5] لتضيق الخناق على الدائرة و منع التحامها مع القبائل المغربية،كما احتل منطقة الغزوات في 26جوان 1844م من أجل إخضاع قبائل المنطقة[5]

---

(1):الناصري،أحمدالسلاوي،المصدر نفسه، ص.29.

(2): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق،ص.206.

(3): A.latarille,la compagne de 1844 du Maroc, la bataille d'Isly,ed,chapelot;paris,1912 Pais,p.10.

A.Belimare,Abdelkader sa vie politique,op.cit,p.150.:(4)

R.Demont, Histoire de la conquete de l'Algerie de 1830-1847,op.cit;t_2;p.304:(5)

لقد أفضت التحركات الفرنسية فوق الأراضي المغربية إلى مواجهة بين الجيش المغربي المكون من 60 ألف فارس و1200 من المشاة و50 ألف من فرسان القبائل مع الجيش الفرسي الذي بلغ تعداده 6500 جندي و1500 فارس في اسلي ،إنتهت بهزيمة السلطان[1] وتراجعه إلى إلى تازة،كما قامت البحرية الفرنسية بمحاصرة الشوطئ المغربية بقيادة جونفيل وفي 16 اوت 1844م قصفت مدينة طنجة[2] ومدينة صويرة في11اوت 1844م[3]مما أجبر السلطان عبد الرحمان على توقيع معاهدة طنجة فى 10 سبتمبر 1844م مع الجيش الفرنسي نصت على:

- تفرقة القوات المغربية الموجودة على الحدود
- الإمتناع عن تقديم الدعم للأمير واعتباره خارج عن القانون
- الالتزام برسم الحدود
- تخلي القوات الفرنسية عن جزيرة ماغادوروووجدة بمجرد التزام السلطان بالمعاهدة[4]

لقد شكل هذا الإتفاق منعرجا حاسما في علاقة المغرب مع الأمير عبد القادرالتي اتسمت بالصراع والمواجهة حيث أعلن المولى عبد الرحمان الحرب على الأمير الذي وجد نفسه مضطرا للدفاع عن دائرته والقبائل المتحالفة معه خصوصا بعد حملات الإبادة التي تعرضت لها قبائل الحشم وبني عامرمن طرف القوات المغربية التي تكبدت خسائر فادحة على يد جيش الأمير في العديد من المعارك،كمعركة تافرسيت في جوان 1847م ومعركةعجرود أواخر شهر ديسمبر1847م[5]،لقد دفعت هذه المواجهات الدامية الأمير عبد القادر

P.Azan; les soldat de l'Algerie,op.cit,p.37. :(1)

T.Changargnier,Mémoire du general changargnier;op.cit,p.339. :(2)

R,Demont,op.cit.p.318. :(3)

R.De card;les traites entre la France et le Maroc;etude historique et juridiques;ed; :(4)
Duran,Paris,1898,p.54 .

للإطلاع أكثرأنظر ala guere franco marocaine de 1844,revue africain; A;Rey,document relatif t.54,1910,p.64.

(5): P,Azan,op.cit,227.

إلى تبني خيار التفاوض حقنا لدماء المسلمين،فأرسل خليفته البوحميدي في أواخر 1847م إلى السلطان عبد الرحمان حيث رد على طلب الأمير بسجن خليفته الذي توفي فيما بعد مسموما[2]،إن رد السلطان عبد الرحمان على مبادرة الأميرعكس إرادته في المواجهة وتبنيه الخيار العسكري تنفيدا لبنود معاهدة طنجة وتجسيدا للإستراتجية التي رسمها المستعمرالذي أدرك خطورة إستقرار الأمير في الحدود المغربية،فعقد مع المغرب معاهدة لالا مغنية[3] في 18مارس1845م للفصل في الحدود،حيث مثل الطرف الفرنسي الكونت دولاري والطرف المغربي حميدة بن علي.

مما سبق يمكن القول أن تدهورعلاقة الأمير مع المغرب يرجع إلى عدة أسباب أهمها إنهزام المغرب أمام الجيش الفرنسي الذي تمكن من احتلال مناطق من المغرب وإجبار السلطان على توقيع معاهدة طنجة،إضافة إلى خوف السلطان من تزايد نفود الأمير في الريف المغربي ووقوف القبائل المغربية ومساندتها لمقاومة الأميركقبيلة بني زناسن[4]، إضافة إلى الضعف العسكري مقارنة بالتطورالذي وصل إليه الجيش الفرنسي،وبالتالى يمكن القول بأن المغرب لعبا دورا هاما في القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر من الخلال الهجمات المتتالية على جيش المقاومة والحصار[5] الذي ضربه الجيش المغرب على دائرة الأمير عبد القادر،مما أدي إلى إضعاف جيش الأمير واستسلامه لجيش الإحتلال.

2-1-3- الإتصالات الجزائرية التونسية في عهد الأمير

أ - موقف تونس من إحتلال الجزائر

---

(1) P.Azan,op.cit,227

(2): تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.320.

(3):R.De card ,Les traites entre la France et leMaroc etude historique et juridique,p54

(4): قبيلة بربريةتسكن الجبال الممتدة الأنجاد جنوبا وطريفة شمالا تتكون من أربعة قبائل بني حالة،بني

عتيق،بني منقوش وبني وريانش.انظر: Dauma,E;corespondances du capitaine Dauma,consul a Mascara,1837-1839,p.93.

(5): J.Ladmir,les guerres d'Afrique,op.cit,p.355.

لا يمكن دراسة العلاقات الجزائرية تونسية في عهد الأمير دون التعرض لموقف حكام تونس من احتلال الجزائروالذي تجلى في تأييدهم ومساندتهم للإحتلال[1]،ودعم وتموين الجيش الفرنسي[2]،والتنسيق مع المستعمرفي الإطار فقد أبرمت بين الباي حسن التونسي والجنرال كلوزيلإتفاقية تقضي الجيش التونسي لوهران مقابل ضريبة تدفع إلى السلطات الإستعمارية وتم إرسال خير الدين باشا على رأس200 جندي إلى وهران[3]،ولكن سرعان ما انسحبت الحامية تونسية بعد انشغال عناصرها بعمليات السلب والنهب،مما سبق يتضح أن السياسة التونسية إتجاه الجزائر تتناقض وأواصر العقيدة ووحدة الإنتماء التي تجمع الجزائريين والتونسين مما يعني أنها كانت تخدم أطماع ومصالح الحكام التونسين الضيقة.

ب - موقف حكام تونس من مقاومة الأمير

لقد بادر الأمير عبد القادر بمراسلة السلطات التونسية ممثلة في الباي محمد بن حسنطالبامنهالدعم إلا أن الباي تجاهل رسالة الأمير[4]،كما راسل خليفة الاميربن عزوزحمودة باشا[5] والخليفة محمد الضغير بن عبد الرحمان مصطفى صاحب الطابع التونسي دون نتيجةبل إن الموقف التونسي ذهب إلى حد تضييق الخناق على المقاومة من خلال دعوة وكيلها تجاري في جبل طارق زكي كرطوزو إلى عدم التعامل مع الأمير،ففي رسالة وجهها هذا الأخيرإلى الحكومة التونسية سنة 1847م يذكرأن تعامله مع الأميرتجاري محض يدخل في إطار المصلحة المتبادلة[6]،إن سلبية الموقف التونسي إتجاه مقاومة الأميرترجع أساسا للهيمنة الفرنسية على المنطقة وتجنب حكام تونس الصدام مع المستعمر.

---

(1): سعدالله،أبو القاسم،تاريخ الجزائرالحديث بداية الإحتلال، معهد الدراسات والبحوث القومية،مصر، 1970م،ص.ص.132-133.

(2): G.Esquer,La prise d'Alger1830,p.281.

(3): E.De Reynaud pillissier,Annales Algeriennes, op.cit,t.1,p.157.

(4):بوعزيز،يحي،موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر،مجلةالأصالة،ع23،الجزائر،1975م ص.27.

(5): نفسه،ص.26 .

(6): نفسه،ص.21.

2 -2- مرتكزات الحراك السياسي المتوسطي عند الأمير عبد القادر

تعددت و تباينت طبيعة علاقات الأمير مع الدول الغربية ويرجع ذلك أساسا إلى طبيعة العلاقات الأروبية والتموقع الفرنسي داخل أروبا، لقد باشر الأمير إتصالاته مع عدة دول أهمها:

2-2-1- الإنجليز

سعى الأمير الى توثيق الصلة مع الانجليزمن خلال اقتراح تحالف استراتيجى بين دولتين تجلى ذلك من خلال الرسالة التى بعثها لملكة انجلترا جاء فيها " فلا يخفى عليك اننا كنا تعاقدنا مع جنس الفرنصيص ...وتعاهدنا فى الصلح ... على شروط منا و منهم ووفينالهم بجميع ما اشترطوه ....ثم ابتدؤوا التخليط والتلبيس والخدعة فخادعونا مرارابنقض العهد"[1]

أ - التبادل التجارى

جاء فى رسالة التى حملها مبعوث الامير منوشى[2] الى الملكة " ....كان مرادنا بعد ذالك ان نكاتبكم ودولتكم ونعطوكم ((كذا) مرسى مثل التنس وغيرها،مما هو فى ايدينا، تبيعون فيها (كذا) وتشترون ما تحتاجون من الحب و القمح وغير ذالك،ونحن ناخذ منكم ما نحتاجه غير ان مدة سنين تاخدون من هذا المرسى ولا ناخذ منكم حقها ثم نتفق معكم على أمر معلوم،ولم يتيسر لنا الكتب (كذا) لعدم وجود يخاطبكم فى شان ما ذكرنا لكم،هذا الحامل المركانطى نصالى منوشى ولد قنصل الانجليز من بنزرت (كذا) من عمالة تونس،فوجهته اليكم ليتكلم معكم،فان اردتم ان نجعل بينا و بينكم متجرا،فاخبروا دولتكم بذالك وانفصلوا (كذا) الجميع مع الحامل فانكم اهل وفاء وعهد،اما الفرنصيص فلاوفاء لهم ولاعهد كما

لايخفاكم،وان ظهر لكم ما ذكرنا لكم من امر المرسى فلا نبيع لاحد غيركم من سائرالجنوس_____

(1):التميمى،عبدالجليل،بحوث و وثائق فى التاريخ المغربى (1816م-1871م)،مرجع سابق، ص.200.

(2): تاجرابن القنصل البريطانى ببنزارت.أنظر:

Emerit,Marcel,l'Algerie a l'époque d'Abdelkader,po,cit,p295.

وتأخذون ما تحتاجون بسوم بلادنا كما يتبايعون معشر العرب في بعضهم بعضا ولا يزيدونعليكم شيئا في المدة المذكورة"[1]ويقول فى موضع آخر:"...فاذا اردت المصلحة العامة وتكون لكم المودة زيادة على الفرنصيص،نتفق معكم على التسوق فى اى مرسى اردتم ،ملتزمون لكم بجانب البربما تريدون..."[2].

ب - الدعم العسكرى

كما ورد في الرسالة "بلغنا ايضا انهم قالوا - كبراء الانجليز- اذا احتاج الامير عبد القادر الى الدراهم أو السلاح او غير ذالك نسلف له و نبيع له كل ما يحتاجه، فلما تاملنا كلامكم هذا وجدناه كلام عقلاء[3]"كما كتب قنصل بريطانيا بطنجة تقريرالى رئيس الوزاء البريطانى اللورد"بلمرستون"جاء فيها"ان وصول الوكيل "منوشى" كان لغرض شراء الأسلحة التى سمح سلطان المغرب مرورها الى الجزائرلايصالها الى الامير[4].

ج- الوساطة بين الأمير والباب العالى

طلب الأمير عبد القادرمن الانجليزالوساطة بينه وبين استانبول ويتضح ذالك من خلال الرسالة التى توجه بها مبعوثه الى لندن الكولونال سكوت[4] ورد فيها:" يجب ان تعملوا فينا مزية كبيرة وذلك ان لنا مكاتب الى اصتانبول وليس لنا طريق غير،فنحب ان تبعثوا على ايديكم الى السلطان عبد المجيد[5]...".

د- رد الإنجليز

جاء الرد الرسمى على طلب الأميرعبد القادر من خلال رسالة التي بعث بها "اللورد بلمسترون"الى قنصله بجبل طارق فى أكتوبر1840 م طالبا منه ان يبعث برسالته الى مبعوث

---

(1):التميمى،عبد الجليل ،بحوث ووثائق في التاريخ المغربي،المرجع السابق ،ص 200.

(2): نفسه،ص.200.

(3):نفسه،ص.201.

(4): نفسه،ص201,

جاء الرد الرسمى على طلب الاميرعبد القادر من خلال رسالة التي بعث بها "اللورد بلمسترون"الى قنصله بجبل طارق فى أكتوبر1840 م طالبا منه ان يبعث برسالته الى مبعوث الامير،قال فيها:"أن الحكومة البريطانية تشكرالأمير عبد القادرعرضه ميناءبالتراب الجزائرى،أن جلالة الملكة بريطانيا لا ترغب الحصول على ممتلكات على ساحل البحر الأبيض المتوسط لأفريقيا ،كما ان حكومة بريطانيا لا تعتقد ان توسطها بين فرنسا وعبد القادر سيؤدى ألى نتيجة هامة،هذا مع ملاحظة أن الحكومة البريطانية سوف لا تنحاز إلى أحد الشقين المتنازعين "[1].

إن الرد السلبى للإنجليز على عرض الأمير أرجعه عبد الجليل التميمى الى جملة من الاسباب اهمهاالمسألة الشرقية [2]و أنعكاساتها على التوزانات الاقليمية و الدولية،ضف إلى ذلك قلق بريطانيا على سلامة الطرق البحرية و المواصلات مع الهند وأخيراإنعكاسات معاهدة لندن[3] فى 15 جويلية سنة 1840م بين بريطانيا،النمسا،بروسيا،روسيا والباب العالى و التى استثنت منها فرنسا[4].

وفق هذه المعطيات فقد فضلت بريطانيا عدم المغامرة والدخول فى حرب مع فرنسا،إلا أن فليب دوكاسى بريساك يرى أن الأمير عبد القادرتمكن من الحصول على الدعم الإنجليزى عن طريق مليلية بوسطة "سان ليجيرقرنفل" و"جون دروموند هاى" كاتب القنصل البريطانى،فقد انزلت بواخر إنجليزية خلال شهر أكتوبرونوفمبرمن سنة 1847م،7 شحنات من المدافع والبنادق و البطريات وبعض قطع مدافع رمى الميدان[1]

بساحل كبدانة الصحراوبوفق هذه المعطيات فقد ارجع بعضهم[2] انتصارات عبد القادرعلى السلطان المغرب الى الدعم الانجليزى والإسبانى.

---

(1):التميمى،عبد الجليل ،بحوث ووثائق في التاريخ المغربي،المرجع ،السابق،ص.202.

(2):المرجع نفسه،ص.201.

(3):نفسه،ص.201.

(4):بوعزيز،يحى،مراسلات الامير عبد القادر مع اسبانيا و حكامها العسكريين،مرجع سابق،ص.29.

2-2-2- إسبانيا

ذكر يحى بوعزير فى مؤلفه مراسلات الامير عبد القادرمع إسبانيا و حكامها العسكريين بمليلية أن الاميرارسل إثنتا عشررسالة الى إسبانيا، سبعة منها الى "إيزابيل الثانية"وخمسة موجهة إلى حاكم مليلية الإسبانى "ماريا دو بينيطو"[1]،لقد كشفت مراسلات الأميرعن طبيعة العلاقة بين الامير عبد القادر و إسبانيا التى ارتكزت على:

أ- طلب الوساطة

فقد جاء فى رسالة الامير الى الملكة إيزابيل الثانية المؤرخة فى28أفريل1847م[2]"...لقد جرت العادةبين الملوك منذ العصور القديمة،ان يصلحوا الخلافات التى تنشب بين إخونهم،يمنوعون الحرب بينهم كذالك،وهكذا اذن،اذا إقتديتم بهذا المثل الجميل بحيث نعود بمملكتنا القديمةسنأ ذن لكم و نتعد بأننا لا ننكر جميل مثل هذه الفوائد،ولكم أن تستفيدوا منا فيما تريدوننتمنى بشوق و حرارة أن تجيبون عن هذه الرسالة و فى نفس الوقت ترسلون أوامركم ألى الكولونيل حاكم مليلية بحيث كل مرة يحضر أحد من طرفنا ألى هذه القلعة برسائل أو لمعالجة مثل هذا العمل..."، وفى رسالة أخرى مؤرخة فى 2 ماى 1847م يجدد الامير عبد القادر طلبه إلى الملكة بغية التدخل لانهاء الحرب و السماح للأمير بالعودة إلى الوطن حيث يقول:"...أن تدخل فىكلام الخيربيننا و بين الفرنصيص،فأن حعل الله الخير على أيديكم تكون المزية لكم عندنا و عند الفرنصيص ،وإن قدر الله رجوعنا إلى أرض الوطن نكون معكم كما تحبوا (كذا)..."وفى رسالة أخرى مؤرخة فى نفس الشهرمن سنة

1847م يقول:"..أرجوكم ملكتى الطيبة ألا تدخرين وسعا من اجلى قبل الحكومة الفرنسية...كونى على ثقة بأن مساعيكم التى ستقومون بها من أجلى لا نقول بأننا سنساها،من طرفى أنا ومن طرفى خلفائى الذين هم من حولى يسلمون عليك...."[3].

لقد عكست مراسلات الأمير الظروف الصعبة التى عايشها الأمير وجنده فى ريف المغرب

---

(1):بوعزيز،يحى،مراسلات الأمير مع اسبانيا،المرجع السابق،ص.30.

(2):نفسه،ص.35.

(3):نفسه ص.64.

خاصة بعد تعدد الجبهات و دخول المغرب فى خط المواجهة[1]،كما تتضح من خلالها مراهنة الأمير على الدورالإسبانى فى حل الأزمة ووضع حد للصراع بين الطرفين وتجلى من خلال منح الامير الملكة إيلزابيت كامل الحرية فى التفاوض[2] بإسم الأميرحيث يقول فى رسالة الى الملكة [3]مؤرخة فى16 جوان 1847م:" ...نعم إن لأمرإليك وبيدك أنت الوكيلة...فى الأمور القليلة و الجليلة،إلا أن ما لا يجوز فى شرعنا،فلا نرضى به(كذا)بهفى أمر ديننا....وإلا ففيك الكفاية و الإعتماد،وعليك الدرك و الإستناد...حتى وإن السلطان المغربي والفرنصيصكلهم يتعاونوا (كذا) وهذا غير قانون مرضى عندكم الواجب على كل الناس رفع... الغبن".

بل يذهب الأميرأبعد من ذالك حين يقول فى رسالة بعثها الى الملكة" إزابيل"مؤرخة فى30 جوان1847 م ": ...نعدكم بأن يكون الأمر كذالك لأن هذه المملكة التى لنا ستكون ابتداءا من هذا اليوم لك،لن يكون فيها سوى إرادتك فى كل شيئ ما عدا فى الأمور التى تخص شرعنا وديننا المقدس...من النافع أن نرسل لك أحد مستشارينا الأكثر قربا منا ليحضر فى هذه المحادثات تحت رعايتك الملكية وحمايتك، كذلك تستطعين عند الإقتضاء القبول و الموافقة على كل معاهدة أو إتفاقية تريدين تنفيدها بإسمنا، بدون الإعتراض كلية على كل ما تقولين أو تقررين لأننا وضعنا ثقتنا فيك بعد الله سيد كل خليفة...".[4]

فمن خلال الرسالة تتضح لنا رغبة الأمير في إقامة تعاون شامل ،مع المملكة الإسبانيى هلقد أدركت الحكومة الإسبانية أهمية مبادرة الأمير عبد القادر، فقد رأت فيه أداة نفود فى شمال إفريقيا تتحقق من خلاله مصالح إسبانيا العليا ،ويتضح ذلك من محتوى الرسالة المؤرخة فى 7جوان 1847م التى بعث بها" باشيكو"[5] إلى "مازارايدوا[6] " : ...يجب أن يعرف سموكم

---

(1): بوعزيز،يحى،مراسلات الأميرمع اسبانيا،المرجع السايق،ص.86.

(2): نفسه،ص.69.

(3): نفسه ،ص.85.

(4):نفسه ،ص.92.

(5):رئيس مجلس وزراء إسبانيا ووزير الشوؤون الخارجية:أننظر بوعزيز،يحى،المرحع نفسه ص.41.

(6):وزير الحربية:ينظر نفسه،ص.41.

أننا لنا فائدة كبيرة فى الحصول على صداقة القبائل العربية التى عبد القادر رئيسا لها كل ما يعمل فى هذا الإتجاه سيكون فى صالحنا...[1]"،كما يتضح ذلك من خلال الرسالة التى بعث بها "باشيكو" إلى السفير الإسبانى بباريس "رامون ماريا دو نارفبيز"دوق فلانس مؤرخة فى 6جوان 1847م جاء فيها :"...لستبحاجة إلى تبيان طموحاتنا التى سنحصل عليها فى الإقاليم الإفريقية وفى الجزائروالمغربالأقصى وعلى كل هذا الساحل للبحر المتوسط...يبدوا لى أن هذه المفاتحة من طرف عبدالقادرلا يجب أن تهمل ولو للحظة واحدة أنه رجل ذو قيمة كبيرة...كان على وشك الإحاطة بالجزائرولربما إبتلاع المغرب الأقصى..."[2]

ب- التبادل التجارى

لقد سعى الأمير إلى إقامة علاقات تجارية مع اسبانيا عن طريق مليلية وتجلى ذلك من خلال مراسلات الأمير مع "ماريا دو بينطو"، حاكم مليلية، ففى رسالة مؤرخة فى جولية 1847م بعث بها إلى حاكم مليلية ،يقترح الأمير مبالات تجارية مع المدينة الإسبانية حيث يقول: "...إذا احتجتم إلى أغنام سمينة،وصوف،وتمر الصحراء ،والزبدة ،والعسل،نقدر أن نزودكم بهذه المنتجات باتبادل باشعير والقمح،و أتكلف أنا شخصيا بنقل هاذا من هنا إلى المناء حيث أبحر الأسرى الفرنسيون، أستطيع أن أضمن لكم أيضا المكان والحراسة الكافية

والقوية،منى أجل تثبيت وتدعيم النظام التام أذا أردتم إنشاء سوق،يكفى من أجل هذا أن تخبرونى عن اليوم الذى يوافقكم ..."[3]،من خلال الرسالة يتجلىبعد نظر الأمير من خلال الأطرالتى اقترحها لتظيم التجارة بينه وبين اسبانيا ،ولقد جاء رد احاكم مليلة فى رسالة مؤرخة فى 12جولية 1847م: "...لأنه بفضل هذا النفود تستطيعون أن تعملوا بحيث يتعقل أكثرهؤلاء الناس الغير مروضين،و يتصرفون على وجه آخرغير الوجه الحالى،بدون هذا أعتقد أنه سيصبح من الصعب جدا إنشاء السوقالتىحدثتمونى عنها...يجب الإعلان مسبقا عمن يجب أن يحضر إلى هذه السوق لكى يحصل الضمان على بنود إتفاق المشاركة...أما

---

(4):بوعزيز يحيى،مراسلات الأمير مع حكام اسبانيا،لمرجع السابق،ص.82.

(2):نفسه،ص.79.

(3):نفسه، ص.98.

بالنسبة للتبادل الذى اقترحتموه لبعض منتجاتكم بالقمح و الخرطال فهذا لا يتم فى هذه المدينة لاننا لا نملك إلا مايكفى فقط المحلية، ولكن بكل قوة أن تبيعوها بالنقود وتشتروا بها بعد ذالك من الأرياف ماتريدونه من المواد الأخرى[1].

ج- طلب السلاح

جاء فى الرسالة السابقة التى وجهها الأمير إلى حاكم مليلية "لنا قطعة صغيرة من الكواترو بدون مرصاد،ولم نجد هنا من يصنعها لنا،وسنكون لكم شاكرين إذا زودتمونا بها بأى سعر"، وكان رد حاكم مليلية ايجابيا حيث قال "بخصوص موضوع قطعةالغيار لافو،التى طلبتموها منى لسلاح الكواتر،أعلمكم بأننا لا نملك إلا التى تلاءم مع القطعةّذات الغيار الكبير،ومع هذا لإرصائكم،سأطلبها من اسبانيا ... أما بانسبة للقطع الحديدية والفتايل التى رجوتموها فلا أرسلها إلا مع شخص صاحب ثقة كبيرة،اومع الذى ترسلونه أنتم خصيصا لذالك "وفى رسالة أخرى بعث بها الاميرإلى"دو بينطو":"أرجوكم أن تعطوا إلى قادة بن هاشمى، قطعة غيارaffut أخرى،وبعض فتايل أخرى،وبعض الكبريت وثلاثة أو أربعة قضبان من حديد"[2]،لقد دلت هاته الرسائل أن اسبانيا دعمت الأمير بالسلاح وقطع الغيارالتى كان يحتاج إليها

د - التعاون الأمني و الإستخباراتي

تمكن الأمير من إخضاع القبائل المحيطة بمليلية بغية تأمين التبادل مع اسبانيا ،كما طلب من حاكم مليلية التعاون فى مجال تبادل المعلومات وذلك حفاظا على الأمن المشترك للطرفينويتضح ذلك من خلال رسالة الأمير عبد القادرإلى حاكم مليلية : "...طلبتم منا الأخبار الجديدة حول الإمبراطور،ولا أستطيع أن أعطيها لأنى أفتقدها...قيل لنا بأن فارسين مغربين يوجدان فى المعسكر الفرنسى لطلب العون من أجل أن يطردون بالقوة من بلادهم...نخبركم أيضا بأننا أخضعنا المغاربة المجاورين لكم والذين يدعون بالفلايعة،فلاتخافون أى شيئى منا...

---

(1):بوعزيز،يحي،مراسلات الأمير مع اسبانيا،المرجع السابق،ص.103.

(2): نفسه،ص.94.

أرجوكم أن تخبرون على كل ما تقدرون أن تعرفوه من إية جهة كانت...."،وكذالك من خلال رد حاكم مليلية على الامير:"..ليس لدى جديد فيما حصل بين الفرنسيسوالمغاربة...إننى جد مسرور،أعرف أن المغاربة المجاورين لهذه المدينة خاضعون لكم...."[1].

2-2-3-أمريكا

لقد كان الأمير على إطلاع مستمر من خلال مترجمه" ليون روش[2]"على تطورات الأوضاع فى أوربا،لذا باشر الإتصال بأمريكا فى مارس 1836م[3]، مستغلا العلاقة المتوترة بينها وبين فرنسا ،هذه الأخيرة التى رفض برلمانها التطبيق المالى لمعاهدة 1831م[4]حيث سلم مبعوث الأمير رسالة إلى القنصل الأمريكى بطنجة "جيمس،ليب"عرض الأمير من خلالها على أمريكا إمتلاك مرسى جزائرى بلإضافة إلى تموينه من الداخل بالمقابل فإنه عرضه للإنجليز إقتصر على التجارة فى أحد المراسى،مما يدل على أن الأمير منح الأولوية لأمريكا فى تعاملاته كما استفسر فى رسالته عن حالة العلاقة بين أمريكا و فرنسا، لقد كان أمريكا على رسالة الأمير سلبيا نظرا لعودة العلاقة بين البلدين لطبيعتها

ويؤكد قولالقنصل " أنة لو كان سوء تفاهمنا مع فرنسا وصل إلى نزاع لوجدنا أصدقاء لنا فى الجزائر[5]".

يذهب أبو القاسم سعد الله فى تفسيرأسباب الرفض الامريكى لعرض الأمير إلى أنشخصية الأمير فى هذه الفترة لم تكن معروفة إضافة إلى عودة الهدوء للعلاقات الفرنسية الأمريكية، كما يرى أن الأمير إفتقدى الحنكة السياسية فى تعامله مع الأمركين و الإنجليز، مقارنة بحكام الايالة العثمانين وأن "محاولته السياسية أخذت الأولوية على مبادئه الدينية [6]"

---

(1):بوعزيز،يحي، مراسلات الأمير مع إسبانيا..،المرجع السابق،ص.98.

(2):سعدالله، أبو القاسم،أبحاث وأراء فى تاريخ الجزائر،ج1،مرجع سابق،ص.144..

(3):نفسه،ص.146.

(4): قنصل أمريكا العام بطنجة (1832م- 1836م):أنظرالمرجع نفسه،ص144م.

(5): سعد الله،أبو القاسم،أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ج 1،المرجع السابق ،ص.148.

(6): نفسه،ص.148.

من خلال إختيار الظرف المناسب والعرض المغرى بالتنارل عن أحد المراسى لصالح أمريكا الأمر الذى كان سيؤدى فى نظرنا إلى صدام بين الدولتين يجعل الأمير فى موقع القوة مستفيدا من الدعم السياسى و العسكرى من أمريكا .

تأسيسا على ماسبق يمكن أن نخلص إلى أن السياسة المتوسطية للأميرارتكزت على جملة من القواعد هدف من خلالها إلى تحقيق المصلحة العليا للوطن ،ففي المجال الإقتصادي سعى الأمير إلى تجسيد شراكة حقيقية ذهب فيها إلى حد منح إمتيازات للدول الأروبية وإيجاد مناطق حرة[1] للتبادل التجاري وفي المجال الأمني اهتم الأمير بأمن المتوسط[2]،فمن وجهة نظر الأمير أمن المنطقة مرهون بتفعيل سياسةأمنية مشتركة بين الضفتين قائمة على التنسيق وتبادل المعلومات أما في المجال العلمي فقد سعى الأمير للإستفادة من الكفاءات والخبرات الأجنبية،لقد حاول الأمير عبد القادرفي تعامله مع الغرب إيجاد أرضية للتفاهم والتعايش السلمي تأخذ بعين الإعتبار خصوصية الآخروالتنوع الثقافي والحضاري والتعدد العقدي في في حوض البحرالأبيض المتوسط.

(1): للتعرف على تاريخ المناطق الحرة ينظر: أوسرور منور،دراسة نظرية عن المناطق الحرة،مجلة الباحث،ع2،جامعة قاصدي مرباح،ورقلة،2003م،ص.ص.40 - 48.

(2):للإطلاع على الإستراتيجية الأمنية في المتوسط راجع: تباني،وهيبة،الأمن المتوسطي في استراتيجية

الحلف الأطلسي: دراسة حالة ظاهرة الإرهاب،مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السياسية،تخصص

دراسات متوسطية ومغاربية،الأمن والتعاون،جامعة مولود معمري،2014م.

الفصل الرابع

الفكرالوطني والتحرري للأميرعبد القادر

بين

عقبات الداخل وتحديات الخارج

الفكرالوطني والتحرري عند لأميرعبد القادر: العقبات الداخلية والتحديات الخارجية

ظل مجتمع الأيالة طيلة العهد العثماني تؤطره قوى متعددة تصنع مواقفه وتحدد توجهاته وتنتج ثقافته، ليرزخ المجتمع تحت كم من الأعراف والتقاليد والثقافات كرست هيمنة الفكر القبلي وزعامة الزاوية[1]،وبسقوط نظام الأيالة[2] قاد الأميرعبد القادر ثورة شاملة لم يكن المستعمر سوى هدفا من أهدافها إذ سعى الأمير بالموازاة إلى تغيير الواقعوالقضاء على سلبيات الموروث الذي أضحى وقود الصراعات والصدامات والإنشقاقات الداخلية التي ساهمت في انتاج مواقف،وصناعة توجهات واتجاهات عرقلت مسيرة الأميروساهت في بلورة استراتيجية المستعمر الذي تمكن من استغلال ثغرات الجبهة الداخلية،لذا فقد حاولنا في رصدناللعقبات الداخلية وكأنموذج للدراسةبحث مواقف وردود الفعاليات الاجتماعية من منطلق تأثيرها في الواقع السياسي ،الاقتصادي والثقافي،وبحث إستراتجية المحتل في القضاءعلى المقاومة ،فمن وجهة نظرنا إن الوقوف عند هذه القوى وفهم مميزاتها ومبررات مواقفها من جهة،ومعرفة آليات المستعمر في إدارة الصراع كفيل بتحديد حجم التحديات الداخلية،من جانب آخر فقد نجم عن الظرف الدولي الذي أنتجته التحولات الأروبية والتغيرفي موازين القوة بين العالم الإسلامي تحت لواء الخلافة العثمانية والعالم الغربي جملة من العقبات حالت دون استمرارية الدولة و حصول المقاومة على الدعم والمساندة الدولية وعليه فإن إدارك خصوصية الظرف الخارجي بمتغيراته وثوابته يساعد على فهم طبيعة الموقف الدوليمن المشروع الوطني والتحرري للأمير عبد القادر.

---

(1):بدات في الإنتشار منذ القرن 13 ميلادي تزامنا مع تراجع دور الرباطات مع ظهور الطرق الصوفية

تطورت وتعددت مهامهما وكان إسم الزاوية يطلق على مقرالمرابط في حياته ومماته،فقد يقوم بتأسيسها

او تاسس على ضريحه ينظر:

L.Rinn,Marabouts et Khouans,op.cit,pp.170 - 174.

لقد قامت هذه الزوايا بتأطير المجتمع ويرجع إليها الفضل في انتشار التعليم،من جهة اخرى فقد ادت الممارسات الطرقية إلى إنتشار الجهل والخرفات ،انظر: الفلالي، محمد الطاهر،نشأة المرابطين والطرق

الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني،ط1،دار الفن الغرافيكي،الجزائر،1976م،ص.29.

أولا: العقبات الداخلية: مقاومة الأمير بين طبيعة المجتمع وانعكسات الظرف الداخلي

1- المجتمع الجزائري:البنية والمميزات

إن تعدد الفئات الإجتماعية وتباين أدوارها واختلاف تموقعها يعد من أهم العوامل في فهم التحولات التاريخية من حيث دوافعها ومآلاتها والتي شكلت عقبة أمام المشروع الوطني والتحرري للأمير عبد القادر وحالت دون تحقيق أهداف المقاومة في استمرارية الدولة و تحريرالبلاد.

1-1- التركيبة الإجتماعية

1-1-1- مجتمع المدينة:

أ ـ الأتراك:

فئة ذات طبيعة عسكرية ظلت متميزة بتقاليدها وثقافتها وامتيازاتها عن باقي مركبات المجتمع تشير التقديرات إلى أن عددها في مستهل القرن التاسع عشر بلغ حوالي 20000 منهم 15000 يشغلون وظائف في الإدارة والجيش،(800) فرد في الجزائر[1]، إن سياسة الانغلاق التي تبناها الأتراك دفع بهم إلى تجنيد الإنكشارية من مختلف مناطق الخلافة حيث تم استقدام 8533 جندي كلهم في أوجاق[2] الجزائر مابين1801-1829 .[3]

انتهى التأثير الفعلي للجماعة التركية بعد استسلام غالبية الانكشارية (5092) منهم (891) من سلاح المدفعية إثر توقيع معاهدة الإستسلام بين الداي حسين والقائد دوبرمون 04 جويلية 1833م،حيث صاحب الداي (1110) فرد،وفي 16أوت تمّ تعميم قرار الطردعلى جميع الإنكشارية المتزوجيين مقابل جراية شهرية قيمتها 05 فرنكات.

---

(1): Colonel,Boutin,Reconnaissance des villes fortes et batteries d'Alger,P, par Gabriel Esquer,Paris,1927,p,72.

(2):كلمة تركية تعني المكان المعد من القرميد أو الطين الذي تشتعل النار فيه،تطور معنى الكلمة فيما بعد وأضحت تطلق على الجماعة التي يتواجد أفرادها في مكان واحد. ينظر: http://www.wikiwand.com/ar

(3): Colombe,M,contribution à l'étude du recrutement de l'odjaq d'Alger,in,R.A,T,87/1913,p.18

ب - الكراغلة:

هم جماعة من المولدين من آباء أتراك وأمهات جزائريات، أما عن التوزيع الجغرافي لهذه الفئة فقد استقرعدد منهم ومنذ سنة 1629م بواد الزيتون بمنطقة واد يسر عند تخوم بلاد القبائل[1]كما يشكلون نصف سكان مدينة تلمسان،وهم يتركزون كذلك في المدن الداخلية و الريف كالجزائر،البليدة،القليعة،المدية،مليانة،تلمسان،مازونة، قلعة بني راشد،معسكر،ميلة مستغانم وفي قسنطينة،عنابة،زمورة وبسكرة[2] ارتقى العديد منهم إلى مناصب في سلك إدارة البايلك منذ أواخر القرن18 ،وأصبحوا يتمتعون بالنفوذ ابتداءا من الربع الأول من ق19.

ج - الحضر:

شكلت حوالي5%[3] من مجموع السكان وتركزت في وهران، تلمسان،مازونة،المدية معسكر،البليدة،مليانة،قسنطينة،ميلة وعنابة لقد همشت هذه الفئة طوال العهد العثماني من الوصول إلى هرم السلطة مما دفع بها إلى الثورة ضد الحكومة العثمانية في الجزائر في العهود الأول إلا أن سلطة الإيالة تمكنت من إخمادها وفي أواخرعهد الدايات بدأت هذه الفئة تتموقع في هرم السلطان حبث أصبح بعض أفرادها نافدين في السلطة ومنهم من تقلد مناصب عليا في دولة الأيالة[4] كمنصب الباي،ومن أشهرالعائلات الكرغلية نجد كل من العائلات الحضرية في الجزائر نجد حمدان بن عثمان خوجةوأحمد بوضربةوحمدان بن عبد الرحمن أمين السكة[1] وفي تلمسان ابن نونة،أما في قسنطينة فنجد ابن الفكون وابن العائلات الحضرية في الجزائرية نجد حمدان بن عثمان خوجة وأحمد بوضربة وعثمان بن عبد الرحمان أمين

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،المرجع السابق ،ص.108.

(2): نفسه،ص.109.

(3): سعيدوني،ناصرالدين،النظام المالي أواخر العهد العثماني(1830-1792م)،مرجع سابق،ص.41.

(4):لمزيد من الإطلاع أنظر:قاسمي،فريدة،الدولة في فكرالأميرعبد القادر(1832م - 1847م)،إشراف الدكتورعميراوي حميدة، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأميرعبد القادر، (1998م –1999)،ص.ص.34-35.

السكة[1] وفي تلمسان ابن نونة،أما في قسنطينة فنجد ابن الفكون وابن باديس[2]،وتشكل جماعة الأندلسييننوجماعة الأشراف نواة هذه الطائفة التي تمتعت بالمستوى الثقافي نظرا لتركزها بحواضرالعلم ،كما تميزت باحترافها في الأعمال التجارية والإدارية ومن بين أهم خصائص هذه الفئة هيمنتها على الوظائف الإدارية وتحكمها في النشاط التجاري حتى أضحت على حد وصف سعيدوني ناصرالدين طبقة بورجوازية[3]وعن هذه الطائفة يذهب هذا الأخير إلى القول" وهم مجملهم موسورون أصحاب أملاك في المدينة وأراض خارجها وقد كان لهم إطلاع ومعرفة بما يجري خارج الجزائر ولهم نفوذ في جهاز البايلك وبخاصة بعد التحويرات التي أحدثها علي خوجة سنة 1818م،والتي سمحت لخليفته حسن باشا الإعتماد أكثرفأكثرعلى العناصرالناشطة[4]" ولكن رغم ما تميزت به هذه الفئة منمؤهلات فكرية ومادية إلا أنها لم تمارس أدوار سياسية تتناسب مع حجم نشاطها ومع إمكانياتها المعتبرة،أما فيما يخص تركيبة هذه الطائفة فيمكن القول أنه من حيث الجذور والنشاط المهني تعتبر خليط من المهاجرين من مختلف مناطق الإيالة قدموا إلى حواضرالإيالة طلبا للرزق لذا طغى على نشاطهم الطابع التجاري ومنهم من اشتغل بالتدريس والتعليم بالإضافة إلى المهاجريين الأندلسيين الذين تمكنوا من الإندماج في مجتمع الحضروبحكم مميزات الفئة الأندلسية فقد استطاعت التأثير على الحضر في شتي مناحي الحياة،ففي المجال الإقتصادي[5] أدى إحتكاك الحضربهذه الطائفة إلى تعلم وإتقان الكثير من الصناعات والحرف التي تميز بها المجتمع الأندلس وفي المجال الإجتماعي استطاع الأندلسيون نشرعاداتهم وتقاليدم[6] داخل مجتمع الحضر،أما ثقافيا فقد إنتقل بفضلهمالفن الأندلسي إلىالجزائرالأمرالذي كان لهم بالغ التأثيرفي طبائع الحضر وسلوكاتهم.

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير، مرجع سابق،ص.110.

(2):شعيب،محمد بن علي،أم الحواضر في الماضي والحاضر،مطبعة البحث،قسنطينة،1980، ص.133.

(3): سعيدوني ،ناصر الدين ،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.110.

(4): نفسه،ص.109.

(5): سعد الله،أبو القاسم،تاريخ الجزائرالثقافي،ج1،مرجع سابق،ص.149

(6):نفسه،ص.150.

د - اليهود:

بلغ عددهم في بداية القرن التاسع عشرمابين عشرين ألف وثلاثين ألف نسمة[1] تركز معظهم في عاصمة الإيالة حوالي عشرة آلاف نسمة[2]تمتعت هذه الطائفة بنفوذ قوي خاصة أواخر العهد العثماني ويقدرها البعض من (20000-80000) نسمة بمدينة الجزائر[3] وتتشكل من خليط من المهاجرين الأندلسيين والوافدين من جنوب أوربا، لقد تجلى تأثير اليهود في كونهم هيمنوا على عصب و شريان إقتصاد للأيالة،واحتكروا المبادلات التجارية خاصة في عهد بابا حسن(1891م -1898 م)والداي مصطفى باشا (1797م - 1805م)كما برعت في شؤون الصيرفة وتجارة الحلي الأمر الذي أكسبها تموقعا هاما في المجتمع بفضل تحصيل الثروة واستغلال النفوذ مكنهم فيما بعد من توجيه سياسة الإيالة بحكم قربهم وارتباطهم بدوائر القرار،الأمرالذي إنعكس على مستقبل الإيالة وشكل أحد عوامل سقوطها على يد الفرنسي

1-1-2- مجتمع الريف[4]:

أ ـ قبائل المخزن:

هي قبائل ذات صبغة عسكرية إدارية وفلاحية[5]،تعد من أهم دعائم السلطة العثمانية إحتلت موقعا مميزا في دولة الإيالة من منطلق الأدوار والمهام التي إطلعت عليها في العديد من المجالات الحيوية وإسهامها في ضبط وإستقرارالأوضاع الداخلية للإيالة الجزائرمن خلال مواجهة وقمع الإنتفاضات والثوارات و بالتالي الحفاظ نظام الحكم والوجود العثماني،إن لجوء حكام الإيالة إلى الإستعانة بقبائل المخزن[6] يرجع إلى جملة من العوامل أهمها تعزيز الجيش

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.110.

(2):شعيب،محمد بن علي،أم الحواضرفي الماضي والحاضر،مطبعة البحث،قسنطينة،1980،ص.133.

(3): M.Eisinbeth,les juifs des origines jusqu’à nos jours,in,Encyclopédie,pp154-158.

(4): للتعرف على مجتمع الريف ينظر:كمال بن صحراوي،أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني،رسالة دكتوراه،جامعة وهران ،2012م – 2013م،ص.ص.240 - 245 .

(5): عباد،صالح،الجزائر خلال الحكم التركي،مرجع سابق، ص.363.

(6): شويتام،أرزقي،المرجع السابق،ص.187- 190.

الإنكشاري الذي كان يعاني نقص في المجندين حيث لم يتجاوز سنة 1769م الخمسة آلاف جندي ولم يتعدى ثلاث آلاف جندي عام 1817م[1] لذا وظفهم الحكام العثمانيون كوسطاء بينهم وبين السكان،كما ساهمت الأزمات التي عاشتها الإيالة في تراجع التجنيد لما تكلفه هذه العملية من مصاريف كانت تضر بمصالح الحكام العثمانيين[2]،وهي عبارة غن" تجمعات تعميرية إصطناعية مختلفة في أعراقها،فمنها من أقره الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها لتكون سند لهم،ومنها من أعطيت لها أراضي تستقرعليها ومنها من أستخدم كأفراد ومغامرين ومتطوعين من جهات مختلفة ليؤلفوا جماعة عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية[3]،لقد مارست هذه القبائل عدة مهام منها ماهي ذات طابع إقتصادي كجمع الضرائب[4]ومن الناحية العسكرية كانت تقوم بإخضاع القبائل[5] ومجابهة الإنتفاضات والتمردات،لقد أضحت هذه القبائل بمثابة الجهاز التنفيدي حيث كانت تسهر على تطبيق أوامر البايلك وتقوم برعاية مصالحها وتحافظ على ممتلكاته كما كانت تلعب دور الشرطة المحلية وتراقب الأماكن الإستراتجية وتدعم الحاميات العسكرية[6]،لذا فقد منحها حكام الإيالة دعمهم واستفادت من إمتبازاتهامة[7]،وأنتزعت ثقتهم وأضحت تتمتع بإستقلال مالي وإداري،وأعفيتمندفع العشور والضرائب،إن الصلاحيات والتفويض الذي تمتعت به قبائل المخزن إنعكس سلبا على أوضاع المجتمع بحكم الممارسات التعسفية التي كانت تقوم بها من مصادرة الأراضي وعمليات النهب والسلب مما كان سببا في إندلاع الثوارات،وفيما يخص أماكن تواجدها تتموقع

---

(1): خنوف،علي،السلطة في الأرياف الشمالية لبيلك الشرق الجزائر نهاية العهد الغثماني وبداية العهد الفرنسي،مطبعة العناصر،الجزائر،1999م،ص.107.

(2): سعيدوني،ناصرالدين،ورقات...مرجع سابق،ص.262.

(3): سعيدوني،ناصرالدين،وضعية القبائل المخزنية والأثارالمترتبة عنها،المجلة التاريخية المغربية،

عدد 7- 8، 1977م،ص.75.

(4): H.Ferdman Aucapitaine (H),notice sur l'histoire et l'administration du tetteri,in,R;A,n^{0}10 1867,p359.

(5): Robin(NJ),la grande Kabylie sous le regime turc,ed,bouchene,Alger,1998,p.13.

(6): N.Saidouni ,op.cit,p.347.

(7): ابن ميمون،المصدرالسابق،ص.39.

هذه القبائل في الخوانق الجبلية والممرات الوعرة وكذا محطات الطرق والجسور والقناطركما تقوم بمراقبة الأسواق الرئيسية وتتخذ من الأبراج والحصون مراكز للحراسة أما عن تعداد فرسانها فقد بلغ (30000) نصفهم من الفرسان المدربين،ومن أمثلة هذه القبائل نجد الحراكتة في الشرق وعمراوة في بلاد القبائل ومخزن العبيد بتيطري والدوائر والزمالة في وهران التي يمتد نشاطها لتشمل سهول بلعباس،مستغانم ومعسكر[1]،وفق ما سبق يمكن القول ان قبائل المخزن تعد العصب وشريان الذي استمد منه نظام الإيالة حياته بحكم الدورالمفصلي لهذه الفئة في الحفاظ على نظام الحكم من خلال المشاركة في الحملات الفصلية مع فرق المحلة و إيقاع العقاب بالعصاة واستخلاص الجباية والمطالب المخزنية من الرعية الخاضعة كما تعتبر قوات دعم وإسناد للجيش في ظروف التمرد و العصيان[2].

ب ـ قبائل الرعية:

يشكل الريف حوالي 90% من سكان الأيالة[3]معظمهم من قبائل الرعية التي التي لم تحظ بأي امتياز وكان على عاتقها دفع الضريبة والرسوم المختلفة وهي في وضع أصعب من القبائل التي لم تخضع للسلطة المركزية خاصة سكان السهول والجبال القريبة من الجزائر[4] لقد خضعت هذه القبائل للحكم العثماني بفضل الدورالذي قامت به قبائل المخزن،التي أحكمت سيطرتها على هذه القبائل،كما خضعت من جهة اخري غلى نفود المرابطين وشيوخ الطرقية، ومن أهم النشاطات التي مارستها هذه الشريحة الزراعة، كما كانت هذه الفئة ضحية المعاملات القاسية من طرف ملاك الأراضي[5].

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،ورقات جزائرية،مرجع سابق،ص.ص.285-282.

(2): سعيدوني،ناصرالدين،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(الفترة الحديثة المعاصرة)،ج2،مرجع سابق

ص.98.

(3):عمورة،عمار،الموجز في تاريخ الجزائر،ط1،داراريحانة للنشر والتوزيع،الجزائر،2002،ص.235.

(4).Venture de paradis,Alger au 18 siecle,par faymer,in,R,A,T39 /1895,P.80

(5): سعيدوني،ناصرالدين،ورقات جزائرية،مرجع سابق،ص.410.

ج - المرابطون:

ج-1- دورهم ومكانتهم

مصطلح مشتق من كلمة الرباط وهو عبارة عن مركز متقدم لصد الهجمات والإعتداءات ثم تطور المفهوم حتى أضحى يعبر عن التعبد والزهد[1]،لقد تمتعت هذه الفئة أواخر العهد العثماني بنفود واسع في الريف الجزائري ويرجع ذالك أساسا إلى تحالف هذه الفئة مع العثمانيين منذ أيام الجهاد ضد الإسبان ضف إلى ذلك أدوارها المتعددة في المجالات نتيجة الفراغ السياسي والإداري بحكم عدم تمكن النظام العثماني من بسط نفوذه على كثيير من المناطق الريفية،لقد إستطاع المربطون تأطير الريف فكريا والتكفل بحاجاته المادية بفضل نشاطا الزاويا هذه الأخيرة التي لعبت دورا محوريا في الحياة الإجتماعية والثقافية للريف الجزائري[2]،حيث أضحى المرابط يؤطر ويوجه أتباعه في أمور الشريعة والتصوف وفي بعض الأحيان التكوين الحربي،وبفضل هذه الهيمنة الروحية والفكرية تجاوز المربطون حدود الزاويا حتى أصبحو هيئة سيادية يرجع إليها إختيار رؤساء القبائل[3]،والتدخل لوضع حد لمظاهر الفوضى ولا أمن وحل النزعات بين الحكام وشيوخ القبائل وحتى بين العائلات الكبيرة وشواهد في هذا المجال كثيرة،فلقد قام الولي الصالح "بوقبريين" بالإصلاح بين عائلة ءايت سعدان وءايت اليوسي في منطقة القبائل،ويذهب حمدان خوجة في هذا الإطار إلى حد القول [4]"...أما السلم فإنه يتم دائما بتدخل مرابط..."،ومما يؤكد المكانة الروحية والإجتماعية والثقافية التي وصل إليها المرابطون تدخلهم لتأمين التجارة[5] ومرافقة القوافل

،مما سبق تتضح أهمية الحضور المرابطي في مجمتع الريفي الجزائري كونه شكل عصب الحياة الثقافية و

---

(1): سعد الله،أبو القاسم،تاريخ الجزائري الثقافي،ج1،مرجع سابق،ص.368.

Benachanhou,Aconnaissance du Maghrebnotion op,cit,p.134:(2)

Daumas,E,Mœurs et cotumes,de l'Algerie,op,cit,p.154.(3)

(4): خوجة،حمدان،المرآة،مصدر سابق،ص.56.

(5):سعد الله،أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ،مرجع سابق،ص.488.

Chouaib,A.A,B,les marabouts guerisseurs,in,R,A,N°51,1907,P.253. :(6)

الإقتصادية ويلخص سعيدوني ناصرالدينودورها قائلا[1]"...فقد اتسع نشاطهم ليشمل إلى جانب التربية والتوجيه والإعلام والإرشاد القيام بمهمة الحاكم ووظيفة القاضي،مما جعل منهم سلطة حقيقية مستقلة بشرعيتها التي تستمدها من تعاليم الطريقة التي ينتسبون إليهم ومتفردة بمصادرتمويلها لتعاملها مباشرة مع السكان واعتمادها على نفسها في الحصول على حاجاتها،وقد ازداد نفوذ الزوايا هؤلاء بفعل توسطهم في النزعات بين الأفراد والقبائل وتقديمهم يد المساعدة والعون إلى الفقراء والعجزة والمحتاجين وتوفيرهم المأوى للاجئين" ومما يدل على تعاظم دورفئة المرابطيين كثرة الزوايا وانتشارها في مختلف مناطق الإيالة

ج -2- أهم الزوايا

من أهم الزوايا التي ظهرت وانتشرت في الفترة العثمانية واستطاعت ملئ الفراغ السياسي والثقافي وتمكنت من تأطير المجتمع الجزائري بفضل ممارستها مهام متعددة ومتنوعة نجد في بايلك الشرق زاوية سيدي الكتاني،وزاوية سيدي عبد المؤمن وزاوية سيدي مخلوف وسيدي عفان وسيدي راشد[2]والحملاوي أما في منطقة الغرب الجزائري زاوية سيدي الطيب وسيدي بومدين وسيدي سنوسي وزاوية سيدي محمد الموسوم بقصرالبخاري[3] وزاوية[4] سيدي بن عبد الله ومنطقة القبائل نجد زاوية سيدي منصورالحنادي،وزاوية الحسين بن أعراب وزاوية سيدي عبد الرحمان القشتولي،وسيدي عبد الرحمان المصابحي اليلولي، زاوية سيدي أحمد بن إدريس،وفي عاصمة الإيالة تنتشرالزوايا الآتية زواية عبد

الرحمان الثعالبي،وزاوية سيدي محمد الشريفوزاوية عبد القادر الجيلاني،زاوية أحمد بن عبد الله وزاوية سيدي سعدي إضافة إلى زوايا أخرى كسيدي الكتاني و سيدي الفاسي وغيرها.

ج-3- أشهر المتصوفة

---

(1):سعيدوني،ناصرالدين،عصرالأمير،المرجع السابق،ص.131.

(2): نفسه،ص.264.

(3): بن بكار،بلهاشمي،كتاب مجموع النسب والحسب..مرجع سابق،ص.160.

(4): نفسه،ص.160.

(5): سعيدوني،ناصرالدين،عصر الأمير، مرجع سابق،132.

ومن أشهرالمتصوفة الذين برزوا وذاع سيتهم نذكر على الخصوص أبومدين الذي نقل الطريقة القادرية إلى الجزائر وتتلمذ على يديه محي الدين بن العربيوعبد السلام بن مشيش[1] معلم أبي الحسن الشاذلي[2] ،وبانتشار التصوف و دخوله المرحلة العملية ظهرت الطرق الصوفية التي وجدت في إسهامات أقطاب التصوف أمثال عبد الرحمن الثعالبي[3] ومحمد بن يوسف السنوسي[4] وأحمد زروق[5] الإطارالملائم، فكثر شيوخها واختلفت ميولها وتباينت أساليبها[5]وقد أحصى بعض الدارسين 21 طريقة معظمهم يرجع إلى أصل واحد،وفي القرن19 أحصيت الطرق فقدرت بنحو13 طريقة من مجموع 16 شاذلية الأصل.

ج -4 - أهم الطرق الصوفية

تعددت الطرق الصوفية في الجزائر بتعدد أصولها وتنوع أصولها واختلاف مناهجها

---

(1): شيخ من شيوخ الطريقة الشاذلية،توفي مقتولا في جبل العلم قرب دزات،هو أحد أقطاب الصوفية الأربعة في بلاد المغرب،ورث طريقته إلى نور الدين بن الحسن الشاذلي،من آثاره: اغاثة الراغبين في الصلاة،ينظر:بوعزيز،يحيى،الطريقة القادرية،مقال سابق،ص24.

(2): ابو الحسن الشاذلي علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي(591ه-656ه/1195-1258م) ولد في جبال الغمارة في سبتة،وسكن الشاذلية إحدى القرى التونسية،درس في تونس،ثم رحل إلى المشرق وأقام بالإسكندرية،توفي في صحراء عباب،له رسائل في التصوف منها:حزب الشاذلي

ينظر:العربي،اسماعيل،معجم الفرق والمذاهب الإسلامية،ط1،منشورات دار الآفاق، المغرب 1993م.

(3): والي الجزائر وعالمها،ولد بواد يسر قرب العاصمة،انتقل إلى بجاية وأخذ العلم عن علمائها كما طاف بمصر وتونس وتركيا والحجاز،واستقر بالجزائر،حيث توفي بها سنة(875ه/1470م) ينظر: نويهض،عادل،معجم عالم الجزائر،ط1،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1971 ص.90.

(4): ولد بتلمسان(830ه/1426م)توفي(895ه/1490م)من مؤلفاته،متون السنوسية الكبرى والصغرى والوسطى،دفن في مقبرة العباد بحي القيصرية بتلمسان،أنظر: المزاري الآغا،بن عودة المصدر لسابق،ص.80.

(5): سعد الله،أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، مرجع سابق،ص.183.

(6): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير، مرجع سابق،ص.114.

ج-4 -1- الطريقة القادرية[1]

ج-4 -2- الطريقة الطيبية:

تنسب إلى الطيب الشريف رئيسها شريف وزّان (1089ه /1678 -1679م)[2] انتشرت في سهول الناحية الوهرانية[3]وتمتعت بنفوذ سياسي قوي لدى السلاطين العلويين بحكم دورها في تأمين القوافل،وأغلب مناصريها من قبائل الدوائر والزمالة[4] .

ج-4 -3- الطريقة الدرقاوية:

طريقة صوفية جزائرية مراكشية متفرعة عن الجازولية أسسها الشيخ العربي الدرقاوي أبو حامد (1150ه/1239ه -1737م/1823م) ،أما اسم الطريقة فهو مأخوذ من أبي درقة يوسف بن الحسن،أحد أسلاف السيد العربي والحقيقة أن من دعا إلى الدرقاوية هو الشريف إدريس[5]،تتميزعن الشاذلية بدعوتها إلى جمع كلمة المسلمين على مبادئ بسيطة في التصوف وصدهم عن مغريات الحياة وتجنب أصحاب السلطة،انتشرت هذه الطريقة في الجهات الوسطى والغربية من الجزائرية بإقليم التيطري والجهة الوهرانية.

ج -4-4 ـ الطريقة الرحمانية :

أسسها الشيخ محمدعبد الرحمان القشتولي الجرجري الأزهري المولود بآيت إسماعيل سنة 1720م،بعد أداء مناسك الحج استقربمصر ودرس في الأزهر،تتلمذ على يد جملة من الشيوخ

---

(1): سبق أن أشرنا إليها في الفصل الأول.

للتعرف أكثر على الطرق االصوفية ،ينظر: بن صحراوي،كمال،أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني،مرجع سابق،ص.ص.286 - 290.

(2): Emirit,Marcel,un problèm de distance morale la résistance Algérienne à l'epoque d'Abdelkader,in,revue d'information héstorique,N127, juillet ,octobr 195 , paris, p.128.

(3): A.Nadir,op.cit, ,p.831.

(4): M.Emirit,op.cit,p.128.

(5): العربي،اسماعيل،معجم الفرق والمذاهب الإسلامية،مرجع سابق،ص.169.

تتلمذ على يد جملة من الشيوخ أمثال الشيخ محمد بن سالم صاحب الطريقة الحفناوية الخلوتية[1] ونظرا لتمكنه من الطريقة أرسله الشيخ إلى الهند والسودان[2] لنشرالطريقة،ثم عاد إلى مسقط رأسه أين أسس زاوية وعكف على التدريس ونشرالعلم،وتلقين أتباعه قواعد التصوف على منهج الطريقة الخلوتية،فاستقطبت زاويته طلاب العلم من شتى الأماكن من بينهم الشيخ أحمد التيجاني[3] بلغ عدد أتباع الطريقة في سنة 1896م حوالي 156214 مريد و873 مقدما وما يقارب 177 زاوية[4]،أدى تزايد نفوذ الشيخ إلى إثارة قلق النظام السياسي وشيوخ الطرق الآخرى المتواجدة بالمنطقة الذين أصدروا فتوي في حقه مضمونها خروجه عن تعاليم الشريعة إلا أن المجلس العلمي برأه المجلس[5] العلمي مما دفع بالداي إلى التقرب إلى الشيخ الذي علمه ورد الطريقة[6] توفي الشيخ محمد بن عبد الرحمان سنة 1794م وتحول قبره إلى مزار يقصده العديد من الناس مما دفع بالسلطة العثمانية إلى نقل ضريحه إلى االجزائر خوفا من حدوث الإنتفاضات[7]،و رغم النفود والإنتشار الذي تمتعت به الطريقة الرحمانية إلا إلتزمت سياسة المسالة مع السلطة العثمانية حيث تشيرالمصادرإلى عدم دخول هذه الآخيرة في أي صدام مع السلطة[8] بل إلتزمت هذه الطريقة بنشر تعاليم الدين الإسلامي ومبادئ التصوف و الدعوة إلى الله.

ج-4-5-الطريقة التيجانية:

تنسب إلى أحمد بن المختار بن سالم التيجاني[9]،ظهرت في عين ماضي وانتشرت عن طريق

---

(1): بوعزيز،يحي،أعلام الفكر والثقافة،المرجع السابق،ص.299.

(2): سعد الله،أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،المرجع السابق،ص.514.

L.Rinn,op,cit,p.453.:(3)

Depont /Coppolani,op.cit,p.215. : (4)

P.Boyer,po,cit,.P.39. :(5)

(6): بوعزيز،يحي،أعلام الفكر...مرجع سابق،ص.300.

Rinn,op.cit. p.123. :(7)

(8): (9):مفتاح،عبد الباقي،أضواء على الشيخ أحمد التجاني Robin,la gande Kabylie,op,cit,p.23.

وأتباعه،دار الكتب العلمية،بيروت،2009م،ص33.

التجارة في واحات الصحراء وبلاد السودان،لكنها لم تستطع أن تتوسع شمالا نظرا لتجذر القادرية وعداوة الدرقاوية لها ومواجهة باي وهران لشيوخها في أول محاولة لهم التركزفي التل الوهراني[1]،كما كان لها دورهام في الأحداث التي عاشتها الجزائر في مستهل القرن 20.

2-1- الخصائص:

نتج عن هذه التركيبة الاجتماعية اللامتجانسة واللامتوازنة،جملة من المميزات صنعت الواقع الجزائري بكافة أبعاده جسدت الخصوصية السياسية والثقافية والدينية للمجتمع.

1-2-1- الخصوصية الدينية والثقافية:

تمثلت في اعتماد مذهبين للقضاء والافتاء،المذهب الحنفي خاص بالأتراك،والمذهب المالكي تحتكم إليه الطبقات المحكومة،الأمر الذي أحدث هوّة بين الأتراك وسكان الأيالة إلى جانب تعدد الطرق الصوفية واختلافها في المنشأ والنظرة والمواقف بحكم أنّ منها ماهو محلي كالتيجانية،ومنها ماهو مشرقي أو من خارج الأيالة[2]،لقد تمتعت الزاوية في العهد

العثماني بهيمنة ونفوذ كبيرين استطاعت أن تؤطّر المجتمع الجزائري فكريا وروحيا،بل أصبح لها نشاطا اقتصاديا وتجاريا،كما كان هناك نوع من التحالف[3] بينها وبين السلطة الحاكمة ،إنّ تعدد الطرق يعني تعدد المفاهيم والرؤى،وبالتالي تعدد التكتلات الدينية،ممّا يعطي لشيخ الطريقة تموقعا هاما في المجتمع.

1-2-2- الخصوصية السياسية والعسكرية:

لقد احتكر الأتراك السلطة السياسية والوظائف العليا[3] وظلت الحكم العثماني منغلق على نفسه بعيد عن واقع الجزائريين مما أدي إلى ثغرات التي استغلها المستعمر،لقد عانت الأغلبية في عهد الأتراك من التهميش والإقصاء[4]،وكانت ضحية استبداد متعدد الأبعاد سياسي ومالي

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،عصرالأمير،مرجع سابق،ص.116.

(2): التيجانية والسنوسية طرق محلية.ينظر: مفتاح عبد الباقي،المرجع السابق،ص.ص.13 - 23.

(3):للتعرف على تحالف الصوفي العثماني،راجع:ابن الفكون،عبد الكريم،منشور الهداية،المصدر السابق.

(4): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،المرجع السابق،ص.107.

وحتى عسكري[1] ،كما أنّ فئة الكراغلة بدورها عجزت عن الاندماج مع الأتراك[2] ،ولم تفتح أمامها أبواب الوظائف السامية إلاّ مع أواخر حكم الدايات،كما تمكن العثمانيون من إقامة أحلاف عسكرية كقبائل المخزن ومنحتها صلاحيات وامتيازات[3] ،أمّا الجيش النظامي فقد أقصي العنصر المحلي من الانتماء إليه[4].

1-2-3 - الخصوصية الإقتصادية والجغرافية:

عاش أغلبية سكان الأيالة الحرمان والفقر بحكم أنّ(90%) يستوطنون الأرياف[5] من جهة،واستفراد فئات معينة من المجتمع بالثروة من جهة أخرى،ضف إلى الضرائب التي أنهكت المجتمع الأمرالذي كانت له انعكاسات سلبية على الواقع المعيشي أدّى إلى الهجرة وازدحام المدن التي هيمنت عليها فئات الحضر والكراغلة بحكم نشاطها التجاري والمالي.

2-المجتمع الجزائري ومقاومة الأمير عبد القادر: الإتجاهات والمواقف

إن النسيج الاجتماعي غير المتجانس من حيث التفاوت الطبقي والتمايز العرقي والتعدد الطرقي شكّل أهم التحديات التي واجهها الأميرعبد القادر في تجسيد رؤيته وتصوره للدولة والمجتمع و المقاومة ،من منطلق مواقف القوى الفاعلة التي شكّلت عائقا أمام مسيرته.

2 -1- موقف الأتراك والكراغلة والحضر:

أ - موقف الأتراك والكراغلة:

نظرا لإعتبارات سياسية واجتماعية واقتصادية وحتى نفسية،ظلت هذه الفئة بعيدة عن الاندماجفي المجتمع الجزائري،حيث ظل العثمانيون محتكرين للسلطة وصنعوا واقعا

---

(1): سعيدوني ،ناصر الدين ،المرجع السابق،،ص.112.

(2): نفسه،ص.108.

(3): نفسه،ص.109.

(4):أنظر:سعيدوني،ناصرالدين،وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عليها،في :المجلة التاريخية المغربية،تونس،العدد7-8،جانفي،1977.

(5): سعد الله،أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص.150.

إجتماعيا وثقافيا كرّس التباعد بينهم وبين فئات المجتمع، ضف إلى ذلك الاختلاف الذي طرأ على الأجيال المتعاقبة، فإذا كان الجيل الأول همّه الجهاد وتحرير البلاد[1] فإن الجيل الأخير أضحى همّه جمع المال والاسترزاق،أما فئة الكراغلة فقد ظلت تبحث عن التموقع وتناظل من أجل الحقوق السياسية منذ العهود الأولى للتواجد العثماني[2] لذا نجدها قد تمركزت في المدن الرئيسة مثل تلمسان والمدية ومازونة ومستغانم،بالإضافة إلى كراغلة واد الزيتونالتي شكلت قوة حربية لا يستهان بها.إن سلوك هذه الفئة يتضح من خلال إحدى رسائل الأمير عبد القادر إلى السلطان العثمان"ثم ذهبوا(أي الفرنسيين)إلى تلمسان (كذا) باتفاق الينشري(كذا) الذين بها،وما من مدينة من مدن الإسلام دخلها الكفار إلا كان الينشري (كذا) هم دعاتهم ومراسيلهم(كذا) ".[3]

لقد حسمت هذه الفئة خيارتها منذ بداية الاحتلال ورأت أن مصلحتها تكمن في المهادنةوالانضمام إلى صفوف الفرنسيين بحكم عدة إعتبارات أهمها زوال الإمتيازات

التي كانت تتمتع بها إبان العهد العثماني وخوفهم من السكان بحكم سلوكاتهم إبان الحكم العثماني اتجاه الجزائريين من منطلق أنهم أنهم شغلوا مناصب إدارية حساسة،لذا فقد حاولت هذه الفئة المحافظة على تميزها وهذا ما ترجمه موقف كراغلة تلمسان من مقاومة الأميرحيثأعلنوا خضوعهم للفرنسيين واستقبلت قلعة المشور[4]حوالي (500) جندي[5]ونفس الحال بالنسبة لكراغلة مازونة الذين رفضوا الانضمام تحت لواء الأمير وطاعة خلفائه سيدي قدور بن حفص (1838م) وعبد القادر بن قبلي،الأمرالذي دفع الأمير إلى مهاجمتهم وإشعال النار

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.288.

(2): مرّ الحكم العثماني في الجزائر بأربعة مراحل:المرحلة الأولى مرحلة البيلربايات،والثانية مرحلة البشوات،أمّا الثالثة مرحلة الأغوات وأخير مرحلة الدايات،وتتميز الطبقة العثمانية التي قادت المرحلة الأولى بالقوة والتفاني في خدمة مبادئ الجهاد،أنظر:حرب،أديب،التاريخ العسكري والإداري،مرجع سابق ص.ص.33- 35.

(3): زكية،زهرة،المرجع السابق،ص.229.

(4):قلعة بتلمسان

(5):سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،المرجع السابق،ص.229.

في مساكنهم ونقل بعضهم إلى تاقدامت[1]،أما فيما يخص كراغلة مستغانم فقد تحالفوا مع كلوزيل تحت قيادة بوشناق الكرغلي وشاركوا معه في معركة البطحاء،فما كان من الأمير إلا أن طلب من سكانها إخلائها، ولم تبق فيها إلا الفئة المنحازة للمستعمر ليشن عليها هجوما بعد ذلك في شتاء(1840م) وتبعه خليفة معسكر في صيف(1841م)[2]، ونفس الموقف أبداه كراغلة واد الزيتون الذين توجه إليهم الأمير قائلا:"أنه طالما عاملت إعوجاج قبائل واد الزيتون بالاستقامة وعاملتهم على مابيني وبينهم من الإساءة بالمعاملة الحسنة فلم يزدهم ذلك إلا اعتداءا وإصرارا مع علمهم...وإننا دافعنا الأعداء بالمال والبدن،وقد خالفوا فحالفوا أعداءنا في الدين ومنعوا الزكاة والعشر المفروضة عليهم شرعا لبيت المال"[3] لقد استغل المحتل التباعد بين العرب والأتراك ليرسخ قدمه في الجزائرحيث يقول المارشال

فالي[4]في هذا الصدد:"البغض الذي يفصل هاتين القومتين التركية والعربية على الرغم من رباط العقيدة الذي يجمع بينهما كفيل بأن يتحول إلى تنافس وغيرة ستمنعهما من الاتحاد".

ب -موقف الحضر:

لقد اتضحت ملامح موقف فئة الحضر بتكيفها منذ البداية مع الواقع الذي نجم عن الاحتلال حيث يقول محمد الصالح العنتري:" بعد سقوط برج مولاي حسن عظم الأمر على الداي حسين باشا...فبعث إلى ناس الجزائر من العلماء والأكابر فقالوا نحن نقاتل بأنفسنا وأولادنا حتى نموت جميعا ولا نفرط في بلادنا...ولما انفصلوا من عنده تكلم التجار الكبار(وهم أعيان

---

(1): من المدن الأولى التي بنيت في افريقيا،كان يحكمها أجداد الأمير،تقع خرائب المدينة القديمة على 8 أقدام من مستوى المدينة،تبعد60 ميل جنوب شرق وهران،وضع الأمير بها أولحجر 30 ماي 1831م، كانت مركز تجاري بين التل الصحراوي تسكنها عائلات عربية وأندلسية وكرغلية من معسكر ومستغانم،أنظر:سكوت،مذكرات الكولونيل،سكوت،المصدر السابق،ص.83.

(2): بن عبد القادر الأمير،محمد،تحفة الزائر،مصدر سابق،ص ص173-252.

(3): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.230.

(4):ولد في17ديسمبر1773ببرايان لوشاطو،توفي في 16أوت1846م،تقلّد عدة رتب في الجيش الفرنسي حتى وصل إلى ماريشال وخلف دامريمون.

جماعة الحضر)فيما بينهم قائلين حين تمكن الفرنصيص من برج مولاي حسن لم يبق ينفعنا معه فتن وإن تبعنا كلام حسين باشا كان الضرر علينا وتضيع تجارتنا التي في البلدان والتي هي في أيدينا،ولكن نعمل تأويل الذي بنا..تكلوا مع المارشال بورمو فسلموا له البلاط بشرط[1]" يرى سعيدوني ناصر الدين أن أساس قوة الأسر الحضرية تكمن في نشاطهاالتجاري ويعود إلى خدماتها الثقافية مما أعطاها القابلية في التكيف مع الاستعمار وأقرب ما تكون إلى موقف العمالة ،فارتبط تشهير حمدان خوجة بتعسف الإدراة الفرنسية في مدينة الجزائر بالدفاع عن أملاكه،وتحول رأي بوضربة وغيره إلى موقف حيادي إن لم

يكن مبررللمحتل عندما قال أمام اللجنة الإفريقية[2] "الأفضل أن لا يحكم الجزائري أخاهالجزائري".

أما في تلمسان فقد لاحظ الضابط كافينياك[3]أن الحضر هناك من يرغبون في التعايش مع الكراغلة ولا يعارضون وجود سلطة فرنسية توفر لأمن و تضمن التعايش بين الفئتين،إن هذا الموقف المريب من حضرتلمسان دفع بالأمير إلى أخد الحيطة والحذر في تعامله مع هذه الطائفة،لذاسارع في إنشاء مدن جديد يكون سكانها من القبائل التي يثق فيها الأمير على حد تعبير الباحث سعيدوني ناصرالدين[4]،على ضوء ما سبق يمكن القول أن موقف الحضر من مقاومة الأميرعبد القادر تحكمت فيه عدة معطيات من أهم عامل المصلحة بحكم نشاطهم الإقتصادي،إضافة إلى ضعف الوازع الديني نتيجة بعدهم عن المراكز الروحية التي إستفاد من تأطيرها سكان الريف الذين أبدو مقاومة منقطعة النظيربرغم من هذا فقد سعى الأمير لاحتواء هذه الفئة من أجل الاستفادة من خبراتها ومؤهلاتها وتوظيفها لصالحه إلا أن عامل المصلحة وارتباطهم بنشاطهم التجاري والخدماتي حال دون ذلك.

2-2 - موقف قبائل المخزن:

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.231.

(2): لجنة تحقيق بعثتها الحكومة البارزية إلى الجزائر(1834م)وكان من بين توصياتها فكرة الاحتلال المحدود.

(3): M.Emirit ,op.cit,p.116.

(4): سعيدوني،ناصرالدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.233.

لقد كان لقبائل المخزن بالناحية الغربية المعروفة بالدوئر والزمالة والتي من أبرز قادتها مصطفى بن اسماعيل وابن أخيه المزاري موسي محمد بن داود ومحمد بن الإسماعيل بن القاضي[1] تأثيرا سلبيا ساهم فـي تقويض مقاومة الأمير عبد القادر بحكم مؤهلاتها وخبرتها الإدارية والعسكرية[2]،فلقد شكلت القوى الضاربة التي بفضلها بسط العثمانيون نفوذهم على كامل الأيالة،وحظي بالمقابل بامتيازات ورعاية خاصة من حكامها.

ذكربن عودة المزاري عن موقفهم في قوله:"ولما انعقدت البيعة للأمير كاتب مصطفى بن اسماعيل بمخزنه للإذعان له بالطاعة والدخول تحت حكمه ليكون واحدا من الجماعة فأبى ابتداءا ولبى ثانية لما رأى الناس بايعته جهارا...وقال له أخوه الحاج الحضري وابن أخته الحاج المزاري وأخوه من أمه ولد قاضي إن امتنعنا يلحقنا منه لوم كثير ومن الحواضر والبوادي"[3] كما ورد عنه أنه قال:"إن هؤلاء الذين كانوا خدمي أضحوا أندادا لي يحق لهم الكلام قبلي وبصوت أعلى من صوتي وإني لأقسم أن وجهي لن يقابل وجوههم أبدا"،[4] ويرى تشرشل أن موقف مصطفى بن اسماعيل نابع من الغيرة[5]والحرص على الزعامة.

ولما تمكن الأميرمن بسط نفوذه حاول بن اسماعيل الخضوع إلى سلطان المغرب[6]،ولما فشلت محاولته لجأ إلى المستعمر وعقد اتفاقية مع تريزل[7]في (03 ربيع الأول 1251ه الموافق ل 16 جوان 1835م) بنحو 11 مادة تعلن أنهم أصبحوا رعايا أجانب،الأمر الذي أثار الأمير عبد القادر واعتبره خرقا لاتفاقية دي ميشال،حيث راسل هذا الأخير قائلا:"إن

---

(1): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدر سابق،ص.67.

(2): سعيدوني،ناصر الدين،عص الأمير،المرجع السابق،ص.203.

(3): المزاري الآغا،ابن عودة،طلوع سعد السعود،ص.107.

(4): Lacheraf,M,l'Algérie nation et société,SNED,Alger,1978,p.56.

(5): تشرشل،هنري،مصدر سابق،ص.49.

(6): المزاري الآغا،ابن عودة،المصدر السابق،ص.113.

(7): جنرال فرنسي(1860-1786م)بدأ خطواته الأولى في الجيش مع نابليون،وأشرف على معركة المقطع ضد الأمير،عيّن كوزير للحرب1835،ينظر:الزبيري،العربي،الكفاح المسلح، مرجع سابق،ص.19.

الدوائرو الزمالة رعيتي ولي الحق أن أفعل فيهم ما أشاء"،[1]ويعلق رونوفسكي البولندي على هذا الموقف:"عوضا أن يتخذ شيوخ المخزن موقفا مشرفا بالانضواء تحت قيادة هذا القائد الثائرمن أجل طرد الغزاة فإنهم كانوا يخدمون وبكل إخلاص وغيرة الفرنسيين[2]. القائد".[2]

إن موقف قبائل المخزن يتناقض وشرف الإنتماء بل وحتى مع نخوة الفروسية وهذا ما عبر عنه دي ميزن الذي أبدى استغرابه من ميل عشائر المخزن للفرنسيين[3]،وفي نظر سعيدوني ناصر الدين موقف قبائل المخزن لا تفسره سوى المصلحة الذاتية ولا يستند إلا إلى الخلفيات التاريخية التيورثتها الجزائرعن العهد العثماني،لقد فقدت قبائل المخزن الإمتيارزات التي كانت تحظى بها إبان فترة الحكم العثماني لم تستطع التموقع والتكيف مع المعطيات الجديدة،لقد ترتب عن هذا الموقف نتائج سلبية انعكست على المسيرة الجهادية للأمير حيث ساهمت في إستنزاف المقاومة،تجلى ذلكمن خلال الخسائر التي لحقت بجيش لأمير عبد القادر كمعركة جعافرة (11 نوفمبر 1843م)،إلا أنه تمكن من إلحاق هزائم متتالية بفرسان المخزن كمعركة (المهاريز 12 جوان 1834م)[4].

2-3- موقف الطرق الصوفية

تباينت مواقف الزوايا و الطرق الصوفية من مبايعة الأمير وجهاده ضد المحتل ومن رؤيته السياسية وتصوره لإدارة البلاد بين التأييد والمعارضة وإلتزام الحياد،الأمرالذي شكل أهم التحديات التي واجهتها المقاومة الجزائريةوأبرزالعقبات أمام الوحدة الوطنية والسياسية.

---

(1): تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.94.

(2): سعيدوني،ناصرالدين،عصر الأمير،المرجع السابق،ص.236.

(3): نفسه،ص.23.

(4): نفسه،ص.236.

(5):للتعرف أكثر على مواقف الصوفية ،ينظر: سلطانة،عابد،التراتيبية الاجتماعية بباياك الغرب أثرها على مقاومة الأميرعبد القادر(1830م – 1847م)،مرجع سابق،ص.ص.202 – 229.

أ - الطريقة التيجانية:

يري سعيدوني ناصرالدين " أن الطابع الحضري للطريقة التجانية كان يتعارض مع توجهات الأميرالذي تقوم قوته على العنصرالريفي كما أن الطقوس الذي أخذ بها مؤسس الطريقة التجانية سيدي أحمد كانت في نظربعض فقهاء المرجعية الشرعية لدولة الأميرعبد

القادر تتنافى مع المبادئ الإسلامية"[1]،وفق هذا المنظورتكون الطريقة التجانية قد إصطدمت بالمرجعية السنية من منطلق الإنحراف والزيغ في بعض طقوسها كصلاة الفاتح والتي تعادل حسب إدعائهم ستة آلاف ختمة وتعادل كل تسبيحة في الكون كما يؤمن بعض أتباعها أن من يرى الشيخ مطلقا أو يوم الجمعة أو يوم الإثنين مضمون له الجنة وأن التيجاني أفضل أولياء الله منذ آدم[2]،إلا الخلاف الفقهي لم يمكن السبب الرئيس في إندلاع المواجهة بين الطرفين حيث ذكرصاحب التحفة "أن وفود من بني الأغواط الشراقة قدموا طاعتهم إلى الأميرفتقبلها وولى عليهم السيد الحاج العربي وردهم إلى بلادهم فأذعن الناس للخليفة وقبلوا ولايته ومشت كلمته في تللك النواحي إلا السيد محمد الصغيرالتيجاني ومن وافقه من الأغواط الغرابة فإنهم إمتنعوا من أداء الطاعة وجاهروا بالعصيان فبعث الخليفة بخبره إلى الأمير...فبادرإلى قمع هؤلاء الثائريين وتنكيلهم ليكونوا عبرة لغيره[3]"وعليه يمكن القول أن الخلاف الفقهي لم يكن الدافع الأساسي لحصارعين ماضي من منطلق أن الأميرلطالما دافع عن حرية الرأي ودعا إلى نبذ التقليد بل إن تحرك الأميركان نتيجة خروج الخليفة التيجاني عن الإمام الذي بايعه المسلمين مما يستوجب قتاله وفق أحكام الشريعة،فسار إليه الأمير في جيش قوامه ستة آلاف فارس وثلاثة آلاف من المشاة وضرب حصارا على المنطقة دام ستة أشهر دفع بتيجانيإلى الإستسلام'[4]فأمنه الأميربشرط أن يدفع التيحيني مصاريف الحصار وأن يقوم بإخلاء

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.239.

(2): الخطيب،محمد هاشم،النصيحة الإسلامية إلى المخدوعين بالتجانية،مجلة الفتح،عدد 480، 06 جمادى الأولى 1353ه،ص.197.

(3):محمد،بن عبد القادر،تحفة الزائر،ج1،المصدر السابق،ص.196.

(4):نفسه،ص.196.

المدينة في برهة أربعين يوما وله الحق في أن يأخذ أمواله المنقول دون إستثناء ولأهل المدينة الحق في مرافقته وفي المقابل يرفع عنهم الحصار ويرجع جيش الأمير بحوالي ثمانية أميال عن المدينة وفي الاخيران يكون ابن التيجيني رهينة عند الأمير إلى إتمام المعاهدة[1]،على ضوء ما سبق يمكن القول أن صراع مع التيجانية كان له نتائج سلبية على

مقاومة الأميرالذي أضاع الكثير من الجهد والمال والوقت في إنهائه،وإن كان الأمير قد أدار الصراع وفق رؤية بعد أن راسل تيجاني ونصحه بإلتزام الطاعة والعمل على حقن دماء المسلمين إلا أن التيجاني أعلن عن موقفه الصريح و الرافض للانضمام تحت لواء الأمير وذلك من خلال موقف شيخ الطريقة الذي أعلن :"ليعلم سلطانكم أنني لست ثائرا ولا عدوا ولكن صاحب طريقة لاتهتم إلا بالأمور الأخروية و أأكدمن جديد نوايانا الحسنة ولكن إذا أراد السلطان مقابلتي عليه أن يخترق جدران مدينتي ويشق صدور خدمي،"[2]إن موقف التيجانية كانت تغديه جملة من العوامل التاريخية والدينية والإجتماعيةبل وحتى النفسية،أما الخلفية التاريخيية فترجع للموقف العدائي من قبيلة بني هاشم التي تخلت في نظرهم عن الشيخ محمد التيجانيالذي استنجد بهم"[3]،ولم يقفوا معه ضد الباي حسن بن موسى في معركة العواجة[4].

إن الأمير لم يشن حملته على التيجانيين إلا بعدما توفرت لديه عدة معطيات ودلائل من أخطرها عثوره على رسائل التيجاني لأهل الأغواط يحرضهم فيها على الثورة ضد الأمير[5] وتأكد ذلك من خلال اقتراح سيدي محمد الحبيب(الصغير)سنة (1839م) على فالي تأييد إن ممبررات الحرب على التيجانية لخصها الأميرفي رسالته إلى خلفائه "...وقد توجهنا هذه المرة إلى الأغواط لجمع كلمتهم وإصلاح فسادهم فأظهر عامة أهلها غاية الطاعة والإنقياد

---

(1):محمد،بن عبد القادر،تحفة الزائر،ج1،المصدر السابق،ص.196.

(2): نفسه،ص.197.

(3):الجزائري ،الأمير عبد القادر،مذكرات الأمير عبد القادر،مصدر سابق،ص.103.

(4):الخطيب،محب الدين،الطريقة التيجانية على المشرحة ،في:الفتح،السنة9،العدد10،481 رجب1353ه ، ص.ص.222-224.

(5):مناصرية،يوسف،مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب(1847-1882م)،م وك، الجزائر 1990م ،ص.29.

ألا ما كان من التجيني[1] ومن انتمي إليه فإنهم تجاهروا بشقاق وتظاهروا بالتصدي عن الوفاق فامرناهم بالرجوع إلى الحق وحذرناهم من شق عصا الطاعة غير مرة وناشدناهم

الله في صون دمائهم وأعراضهم فلم يرجعوا عن غيهم بل صمموا على قتالنا واستعدوا لمحاربتنافخفنا إن أهملنا أمرهم من سريان هذاالفساد إلى غيرهم فيفوت المقصود الذي هو جمع الأمة على كلمة واحدة وطريقة متحدة فأخذنا في حصارهم والتضييق عليهم[2]"من خلال رسالة الأميرنستخلص جملة من الأبعاد أهم المرتكز الشرعي في حرب الأمير على التجيني،شفافية الحكم حيث قام الأمير بإعلام خلفائه بتفاصيل ماجرى[3]،إن الحرب عند الأمير ليست غاية في حد ذاتها فقد قام بمناشدة التجينى وأسدى إليه النصح عدة مرات وأخيرا عفوه وصفحه عن التجيني وأتباعه، لقد استنزف هذا الحصار قدرات الأميرحيثيذكر ليون روش في رسالته إلى قنصل معسكر في ماي 1838م:"إن الأميرفي حاجة إلى فترة تمكنه من جمع الضرائب لتعويض خسائر حملته على عين ماضي[4]"كما أشار المزاري في رسالته إلى كلوزيل27[4] نوفمبر 1833م:"إن الحاج عبد القادرمازال في عين ماضي والأعراش كلهم تفرقوا عليه".[5]

بـ الطريقة الدرقاوية:

يتركزنفوذ هذه الطريقة بالغرب والوسط الجزائري وعرفت منذ العهد العثماني برفضها

---

(1): لمزيد من الإطلاع حول موقف التجانية،ينظر: التلمساني،بن يوسف،الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر،(الحكم العثماني،الأميرعبد القادر،الإدارة الإستعمارية)،(1798م - 1700)
مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،معهد التاريخ،جامعة الجزائر،1998م.

(2): بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق، ص ص196-198.

(3): نفسه،ص.ص.196-198.

(4): ولد في 27سبتمبر(1224ه-1809م)بغرونوبل،وتوفي بنفس المدينة(1319ه-1901م)، استدعي إلى لجزائرفي1830م،تعلم العربية،وأصبح مترجم محلف،عمل كضابط في فرقة الحرس الوطني،التحق بالأميرسنة 1832م بغرض التجسس،أنظر:مناصرية،يوسف،مهمة ليون روش في المغرب ومحاولة لإيقاع بين السلطان مولاي عبد الرحمن والأمير عبد القادر(1847-1845م) في:مجلة التاريخ،عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير،الجزائر،1983،ص.25.

(5): Roches,L,op.cit,p295.

لسياسة الأيالة مما أدى إلى انتفاضتها وثورانها ضد النظام الأمر الذي أدى إلى استنزاف قواتها في محاربة البايلك[1]،وهذا ما جعل الأمير في موقع قوة حيث تمكن من السيطرة على الدرقاويين في نواحي الونشريس وجنوب التيطري إذ استطاع تشتيت قواة الحاج موسى بن حسن الملقب بأبي حمارة في أفريل 1834موعرفت انتفاضة الحاج مسعود الدرقاوي في المدية أفريل 1835م نفس المآل كما تمكن خليفته على مليانة ابن علال أن يضع حدا لعصيان محمد بن عبد الله البغدادي الذي ادّعى أنه المهدي في سنة 1838م رغم دعم قبائل أولاد مختار له.

ج ـ موقف الطريقة الطيبية والعيساوية:

لقد عجز الأمير عن كسب ولاء الطيبية بالمنطقة الجبلية للناحية الوهرانية إلا أن موقفها تميز بالمهادنة ولم يذهب إلى حد التدعيم[2]،أما الطريقة العيساوية فكانت ترى أن الوقت لم يحن بعد لإعلان الجهاد وأن أرض الإسلام سوف يحتلها النصارة ويحررها صاحب الساعة[3]إلا أن ظهور بومعزةفي نواحي الشلف سنة 1945م والذي وقع أسيرا في يد الفرنسيين 1847م يؤكد أن موقف الطريقة من الأمير لم يكن مبني على أساس اجتهاد ورؤية شرعية[4]، لقد تبنت قبيلة فليسة هذا الموقف ورفض زعيمها العريشي المبايعة وأصر على موقفه[5] فاضطر الأمير إلى تجهيز حملة من 5000 رجل وأمرهم بتجنب الحرق وإهلاك الزرع وقتل النساء والاطفال،وبعد أن تمكن منهم عفاعنهم وعن زعيمهم الذي قدم ابنه كرهينة[6]،مما سبق فإن موقف العيساوية تحكمت فيه عدة عوامل أجبرتها على مهادنة الأمير.

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.101.

(2):تشرشل،هنري ،المصدر السابق،ص.61.

(3):المصدر نفسه،ص.65.

(4):محمد،تحفة الزائر،ج1، مصدر سابق،ص.401.

(5):سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق ،ص.239.

(6): Nadir,Ahmed,op.cit,p.846.

ثانيا -تحديات الحرب

شكلت طبيعة الحرب التي خاضها المستعمر ضد الأمير عبد القادر إحدى أكبر التحديات التي واجهتها المقاومة،من منطلق أن المحتل أدار معركته وفق رؤية استراتيجية تعددت أساليبها وأدواتها تجردت فرنسا من خلالها عن كل الالتزامات الأخلاقية والإنسانية وحتى القانونية ،وفي المقابل بنى الأمير تصوره للمقاومة على مبادئ الشريعة ومعطيات الواقع فكانت حربه مشروعة،أخلاقية في وسائلها ،إنسانية في غاياتها،إن المسافة بين الرؤيتين عكست حجم التحديات التي واجهها، تحديات فرضتها طبيعة الحرب مع المستعمر الذي سخركافة إمكانتها المادية والبشرية وتبني مختلف الأساليب للقضاء على المقاومة، الأمر الذي إنعكس سلبا على صمود الجبهة الداخلية التي سرعان ما بدأ ولائها للمقاومة يضعف وبالتالي تمكن المحتل امن إختراقها ،مما أفرزت جملة من العقبات حالت دون تحقيق أهداف المقاومة.

1- المواجهة مع المستعمر: الآليات والأبعاد

1-1-المهادنة وأثرها في تغيير موازين القوى

تعتبرسياسة المهادنة نقطة تحول في حرب المحتل[1]،لذا فإن الوقوف على دوافعها و قراءة ظروفها وانعكاساتها وتحليل بنودها من شأنه أن يعطي صورة عن تطورالأوضاع ومدى استفادة الطرفين من الهدنة،كما يكشف عن جانب هام من شخصية الأميرعبد القادر التي اجتمعت فيها قوة الحرب ودهاء السلام،وبراعة الإجتهاد من خلال حرصه على ألا تخالف شروط الهدنة وبنودها الشريعة،كما تمكننا من معرفة التحديات التي أفرزها السلم.

أ- معاهداتالأمير مع المحتل: الأثار والتدعيات

أ -1- معاهدة دي ميشل

حصل الأمير من خلال المعاهدة على حصر التجارة الوطنية والدولية للقمح والحبوب[2]

---

(1):للتعرف أكثر على معاهدة دي ميشل ،راجع :العسلي،بسام،مرجع سابق،ص.ص.81 - 96.

وكذلك الزبيري،محمد العربي،تاريخ الجزائرالمعاصر،مرجع سابق،ص.ص.12 -16.

(2): اتين،برونو،عبد القادر الجزائري،المرجع السابق،ص.180.

وعيّن عبد القادر مردخاي بن دران الموسوي[1]وكيلا له في الجزائر،كما منحت المعاهدة الأميرفرصة ثلاث سنوات لتنظيم إدارته ومكافحة أعداء الداخل[2]،فقوى بذلك وضعه وباشر في بناء دولته[3]،وتعزيز قوته العسكرية،وتطويرعتاده الحربي وبخاصة ما يتعلق بالبارود[4] كما مكّنت الأميرمن فكّ الكثيرمن الأسرى،واقتناء السلاح والحصول على العتاد الحربي من المراكزالفرنسية إضافة إلى ذلك ضمنت المعاهدة احترام عادات الجزائريين وحرية عقيدتهم وتنقلهم وذلك باعتماد نظام بطاقات السفر عليه ختم الأميرأو طابع القائد الفرنسي[5] ولكن بمقابل كانت لها تداعيات خطيرة على مستقبل المقاومة حيث دفعت ببعض القبائل إلى التمرد و رفض تقديم السند لجيش الأميربحجة مهادنة المستعمر،من جانب آخرفإن عقد إتفاقية مع قائدعسكري ذو صلاحيات محدودة ينقص من قيمة هذه المعاهدة الأمرالذي اتخذته الحكومة الفرنسية كمبرر لتجاوزها،لقد كان بإمكان الأميرالقضاء على الجيش الفرنسي في الناحية الغربية أوطرده من المنطقة وتحريرالساحل الغربي بحكم الظروف المساعدة وحماس القبائل وإقبالهم على الجهاد وتوحدهم تحت رايته الأمير عبد القادروإلتفافهم حوله،كمااستفاد دي ميشل من الهدنة حيث تخلّص من الحصارالإقتصادي وبدأ في تثبيت الوجود الفرنسي من خلال بناء البنى التحتية والمرافق العسكرية[6]،وقد سمحت هذه الفترة للفرنسيين بدراسة المجتمع الجزائري عن كثب عن طريق الوفد الفرنسي المعتمد لدى الأمير في معسكر كما أدّت حرية التنقل إلى اكتشاف العديد من المناطق في دولة الأمير بفضل البعثات العلمية ومغامرات الرحالة[7]وفي حقيقة الأمرنجد أن معاهدة دي ميشال أعطت الفرصة للفرنسيين لوضع خريطة معطيات عن إمارة الأميرومجتمعه بغرض استثمارها بالإضافة إلى ذلك منحت

---

(1): يهودي درس في باريس ومارسيليا،أنظر،برونو،اتين،مرجع سابق،ص.180.

(2): ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1،مصدر سابق، ص.ص.183-190.

(3): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير،مرجع سابق،ص.245.

(4): نفسه،ص246.

(5): نفسه،ص.208.

(6): Blondel,L,op.cit, ,p.69.

(7): أمثال الرحالة فنغر

المعاهدة الوقت الكافي للمحتل لبناء علاقات مع شيوخ القبائل الذين إستطاع المستعمرإمالة البعض منهم حيث رفضوا الإنصياع للأميروالإلتزام بالبيعة ودخلوا في صدام مباشرمع الأمير الأمر الذي دفعهإلى الدخول في حرب إستنزاف إنعكست سلبا على أداء المقاومة وفاعليتها.

ب- معاهدة تافنة

لقد تمكن الأمير من تحقيق العديد من المكاسب من خلال معاهدة تافنة في أولها اعتراف فرنسا بسيادة الأمير وتم بموجب هذا الاعتراف تبادل القناصلة[1] ،كما سمحت فترة الهدوء والسلام للأمير بتثبيت أركان دولته وتوسيع سلطته وتنمية الإمارة وإنشاء المؤسسات الوطنية[2]،كما تفرغ الأمير للقضاء على الفتن الداخلية وعلى المنشقين كالتيجانية في عين ماضي،واستطاع احتواء خلافات العشائر وتوحيد القبائل،كما أنشأ الأمير جيشا نظاميا قوامه 15000 جنديا منها 12000 مشاة و2500 خيالة و250 مدفعية و500 فارس[3] ،من جانب آخر تمكن المحتل من تجنب الأمير و واستطاع التخلص من مقاومته العسكرية[4]من منطلق أن المعاهدة هيأت الظرفلكسر المقاومة في الشرق التي تزعمها أحمد باي[5]،كما حققت فرنسا الأهممن خلال إعتراف الأمير عبد القادر بسيادتها على الشريط الساحلي المحتل[6]،كما منحت المعاهدة الوقت الكافي للمستعمر لإعادة هيكلة قواته ورسم إستراجيته ،حيث تمكن المحتل في هذه الفترة من جمع المعطيات الكافية عن المقاومة من خلال إختراق الجبهة الداخلية معتمدا على تجنيد وتوظيف العنصر المحلي لخدمة مشروعه الإستعمار تجلى ذلك من خلال تأسيس المكتاب العربية وانشاء الفرق العسكرية المحلية التي ساهمت في القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر.

---

(1): العربي،المنور،تاريخ المقاومة الجزائري،المرجع السابق ،ص.199.

(2): الزبيري،العربي،الكفاح المسلح في عهد الأمير،المرحع السابق ،ص.115.

(3): الخضير،ادريس،البحث في تاريخ الجزائر،المرجع السابق ،ص.138.

(4): الزبيري،العربي،مذكرة أحمد باي،حمدان خوجة وبوضربة،ص.111.

(5): Sehli Chériff,M ,l'emir Abdelkader mythes français et réalité Algérienne entreprise Algérienne de presse,Alger,p125.

(6): العربي،اسماعيل،المقاومة الجزائرية،مرجع سابق ،ص.140.

كما استغل المستعمر فترة الهدوء لتحقيق ما اصطلح عليه بالإحتلال المحدود النطاق كما تمكن بفضل هذه المعاهدة من القضاء على أحمد الذي لم يستطع الصمود أمام الحملات الفرنسية التي شتت صفوفه بحكم عدتها وعتادها[1] خاصة بعد تفرغ المستعمربشكل تام نتيجة تحييده الجبهة الغربية بقيادة الأمير عبد القادر.

2- الحرب الشاملة: قراءة في أخلاقيات الحرب عند المستعمر

لقد خاض المستعمر الفرنسي حربا استئصالية شاملة نظّر لها المفكرون وجسدها على الميدان العسكريون وباركها الساسة،استنزف فيها المحتل كل الوسائل والأساليب متجاوزا الأعراف الانسانية والقوانين الدولية من خلال سياسته القمعية والعقابية التي لم تستثنالمدنيين العزل من أطفال ونساءوشيوخ[2] ،ومن خلال ترسانته التشريعية التي أطلق عليها اسم القوانين الإستثنائية أو الخاصة[3] التي بفضلها ضيق المحتل الخناق على الجزائريين لقد تجلت مظاهرهذه الحرب في :

2-1- الأرض المحروقة

2-1-1- مظاهرها

إن حرب المحتل في الجزائر كانت حرب فرنسا كلها بمفكريها وفلاسفتها وأدبائها وعسكريها،فكانت حربا تدميرية ارتكبت فيها أشنع الجرائم وأبشع مظاهرالتعذيب،حيث يقول توكفيلفي تقرير له 1841م: "يجب أن ندمر تجارتهم وأن نمنع عنهم كل المبادلات التجارية وبعد ذلــك تأتي الوسيلة التالية وهي تخريب البلاد سواءا باتلاف المحاصيل في أوقات الحصاد أو في كل الأوقات التي تتطلب الغارات المباغتة والسريعة من أجل اختطاف العباد ونهب قطعان الغنم والبقر".[4]

(1): Blondel,L ,op.cit,p.p.69-75.

(2): عمراني،عبد المجيد،النخبة الفرنسية والثورة الجزائرية،دار الشهاب،الجزائر،د.ت، ص.124.

(3): شيبوط،ابراهيم،أحداث 20أوت1955،مجلة أول نوفمبر،الجزائر،العدد68.

(4): Tocquville(A,de) ,travail sur l'Algérie(1841)de la colonisation en Algérie,complexe Bruxelles,1988,p.62.

لقد لخص مهندس الحرب الشاملة الجنرال بيجورؤيته لسياسة الأرض المحروقة والتي تعد في نظره من أنجع الطرق لوضع حد لمقاومة الأهالي،في اكتساح الأرياف والمداشر للقضاء على السكان ونهب ممتلكتهم وتدميرأرزاقهم وحرق أملاكهم وإتلاف المحاصيل وإفراغ المخازن والإستلاء على المواشي وخطف الشيوخ والأطفال والنساء[1]،فالهدف الأساسي لهذه السياسية هو إحباط معنويات الجزائريين من جراء أوضاعهم وما يكابدونه من رعب وحوع وفرار مستمر ليسهل فيما بعد قهرهم و إخضاعهم ومن ثم إخماد الروح الثورية فيهم[2]،ومن مظاهر هذه السياسة الحملات المتتالية لعساكرالإحتلال لتطويق القبائل وإرهابها ففي 4 جانفي 1835م قاد لاموريسير بحملة شنيعة وهو في طريقه إلى الشفة مرورا ببوفاريك أين فتك بالسكان وأحرق كل ما وجده في طريقه[3] كما قام بيجو بإنشاء قوة خفيفة متحركة لتجسيد هذه السياسية حيث كانت تقوم بالتوغل في المناطق الوعره وتحرق المحاصيل[4] ولقطع التموين والإمداد عن جيش الأميرقام قوات الإحتلال بإستهداف مخازين الحبوب والقمح المنتشرة في الأرياف والدواويرفي هذا الإطارهاجم القائد لاموريسير قبيلة الحشم وقام بإفراغ المطامير من الحبوب واستولى على بهائم القبيلة بعد ان قام بالفتك بهم[5]،كما قام بتشريد قبائل أولاد علي وأولاد جبارة وأولاد خلفة والإستلاء على ممتلكاتهم وإفراغ المطامير من الحبوب[6] بالإضافة إلى قبيلة بني عامرالتي استولى على ممتلكاتها ونهب مخزونها من الحبوب،ونظرا للكميات لهائلة من الحبوب قام الإحتلال بتصديرها إلى أنحاء أوربا[7]،ولتأمين نفسه حرص المحتل على تجسيد هذه السياسة حول الجزائر وضواحيها،في هذا الشأن المستعمر بحرق المزارع

---

(1): A.Tocqueville,op.cit,p.30.

(2): P.Azan,Bugeaud etl'Algerie,ed,Maginot,Paris,1930,p.69.

E.Kaller,le general de la moriciere sa vie militaire,politique et religieuse,ed,Haton,Paris, 1874,t_1,p.112. :(3)

R.Demont,Histoire de la conquete de l'Algerie de 1830-1847,t_2,p.76. :(4)

I.Derrien,les Français,a Oran de puis 1830 jusqua nos jour,op.cit,p.141. :(5)

W.Estirazy,Notice historique sur maghzen d'Oran,op.cit,p.117 (6)

J.Ladmir,op.cit,p.240. :(7)

المحيطة بها ونهب المواشي واستولى على محصول الحبوب[1] وذلك بغية تجويع القبائل المحيطة بالجزائروتركيعها ودفعها للإستسلام ودعم المحتل وبالتالي تشكيل طوق أمني حول العاصمة[2] لحماية العسكر الفرنسي والمستوطنين، لقد حرص الجنرالبيجو بنفسه على تطبيق هذه السياسية حيث قام بمطاردة بعض القبائل المساندة للأمير[3]من بينها قبيلة فليتة والحشم واستولت على مخزونها من القمح والحبوب وقام بتدمير قرية القيطنة وقام بحرق زاويتها[4]،كما قام بالهجوم على القبائل في جنوب مليانة ونهب ممتلكاتها وأحرق محاصيلها واستولى على ماشيتها وخطف نسائها،ومن بين القادة الفرنسيين الذين أسهموا في إنجاح هذه السياسة نجد العقيد سانت أرنو الذي قام في 02 جوان 1843م بمهاجمة قبائل بني محابس وبني سليمان[5]،وفي 17 أوت 1845م هاجم قبيلة صبيح واستولى على 1000 رأس من الماشية واختطف حوالي 250 شخصا وحرق الاكواخ والأشجار[6] إضافة إلى العقيد شونقرنيوالنقيب ولسن والجنرال دارلونج الذي قاد عدة حملات ضد القبائل المساندة للأميرعبد القادر كقبيلة بني عامر[7]،و الجنرالفالي والجنرال ليتان الذي قاد عدة حملات استولى من خلالها على مخزون الحبوب والقمح لعدة قبائل[8]،لقد اقتصرنا على ذكربعض القادة الذي ساهموا بشكل أساسي في إنجاح سياسة الارض المحروقة بحكم الجرائم الفظيعة التي اقترفوها في حق الجزائريين.

2-1-2- إعترافات القادة الفرنسيين

تحدث العديد من المصادر التاريخية الأجنبية والمحلية عن الجرائم الشنيعة والأفعال لا

J. Ladmir,op.cit,p.240. :(1)

T.Changarnier,Mémoire du general changarnier,op.cit,p.21. :(2)

R.Demont,op.cit;t_2;p.98. :(3)

Ibid,p.82. :(4)

Q.Lepine,le marichal saint arnautd'apres sa correspondance et enidits annees de jeunesse la conquete de l'Algerie1798-1850,p.314. :(5)

Ibid,p.364. :(6)

W.Estirazy,po.cit,p.124. :(7)

Ibid,p.75. :(8)

تحدث العديد من المصادر التاريخية الأجنبية والمحلية عن الجرائم الشنيعة والأفعال لا إنسانية التي في حق الجزائريين،كما قام القادة الفرنسيون بتدوين ما ارتكبوه في حق القبائل العزل ويظهرأن الدافع من وراء عملية التدوين الندم على تلك الممارسات اومن باب تقديم الحقيقة التاريخية في هذا الإطاريقول الرائد ليو" كان من نتائج الحملة التي دامت من 04 ماي إلى غاية 20 ماي واستهدفت سهل الشلف تدميرالعديد من القرى وإتلاف كميات كبيرمن المحاصيل وإني نادم على هذه الأعمال التي اقترفتها"[1] ويقول الضابط بوتايو"لقد أضرالمستعمربفلاحي أرياف البليدة إذ دمر بيوتهم واتلف محاصلهم "[2]،ويؤكد الضابط ليوهذه الممارسات حين يقول"لقد دمرت وأحرقت العديد من الدواوير واتلفت أشجار الزيتون و التين"[3] أما دي كاستيلان فيصف في تقريره إلى الجنرال بيجو ما حل بمنطقة الظهرة قائلا"أتلفنا المحاصيل الزراعية والأشجارالمثمرة ..."[4]،مما سبق يمكن القول أن إعترفات هؤلاء القادة هي في حد ذاتها توثيق للجرائم التي اقترفوها في حق سكان الجزائر العزل الذين أنهكتهم الإستراجية الإستعمارية ودفعتهم للتخلي عن مساندة المقاومة.

2-1-3- نتائجها

لقد إستطاع المستعمر بفضل هذه السياسة محاصرة القبائل وقطع الدعم والغمداد عن جيش الأمير كما استطاع تحييد القبائل وكسب مسنادة البعض الآخر في حربه ضد الأميرعبد القادر،فهذه الممارسات لا أخلاقية دفعت بالقبائل إلى العزوف عن المقاومة حفاظا على أعراضهم وممتلكاتهم وطلبا للأمن والإستقرارمثل ما هو الحال لقبائل سبدو الذين أعلنوا

خضوعهم للإحتلال[5] كما إنضم العديد من قادة وشيوخ القبائل إلى قوات الإحتلال، وخلاصة يمكن القول ان سياسة الأرض المحروقة حققت نتائجها من خلال إضعاف المقاومة الجزائرية

---

(1): الأشرف،مصطفي،المرجع السابق،ص.110.

(2): W.Estirazy,op.cit,170.

(3): الأشرف،مصطفى،المرجع السابق،ص.109.

(4):المرجع نفسه،ص.110.

(5): H.D'estre,les conquerants de l'Algerie 1830-1850,op.cit,p.109.

وتفكيك الجبهة الداخلية وتشريد الجزائرين واستقطاب العديد من الشيوخ والقبائل للوقوف ضدالأمير،وهذا ما يؤكده بيجو حين يقول" لا بدا من إخضاع الأمير والقضاء عليه فهو عثرة في طريقنا لتحقيق أهدافنا وما دمنا لا نعرف سر قوة الأمير،فعلينا بمواجهته بحرب شاملة ولهذا الغرض علينا أن نتحررمن أفكارنا لإنجاز المهمة يإستخدام كل الوسائل المتاحة 1"

2-2- الإبادة الجماعية:

شنّ المستعمر حرب إبادة منظمة على السكان وبتوجيه من قادة الجيش ارتكبت مجازر جماعية استهدفت مئات السكان والقبائل الجزائرية[2]،وفي هذا الصدد يذكر المارشال سانت آرنو[3]على لسان الجنرال بيجو:"حربنا في الجزائر ليس حرب طلقات رصاص ولكن هي حرب تجريد العرب من مصادر العيش،والقضاءعليهم [4]"،لقدتم تعيين الجنرال بيجو في فيفري 1841م وزود بقوات ضخمة،ومنحت له كل الصلاحيات للقضاء على مقاومة الأمير وإبادة القبائل الموالية له،لقد اتخذت حرب الإبادة التي انتهجها بيجو عدة أشكال،فمن التقتيل الوحشي والهمجي بغرض الإخضاع إلى التقتيل الإنتقامي بعد كل إنتفاضة إلى التقتيل الإستباقي لإخماد الثورات في حينها ومحاصرة الثوارإلى التقتيل بغرض الإستلاء على الممتلكات ونشر الرعب لتهجير السكان وقطع الإمداد عن المقاومة.

2-2-1-الإبادة من منظورالفكرالإستعماري

إن الإبادة كممارسة وسلوك إستعماري ماهي إلا نتاج فكر متجدر ميز الموروث االثقافي الغربيوعكس الوجه الآخرللحضارة الغربية،فرغم ما عاشته أوربا من تحولات فكرية

---

(1): دبوز،محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة،ج1،ط1،المطبعة التعاونية،الجزائر 1965م،ص.10.

(2): ولد بباريس(1798م)عرف بلورواسان أرنو،شارك في حرب اليونان،وبعد عودته التحف بالجيش وشارك في الحملة على الجزائر،له مؤلف(الشرف الضائع)توفي(1854م).

(3): بوعزيز،يحيى،ثورات القرن19و20،ج1،ط1،مرجع سابق،ص.ص.19 – 20.

(4): ولد خليفة،محمد العربي،المحنة الكبرى،الديوان للمطبوعات المدرسية،الجزائر، 1999 ،ص.14.

حررت الرجل الأروبي الذي ثار من أجل العدالة والحقوق إلا أنها في المقابل أطرت سلوكاته و توجهاته،وتمكن الفلاسفة والأدباء والمفكرين من إعادة صياغة العقل الغربي بعيدا عن المبادئ والأخلاق وبرغم من أن الإستعمارظاهرة منافية للقيم الحضارية التي ناضل الغرب طوال قرون من أجل ترسيخها إلا انه يمكن القول أن تطور الغرب كان على حساب حرية الشعوب وخيراتها لذا حاولت الكتابات الغربية تبريرالأعمال الوحشية التي ارتكبها المستعمر وفق هذا المنظور فإن الفكري الغربي تعاطى مع الإبادة كظاهرة لها ما يبررها ضمن هذا السياق يقول بوجولا:"إذا حاربت الحضارة بأسلوب غير إنسانيفهي مجبرة "[1]،ويري لامورييسيير أن:" الحرب عمل تبشيري لاينفع معهالحكمة والتعقل دون الخراب"[2] ويوضح بيجو الجذور التاريخية لظاهرة الإبادة حين يقول" إن الحرب التي يجب أن نخوضها في إفريقيا لا بدا أن تكون شبيهة بحرب الإفرنج والقوط[3]"وقد ترجم بيجو قناعاته على أرض الواقع، ويذهب دوطوكفيل إلى حد تمجيد الأعمال الوحشية ويحرض الجنود على إرتكبها لأنها من وجهة نظره مظهرمن مظاهر الإخلاص للوطن[4]،أما شونقرني فيرى الإبادة عمل حضاري ولا يمكن لأي دولة فرض هيمنتها من دون اللجوء إلى هذه الممارسة[5]تأسيسا على ما سبق يمكن القول أن الإبادة سلوك إستعماري نظرله المفكرون وشجعه الساسة ومارسته نماذج بشرية منحرفة متوحشة ومتعطشة للدماء،مما

سبق تتجلى لنا حقيقة الإستعمار ورؤيته للآخر وتتضح لنا معالم ومشروعه التدميري الذي لا علاقة لها بالتحضر.

2-2-2- أهداف حرب الإبادة

لقد سعى الجيش الفرنسي من خلال إعتماده إستراتجية حرب الإبادة إلى تحقيق جملة من الأهداف ذات جوانب متعددة ففي المجال الثقافي حاول المحتل بعث وإحياء أمجاد الغرب

---

(1): الأشرف،مصطفي،المرجع السابق،ص.265.

(2) A.Bernard,l'Algerie histoire des colonies de la France dans le monde,ed,alcan,Paris,t_2, p.208.

(3): G.De bussy,po.cit,t_1,p.131.

(4): A.De toqueville,op.cit,p.93.

(5): T.Changarnier,po.cit,p.

يتضح ذلك من خلال حرب الإبادة الممنهجة التي نظُرلها الجنرال بيجو[1]والتي عكست الإرث التاريخ الذي توارثته أجيال الغرب،أما الجانب الإستراتيجي فيتمثل في القضاء على مقامة الأمير ومحاصرة جيشه وقطع كافة أشكال الدعم والمساندة وذلك من خلال إستهداف القبائل الوفية للأمير و التي تغذي الانتفاضات،وفي الجانب الإقتصادي استهدفت الإبادة القبائل الغنية بثرواتها وبجودة أراضيها تمهيدالإستطانها،حيث يذهب روزيت إلى القولا ان لا مناص منمن إبادة جميع السكان في جبال بني مناد وشنوة[2]ويتمثل الهدف النفسي والإعلامي في إرهاب السكان وبث الرعب والهلع في صفوف السكان بارتكاب أبشع الجرائم التي عكست بربرية المستعمرالفرنسي لحد وصف الكونت ديريسون في كتابه(مطاردة الإنسان) قائلا:"لقد أتينا ببرميل مملوء آذانا غنمناها أزواجا من الأسرى"[3]ومن نماذجنا الإبادة نذكر على سبيل المثال:

2-2-3- نماذج من الإبادة

أ - إبادة سكان البليدة في 26 نوفمبر 1830م

وقعت هذه الجريمة كرد فعل على هجوم المقاومة على الحامية الفرنسية بالمدينة حيث قام المستعمر نتيجة لذلك بالانتقام من السكان العزل وكان ذلك يوم (26نوفمبر1830م) إذ أصدر بروليز أمرا إلى وحداته العسكرية بالبليدة فأقدمت على تقتيل جميع سكانها البالغ عددهم قرابالألفين مواطنحيث أضحت هذه المدينة مدمرة[4]والجثث مرمية في كل مكان ويصف أحدالمشاركيين في الجريمة الوضع بأن البليدة حوصرت حصارا شديدا وكنا نقتل كل من يحمل السلاح كما قامت الحامية بذبح النساء والاطفال[5].

---

(1): A.Bernard,l'Agérie,felixe,alcan,Paris,1929,p208.

(2): Rozetvoyage dans la regence d'Alger,ou description du pays occupé, (C,A). Bertrand,Paris,1833,p14.

(3): بوعزيز،يحيى،رواد المقاومة الوطنية في القرن19،طح،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر،2004،ص.24.

(4): Ch-Ajulien,Histoire de l'Algerie contemporaine ……..1827-1871 ,op,it,p.66.

(5): E,Kaller,op.cit,p.40.

ب - إبادة قبيلة العوفية بواد الحراش ومصادرة ممتلكاتها(15 أفريل1832م):

مهندس هذه الإبادة هو الجنرال دو روفيغو[1]الذي قام بمحاصرة القبيلة ليلا وألقى القبض على شيخها ربيعة ثم قتل جميع أفرادها في مذبحة رهيبة والناس نيام[2]،وبيعت كل أرزاقهم لقنصل الدانمارك،وباقي الغنيمة عرضتفي سوق باب عزون،وكان يظهر في هذا المنظر الفضيع أساور النساء في معاصم،وأقراط آذان لاصقة وأشلاء اللحم متدنية منها،ثم يوزَع ثمن هذا البيع على ذابحي أصحابها،وفي مساء ذلك اليوم أمرت السلطات السكان بإضاءة محلاتهم إحتفالا بذلك اليوم.

ج - إبادة قبيلة بني صبيح:

لقد طارد المستعمر قبيلة بني صبيح التي لجات إلى المغارة مع ما تملك من متاع وحيوانات ثم قام المحتل بتكديس الحطب عند مدخل المغارة وفي المساء قام بإضرام النيرانبعد أن حاصر المغارة[3] فهلك كل من كان في الداخل [4].

د - إبادة قبيلة أولاد رياح بجبال الظهرة[4]:

منفذ هذه الجريمة هو القائد بليسيه بعد أن قامت انتفاضة بناحية الظهرة عرفت بانتفاضة الطرق الصوفية وكانت قبيلة أولاد رياح تقطن جنوب تنس فغزاها بليسيه بعد أن فرّ ما تبقى من السكان واحتموا بغار يقال له الفراشيش وكان عددهم أكثر من (1000) شخص رجالا ونساءا وأطفالا وشيوخا مع حيواناتهم،فحاصرهم بليسيه وجنوده،وطالب القبيلة بالاستسلام

2-3- التدمير والتهجير:

لقد كان لهذه السياسية أثارا سلبية على المجتمع الأمر الذي انعكس على صمود المقاومة

---

(1): جنرال فرنسي تولى أمور الجزائر بين 31 ديسمبر1831-مارس1833م،ارتبط اسمه بإبادة قبيلة العوفية،مات بعد أن أصيب بالجنون.

(2): Pellissier,deReynaud,op.cit,p.246.

(3):.P,L.Bernard, ,les deux villes de Ténes et boumaza,bastid Alger,1864

(4):سعد الله،أبو القاسم،الحركة الوطنية،ج1، مرجعسابق ،ص.180.

إتبع المستعمر منذ بداية الاحتلال سياسة النهب والسلب والتوسع[1]كأسلوب للدفع بعملية الاحتلال،وهذا بشهادة الضباط الميدانيين الذين مارسوا أشنع أساليب التعذيب والتدمير،حيث يقول مونتانياك:"لقد محى الجنرال لاموريسيير خمسة وعشرون قرية في خرجة واحدة إنّه عمل أكثر انعدام للإنسانية"[2]ويقول الجنرال كونروبير:"ينفذ جنودنا هذا التدمير بحماس،إنّ هذا العمل البربري والتخريب له عميق التأثير على أخلاق الجند وهم يذبحون ويغتصبون"[3]إذا يمكن القول أنّ التدمير والتخريب كانا سياسة وتصورا وفكرا قبل يوليو1845محيث قامت الآلة الإستعمارية بإتلاف كل ما وجدته في طريقها من محاصيل ومواشي ومطاميرفقد كان القتل والنهب والحرق انجازا في نظر الجنود فالبطولة والمجد في نظر منظري الإستعمار يكمن في القيام بأعمال وحشية ودموية،لقد كان لهذه السياسة انعكاسات ديمغرافية واقتصادية واجتماعية[4]، حيث أدّت إلى تخريب وتفكيك البنىالاجتماعية بسبب عملية التهجير التي قضت على المفاهيم القبلية والعروشية أما الاقتصادية فتتمثل في

افقار شرائح واسعة كانت تعتمد على الأرض وذلك بالإستيلاء على ممتلكاتهم، حيث أصدر كلوزيل عدّة مراسيم تبيح سلب الأملاك العقارية[5]،وقام من بعده بارتيزين[6] بتسليمها للمعمرين، إنّ هذه الاستراتيجية شكلت عائقا وتحديا لسياسة الأمير من عدة زوايا تمثلت في انعدام الدعم الذي كانت القبائل تمنحه للأمير ماديا وعسكريا ومن الأمثلة على ذلك:تأثر قبائل بني عامر بالحرب التخريبية التي مورسها المستعمر عليها،حيث تسببت فيفقدان أهالي المنطقة 1000رأس من البقر لأولاد

---

(1): بوعزيز،يحيى،سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية،مرجع سابق،ص.07.

بنظر K.Djamel,colonisation et politique d'assimilation en Algérie(1830-1962)

édditions,casbah,Alger,2004,p.80.

(2): .A.de.Tocquville,op.cit,p.93(3): بوعزيز،يحيى،سياسة التسلط الاستعماري،المرجع السابق،ص.35.

(4): .A.de.Tocquville,op.cit,p93

(5): فركوس،صالح،تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، المرجع السابق،ص.198.

(6): جنرال فرنسي(1847-1775م)شارك في حروب الثورة وفي جميع الحملات التي نظمها نابليون،ويقول عنه حمدان خوجة أنّه كان يعرف قوانين الحرب،أنظر:خوجة،حمدان،المرآة،مصدر سابق، ص.198.

وحدها[1]الأمرالذي دفع بها غلى تغييرسياستها إتجاه الأمير حيث دخلت بعض قبائل بني عامرفي مواجهة مفتوحة[2] معه وفق ما سبق يمكن القول أن هذه السياسة أدت إلى تفريق القبائل مما أثر سلبا على أداء جيش المقاومة بحكم الأدوار الهامة التي اطلعت بها.

3- التوسع الإستعماري: الأساليب والإنعكسات

3-1- تطورالحركة الإستطانية 1832م -1874م : لمحة إحصائية

بعد احتلال الجزائر سنة(1830م)[3] اتبع الفرنسيون سياسة ترتكز على تشجيع الهجرة الأوربية،والاستيلاء على الأراضي الزراعية ، والأملاك العقارية الواسعة[4]في هذا الشأن قام العسكريون بأدوار محورية من أجل توسيع الاستيطان،فقد كان كلوزيل أكثر الضباط تحمسا للهجرة الأوربية[5]،كما قام بارتيزين بوضع أسس الاستيطان معتمدا في ذلك على

سياسة الترغيب والترهيب، وتمكن المعمرون من الحصول على أراضي واسعة خلال عهده[6]،كما أصدر الدوق دي روفيقو الذي حكم اواخر ديسمبر 1831 المعروف 22جويلية 1834مالذي ينص على أنّ الجزائر جزء من فرنساوبمجيء الجنرال بيجو الذي انتهج سياسة التوسع في الشرق والغرب بلغ الاستيطان أوجّه،إذ أضحت له منطلقات فلسفية و فكريةتجلّت من خلال سياسة(المحراث والبندقية) التي افتقرت إلى الفعالية ممّا دفع بيجو إلى العودة لسياسة الاستيطان المدني.

إن قراءة في المعطيات الإحصائية الخاصة بالإستطان من شأنها تسليط الضوء على تطور هذه الظاهرة خلا فترةمقاومة الأمير،ففي سنة 1832م قدمت إلى الجزائر حوالي 73

---

(1): G.Yver,correspondance du Marichal Valée,in,document inédits sur l'histoire de l'Algérie,la rose,Paris,1957,p12.

(2): R.de Boyer,historique des bani amar d'Oranie,des origines au sénatus consulte,in P. l'occident musulman et de la méditérranée,N24,1977,pp39-85.

(3): سعد الله،أبو القاسم،الحركة الوطنية،ج1، مرجع سابق،ص.10.

(4): بوعزيز،يحيى،سياسة التسلط،مرجع سابق،ص.08.

(5):فركوس،صالح،تاريخ الجزائر،مرجع سابق،ص.197.

(6): بوعزيز،يحيى،سياسة التسلط الإستعماري،مرجع سابق،ص.ص.35 - 37.

عائلة إستفادت من حوالي 260 هكتار ليتزايد عدد المستوطين حيث بلغ سنة 1839م 25 الف حوالي 11 ألف منهم فرنسيون يتركزمعظمهم في المدن والباقي من جنسيات أروبيةمختلفة وفي 31 ديسمبرسنة 1840م وصل عددهم 28 ألف من بينهم 13 ألف فرنسي والبقية إيطاليين ومالطيين وبروسيين[1]وفي سنة 1845م وصل عدد المستوطنين 41558 ليبلغ 1851م حوالي 131483 منهم حوالي 50 $^{0}/_{0}$ فرنسيون والباقي من جنسيات أروبيةمنهم 32 $^{0}/_{0}$ إيطاليون و 6 $^{0}/_{0}$ مالطيون والباقي توزع على الجنسيات أخرى[2]مما يعني أن الإستيطان شهد تطورا ملحوظ في فترة المقاومة نظرا للإستراتيجية التي تبناها المستعمر لتسهيل عملية الإستيطان من تحفيزاتدفعت بالأروبيين إلى الهجرة والإقامة بالجزائر.

2-3- أهداف الإستيطان

لقد حدد بيجو أهداف السياسية الإستطانية والمتمثلة في تثبيت الإستعماروالمحافظة على الوجود الإستعماري وتحقيق المصالح الفرنسية المالية والإقتصادية ولذا يجب تطبيق التشريعات الفرنسية على المستوطنين وهو في نظر بيجو قوة لا يستهان بها وفي نظره تأسيس قاعدة افريقية في افريقيا كفيل بفتح الباب أمام التوسع الفرنسي في أفريقيا[3]،ولجعل الجزائرجزء من فرنسا ،وفق هذه الرؤية تكمن أهداف الحركة الإستطانية في:

أ - الناحية الإقتصادية : تجويع وتفقير الجزائريين وتهجيرالجزائريين وفي المقابل إنعاش الإقتصاد الفرنسي[4] والقضاء على البطالة والحفاظ على مكانة فرنسا في القارة الأروبية من خلال ربط علاقات متينة مع الدول الأروبية بمنح الرعايا الأروبيين إمتيازات في الجزائر حيث استفاد المستوطنون من قروض مالية كما منحت لهم أراضي لإقامة مشارعهم.

---

(1): J.Ladmir,les geurres d'Afrique,op.cit,p.242.

(2):V.Domontes,les peuples de l'Algerie contemporaire,essais de demographier,Alger,190 ,p.379.

(3): P.Azan,Par l'épee par la chure écrit et discourts de Bugeaud,op.cit,p.45-60.

(4): سعيدوني،ناصرالدين،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر،مرجع سابق،ص.85.

ب - الناحية العسكرية : القضاء على مقاومة الأميرعبد القادر وذلك بقطع الدعم والتموين كما سعى المحتل من خلال تجريد القبائل من أراضيهم إلى دفعهم للإستسلام وإلى خلق جبهة داخلية مضادة للأميرفي هذا الإطار فقد سنت حكومة الإحتلال الفرنسي جملة من القوانين كنزع الأراضي من الجزائريين المقاومين ومن جهة أخرى عدم المساس بأراضي القبائل المساندة لفرنسا وخير مثال على ذلك قرار30 مارس 1841م[1]القاضي بمصادرة أراضي القبائل المتمركزة بضواحي معسكرنظرا لوقوفها إلى جانب مقاومة الأميرعبد القادر.

ج - الناحية الإجتماعية والثقافية: رمى المستعمرمن خلال الإستيطان إلى طمس الهوية الجزائرية والقضاء على اللغة العربية وإحلال الثقافة الأروبية من خلال زرع كيان أروبي

متميز في عاداته وتقاليده والتمكين للمسيحية ومحاربة الدين الإسلامي ومحو مظاهره من المجتمع الجزائري.

3-3- أدوات الإستيطان

لقد وظف المحتل كافة الوسائل البشرية والمادية لإنجاح الإستيطان في الجزائر من أبرزها

3-3-1- مصادرة الأراضي

إرتكزت السياسة الإستطانية الإستعمارية على مصادرة الأراضي[2] منذ بداية الإحتلال ولأجل هذا الغرض سن المستعمر مجموعة من القوانين والمراسيم حاول من خلالها إصباغالطابع الشرعي على هذه العملية،في هذا الصدد صدر قرار08 سبتمر 1830م، القاضي بضم أملاك البايلك والعثمانيين وأراضي الوقف كما صدر في شهر مارس 1833م [3]يأمر المالكيين والمشرفيين على الجمعيات الدينية تسليم سندات الملكية لإدارة الدوميين الفرنسية في أجال محددة،لقد أدرك المحتل صعوبة إستجابة القائمين على الأوقاف التي وصلت إلى

---

(1): Ch,A.julien,Histoire de l'Algerie contemporaire conquete et colonisation 1827-1871, Op.cit,p.114.

(2): M.De Peyerhimoff,Enquete sur les resultats de la colonisation officielle,op.cit,242.

(3):بوعزيز،يحي،سياسة التسلط الإستعماري،المرجع السابق،ص.35 - 37.

أكثر من 1500 ملكية لأوقاف الحرمين الشريفين[1]لهذا القرار من منطلق لأمر الذي مكن إدارة المستعمر من الإستلاء عليها فيما بعد، في نفس الإيطارصدر في 10 جوان 1831م قرارا يقضي بمصادرة أملاك القيادات العثمانية،ويعد مرسوم 22 جويلية 1834م من أخطرالمراسيم الي حددت مستقبل الجزائر بحكم أنه ينص على إلحاق الجزائر بفرنسا مما يعني فتح الباب أمام نهب الأراضي و الإستلاء عليها في الإطارقامت سلطات المحتل بمصادرة 128010 هكتاربإقليم قسنطينة و34165 بوهران و14000 هكتار بإقليم الجزائركما قام المحتل بتشجيع الإستثمارالجماعي في هذا الإطار تحصل حوالي 300

معمر سنة 1845م على 3000 هكتار استغلوها جماعيا وهذا بعد أن قام المستعمر بنزع الملكيات الجماعية حيث ألحقت حوالي170127 هكتار بأملاك الدولة والأخرى ألحقت بدومين 133689 هكتار بقسنطينة و289729 هكتار بسكيدة 7394 هكتاربعنابة و11900 هكتار بقالمة و6250 هكتاربسطيف[2]،وفي سنة 1845م قام المحتل الفرنسي بتحديد الأراضي حول قرية قرووا بالمتيجة.

2-3-3 - الدعم المالي

اتخذ الإستيطان شكلين الأول الإستيطان الرسمي أين قامت سلطات المحتل بتدعيم المستوطنين بكل المستلزمات لاستقرارالمعمريين في هذا الشان قدمت الحومة الفرنسية مساعدات مالية لبناء المساكن وشراء المؤن والحيونات ومنحت المستوطنين قروضا[3] كما بتكلفة تقدرب 180 مليون فرنك فرنسي إلا أنه لاق معارضة بسبب ضعف الميزانية نفس المصيير إصطدم به مشروع بيجو المقدر غلافه المالي حوالي 300 مليون فرنك فرنسي[1]كما قام الجنرال بيجو بإنشاء مراكز إستطانية وأعطى تحفيزات مالية للجنود إلا أن هذه العمليةلم تلق نجاحا،كما منحت حكومة الإحتلال ما قيمته 600 فرنك فرنسي و12 هكتارمن

---

(1): Ch,A.Julien,op.cit,p.377.

(2): L.Boudicour,Histoire de la colonisation d'Algerie,op.cit,p27.

(3): Ch,A,Julien,op.cit,p.233.

(4): ibid,p.241.

المساحات التي صودرت حول مدينة الجزائر للمستوطنين[1] لقد حالت جملة من العوامل دون نجاح الإستيطان العسكري الذي كان بيجو من أكبر مناصريه ورأت الحكومة الفرنسية أن سياسة الجندي الفلاح مكلفة لذا لجأت إلى تشجيع الإستيطان الحرلإستقطاب الجالية الأروبية والإستفادة من إستثمار رؤوس الاموال الأمرالذي سرع من وتيرة الإستيطان وبالموزات قامت حكومة المستعمر بإنشاء بنوك لتقديم التسهيلات المالية الازمة.

3-3-3- الدعم العسكري

بغية توفير الأمن والحماية لمراكزالإستيطان قسمت الأراضي التي سيطرعليها المحتل إلى منطقتين للإستيطان الفلاحي منطقة مدنية ومنطقة عسكرية ويهدف هذا التقسيم إلى إقامة شريط أمني حول المستوطنات تحسبا لأي هجوم للمقاومة وفق هذا المنظورإستفاد حوالي 100 ألف معمر من أراضي فلاحية على الشريط الساحلي الممتد من القالة إلى غاية تلمسان وفي المناطق الأمامية أقيمت مراكز إستيطان عسكرية[2]،إن إستراتيجية بيجو المبنية على دعم الإستيطان العسكري مهدت للإستيطان المدني من منطلق الأعمال الضخمة التي قام بها الجنود الفرنسيون من تهيئة الأراضي الفلاحية وشق الطرق وغرس الأشجاروبناء المراكز الإستيطانية،كما منحت حكومة المستعمرالحق في توظيف اليد العاملة العسكرية.

3-3-4 - إنعكسات السياسة الإستيطانية

تعد السياسة الإستيطانية من أهم العقبات التي واجتها مقاومة الأميرة عبد القادرحيث تمكن المستعمر بفضل المراكز الإستيطانية المزوعة في مختلف المناطق من محاصرة جيش الأميرومراقبة تحركاته وعزله عن القبائل المساندة التي إستولى المستوطنون على أراضيها المصدر الأساسي لتموين جيش المقاومة وإمداده بما يحتاجه لإستمرارية المقاومة، وبفقدان القبائل لأراضيها تمكن المحتل من إخماد الروح الثورية لدىها بفضل سياسية التفقير.

2-2- سياسة التفكيكبتن التفرقة وظيف العنصر المحلي

---

(1): Ch,A,Julien,op.cit,p.241.

(2): J,Poujoulat,Etudes Africaines,op.cit,t_2,p.161.

ومراقبة تحركاته وعزله عن القبائل المساندة التي إستولى المستوطنون على أراضيها المصدر الأساسي لتموين جيش المقاومة وإمداده بما يحتاجه لإستمرارية المقاومة، وبفقدان القبائل لأراضيها تمكن المحتل من إخماد الروح الثورية لدىها بفضل سياسية التفقير.

2-2- سياسة التفكيكبتن التفرقة وظيف العنصر المحلي:

إنّ الانتصارات التي حققها الأمير عبد القادر،والتي أعاقت تقدم الجيوش الفرنسية،وأظهرت فشل الحل العسكري،ودفعت بالمستعمر إلى انتهاز سياسة ترمي إلى إضعاف الجبهة الداخلية من خلال خلق بؤر للصراع وانتهاج أسلوب التفرقة، لقد أدرك ساسة فرنسا وقادتها أنّ خلق جبهة موالية كفيل بالتخفيف من أعباء الإحتلال لأجل ذلك انتهز المستعمر فترة الهدنة لرصد دولة الأمير واستكشاف المجتمع الجزائري ،فجند لهذا الغرض الباحثون والمفكرين،وحتى المغامرين بهدف إيجاد ثغرات يمكن توظيفها ومن ثم الدفع بعملية الإحتلال وأسفرت هذه الجهود على اعتماد استراتيجية مبنية على"احتلال العربي بالعربي"ممّا يعني تفكيك الجبهة الداخلية بدخول العنصر المحلي كطرف في المشروع الاستعماري،الأمر الذي شكّل عائقا وتحدّيا لمشروع الأمير،ومن أهم الوسائل التي سخّرها:

2-2-1- المكاتب العربية:

أ- بنيتها وتطورها

إنّ فكرة المكاتب العربية ماهي إلاّ امتداد للتجربة العثمانية في تعاونها مع قبائل المخزن ومنحها امتيازات واعفاءات، وتسليطها على القبائل الثائرة أو العاصية[1] ،وقد ظهر هذا الجهاز في عام(1833م) بمبادرة من الجنرال روفيقو[3] تحت تسمية مصلحة الشؤون العربية وعين النقيب لاموريسيير لرئاستها الذي كان يجيد اللغة العربية ،وفي عام(1837م)حمل تسمية إدارة الشؤون العربية[3] بعدما كان يسمى بالديوان العربي تولى إدارته الضابط بيلسي[4]

---

(1): .Esterhazy,notice sur le maghzen d'Oran périer ,Oran ,1849,p233.W

(2):.Foucher,les bureaux arabes en Algérie,biblioteque du colon,Paris,1858,p12.V

(3): . X.Yacono,les buraux arabe et l'evolution des genres de vies indijenes,op.cit,p.10

(4): .Ibid,p.13

و في 16 أوت 1841م أسس بيجوإدارة الشؤون العربية وفي 1فيفري 1844م،وبمقتضى مرسوم رئاسي أنشأت إدارة المكاتب العربية تحت إشراف الجنرال **دوما**،ونظرا لحجم نشاطاتها قام بيجو في عام(1844م) بإنشاء المكاتب العربية،ووضع لها هياكلها الإدارية

لجعلها سلطة بديلة من أجل إخضاع الجزائريين وتدمير المؤسسات القائمة،وعليه فقد قامت هذه المكاتب بتأسيس فروع لها على مستوى المقاطعات الموجودة بالجزائر،إذ في كلّ مقاطعة توجد وحدات رئيسية وأخرى ثانوية،فتحوّلت بذلك إلى إدارات هيمنت على المجتمع خصوصا الريفي[1]،حيثتشيرالإحصائيات إلى أنّ عدد هذه المكاتب في الجزائر بلغ عام (1841م) بلغ 21 مكتبا،وفي عام(1865م) وصل إلى 46 مكتبا،استحوذت عمالة الجزائر على 14 مكتبا و03 ملحقات،أمّا عمالة وهران 12 مكتبا وملحقة،وفي عمالة قسنطينة حوالي 50 مكتبا وملحقة[2]،أما عن تركيبة هذه المكاتب فقد حدّدها القرار الوزاري المؤرّخ في (01 فبراير1844م) الذي حدّد أعضاءها بعشرة على الأكثر يسيّرون فرقة من فرسان الصبايحية تتكون من 25 فارسا،وفرقة من المخزن تتكون من 08 فرسان[3] .

لقد تميّزت هذه المكاتب بدقة التنظيم وقوة النفوذ بحكم الإمكانيات الهائلة التي سخّرها لها المستعمر،ومن وجهة نظر ياكونوفإن ما خلفته هذه المكاتب من أرشيف دليل على نشاطها المكثف والكبير بين الأهالي[4] لقد عرفت هذه المكاتب تطورا ملحوظا إرتبط بحجم نشاطها وفاعليتها حتى أضحت السلطة الحقيقية من منطلق تحكمها في كافة الشؤون الأهليةفي الجزائر وأصبحت تتحكم في تسعة أعشارالبلاد[5].

ب– دورها

لقد تجلى دور هذه المكاتب في ضمان التوسع الإستعماري من خلال إخضاع القبائل وتفكيك

---

(1): Bontens,les institutions Algériennes,faculté de droit,Alger,1970,p.188.C.

(2): Warnier,A.H,l'Algérie devant l'empreur challamel,Paris,1865,pp238-239.

(3): Duval(CH,J)-Warnier(A),Bureaux arabes et colons, Foubourg,Paris,1869,p.50. (4)X. Yacono,op.cit,p14. (5): Ibid,p.15.

المجتمع والحيلولة دون توحده وفي هذا الشأن يرى ألكسي دوطوكفيلإ أنه لا يمكن وضع حد لمشروع الأمير دون تشتيت القبائل وتفرقة القبائل المحيطة به [1]،لقدسعى المحتل إلى إحداث شقاق في صفوف القبائل وتغدية النزاع بينها وبالتالي تقسيم المجتمع إلى معسكرين

متحاربين ومتعادين[2] ولتحقيق هذا الهدف انشات المكاتب العربية لدارسة ومعرفة الوضع الإجتماعي ومراقبة القادة الذين تم تعيينهم إضافة إلى جمع الضرائب التي شكلت مصدر دخل هام للإدارة المحتل ومظهرا من مظاهر الخضوع والإنصياع[3]الذي يعد أهم غايات المحتل على حد قول الجنرال بيجو[4] لقد تعددت مهام المكاتب العربية من منطلق انهاظهرت في مرحلة حرجة ميزتها المقاومة العنيفة التي ابداها الجزائريون ضد المستعمرلذا حاول هذا الأخيربكل ما أوتي من وسائل لترسيخ أقدامه في الجزائر،لقد تنوعت وتعددت مهام المكاتب العربية حيث شملت عدة المجالات الحيوية ففي المجال الإقتصادي اهتمت المكاتب العربية بتحصيل الضرائب والجباية وتحصيل الغرامات وإحصاء الممتلكات ودفع الأجورلقبائل المخزنوتقديم الإعانات للقبائل الخاضعة وفي المجال العسكري المشاركة في الحملات العسكرية لسيطرة على القبائل والقتال إلى جانب جيش الإحتلال في مختلف المعارك التي خاضها ضد جيش المقاومة بقيادة الأمير إلى جانب الدورالإستخباري حيث قامت هذه المكاتب بتكوين شبكة من الجواسيس لمراقبة القبائل وتحركات جيش الأمير ونقل معلومات عن المواقع الإستراتجية داخل الإمارة إضافة إلى العمل على تجنيد السكان في صفوف جيش المحتل مقابل إغراءات مادية وهدايا لشيوخ القبائل كما كانت تقوم بمهام الحراسة ومرافقة وحماية المستوطنين والدفاع عن ممتلكاتهم.

أما في المجال الإعلامي فقدوضعت هذه المكاتب إستراتجية مدروسة ترجمت حربا إعلاميةحقيقية وذلك من خلال نشرالأكاذيب بشأن المقامين كماعملت على بث الرعب والهلع في

---

(1): دوطوكفيل،المصدرالسابق،ص.241.

(2): R.ermain,la (3)Ch.Richard,etude sur l'insuriction du Dahra,1845-1846,op.cit,p.185.

(4)politique de Bugaud,t_2,op.cit,p.23. :Ibid,p.16.

وسط القبائل وإستطاعت إدارة حربا نفسية إستهدفت معنويات الجزائريين من جانب آخر سعت هذه المكاتب لإقناع السكان بقبول الإحتلال ونشطت في تحسين صورته لدى السكان

د- في المجال الإجتماعي: إطلعت بمهمة إحصاء السكان وحرصت على معرفة وظائفهم وممتلكاتهم [1]وأوضاعهم الإجتماعية والثقافية ليسهل بعد ذلك مراقبتهم والتحكم في أي طارئ.

إنّ انشاء المكاتب العربية أفضى إلى تحولات مفصلية في طبيعة الصراع ،أسّست لمفاهيم إجتماعية وفكرية، ساهمت في تثبيت الإستعمار،وفي تقويض المقاومة،حيث يقول الضابط لاباسي:" توظيفالعنصر الأهلي الشجاعمنحهم امتيازاتيمكننا من الاستفادة من خدماته وتجنيدهللمشاركة في حملاتنا العسكرية،ويساعدنا على فعل عمل الشرطة ،ومراقبة القبائل الثائرة علينا، كما يسمح لنا في نشروالدعوة لأفكارنامن خلالهم ويتم ذلك بربطهم بمصالح الحكومة التي تمنحهم بعض الامتيازات وبعض التكريمات، وهذا كله حتى يكونوا جبهة تحمينا و ترد العدوان علينا."[2]

3-2- إختراق الجبهة الداخلية

نظرا لقوة الأمير وسريّة تنظيمه فقد عجز المستعمر عن اختراق الجبهة الداخلية واحداث ثغرات لإضعاف المقاومة،لذا فقد اهتدى إلى فكرة السلم والهدوء لرصد ومراقبة ودراسة دولة الأمير ،فجنّد لذلك شبكة استخباراتية هدفها جمع المعلومات والمعطيات الميدانية التي تفيي بالغرض،لقد تركزالعمل لاستخباراتي بصفة خاصة على أعمال كل من **ليونروش**[3]و القنصل دوماس الذي إستطاع تشريح أوضاع الإمارة وجمع المعطيات عن تحركات القبائل وعن مساهماتهم في بيت المال[4]،كما لعب ليون روش دورا هاما خلال صراع الأميرمع التيجاني،وكان وسيطا في علاقة فرنسا مع هذا الأخير،كمااستطاع أن يقنع سلطان المغرب

---

(1): Hugonnet,F,souvenirs d'un chef de bureau,Michel levy,Paris,1858,p.08.

(2): Lapasset,F,Aperçu sur l'organisation des indigènes dans les territoires militaires et dansterritoirescivils,Dubos,Alger,1850,p.04.

(3): Emirit,M,la légende de Leon Roches,R.A,N91,1947,pp.81-105.

(4): Daumas,E,op.cit,,p.p.

بخطورة الأميرعبد القادر،ممّا دفعه إلى تضييق الخناق على المقاومة وارسال جيش لمحاربة الأميرسنة 1847 م،أمّا راسلوف فقد أعطى احصاءات دقيقة عن جيش الأمير في شهر جوان 1838م جاء فيها أنّ جيش الأمير يتكون من4400 من المشاة و 920 من الخيالة مزودين ب140 مدفع،و900 بندقية،أمّاغارسان الذي شغل منصب تفني في مصنع الأسلحة بالمدية فقد أعطى معلومات هامة تخص تسلّح الأمير لوزارة الحربية الفرنسية.

2-4-إمالة وجهاء القبائل وشيوخ الطرق:

قام المستعمر بتوظيف واستغلال فئات وزعامات محليّة من أبناء البلاد لخلق صراع بين أبناء الوطن الواحد بالموازات مع شنّه حرب إبادة شاملة ضدّ السكان،فمن وجهة نظر المستعمر خلق معسكريين متصارعين كفيل بإضعاف المقاومة،وتتبديد وحدة المقتالين[1]وفق هذا المنحى يمكن أن المستعمر بنى استراتجيته على تجنيد شيوخ وزعماء القبائل من خلال الإغراءات والوعود واستمالتهم إلى صفنه وتيئيس القبائل من محاربته ،لقد أدت هذه السياسة لخلق طبقة أرستقراطية إقطاعية تتمتع بالنفوذ والسلطة على السكان،ففي الشرق مثلا برز معسكرين من عائلة المقراني،معسكر أولاد عبد الله،ومعسكر أولاد عبد السلام[2]،لقد ذهب المحتل في سياسته هذه إلى حد إغراء خلفاء الأمير وكبار قادته كخليفته على مليانة بن علال وخليفة المدية البركاني وبن سالم[3]خليفته على سباو حيث عرض عليهم إغراءات مادية وحماية منحه هبات ومنح سنوية إضافة على أحقيته في إمتلاك الأراضى التي يحوزهاإضافة إلى توفير الحماية والأمن لعائلته و في نفس الإتجاه عرض بيجو على الخليفة بن علال مبالغ هامة والإقامة فيالجزائر،فكان جواب بن علال قاطعا رافضا كل اشكال الإغراء وان أملاكه سيستعيده،لقد كشفت هذه المواقف عن صلابة خلفاء الأمير عبد القادر وتفانيهم في خدمة قضيتهم وعزمهم على تحرير بلادهم ووضع حد للإستعمار،وفي جانب آخر نجحت هذه السياسة في استمالة بعض زعماء القبائل ،لقد اصطدمت هذه السياسة بصلابة قادة الأمير ،

---

(1): Richard,CH,études sur l’insuriction du dahra(1845-1848),Alger,1846,p.186.

(2): Bidault,F,la vérité sur lAgérie,Bizon,Bougie,1871,p.59.

R,Germain,la politique indigene de Bugeaud,op.cit,t_2,p.79. :(3)

ورد بن سالم كان واضحا أرضي أستعيدها بقوة السلاح وان الجهاد لإعلاء كلمة لا إلاه إلا الله ليس له ثمن[1] لذا يمكن القول أن سياسة الإغواء قد إصطدمت بصمود ورفض رجال الأمير وبالمقابل نجحت في إستمالة بعض الوجهاء والشيوخ الذين قدموا للمستعمر خدمات جليلة حيث فمن وجهة نظر لويس رين فرنسا لم تكن بحاجة إلم نكنى إداريين بقدر ماهي في حاجة إلى حلفاء من ذوي الجاه والسلطة،وهذا ما وضحه الجنرال بيجو في شرحه لأبعاد سياسته حيث يرى أن الإعتماد على الزعماء وشيوخ القبائل يسهل لنا عملية المراقبة ومن ثم محاصرة الأمير والقضاء عليه[2]

لقد كلّفت هذه السياسة الخزينة الفرنسية أموالا طائلة،حيث قدّرها بوديكور على النحو الآتي: (18000 فرنك) للخليفة،ومن (8 إلى 10000 فرنك) للباشآغا،و(6000فرنك) للآغا في المرتبة الثانية،و(4000 فرنك) لأصحاب المرتبة الثالثة[3] ،أمّا بخصوص القياد والشيوخ فكانوا يأخذون قسما من الضرائب المفروضة على السكان،ومن أجل انجاح هذه السياسة قامت فرنسا بعقد اتفاقيات متعددة مع شيوخ القبائل وزعماء الطرق،نذكر منها مثلا الاتفاق الموقّع بين تريزل وقبائل المخزن في (03ربيع الأول 1251ه /16جوان 1835م)[4]،واتفاقية فالي مع التيجانية سنة(1839م).

4- تدمير القواعد الحربية للمقاومة

في إطار القضاء على مقاومة الأميرودولته قام المحتل بإستهداف المواقع الإستراتيجية من مصانع الأسلاحة والقلاع والحصون لجعلها مراكز لتموبين الجيش الفرنسي،لقد أدرك المستعمرالأهمية الإستراتجية للحصون التي شيدها الأميرعبد القادر ودورها في دعم المقاومة، التي سعى المحتل إلى القضاء عليها بإستهداف مختلف المواقع الإستراتيجية من

---

(1): Rinn,L,histoire de l’insurection de(1871)en Algérie,Jourdan,Alger,1891,p.23.

(2): Germain,R,la politique indigene de Bugeaud,la rose,Paris,1955,p.251.

(3): تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.95.

(4): ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج1، ص.ص.196-198.

مصانع الأسلاحة والقلاع والحصون لجعلها مراكز لتموين الجيش الفرنسي،لقد أدرك المستعمرالأهمية الإستراتجية للحصون التي شيدها الأميرعبد القادر في مراقبة طرق الموصلات للتحكم في النشاط الإقتصادي للقبائل لذا سعى الجنرال بيجو إلى السيطرة على المدن[1] التي جعل منها الأمير قواعد خلفية لدعم المقاومة بما شيد فيها من مصانع للأسلحة والدخيرة ومخازن للحبوب كمعسكر وسعيدة والمدية وغيرها من المدن في هذا الإطارإحتل بيجو عاصمة الأمير معسكر[2] بعد ان قام بتخريب أهم المواقع ووضع فيها حامية عسكرية متكونة من ثلاث فيالق،كما تمكن المستعمرمن الإستلاء على بوغارالتي تعد أحد أهم خطوط الإمداد، في نفس المنحى قام الجنرال بيجو بتحطيم الحصن الذي بناه الأميرفي سبدو[3] وعهد إلى خليفته البوحميدي الإشراف عليه،بعد أن دمر المستعمر العاصمة معسكر ركز جهوده لتحطيم العاصمة الثانية للأمير **تاقدمت** حيث وصل العقيد بيلسي إلى برج تاقدمت في 24 ماي 1841م وقام بتدميره،كما بذل المستعمر جهده لتحطيم الزمالة عاصمة الأمير المتنقلة التي تذهب التقدير أن عدد ساكنيها بلغ حوالي أربعين ألف ساكن وتحوي العديد من مخازن الأسلحة والمؤن،حيث تمكن الجنرال دومالبمساعدة بعض المتعاونين مع الجيش الفرنسي من دخولها في 16 ماي 1843م،وأسفرت المواجهة عن مقتل إستشهاد ثلاثمائة جندي وقتل تسع جنود فرنسيين وجرح إثنتا عشر آخريين[4] واستولي الجيش الفرنسي على أربعين ألف من الماشية وقام بحرق الخيام وأخذ معه حوالي ستتمائة رهينة.

لقد كان لاستراتيجية المستعمر عدّة انعكاسات تجلّت في إضعاف الجبهة الداخلية،وبالتالي أضاء تدريجيا على مقاومة الأمير،حيث يرى المشرفي[5]أنّ انقسام المجتمع على نفسه في تأييد ثورة الأمير كان من بين عوامل ضعفها وانهيارها،ويقول في موضع آخر:"مكثوا في

---

(1): Lichtenberger,(A),les grandes figures coloniales Bugeaud,ed,plon,Paris,1931,p.152.

(2) Bugeaud (T,R),Mémoire sur notre etablissement,dans la province d'Oran,ed,laguionie, Paris,1838,p.57.

(3): R,Demont,Histoire de la conquete d'Algerie,de 1830- 1847,op.cit,p.161.

(4): P,Azan,Bugeaud et l'Algerie,op.cit,p.72.

(5):الحساني،مختار،ثورة الأمير من خلال ثلاث مخطوطات،المرجع السابق،ص.47.

ديارهم يبعثون الجواسيس للإختبار والاستفسار فجمع لهم من كلّ قبيلة أعيانه ومال لهم كلّ سبيل[1]،وعليه فإن الحرب غير أخلاقية ولا إنسانية التي خاضها المستعمر ضد الأمير عبد القادر متجاوزا كل الأعراف أحدثت تصدع في الجبهة الداخلية بتحالف بعض القبائل مع المحتل وتمردها عن الأميرمما أدى إلى إتساع جبهات القتال وبالتلي إنهاك واستنزاف المقاومة وخلاصة يمكن القول أن تحديات الداخل أثرت بصفة جوهرية في أداء المقاومة فعدم تبني بعض القوى الفاعلة للمشروع الوطني وموقفها من المقاومة إنعكس سلبا على جهود الأمير في تحرير وبناء الوطن،لقد أدرك المستعمر طبيعة التحديات التي تواجه الأمير بعد دراسته نقاط قوة وضعف المقاومة مستغلا فترة المهادنة وموظفا أمهر القادة والمفكريين والعلماء وعلى ضوء المعطيات التي جمعها هؤلاء عن دولة الأمير وعن المقاومة وعن المجتمع الجزائري وتفاعله مع المقاومة بنى المستعمر إستراتيجية المتعددة الأبعاد للقضاء على دولة الأمير عبد القادر.

(1): الحساني،مختار،المرجع السابق، ص,267.

ثالثا ـ التحديات الخارجية :إختلال التوازن في حوض المتوسط وبوادر نظام دولي الجديد

شهد حوض البحرالأبيض المتوسط بداية القرن التاسع[1] عشرتحولات جدرية أثرت في مسار الأحداث التي كانت الجزائر مسرحا لها،فقد اتسم الوضع الدولي باختلال التوازن بين العالم الإسلامي ونظيره المسيحي تجلى ذلك من خلال الهيمنة الأوربية على حوض البحر الأبيض المتوسط وعلى هذا الأساس تعاملت القوى الأروبية مع المسألة الجزائرية فتوحدت الروئ والمواقف الدولية لتحجيم الدورالمتوسطي لإيالة الجزائر،الأمرالذي جعل من الإيالة هدفا للحملات العسكرية[2] بغرض إخضاع الحكومة العثمانية في الجزائروفق هذا المنظور فقد أيدت معظم القوى الأروبية مشروع إحتلال الجزائربل ذهبت بعض الدول الأروبية إلى حد دعم الحملة الفرنسية على الجزائروإرسال ممثلين عنها للمشاركة في الحملة ،وفق هذا المنحى فإن احتلال فرنسا للجزائرحظي بموافقة العديد من القوى الأروبية من منطلق أن زوال الإيالة يشكل منعرجا هاما في استتباب الأمن والسلم الدوليين من وجهة نظرهم.

إن الإنسجام في المواقف الأروبية والتنسيق بين مختلف الدول الأروبية الفاعلة ماهو إلا ثمرة التحولات التي شهدتها القارة الأروبية في بعدها السياسي والإقتصادي والإجتماعي و الفكري والتي أدت إلى تبلور نظام دولي جديد مكن القوي الاروبية من بسط هيمنتها و توسيع نفودها في العالم طيلة القرن التاسع عشر،وفق هذا المنظورفقد شكل الوضع الدولي بإنعكساته على العالم الإسلامي تحديا مفصليا لمشروع الأميرالتحرري تجسد ذلك من خلال الحصاروالتضييق على المقاومة الوطنية،مما سبق فإن فهم طبيعة التحديات يدفعنا إلى دراسة الوضع الدولي إبان الفترة والوقوف على التحولات التي شهدتها منطقة المتوسط لمعرفة العوامل الخارجية التي حالت دون تحقيق المشروع الوطني للأمير.

---

(1): جيفري،براون،تاريخ أوروبا الحديث،تر،علي المرزوقي،الأهلية للنشر والتوزيع،عمان،ص.389.

(2): للتعرف على التحولات الأروبية ،أنظر: نوار،عبد العزيز سليمان،وجمال الدين،محمود محمد، التاريخ الأروبي الحديث من عصرالنهضة إلى نهاية الحرب العالمية الاولى،دار الفكر العربي مصر،1999م.

1- التحولات الأروبية : العوامل والمظاهر

إن الأوضاع التي عاشتها أوربا مند مطلع القرن التاسع عشرماهي إلا نتيجة لما عاشته هذه القارة من تحولات إنعكست على مختلف المجالات،ساهمت في بلورتها وتوجيه مسارها جملة من العوامل المتباينة ،فإذا كان القرن الثامن عشر ميزته الإنقلبات السياسية والتطور الإقتصادي لأروبا،فإن القرن التاسع عشرسجل الهيمنة والتسلط الأروبي[1].

1-1- العوامل

1-1-1-العامل السياسي

يعتبر العامل السياسي من أبرز العوامل التي شكلت وقود التطورات التي شهدتها أوربا طيلة القرن التاسع عشر،من منطلق أن الأهداف السياسية كانت المحرك الرئيسي للاحداث التي كانت القارة مسرحا لها وبالتالي فقد طبع المشهد الأروبي الصراع بين طبقة الحاكمة وشعوب الأروبية الراغبة في التغييروبناء أنظمة سياسية تنبع من إرادتها وإختيارها وتكفل لها الحرية والحقوق،لقدأدرك ملوك[2]أوربا طبيعة الخطرالذي يهددها، فسعت خلق فضاء للتعاون والتنسيق حفاظا على الأوضاع السائدة ومقاومة حركات التغيير، تجلى ذالك في:

أ- المؤتمرات الأروبية

تعد المؤتمرات الأروبية المنعقدة بين الفترة الإطار الذي نظم العلاقات الأروبية الأروبية وقاعدة التنسيق الأروبي[3]المستقبلي،حيث تمكنت القوى الأروبية من خلق تقاليد سياسية جديدة للحفاظ على مصالحها،و الدفاع عن أمنها ،في هذا الإطاريعد مؤتمر**فيينا** منعرجا حاسما في تاريخ أوربا وحوض البحرالأبيض المتوسط من منطلق أنه جسد أول لبنة في تشكل أوربا

---

(1): سعيدوني،ناصرالدين،عصرالأمير،المرجع السابق،ص.13.

(2):أ.ل،فيشر، تاريخ أوربا في العصرالحديث،(1789-1950)،ترجمة أحمد نجيب هاشم،ووديع الضبع

ط2،دار المعارف،القاهرة،1984م،ص.116.

(3):المصري،أحمد سوليم،أصول العلاقات السياسية الدولية،ط3،المكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة،1959م ص.ص.155-156.

الحديثة ،فقد انعقد المؤتمرفي سبتمبر1814م واستمرإلى غاية جوان 1815م[1]،حيث سعت القوي الأساسية المشاركة في المؤتمروهي النمسا وإنجلترا وروسيا وبروسيا إلى إعادة رسم الخريطة الأروبية من خلال مبدأ الشرعية ومواجهة المد القومي والحفاظ على التوازن القائم كما اتفق المؤتمرون على محاصرة المد الثوري،الأمر الذي ترتب عنه تنازل بروسيا لروسيا عن ولاية وارسو،حصول بروسيا على نصف سكسونيا ومقاطعة الراين الألمانية واقتطعت النمسا لومبارديا والبندقية من إيطاليا[2]،إن ما توصل إليه المشاركون في مؤتمرفيينا مبدأ حق العروش في تقريرمصيرالشعوب والحفاظ على النسق الأروبي القديم.

إن أهمية مؤتمرفيينا تكمن في خلق تنسيق بين القوى الأروبية،مما يعد ظاهرة سياسية جديدة شكلت البدورالأولى لنظام الدولي الجديد الذي تأسس على ما اصطلح عليه بالتضافر الأروبي،لقد توالت المؤتمرات الأروبية بعد مؤتمرفيينا كمظهرمن مظاهرإستمرارية التنسيق الأروبي،في هذا الصدد عقد مؤتمر**إكس لاشيل**[3] في سبتمبر1818م حضرته القوى الأروبية الكبرى إنجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا التي إتفقت على وضع حذا لسياسة العزل ضد فرنسا من خلال سحب قواتها التي تحتل فرنسا في أكتوبر1818موقبول فرنسا كعضو في مجموعة القوى الأروبية الكبرى[4]،بالتالي أصبحت فرنسا قوة فاعلة ومؤثرة في مستقبل القارة الإفريقية كما يعد مؤتمر**تروباو** الذي دعت إليه روسيا القيصرية تحولا هاما في العلاقات الأروبية من منطلق أنه سعي إلى التدخل في الشؤون الداخلية للدولة الأروبية تجسد ذلك من خلال بروتوكولات تروباو التى تم التوقيع عليها من طرف في 19 نوفمبر1920م من طرف القوى الأروبية ما عدا إنجلترا[5]، إن أهم ما ترتب عن مؤتمرتروباو هو إتفاق الحلفاء على التدخل إذا ما تعرضت الدول الأعضاء في الحلف غلى إضرابات داخلية تهدد الأنظمة الحاكمة

---

(1):عبد العزير،عمر،المرجع السابق ،ص.ص.18-31.

(2): نفسه،ص.30.

(3):قاسم،محمد وحسني،حسين،تاريخ القرن التاسع عشر،المطبعة الأميرية،القاهرة،1948م،ص.86.

(4): رانوفان،بيير،المرجع السابق،ص.63.

(5):عبد العزيز،عمر،المرجع السابق،ص.51.

ولوتطلب الأمراللجوء إلى القوة[1]،وتنفيدا لبروتوكولات مؤتمرتروباوعقد مؤتمرلييباخ ابتداءا من يناير1821م الذي حضرته كل من النمسا وروسيا وبروسيا ومملكة نابولي،حيث كلف المؤتمرون النمسا بتدخل لإخماد الثورة الدستورية في نابولي،كما تمكنت النمسا من إخماد ثورة في البيدمونت وإعادة النظام القديم إلى سردينيا [2]وأختتم المؤتمرفي ماي من سنة 1821م بإصدار بيان جاء فيه "إن الهدف من التحالف الأروبي هو تأييد المعاهدات القائمة والمحافظة على السلام العام وتحقيق سعادة الأمم وأن التغيييرات التشريعية والإدارية داخل الدول يجب أن تأتي من جانب أولائك الذين أعطاهم الله مسئولية الحكم في هذه الدول"[3]وتكريس لمبدئي حق القوى الكبرى التدخل لإخماد الثورات الدستورية وحق العروش في تقرير مصيرشعوبها قررالمشاركون في مؤتمرفيرونا التدخل في اسبانيا لإعادة النظام الملكي في 30 أكتوبر 1822م[4] إلاأنهم فشلوا في تكوين حلف عسكري لإخماد الثورة في إسبانيا واستطاعت فرنسا لوحدها أن تقضي على الثورة الدستورية وإعادة الملك الإسباني إلى عرشه،كما فشلت القوي الأروبية الكبرى في بلورة موقف موحد اتجاة الثورة اليونية ضد الوجود العثماني في مؤتمرسان بطرسبرج المنعقد في 1823م[5]،حيث عارضت كل من النمسا وبروسيا التدخل في اليونان مقابل إتفاق كل من روسيا وفرنسا وإنجلترا على الوقوف إلى جانب الشعب اليوناني في تقريرمصيره،الأمرالذي شكل ضربة للتحالف الذي قام على أساس إنكارحق الشعوب في تقريرمصيرها،من خلال ما سبق يمكن القول أن المؤتمرات الأروبية تعد اللبنة الأولى للتعاون والتنسيق الأروبي وفضاء للتفاهم لتوحيد الرؤى والمواقف.

ب - التحالفات والمعاهدات

بغية السيطرة على الوضع وحماية لمصالحها بادرت القوي الأروبية إلى عقد محالفات

(1): بدوي،محمد طه،دراسات سياسية وقومية،دار المعارف،الإسكندرية،1963م، ص.202.

(2): رانوفان،بيير،المرجع السابق،ص.86.

(3):عبد العزيز،عمر،المرجع السابق،ص.53.

(4):نفسه،ص.55.

(5): بدوي،محمد طه ،المرجع السابق ،ص.303.

بينها،ويعد قيام الثورة الفرنسية سنة 1789م الدافع الرئيسي للتحالف الذي ضم كل من بروسيا وإنجلترا إلي جانب كل من هولندا وإسبانيا وسردينيا ونابولي عام 1792م خصوصا بعد إعلان النظام الثوري الفرنسي مساندته تأييده لكل لأمة تطالب بحريتها[1]،ومن أقوى التحالفات التي شهدتها أوربا التحالف الرباعي الذي قام بين النمسا وبروسيا وروسيا و إنجلترا إثرمعاهدة شومان 9 مارس 1814م[2] لإسقاط نابليون الأول وبعد تمكن قوات الحلفاء من إحتلال باريس في31 مارس 1814م،عقد الحلفاء معاهدة باريس الأولى في 30 ماي 1814م،سعو من خلالها إلى توطيد حكم لويس الثامن عشر[3] وإبعاد فرنسا عن القيام بأي دورأروبي ،وفي 26 سبتمبر1815م تأسس الحلف المقدس بمبادرة من قيصر روسيا وضم كل من روسيا والنمسا وبروسيا سعت من خلاله القوي المتحالفة إلى تبني الأخلاق المسيحية كإطارلتوجهات السياسية ومما جاء في وثيقة التحالف"ليس لهذه الوثيقة من غرض سوى أن تعلن للعالم أجمع أنه قد صح عزم الموقعين على أن يسترشدوا بمبادئ الديانة المسيحية وهي مبادئ العدالة والمحبة المسيحية والسلام فيما يتعلق بشؤون بإدارة شؤون بلادهم وكذا فيما يتعلق السياسية مع غيرهم الحكومات"[4]،لقد استقطب الحلف العديد من الدول ومن بينهم فرنساوفي 20 نوفمبر1815م أبرمت معاهداتباريس الثانية بين الدول المنتصرة في واترلو(النمسا،إنجلترا،روسيا وبروسيا) وفرنسا والتي نصت على إقتطاع أجزاء من فرنسا وبقاء مائة ألف جندي في الأراضي الفرنسية لمدة خمسة سنوات ولضمان تنفيد بنود معاهدة باريس الثانية تم تأسيس التحالف الرباعي20 نوفمبر1815م ،لقد عكس هذا التحالف السياسة الأمنية المشتركة للقوى المتاحلفة حيث تم الإتفاق على تقديم 60 ألف[5] جندي لمساعدة أي طرف يتعرض لهجوم في المستقبل إلا أن بريطانيا إلتزمت بمبدأعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدولة ومن خلال بنود التحالف تتضح الرؤى المستقبلية للدول المتحالفة حيث جاء في

(1): عبد العزيز،عمر،محاضرات في العلاقات الدولية، دارالرشاد،الإسكندرية،بدون تاريخ،ص.18.

(2): المرجع نفسه،ص.20

(3):نصار،ممدوح ،المرجع السابق،ص.30.

(4): نفسه،ص.40.

(5):عبد العزيز،عمر،المرجع السابق،ص.44.

المادة السادسة[1] من بنود التحالف"حتى يمكن دعم الروابط التي تجمع بين الملوك الاربعة في إتحاد وثيق،يوافق المتعاقدون على تجديد عقد إجتمعاتهم في فترات معينة سواء كانت هذه الإجتماعات تحت إشرافهم شخصيا أوحضرها ممثلون عنهم وذلك بهدف تبادل الرأي فيما يتعلق بمصالحهم المشتركة واتخاد الإجراءات الكفيلة بتأمين سكينة الأمم وتحقيق رخاءها وترسيخ إستقرار السلم في أوربا"، على ضوء ما سبق يمكن القول أن التحالفات والمعاهدات ساهمت في الإستقراروحفظ الأمن داخل أوربا [2]ومهدت لإرساء تقاليد جديدة في نسق العلاقات الأروبية بالإضافة إلى حماية مصالح الدولة المتحالفة.

ج - النخب الحاكمة

ساهمت النخب الحاكمة الأروبية في توجيه مسارالأحداث وإرساء تقاليد سياسية جديدة ،فقد استطاعت هذه الفئة تقريرمصائرالشعوب الأروبية والحفاظ على نماذج الحكم القديمة في ظل نسق أروبي يتلاءم والمتغيرات،ومن أبرزالشخصيات الأروبية الفاعلة المستشار النمساوي مترنيخ[3] وفريدريك جنتزدوراللذان يعود إليهما الفضل في تحديد توجهاتالقارةالأروبية عن طريق تبني أساليب جديدة وتطويرآليات التشاوروالتنسيق بين مختلف القوى السياسية وفي هذا الصدد يقول سعيدوني ناصرالدين:"إن سياسة مترنيخ هذه القائمة على التوازن الدولي وضمان شرعية الحكومات ومصالح الحكام وقد وفرت السلام لأروبا لمدة أربعين سنة وهذا ما يمكن إعتباره في حد ذاته إنجازا عظيما نظرا لظروف القرن التاسعشرالأمرالذي جعل من مترنيخ بغض النظرعن مواقفه زعيما سياسيا محنكا،بل أسبغ عليه لقب المعماري الأول لأروبا"[4].

(1):رانوفان،بيير،المرجع السابق،ص.56.

(2): عبد العزيز،عمر،المرجع السابق،ص.34.

(3): للإطلاع أكثرعلى سياسة مترنيخ ينظر:

Ch,o,Zieseniss,Le congres deVienne et l'Europe des princes ,Paris,C.P.Belfort,1984.

وأيضا: H,Nicolson,Le congres de Vienne,Histoire de coalition(1812-1822),Tra,de l'anglai par c,le palaminy,Paris,hachette,1947.

(4):سعيدوني،ناصرالدين،عصر الأمير،المرجع السابق،15.

1-1-2- العامل العسكري

لقد إختزلت الحروب النابوليونية الصراع العسكري الذي شهدته أوربا نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشربين فرنسا الثائرة بقيادة نابليون بونابرت القوى التقليدية الأروبية الذي سعي لتكوين إمبرطورية أروبية معتبرا نفسه وريث[1] الإمبراطورية الرومانيةحيث تمكنت جيوشه من اجتياح كل من هولندا وسويسرا ومملكة هانوفر في 1802م السنة التي نصب فيها إمبراطور[2]،وبحلول عام 1808م اتسع نفوده على القارة الأروبية ونصب مقربيه على كل من إيطاليا وهولندا ووستفاليا ونابولي وإسبانيا،،لقد ترتب عن الغزو الفرنسي لمناطق واسعة من أروبا بمثابة الصدمة للشعوب الاروبية مما أدى انتشارالنزعة القومية ،أما على الصعيد العسكري فقد دفع بالدول الأروبية الكبرى إلى إيجاد أليات للتنسيق فيما بينها لمواجهة المد النابليوني ترجمتها التحالفات العسكرية والتي بفضلها تمكنت الجيوش المتحالفة من احتلال باريس في 31مارس 1814م وتم إبعاد نابليون إلى جزيرة إلبا،وعادت أسرة البربون إلى الحكم ممثلة في لويس الثامن عشر،إلا أن نابليون تمكن من العودة وغزا بلجيكامجددا مما دفع بالدول المتحالفة لإعداد جيوش ضخمة من القوات البريطانية والألمانية والهولندية والبروسية بقيادة ولنجتن قضت على جيش نابليون فيواترلو[3] البلجيكية ووضعت حدا لما يعرف بحرب المائة يوم وتم نفي نابليون[4] إلى جزيرة هيلانة[5]،بالإضافة إلى الحروب النابوليونية فقد أنشأت القوى المتاحلفة بعد القضاء على نابليون جيوشا مشتركا كقوة ردع لإخماد الثورات الدستورية التي ظهرت في مناطق متعدد من أوربا أدت الصراعات العسكرية إلى تغيير خريطة أوربا طيلة فترة القرن التاسع عشركنتيجة لإنتشارالمد القومي حيث شهدت القارة تطورات وإنقلابات لم يسجل التاريخ

مثيل،مما سبقنخلص إلى أن العامل العسكري ساهم في النقلة النوعية التي شهدتها أوربا طيلة القرن التاسع عشرمن والتي تجسدت

---

(1): كوهين،هانز،عصرالقومية،تر،عبد الرحمان صدقي، سجل العرب،القاهرة،1964مص.17.
(2):شيني،ل،ج، تاريخ العالم الغربي،تر،مجد الدين حفني ناصف،دارالنهضة ،القاهرة،بت، ص.301.
(4): نفسه،ص.304.

في ظهور الأحلاف العسكرية كترجمة للسياسة الأمنية المشتركة و تنامي القوة العسكرية لأروبا ونمو الروح القتالية[1].

1-1-3- العامل الإقتصادي

لقد إرتبط التطورالأروبي بالإنجازات التي حققتها في المجال الإقتصادي منذ ظهور الثورة الصناعية التي تعد أساس الإنطلاقة الإقتصادية لأروبا ،الأمرالذي انعكس على سياسة الدول وتوجهاتها،لقد أثرالتطورالإقتصادي على مختلف جوانب الحياة تجلى ذلك من خلال تحول أوربا من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي،وتكدس الثروة وتحقيق فائض في الإنتاج بفضل الإختراعات التقنية، التي وظفت في استغلال الموارد الطبيعية والثروات المنجمية[1]،لقد أدى إنتعاش الإقتصاد الأروبي إلى سعي الدول إلى إيجاد أسواق خارجية مما ساعد على انتشارالمد الإستعماري المبني على استغلال الشعوب وثرواتها[2] وفرض الهيمنة على طرق المواصلات الإستراتجية كما أضحت المصالح الإقتصادية محورالعلاقات الأروبية الداخلية والخارجية.

1-1-4- العامل الإجتماعي

ساهم التحول الذي طرأ على المجتمعات الأروبية فى تحديد ممستقبل القارة الأروبية ومصيرشعوبها وظهور فئات إجتماعية جديدة تباينت أساليبها وتناقضت مصالحها، في هذا الإطار فقد هيمنت الطبقة الوسطى (الطبقة البورجوازية)[3] على نواحي الحياة خاصة بعدخاصة بعد تبنيها المطالب الوطنية،ونجاحها في تأطيرالمجتمعات الصناعية بفضل تموقعها في الهياكل والمؤسسات الإقتصادية، لقد أدي التغيرفي البنية الإجتماعية إلى إختلال

منظومة القيم والأخلاق وطغى الجانب المادي على الجانب الروحي وأصبحت الثروة أساس الدينامكية الإجتماعية مما أثرعلىالسلوكات الفردية وثقافتهم وأضحت العلاقات الإجتماعية وطبيعة

---

(1): سعيدوني،ناصرالدين،عصر الأمير، مرجع سابق،ص.22.

(2): نفسه،ص.23.

(3): للإطلاع أكثرعلى دورالطبقة البورجوازية ينظر: شكري،محمد فؤاد،الصراع بين البورجوازية والإقطاع (1789م-1848م)،ج3،دارالفكرالعربي لقاهرة،1960م.

وطبيعة النظم السياسية نتاج الصراع الطبقي كنتيجة حتمية لتحول المجتمعات الريفية إلى مجتمعات صناعية،بعدأن صارت المدن مراكزإستقطاب وبؤر للتوترات والإضطرابات وفضاءا للحركات الثورية التي عملت علىنشرالوعي السياسي والقومي مما أدى فيما بعد إلى تغيير في البنى السياسية وظهور دول جديدة على أنقاض الإمبراطوريات القديمة.

1-1-5- العامل الحضاري

لعبت النهضة الفكرية والعلمية التي عاشتها أوربا طوال فترة عصرالتنوير دورا محوريا في صناعة المشهد الأروبي بمركباته طيلة القرن التاسع عشرالذي إتسم بنشاط فكري ويقظة نادرة فهو"عصرسكوت وبايرون وعصرشلي وكرلدج وورد سوورث وتجارب فروييل وروبرت أوين"[1]لقد تجلى تأثيررالعامل الحضاري في التحولات التي عاشتها أوربا نهاية القرن الثامن عشروخلال القرن التاسع عشرفي قيام الثورة الفرنسية[2] التي شكلت منعرجا هاما في تاريخ أوربا بموجب ما تر تب عنها على الصعيد السياسي والعسكري والفكري يرجع الفضل في تبلور الفكرالأروبي إلى نخبة من المفكرين والفلاسفة أمثال بوشينغ وشلوسروترايشكه وجامس ووالترسكوت وتييري وغيزو وبارانت وشاتوبريان،الذين شكلت أراءهم الأساس الفكري للتحول الأروبي،إن تأثير العامل الحضاري تجلى في تلك الفلسفات التي تمخضت عن النهضة الأروبية التي وضعت الإطار للفكر الأروبي الجديد الذي أصبح فيما بعد وقود التحولات الذي شهدت أروبا،إن العامل الحضاري اختزل النقلة النوعية التي شهدتها أروبا،في المجال العلمي والأدبي والفني، إن المسيرة الأروبية نحو التحضر طبعها

قيام الثورة الصناعية التي غيرت وجه اوربا ورسخت مفاهيم جديدة أكدت القطيعة مع أوربا العصر الوسيط في حياتها المادية والفكرية،وفي المقابل دفعت الشعوب المستضعفة ثمن ما حققته أروبا من إنجازات حضارية خلال القرنيين الثامن والتاسع عشر،وعليه يمكن القول أن الحضارة الأروبية غلب عليه الطابع المادي وغاب عنها البعد الإنساني .

---

(1): سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير، مرجع سابق،ص.36.

(2):للتعرف على الثورة الفرنسية ينظر:لوبون،قوستاف،روح الثوارات والثورة الفرنسية،تر،عادل زعيتر،كلمات عربية للنشر والتوزيع،القاهرة،2012م،ص.ص.81 - 147.

1-2- مظاهر التحولات الأروبية

لقد تعددت مظاهر التحولات التي عاشتها أوربا،لذا رأينا من المناسب تسليط الضوء على أبرز هذه التحولات والتي شكلت من وجهة نظرنا منعطفا حاسما في تاريخ أوربا الحديث

1-2-1- الحركة التحررية

إن ظهورالحركة التحررية وانتشارها في مناطق متعددة من أوربا ماهو إلا نتيجة حتمية للممارسات التعسفية والقمع المتواصل للشعوب الأروبية من طرف الأنظمة الرجعية، فرغما تكمن ملوك أوربا من إخماد الثورة الفرنسية إلا أن أفكارالثورة ومبادئها لاقت رواجا في كافة أنحاء أوربا حيث اندلعت حركات تمرد فى كل من نابولي وبيدمونت وشهدت كل من إسبانيا والبرتغال ثورات شعبية أطاحت بالأنظمة الحاكمة وانتفض العمال في بريطانيا،لقد تدخلت القوى الأروبية للقضاء على هذه الثورات في مهدها مخافة توسعها وامتدادها إلى مناطق أخروى،فتمكن النمسا من القضاء على تمرد نابولي وتورينو وأعادت فرنسا الملك فردناندالسابع[1]إلى العرش الإسباني إلا أن الطبقة الثورية المثقفة واصلت نشاطها حيث انتفض الشباب الجامعي في فارتبورغ 17 أكتوبر1817م والتجأت إلى العمل السري بعد سلسة الإعتقالات التي تعرضت لها،وتعد إنتفاضة سنتي 1830م، 1848م مِؤشرا على الرفض الشعبي للنظم الإستبدادية والرغبة في الإنعتاق والتحرروالمشاركة في القرارالسياسي واختيارالأنظمة الملائمة لها لتحقيق العدل والمساواة والحرية،لقد ساهمت الحركات التحررية في بناء نموذج أروبي يتفاعل في أبعاده مع متطلبات الشعوب الأروبية

في إختار من يحكمها وبما يحكمها وكيف يحكمها كما أفضت إلى بروز الطبقة البورجوازية التي سيطرت على مفاصل الدولة إبتداءا من منصف القرن التاسع عشر[2].

1-2-2- الحركة القومية

---

(1):لنجر،وليام،موسوعة تاريخ العالم،ترجمة،مصطفى زيادة،ج5،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، 1966م،ص.1765.

(2):شكري،محمد،فؤاد،الصراع بين البورجوازية والإقطاع،المرجع السابق،ص.573.

ظهرت الحركة في أوربا كرد فعل على هيمنت الإمبراطوريات الكبرى التي جمعت تحت سلطتها قوميات[1] متعددة وتعد أحداث الثورة الفرنسية والحروب النابليونية(1789م-1814م) بمثابة الصدمة التي أيقضت الشعورالوطني خاصة في ألمانيا وإيطاليا ووسط وشرق أوربا لقد تبلورالإتجاه القومي في ألمانيا بعد هزيمة بروسيا في معركة ييينا في 1807م وسيطرة الجيوش النابليونية على غالبية الأقاليم الجرمانية مما دفع الشعب الجرماني إلى الإنغلاق والبحث عن الذات لتجاوزالهزيمة أمام الجيوش الفرنسية[2]،إضافة إلى العامل العسكري فقد ظهرت نخبة من المفكرين ساهت أفكارها في تشكيل النواة الأولى للقومية الجرمانية من بينهم هردر1744م-1831م،وفيختة1792م-1814م)،وشيلينغ1775م-1845م،لقد تركزت جهود هذه النخبة حول إبراز أهمية العامل التاريخي واللغوي[3] في توحيد الأمم بإعتباره الوعاء الحضاري المشترك لأفراد الأمة الواحدة وفي هذا الإطار ألف فيختة "خطابات إلى الأمة الألمانية 1807م الذي دعا فيه إلى تأسيس كيان سياسي موحد يضمن الحريات والحقوق[4] ،لقد أثمرت جهود القومين في تأسيس ألمانيا الموحدة بعد أن تجاوز الشعب الألماني العراقيل التي حالت دون تحقيق مشروعه الوحدوي.

أما في إيطاليا فقد أثمرت جهود فكتورعمانوئيل وغاريبالدي ومازيني وكافور[15] في تحقيق الوحدة الإيطالية بعد إعلان مملكة إيطاليا في 23 مارس 1861م وضم البندقية 1866م وفي شرق أوربا فقد إستطاعت بعض القوميات تحقيق إستقلالها كالهنغاريين والصرب واليونان بينما أخفق التشيك والبولنديين في تحقيق الإستقلال الكامل.

1-2-3- الإتجاهات السياسية

تمخض عن التحولات التي عاشتها أوربا إلى بروز تيارين أساسين أطرالحياة السياسية

---

(1):مرجان،مصطفى،تأملات غربية في مفهوم القومية،مناقشة وتقديم لكتاب "خيانة المثقفين لجوليان باندا،مجلة المنار،ع47 ،1998م،ص.143.

(2):أنيس،إبراهيم،اللغة بين القومية والعالمية،دارالمعارف،القاهرة،1980م،ص.15.

(3): أحمد،عبد الكريم،القومية والمذاهب السياسية،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،1970م،ص.223.

(4): بيرون،جفري،المرجع السابق،ص.101.

طيلة القرن التاسع عشرالتيار المحافظ الذي تقيد بالماضي في رؤيته للحاضر والمستقبل والتيار الليبرالي المتفاعل مع المعطيات الواقعية والمتحررمن أواصرالماضي المرتكز على التراث الثوري التحرري الأمرالذي أهله إلى مسايرة التطورالتاريخي وتاكيدا لهذا الطرح يرى أليكسي دوطوكفيل أن المجتمع الأروبي حديث في تكوينه ومازال يتصارع مع الموروث القديم في تقدمه إلى الأمام مستندا إلى مبادئه الثورية[1]،كما استفاد هذا الإتجاه من تأطيرمجموعة من الفلاسفة والمفكرين أمثال جون ستوارت ميل(1806م-1858م) الذي يعد مؤلفه الحكومة التمثيلية مرجعية للفكرالليبيرالي إضافة إلى جون مشلي ولويس بلانوجورج صاند،الذين نظروا لنموذج سياسي مبني على الأسس الديموقراطية التي تستند إلى الإختيارالحر وتحدد من خلاله طبيعة العلاقة القائمة بين الدولة والشعب،أما التيارالمحافظ فقد استمد مرجعيته من القيم المسيحية ووقف أنصارهذا التيارضد الحركات التحررية وقاوموا التوحهات الثورية وسعوا للمحافظة على الأنظمة الملكية القائمة ومن بين أهم المفكرين الذين أطروا هذا الإتجاه إيدمونت بيرك الذي ألف "تاملات في الثورة الفرنسية" والكونت دومستر الذي كان يرى أن التغيير مرادف للفوضى والفيكونت بلوندالصاحب فكرة أن المجتمع المدني الحقيقي هوالذي ينتج عن إتحاد العروش[2].

خلاصة يمكن القول أن الإتجاه المحافظ[3] والليبيرالي أثرا في التحولات التي حددت مستقبل القارة الأروبية إنطلاقا من الإديولوجيات والرؤى التي تبناها وناضل من أجلها كل إتجاه.

1-3- إنعكسات التحولات الأروبية على الوضع العالمي:الحركة الإستعمارية

لقد إنعكست تحولات الداخل الأروبي على الوضع العالمي متجاوزة البعد الجغرافي لأروبا حيث سعت القوى الأروبية للهيمنة وبسط سيطرتها على العالم واستغلاغ مقدرات الشعوب

---

(1):دو طوكفيل،ألكسي،الديموقراطية في أمريكا،ترجمة،أمين مرسي قنديل،ج2، لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،ص.381.

(2): J.M,C,de Maistre,Des constitutions politique et autres institutions humaines,ed, Critique,Paris,p.15.

(3):للتعرف أكثرعلى الإتجاه المحافظ راجع: P,Gerbord,l'Europe culturelle et religieusede 1815 anos jours,Paris,P.U.F,1977.

في مختلف أنحاء العالم الأمرالذي ترجمته الحركة الإستعمارية الحديثة التي تعددت أهدافها وتباينت دوافعها،فمن الناحية الإقتصادية سعي الأروبين إلى إيجاد أسواق خارجية لتصريف الفائض الإنتاجي من جهة وجلب المواد الأولية لتنشيط الصناعة من جهة أخرى كما أسسوا الشركات الإحتكارية الكبرى ولتحقيق ذالك سيطرالأروبيون على المواقع الإستراتجية بهدف مراقبة طرق التجارة العالمية،وأما إجتماعيا فقد ترتب عن ظاهرة النموالديموغرافي نتائج سلبية ساهمت في تأزم أوضاع أوربا الأمرالذي دفع بالقوي الإستعمارية إلى تشجيع الهجرة لإسكان الفائض السكاني والتخلص من المعارضة السياسية والفئات الغيرمرغوب فيها و شكل العالم الجديد وأستراليا ونيوزلنداوجنوب إفريقيا وجهة الرجل الأبيض،لقد كان أغلب المهاجرين من إنجلترا حيث وصل عدد المهاجرين إلى 17 مليون[1] مهاجر موزعين كالأتي كندا أربعة ملايين ونصف أستراليا مليونان،نيوزلندا نصف مليون كما إستقبلت المستعمرات مهاجريين من إرلندا ومن المناطق الإسكندنافية ،الجرمانية إيطاليا وإسبانيا[2] بعد ذالك و بالتالي استطاعت الهجرة التخفيف من الضغط السكاني والحد من الظاهرة الفقر والبطالة، أما من الناحية الحضارية فقداتخذت أوربا من الإستعماروسيلة لتصدير ثقافتها ونشرتقاليدها وعاداتها والتمكين للغتها والقضاء على الهويات المحلية ،أما الدافع الديني فيتمحورحول نشرالمسيحية ومحاصرة العالم الإسلامي وتفكيكه،فالإستعمار من وجهة نظرالغرب وسيلة لتحضير الشعوب المتخلفة،لقد نشطت الحركة الإستعمارية طوال القرن

التاسع عشرحتى أضحت مناطق واسعة من العالم تحت السيطرة الأروبية الأمر الذي مهد لظهورنظام دولي جديد وضعت أسسه القوى الغربية.

2- أوضاع العالم الإسلامي يبن التدهورالداخلي والخطرالخارجي

عرف العالم الاسلامي تحت راية الخلافة العثمانية[3]تحولات مفصلية بداية من القرن الثامن عشر،حيث بدأ النفود العثماني في التراجع وفقدت الخلافة سيطرتها على الوضع

---

(1):سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير، مرجع سابق،ص.52.

(2):نفسه،ص.47.

(3):ألغيت الخلافة العثمانية عام 1924م،وطرد الخليفة عبد المجيد الثاني.أنظر: محمد سهيل طقوش تاريخ العثمانيين منقيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة،ط1،دارالنفائس،بيروت،2013م.

الداخلي وعجزت عن مواجهة التحديات الخارجية،نتيجة جملة من العوامل مست البناء الأساسي[1] للإمبراطورية ونظمها الداخلية مما أدى إلى تدهور الوضع الإقتصادي والإجتماعي والعسكري والعلمي بالإضافة إلى التدخل الأجنبي في شؤونها الداخلية، مما أدي إلى فقدان العالم الإسلامي الريادة[2] وأضحت مناطق واسعة منه تحت الهيمنة الأجنبية.

2-1- مظاهرالضعف الداخلي

لقد تعددت مظاهرالضعف واتسعت مجالاته فقد دب الوهن في كيان الخلافة واستشرى الفساد في مختلف قطاعات الدولة الساسية والعسكرية والإقتصادية وحتى العلمية والثقافية.

أ - الجانب السياسي

اتسم الوضع السياسي بلاإستقراروفقدان الحكومة المركزية سلطتها على الأقاليم مما تسبب في إضطراب الأوضاع الداخلية للولايات العثمانية وبروزالحركات الإنفصالية[3] التي أطرتها أسرمتنفذة وإقطاعين ورجال دين،لقد سعت العصب الحاكمة المحلية إلى تحقيق مصالحها وأغراضها الشخصية واستعانت في كثيرمن الأحيان بالقوى الأجنبية مما ساهم في انتشار الفوضى والفساد[4]،وتأجيج الصراعات بين الولايات العثمانية،فأصبح تاريخ

الولايات حتى نهاية القرن الثامن عشرسلسلة من الصرعات والإنقسمات،في مصروالشام عاد المماليك [5]

(1):هريدي،أحمدعلي صلاح،دراسات في تاريخ العرب الحديث،دارالوفاء،القاهرة،2000م،ص.80.

(2):عمر،عمرعبد العزيز،دراسات في تاريخ العرب الحديث،من الفتح العثماني حتى نهاية القرن الثامن عشر،ج1،دارالنهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1971م،ص.109.

(3):حوراني،ألبرت،الأسس العثمانية للشرق الأوسط الحديث،تاريخ العرب والعالم،ع12،ص.27.

(4):عمر،عمرعبد العزيز،دراسات في تاريخ العرب،مرجع سابق،ص.125.

(5):كانوا في الأصل أرقاء جلبهم الفاطميون في القرن العاشرللهجري،ثم السلاطين من الأيوبين كي يدربوا على الجندية وخدمة السلطان وارتقي البعض منهم إلى مناصب عليا في الدولة وقد أقاموا في مصردولتين،المماليك البرجية والمماليك البحرية،قضى سليم الأولى على دولتهم في 1715 م،وقضى عليهم نهائيا محمد باشا في معركة القلعة 1811م،أنظر:محمد شفيق غربالالموسوعة العربية الميسرةا لمجلد 2،ص.1426.

إلى الواجهة فاستعادت هيمنتها على مصرعلى يد علي بيك الكبير[1]وظاهر العمرفي الشام[2]،حيث أعلن علي بيك إستقلال مصرعن الخلافة العثمانية سنة 1768م بعد ما تمت له السيطرة على مصر[3] وامتد نفوذه إلى الحجازبعد أن عين على جدة حاكم مملوكي كما استطاع فرض هيمنته على سوريا أما ظاهرالعمرفقد استقل بعكا وبسط خليفته العثماني أحمد باشا الجزار[4] سيطرته على فلسطينحتى وفاته عام 1804م،كما واجهت الخلافة العثمانية الحركة الوهابية الإنفصالية[5] التي سيطرت على شبه الجزيرة العربية وهددت الوجود العثماني في المنطقة بعد أن دخلت في مواجهات مع جيش الخلافة العثمانية مما دفع بالسلطان العثماني إلى الإستنجاد بمحمد علي باشا[6]الذي تمكن من السيطرة على بلاد الحجاز ونجد والقضاء على دولتهم سنة 1818م،ثم ثارفيما بعد على الخلافة العثمانية و سعى إلى تأسيس إمبراطورية تمتد من

(1):علي بيك الكبير:(1728م-1773م) من كبار المماليك في مصر،أصبح حاكما على مصر وقام بخلع الوالي محمد الأورفلي وأعلن إستقلال مصر1769م توفي بالقاهرة،أنظر شفيق غربال،

ص.1230.

(2): ظاهرالعمر: قائد أبرز حركة إنفصالية عن الدولة العثمانية في شام لفترة دامت ربع قرن حتى هزيمته سنة 1775م ،أنظر:عمر،عبد العزيز،المرجع السابق،ص.225.

(3):الجبرتي،عبد الرحمان بن الحسن،تاريخ عجائب الأثارفي التراجم والأخبار،ج1،بولاق،(1879م-1880م)،ص.336.

(4): أحمد باشا الجزار:من مماليك علي بيك الكبير،عين واليا على صيدا،ثم دمشق ثلاث مرات،وتوفي عام 1804م،أنظر:ليلى الصباغ،المرجع السابق،ص.138.

(5): الحركة الوهابية: نسبة إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب،(1703م-1792م)،ظهرت في شبه الجزيرة العربية دعت إلى التوحيد الخالص وحاربت البدع والخرفات،واقتلعت مظاهر الشرك التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية .أنظر:ليلى الصباغ،المرجع نفسه،ص.143.

(6):محمد علي باشا:(1769م-1849م)، تولى حكم مصرمن 1805م إلى غاية 1849م،شهدت مصرفي عهده ثورة تحديثية خاض عدة معارك ضد الدولة العثمانية مات بالإسكندرية سنة 1849 أنظر: المحامي،محمد فريد بك،المرجع السابق،ص.214.راجع كذلك الأيوبي ،إلياس،محمد علي سيرته وأعماله وأثاره،إدارة الهلال،مصر،1923م.

من السودان إلى طوروس[1]ومن الخليج العربي إلى باب المندب[2] وتمكن من السيطرة على بلاد الشام فى سنة1832م وتهديد الخلافة بعد إنتصاره في معركة قونية[3]حيث وصلت قواته مشارف كوتاهية[4]وأضحت الخلافة مهددة بالسقوط[5] على يد محمد علي اما في المغرب فقدأعلن إنكشارية إيالة الجزائرالإنفصال عن الخلافة وهيمنة الأسر النافدة على إيالتي تونس وطرابلس مما أدي إلى تراجع النفود العثماني في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ،لقد استغلت القوى الغربية إضطراب الأوضاع فيالإيالات العثمانية فلجأت إلى التعامل المباشرمع حكامها دون المرور بالباب العالي.

من خلال ما سبق يمكن القول أن العامل السياسي لعب دورا محوريا في إضعاف الخلافة العثمانية وتدهورأوضاعها.

ب - الجانب العسكري

ارتبط الوضع العسكري في الخلافة العثمانية بأوضاع الإنكشارية-[6] الذين شكلوا تهديد للدولة بعدهيمنتهم على مقاليد السلطة بعد أن تغلغلوا في مختلف أجهزة الحكم وأصبحوا يوجهون السياسة الداخلية والخارجية للخلافة الأمر ساهم في إذكاء الصراع بين المؤسسة

---

(1):طوروس:سلسلة جبلية جنوب تركيا تمتد موازية للبحر المتوسط جنوب آسيا الصغرى،ينظر:غربال شفيق،المرجع السابق،ص.116.

(2):باب المندب:مضيق بين البحرالأحمروخليج عدن،عرضه 26كلم،ينظر:غربال،محمد شفيق،المرجع نفسه،المجلد1،ص.295م.

(3):قونية: مدينة وسط جنوب تركيا أصبحت قاعدة للسلاطين السلاجقة بأسيا الصغرى في القرن 11م ينظر:غربال،محمد شفيق،المرجع نفسه،ص.1409.

(4):كوتاهية:مدينة تقع إلى شرق بلقيصروغرب أسكى شهر،أنظر:المحامي،محمد فريد بك،المرجع السابق،ص.471.

(5):الغنام،سليمان بن محمد،قراءة جديدة لسياسة علي باشا التوسعية،(1811م-1849م)،في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا،ط1،جدة،1980م،ص.92.

(6): مخزوم،محمد،أزمة الفكرومشكلات السلطة السياسية في الشرق العربي،في عصرالنهضة،معهد الإنماء العربي،بيروت،1981م،ص.114.

والسلطة،لقدارتبط الوضع العسكري في الخلافة العثمانية بأوضاع الإنكشارية[1] الذين شكلوا تهديد للدولة بعدهيمنتهم على مقاليد السلطة الأمر ساهم في إذكاء الصراع بين المؤسسة العسكرية والسلطة السياسية[2] استمر لأزيد من ثلاث قرون حيث أصبح فيهاالجيش الإنكشاري الحاكم الفعلي يعين الوزراء ويعزل السلاطين بل وصل به الأمرإلى حد إغتيالهم ،مما أدفع بالساسة العثمانين إلى الإشتغال بالأمورالداخلية على حساب التحديات الخارجية،حيث انكب ثمانية سلاطين من أحمد الثالث[3]إلى محمود الثالث[4]على إصلاح المنظومة العسكرية لإضعاف الإنكشارية والحد من نفودهم،لقد كان لشيوع الفوضى والفساد في صفوف الجيش الأثر البالغ في تدهور قدارته القتالية مما أدى إلى إنكماش الحدود العثمانية المتاخمة لأروبا علىإثرهزائمه المتوالية مع القوى الأروبية[5]حيث ابتداءا من القرن

السابع عشرتوالت هزائم الجيش العثماني على يد النمسا في موقعتي موهاكس1687م [6]وزانتا1697م[7]انتهت بعقد

---

(1):الإنكشارية: اصلها يني-شري بمعنى الجيش الجديد،يجندون من بين أطفال العائلات الغيرمسلمة أو الذين يؤسرون في الحملات العسكرية ويعدون للحروب وينشأون على الوطنية العثمانية،ينظر: هاملتون،جب وهارولديون،المجتمع الإسلامي والغرب،ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفي،دار المعارف،القاهرة،1970م،ص.58.

(2):الشناوي،عبد العزيز،الدولة العثمانية ،دولة إسلامية مفترى عليها،ج1،ط1،المكتبة الأنجلومصرية بدون مكان،1985م،ص.78.

(3):أحمد الثالث:(1637م-1736م) تولى السلطة (1703م-1730م)،خلعه جند الإنكشارية عام 1730م ونصبوا ابن أخيه محمود الأول،أنظر:غربال،محمد شفيق،المرجع السابق،ص.83.

(4):محمود الثالث:تولى السلطة في 1808م،أجرى إصلاحات واسعة في الدولة شملت التعليم،الصحة، والعمران والزراعة،تميز عهده بالإنفتاح على الغرب وهو من أعدى ما يعرف في التاريخ العثماني بحركة التنظيمات،توفي عام 1839م،أنظر:البحراوي،محمد عبد اللطيف،حركة الإصلاح العثماني في عهد السلطان محمود الثالث،1808م-1839م،دار التراث،القاهرة،1978م،ص.181.

(5):الحصري،ساطع،البلاد العربية والدولة العثمانية،دار العلم للملايين،بيروت،1960م،ص.47.

(6):تقع في جنوب بلاد المجرقرب الحدود اليوغسلافية، ينظر:المحامي،محمد فريد يك،المرجع السابق ص.303.

(7):زانتا:بلدة في الشمال الشرقي ليوغسلافيا،أنظر:المرجع نفسه،ص.307.

معاهدة كارلوفتس 1699م[1] تنازلت الدولة العثمانية بموجبها تراسلفانيا [2]وغالبية أراضي هنغاريا وشبه جزيرة المورة[3] للبندقية،أما الصراع الروسي العثماني فقد بلغ أشدها في عهد بطرس الأكبر[4] وكاترين الثانية[5] وانتهى بتوقيع معاهدة كوتشك كينارحه[6] حيث تنازلت الدولة العثمانية عن شبه جزيرة القرم وسمحت لروسيا بفتح قنصليات على التراب العثماني بالإضافة إلى حرية التجارة كما ساهمت معاهدة جاسي[7] 1790م في إزدياد النفود الروسي مما فتح المجال أمام التسلط الأروبي مما أجبرالعثمانين على مزيد من التنازلات خصوصا بعد إنهيارالجيش في معركة نافرين 1827 لقد دفع الخطر المتنامي للإنكشارية السلاطين إلى تبني إصلاحات جدرية إنتهت بصدام بين الخلفاء المصلحين والجيش الإنكشاري إلى أن

تمكن السلطان محمود الثالث من إبادتهم وتشتيت فلولهم في سنة 1826م في واقعة سماها الأتراك بالواقعة الخيرية وتم إلغاء إسم الإنكشارية وتعويضها بعساكرالمنصورة المحمدية[8]، وعليه يمكن إعتبارضعف الإنكشارية من أهم العوامل التي أدت إلى تدهوروضعف الخلافة

ج - الجانب الإقتصادي

اتسم الإقتصاد العثماني بالجمود نظرا لقدم أساليب التسيروعدم نجاعتها بحكم إرتباطه بالموروث العربي والبزنطي الأمرالذي نجم عنه فوضى في الإقطاعيات العسكرية التي

---

(1):كارلوفيتس:بلدة يوغسلافية واقعة على نهرالدانوب،ينظر:محمد فريد بك،المرجع السابق،ص.141.

(2):ترنسلفانيا:مقاطعة بوسط رومانيا،المرجع نفسه،ص.102.

(3):شبه جزيرة المورة:جزيرة يونانية تقع في الجهة الجنوبية،ينظر:المرجع نفسه،ص.104.

(4):بطرس الأكبر:ولد في روسيا 1672م وتولى الحكم في1682م،اسس مدينة بطرسبورغ توفي في 1725م وخلفته زوجته كاترين الأولى،ينظر:المرجع نفسه،ص.226.

(5): كاترين الثانية:ولدت في 1729م وتوجت إمبراطورة على روسيا في 1762م،سارت على خطى بطرس الأكبر،فاستولت على القرم واقتسمت بولونيا مع النمسا وبروسيا،توفيت عام 1797م،أنظر: المرجع نفسه،ص.329.

(6):كوتشك كينارحه:بلدة في مقاطعة سلستريا في بلغاريا،ينظر:المرجع نفسه،ص.326م.

(7):بلدة رومانية قديمة،أنظر المرجع نفسه،ص.326.

(8):عمر،عمرعبد العزيز،المرجع السابق،ص.271.

التي كانت سببا في ضعف الإنتاج الفلاحي كما أدي فساد نظام الإلتزام[1] إلى تراجع النشاط الإقتصادي وتدهورأوضاع الطبقات العثمانية المنتجة[2]وغزت المنتجات الأروبية الأسواق العثمانية[3]،لقد ترتب عن الوضع الإقتصادي المتدهور ركود الإنتاج المحلي وعدم قدرته على منافسة المنتجات الأروبية،مما تسبب في إختلال الوضع المالي وبالتالي ظهورأزمات[4]خصوصا بعد تدفق الذهب والفضة الأمركية[5] فانخفضت العملة العثمانية الأقجة[6]وامتلأت الأسواق بالعملات الأجنبية مما أدى إلى عجز في الميزانية دفع الدولة إلى رفع من قيمة الضرائب التي تحولت إلى زيادات سنوية ثابة[7] ومما زاد من ركود الإقتصاد

العثماني إقرارنظام الإمتيازات الأجنبية[8] التي كرست التبعية مما فسح المجال للتدخل في الشؤون السلطنة الداخلية ومن ثم على صناعة القرارالسياسي.

د- الجانب الديني

ساهم تحالف العلماء مع السلطة في تقويض دورالحضاري لهذه الفئة بحكم إشرافها على القضاء والتعليم والأوقاف ومع تراجع وضعف السلاطين العثمانيين حظيت هذه الطبقة

---

(1):نظام الإلتزام:يعود العمل بهذا النظام إلى عهد السلطان محمد الفاتح،وتوسع استعماله في عهد مراد الثالث وبلغ أوجه في القرن السابع عشربتطبيق نظام المالكانة،والملتزمون هم واسطة بين الدولة و الفلاحين،وفي النصف الثاني من القرن التاسع هيمنت طبقة الملتزمين على القطاع الفلاحي،راجع: عوض،عبد العزيزمحمد،الإدارة العثمانية في سوريا(1864م-1914م)،دارالمعارف،مصر1969م ص.182م.

(2):السيد،محمد السيد،دراسات في التاريخ العثماني،ط1،دارالصحوة للنشر،القاهرة،1992م،ص.92.

(3):الغراوي،قيس جواد،المرجع السابق،ص.69.

(4):نفسه،ص.68.

(5):عمر،عبد العزيزعمر،المرجع السابق،ص.117.

(6):سكت الأقجة في عهد السلطان أورخان واستمرالتعامل بها حتى نهاية القرن السابع عشر،راجع عوض،عبد العزيزمحمد،المرجع السابق،ص.182.

(7):حوراني،ألبرت،المرجع السابق،ص.53.

(8):الغزاوي،قيس جواد،المرجع السابق،ص.68.

بمركزا سياسيا أهلها للمشاركة في صناعة القراربداية من نهاية القرن التاسع عشر[1]،لقد كرست العلماء الإنغلاق وحاولوا إبعاد المجتمع عن المؤثرات الخارجية ومما أدي إلى حرمان المجتمع من الإستفادة من التقدم الأروبي،لقد ترتب عن هذا الوضع بروز فئة أرستقراطية[2] من العلماء انهمكت في تحقيق أغراضها ومصالحها الشخصية،من خلال إنخراطها في الصراع بين المؤسسة العسكرية والسلاطين فأضحت جزءا من مراكزالقوى[3] داخل السلطة كما سعت هذه الفئة جاهدة لإفشال الإصلاحات ومقامة حركة التحديث إلأ أن إصرارالسلاطين على الإنفتاح والنهضة بقطاعات الدولة دفع بهم إلى الإنخراط ومساندة

جهود السلاطين الإصلاحيةتأسيسا على ما سبق يمكن القول أن تراجع دور العلماء في قيادة وتأطير المجتمع ترتب عنه جمود فكري وثقافي زاد من تخلف من المجتمع وإنغلاقه.

2-2- تأثيرات التدخل الأجنبي على أوضاع العالم الإسلامي

دفع تردي الأوضاع الداخلية للخلافة العثمانية السلاطين العثمانيين إلى مباشرة إصلاحات عميقة على النمط الأروبي في مختلف المجالات الحيوية كالإدارة والجيش و الإقتصادوبغية الإستفادة من التقدم الذي أحرزته القوي الأروبية[4] فقد منحت السلطات العثمانية إمتيازات[5] واسعة للأجانب في مختلف المجالات مهدت للتغلغل الأروبي وفتحت المجال أمام الإستثمار الأروبي في العديد من إيالات الخلافة،لقد إنعكست هذه الإمتيازات سلبا على الدولة العثمانية

---

(1):الحصري،ساطع،المرجع السابق،ص.47.

(2):طبقة إجتماعية ظهرت في القرون الوسطى تمتعت ببعض الإمتيازات،أنظر:غربال،محمد شفيق، المرجع السابق،ص.429.

(3):الحصري،ساطع،المرجع السابق،ص.48.

(4):البحراوي،محمد عبد اللطيف،المرجع السابق،184.

(5):الإمتيازات: تعني تلك التسهيلات التجارية التي والحماية الشخصية التي منحت للأجانب وبحلول القرنين الثامن عشروالتاسع عشرتحولت الإمتيازات إلى قيود مكبلة للسلطة العثمانية،لتأخذ في النهاية شكل نظم تعهدية إلزامية على السلطان تفرضها المؤتمرات الأروبية،حيث اعتبرت الدول الأروبية الإمتيازات بمثابة حقوق مكتسبة لها ولي رعاياها،ينظر:مصطفى،أحمد عبد الرحيم،المرحع السابق، ص.94.وأيضا:المحامي،محمد،فريد بك،المرجع السابق،ص.95.

بحكم فسحت المجال أمام التدخل الأجنبي في شؤون الخلافة العثمانية ،لقد ساهمت التنظيمات العثمانية في تكريس مبدأ التبعية[1]،لقد نجم عن الإمتيازات عدة أثارنجملها فيما يلى:

أ - الأثار الإقتصادية

تجلت الأثارالإقتصادية للإمتيازات في هيمنة الأجانب على شريان الإقتصاد العثماني بتحكمهم في التجارة الداخلية واحتكارالتجارة الخارجية[2]كما تمكنوا من تهميش التجار و الوسطاء المحلين وساهموا في بروز طبقة من العملاء المسحيين[3]، لقد ترتب عن محاولة العثمانين الإندماح في الإقتصاد الرأسمالي[4] ركود في مختلف القطاعات الإقتصادية وتعثر الإنتاج المحلي وفقدانه القدرة التنافسية أمام جودة المتوجات الأجنبية المستوردة التي أغرقت الأسواق العثمانية،ضف إلى ذلك عدم استفادة خزينة الدولة من جباية الضرائب المباشرة بموجب الشروط التي حددتها عقود الإمتيازات[5]،كما خضعت العملة المحلية إلى مضاربات الأجانب الذين أغرقوا السوق بالنقود المزيفة الأمرالذي أدى إلى إنخفاض العملة المحلية[6]مما سبق نستخلص أن الإقتصاد العثماني هيمنت عليه أقلية أروبية إستحودت على الثروة وأضحت طبقة نافدة في المجتمع العثماني.

ب - الأثارالسياسية

لقد انعكست الإمتيازات الممنوحة للدولة الأروبية على الأداء السياسي للخلافة العثمانية حيث

---

(1): الحصري،ساطع،المرجع السابق،ص.69.

(2):هيرشلاغ،ز،ي،مدخل إلى التاريخ الإقتصادي الحديث للشرق،ترجمة مصطفي الحسيني،دار الحقيقة،بيروت،1973م،ص.62.

(3):أزتونا،يلماز،تاريخ الدولة العثمانية،ترجمة،عدنان محمود سلمان،مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول،1988م،ص.23.

(4): الإقتصاد الرأسمالي:نظام يقوم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج،راجع:غربال،شفيق المرجع السابق،ص.174.

(5):الحصري،ساطع،المرجع السابق،ص.143.

(6): العزاوي،قيس جواد،المرجع السابق،ص.69.

أدى الوضع الذي تمتعت به الطوائف الدينية بفضل الإمتيازات[1] إلى إستغلال الدول الأروبية لهذا الفئة مما تسبب في إختلال نظام الملة العثماني الذي ضمن لأهل الذمة[2]حقوقهم في ظل الخلافة العثمانية،لقد شكلت الطوائف الدينية تهديدا مباشراللدولة بعدما تمكنت الدول

الغربية من استدراجهم تحت الغطاء الديني والثقافي والعرقي بفضل الحماية التي تمتعوا بها فقد نشطوا بكل حرية في تنفيد المخططات الأجنبية وطالبوا بالإستقلال عن الخلافة الأمر الذي مهد للتدخل الأجنبي بحجة حماية القوميات مما أدى إلى تقلص وإنكماش الخلافة العثمانية نتيجة الثوارث في مختلف أقاليم السلطنة ففي أروباالشرقية ثارت الأقليات التي كانت تحت الحكمالعثماني من أبرزالأمثلة الثورة اليونانية وفي أخر مراحل الدولة العثمانية قامت الثورة العربية التي أنهت الوجود العثماني في الشام وفلسطين،أما دبلوماسيا فقد استغلت الدول الأروبية الأزمات التي مرت بها الدولة العثمانية لتقديم مساعدة مشروطة وفي هذا الإطارسارعت القوي الأروبية إلى الوقوف إلى جانب السلطان العثماني ضد محمدعلي[3] بشرط قيام السلطنة العثمانية بإصلاحات واستجابة للضغوطات الأجنبية أصدرت الخلافة فرمان التنظيمات[4] مهدت لحصول هذه الدول على امتيازات تحولت فيما بعد إلى حقوق ثابة.

ج - الأثار الثقافية

بموجب الإمتيازات الدينية التي حظيت بها الدول الأروبية المتمثلة في رعاية حقوق الأقليات الدينية سعت الكنائس الأروبية إلى تقنين نشاطها وتزايد دور الإرساليات التبشيرية[5]

---

(1):أهل الذمة:إسم أطلق على اليهود والنصارى وقد منح الإسلام أهل الذمة حقوق خاصة وأدخلهم في ذمته ،راجع:غربال،محمد شفيق،المرجع السابق،ص.174.

(2): ميكال،أندرية،الإسلام وحضارته،ترجمة كمال الحناوي،المكتبة العصرية،صيدا،1939م،ص.483.

(3): صفوت،محمد مصطفي،المرجع السابق،ص.02.

(4): بيهم،محمد جميل،العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب،بيروت 1957م،ص.181.

(5):الإرساليات: تطلق على المنظمات التي تهدف إلى تعليم الدين المسيحي ونشره في دولة ما أو خارجها،أنظر:محفوظ،محمود محمد،الموسوعة العربية الميسرة،ط2،الجمعية المصرية للنشر والمعرفة والثقافة العالمية،القاهرة،2001م،ص.164.

الكاثوليكية[1] والأرثودكسية[2] خصوصا في بلاد الشام أين تنتشر الأقليات المسيحية،لقد اهتمت هذه البعثات الدينية بالجانب التعليمي والصحي مما أدى إلى بروزطبقة من المثقفين

مرتبطة بالخارج[3] وبالتالي استطاعت أن تحدث شرخا في النسيج الإجتماعي والسياسي للمنطقة و تذكية الصراعات الطائفية وأصبح النموذج السياسي يرتكز على أسس طائفية مما ساهم في إضطراب الوضع السياسي واختلال منظومة الحكم وفتح الباب أمام التدخل الأجنبي بكم حماية الأقليات المسيحية الأمر الذي ساهم في ترسيخ نفوده في مختلف مناطق الخلافة، مما سبق يتضح لنا أن بداية القرن التاسع عشر شهدت تحولات مفصلية في العلاقاتالدولية كنتيجة لإختلال التوازن بين العالم الإسلامي والقوى الأروبية الذي أدى إلى إرساء أسس نظام دولي جديد عاشت منطقة المتوسط أولى إرهاصاته ودفعت ثمنه أجزاء واسعة من الخلافة العثمانية فيهذاالإطارفقد تمكنت الدول الأروبية من إيجاد فضاء مشترك تتقاطع فيه المصالح،استطاعتمن خلاله بسط نفوذه وهيمنتها على العالم الإسلامي بفضل تفوقها العسكري والعلمي،لقد احتضن هذا الواقع بمتغيراته مقاومة الأميرعبد القادرالتي اصطدمت بالتوجهات الأروبية الجديد من جهة والسياسة العثمانية التي تأثرت بالوضع الدولي الجديد كنتيجة حتمية للضعف والتخلف الذي افقدها الريادة وجعلها عاجزة عن مواكبة التطور الغربي،وأضحت مناطقة حوض البحر الأبيض المتوسط تحت هيمنة النفوذ الأروبي،من جانب آخر فقد تقاطعت مصالح الدول لأروبية مما دفعها إلى توحيد جهودها للحيولة دون نهضة الخلافة العثمانية واستطاعت بفضل سياسة التحالفات والمؤمرات أن تؤسس لمفاهيم ورؤى جديدة في التعامل فيما بينها وفي تعاملها مع الآخر،لقد شكل التصور المشترك الذي توصلت إليه القوى الأروبية البوادر الأولى لنظام دولى جديد سيساهم في محاصرة المقاومة الجزائرية ومن ثم إجهاض المشروع الوطني النهضوي للأمير عبد القادر.

---

(1): الكاثوليك: تكونت هذه الطائفة في بلاد الشام نتيجة الإنشقاقات في الكنيسة الشرقية تم في عام 1724م إنتخاب بطرريك خاص بها واعترفوا برئاسة البابا

(2):الأرثوذكس:سمي أتباعها روم ملتي أي ملة أوطائفة الروم،اتبع القسم الأعظم من مسيحي الشام الكنيسة الأرثوذكسية،راجع: هاملتون،جب،المرجع السابق،ص.216.

(3):ظاهر،مسعود المرجع السابق،ص.287.

3 - تداعيات الظرف الدولي على المشروع الوطني والتحرري للأميرعبد القادر

إن الفترة التي ظهرت فيها دولة الأميرعبد القادر ميزتها خصوصية الظرف الخارجي والتي اختزلها بداية الصدام الحضاري بين الغرب المسيحي والعالم الإسلامي في ظل إختلال موازين القوى الذي تجسد في تراجع الخلافة العثمانية وفي المقابل تطوروتقدم أروبا التي تحركت وفق رؤية واستراتيجية موحدة إتجاه العالم الإسلامي،ومنطلق أن المشروع الوطني والتحرري الذي سعى الأمير لتجسيده على أرض الواقع يشكل آخر قلاع الصمود والتحدي للهيمنة الغربية في منطقة المتوسط وعليه فقد أدركت الدولة الأروبية الخطورة التي يمثلها هذا المشروع على السياسة الأروبية،لذا فقد سعت لإجهاضه بشتى الوسائل واستطاعت تحييد الخلافة الإسلامية والتأثير الباقي الدول الإسلامية.

3 -1- الضغوطات الأروبية على الخلافة العثمانية وإنعكساتها على مقاومة الأميرعبد القادر

لقد اتسم الموقف العثماني من مقاومة الأمير بالسلبية برغم من مواقف الجزائريين المشرفة إتجاه الخلافة ومشاركتهم في العديد من الحروب دفاعا عن حدودها[1]،لقد تحددت معالم هذا الموقف منذ الحصارالفرنسي على الإيالة سنة 1827م[2] حيث اكتفت الخلافة في تعاملها مع الأزمة الجزائرية بالخيار االسياسي ولم تمنع جهودها الدبلوماسية من إحتلال الجزائرسنة 1830م،ويرجع هذا الموقف أساسا للإستراتيجية التي إنتهجتها الدول الأروبية والتي ترمي إلى عزل الخلافة عن باقي الإيالات من خلال تغدية الإضطربات الداخلية خصوصا بعد إنهيارالأسطول العثماني في معركة نافريين،لقد حاول الأميركسب نصرة و تأييد السلطان العثماني معلنا إعترافه بالخليفة معتبرا نفسه أحد رعاياه في هذا الإطار قام الأمير بمراسلة السلطان العثماني طالبا منه الدعم حتى أنه لجأ إلى الوساطة الإنجليزية[1] لإيصال رسائله إلى الباب العالي وفي المقابل لم يتلق أي رد.

---

(1):شارك أسطول الإيالة الجزائية في عدة معارك إلى جانب الخلافة العثمانية،كمعركة نافاريين.

(2): أنظر في هذا الشأن: أرجمند،كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر مرجع سابق.

السلطان العثماني طالبا منه الدعم حتى أنه لجأ إلى الوساطة الإنجليزية[1] لإيصال رسائله إلى الباب العالي وفي المقابل لم يتلق أي رد.

إن قرائتنا للموقف السلطات العثمانية إتجاه المقاومة الجزائرية قادتنا إلى جملة من الإستنتاجات بخصوص الأسباب الكامنة وراء هذا الموقف من أهمها أن الأمير يمثل قيادة محلية أجمع عليها غالبية السكان الجزائريين إلى جانب موقف الخلافة المنحاز إلى أحمد باي بإعتباره إمتدادا للحكم العثماني في الجزائر من وجهة نظر الأستانة،من جهة أخرى لعب حمدان خوجة دورا مهما ففي بلورة الموقف العثماني رغم طلب الأميرمن حمدان خوجة التدخل لصالح القضية الجزائرية والتوسط بينه وبين الحكام العثمانية[2]ولكن دون نتيجة بل إن الموقف العثماني وصل حد العداء بعد قيام الأمير بعقد معاهدة تافنة مع المستعمر الفرنسي حيث سعت الدولة العثمانية إلى عرقلة المعاهدة وفق هذا المنحى فقد استنكر نوري أفندي في رسالة موجهة إلى الكونت مولي وزيرالخارجية الفرنسي مؤرخة في 26 أوت 1837م قيام فرنسا بعقد إتفاقية مع الأمير عبد القادريعد عملا منافيا لعظمة فرنسا[3]،وخلاصة يمكن القول أنه كان في مقدور الخلافة التعامل مع الملف الجزائري بإجابية واتخاذ موقفا حازما وجريئا لصالح المقاومة الجزائرية وهذا ما يتناسب معواجبات الخلافة العثمانية كونها وحدة جامعة وجب عليها الدفاع عن الإسلام و المسلمين.

3 -2-الدول الإسلاميةومقاومة الأمير: مواقف الحياد ومظاهر دعم المشروع الإستعماري

لقد كان سقوط إيالة الجزائربمثابة الصدمة التي دفعت بالدولة العربية جنوب المتوسط خصوصا دول الجوار إلى إعادة صياغة سياستها إتجاه أروبا رغبة في الحفاظ على سيادتها

---

(1): أرسل الأمير أربع رسائل مع الكولونال سكوت ليسلمها إلى وزارة الخارجية البريطانية،في هذا الإطار راجع: التميمي،عبد الجليل،بحوث ووثائق في التاريخ المغربي،المرجع السابق،ص.48.

(2): بعث الأمير رسالة إلى حمدان خوجة مؤرخة في 10 ديسمبر 1841م بحكم إرتباطاته وعلاقاته بالحكام العثمانيين،ينظر: المدني،أحمد توفيق،أبطال المقاومة الوطنية،حمدان خوجة،أحمد باي قسنطينة،الأمير عبد القادر والدولة العثمانية،مجلة التاريخ،مقال سابق، ص.99.

(3):كوران،أرجمند،المرجع السابق ،ص.71.

وعروش حكامها الذين تراوحت مواقفهم بين التأييد والمساندة والحياد.

3-2-1- حكام تونس

منذ بداية الإحتلال إتضحت معالم الموقف التونسي إتجاه الوضع الجزائري حيث قامت السلطات التونسية بتأييد المستعمر من خلال دعم الجيش الفرنسي وتنسيق مع قادة المحتل في هذا فقد أبرم باي تونس إتفاقية مع السلطات العسكرية الفرنسية تقضي بتسليم وهران إلى حامية تونسية مقابل ضريبة سنوية[1]،وبعد مبايعة الأمير وإعلان قيام الدولة الجزائرية حاول الأميرالإصال بحكام تونس عن طريق خلفائه ضمن هذا الإطارراسل الخليفة بن عزوزباي تونس طالبا منه المساندة ومستنكرا في نفس الوقت تواطئهم مع سلطات الإحتلال لكن دون جدوى[2]،لقد راسل الأمير بنفسه الباي محمد بن حسن سنة 1847م ولم يتلق أي رد[3]،بل لقد عملت الحكومة التونسية على إجهاض مقاومة الأمير حيث طلبت من مثليها التجاريين وقف التعامل مع الأمير عبد القادر[4]،لقد أدرك المستعمرأهمية تونس بالنسبة للمقاومة كونها تمثل إمتداد للعمق الجزائري يمكن الأمير من فك الخناق عن جيش المقاومة لذا حرصت على دخول تونس كطرف فاعل في الإستراتيجية الإستعمارية وقد تكون ثمة أسباب أخرى دفعت حكام تونس إلى إتخاذ موقف معارض للمقاومة من بينها تزايد نفوذ الأمير في المنطقة الشرقية الأمرالذي قد يدفع ببعض القبائل التونسية إلى مبايعة الأميرعبد القادر وبالتالي إمتداد سلطانهإلى تونس،وقد يكون لهذا الموقف جذور تاريخية بحكم الصراع الذي ميز العلاقات الجزائرية تونسية إبان الحكم العثماني.

3-2-2- سلطان المغرب

إن كان موقف المغرب مؤيدا لمقاومة الأمير في بدايتها وقام السلطان عبد الرحمان بن هشام بمساندة الأمير وتدعيمه ماديا ومعنويا وكان حريصا على إستمرارية الجهاد حتى أنه

---

(1): G,Esquer,la prise d'Alger,op .cit,p.280.

(2):بوعزيز،يحي،كفاح الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986م،ص.53.

(3):بوعزيز،يحي،موقف البايات تونسيين من ثورة الأمير عبد القادر،المقال السابق،ص.27,

(4): نفسه،ص.34.

حث الأمير على نقض معادته مع المحتل،ولكن سرعان ما تغيير هذا الموقف ليتحول السلطان إلى عداء الأمير وسعى إلى القضاء على المقاومة التي كانت تمر في فترة حرجة من تاريخها وتعد معركة إيسلي[1] منعرجا خطيرا في العلاقات الجزائرية المغربية بحكم الهزيمة التي لحقت بالجيش المغربي رغم عدته وعتاده وتمكن الجيش الفرنسي رغم قلة عدده من دخول الأراضي المغربية الأمرالذي أجبر السلطان المغربي على الرضوخ للمطالب الفرنسية التي وردت في معاهدة طنجة 10 سبتمبر 1844م [2]ومنبينها عدم تقديم أي دعم للأمير عبد القادر وملاحقته في الأراضي المغربية وبالتالي تحول المغرب حليف الأمس إلى عدو للمقاومة يسعى إلى القضاء عليها بالتنسيق مع المستعمر وأستطاع تضييق الخناق على الجيش الأمير الذي أضحى يقاتل في جبهات متعددة الأمر الذي إنعكس سلبا على أداء المقاومة الجزائرية.

3-2-3- محمد علي باشا

لقد كان موقف علي باشا حاكم مصري من المسألة الجزائرية واضحا منذ بداية تأزم العلاقات بين إيالة الجزائر والمملكة الفرنسية حيث إقترح هذا الأخير مساعدة فرنسا علىغزو الجزائر على أن تتولى مصر قيادة الجيوش الغازية بالإضافة إلى قرض فرنسا مصرلمدة عشر سنوات إلا أن الحكومة الفرنسية رفضت هذه الشروط[3]وعليه فإن موقف محمد علي كان سلبيا من مقاومة الأميرعبد القادر وألتزم الحياد وعدم التدخل لصالح القضية الجزائري،إلا أن كوران أرجمند يذهب أن إستعداد محمد على لمساندة فرنسا في غزو إيالة الجزائر لا أساس له من الصحة[4].

4-2-3 - يوسف القرمانلي

---

(1): A,Latarille,la compagne de 1844du Maroc la bataille d'Isly,op.cit,p.114.

(2): R,De Card,les traites entre la France et le maroc etude historique et juridique,ed, Durand,Paris,1889,p.54.

(3): لمزيد من الإطلاع أنظر: المدني،أحمد توفيق،من الوثائق العثمانية عن التاريخ الجزائري،محمدعلي باشا ومساعيه لإحتلال الجزائر،ومهمة الطاهرباشا،،مجلة التاريخ،ع 12،الجزائر،1982م.

(4): كوران،أرجمند،المرجع السابق،ص.89.

رغم مؤازرته للداي حسين ووقوفه إلى جانب خلال الأزمة إلا أن الحكومة الفرنسية تفطنت للدور الذي ممكن أن تلعبه حكومة طرابلس الغرب لصالح الجزائر لذا سارع ببعث أسطول بحري مكون من سبع بواخر تحت قيادة دريزنلأرغم حاكم طرابلس على توقيع معاهدة يلتزم من خلالها حاكم طرابلس بعدم التدخل في الشان الجزائري،لذا فإن موقفها اتسم بالسلبية ولم تقدم طرابلس أي شكل من أشكال الدعم لمقاومة الأمير.

3-3- الحصار الغربي لمقاومة الأميرعبد القادر

إن المواقف الغربية من مقاومة الأمير حددتها السياسة الأروبية إتجاه العالم ورسمها تقاسم النفوذ بين القوى الأروبية المختلفة لذا فقد إلتزمت الدول الأروبية بعدم التدخل في الشأن الجزائري وإعتباره مسألة تخص الفرنسيين بل ساندت العديد من الدول الموقف الفرنسي[1]وقامتبتقديم دعمها للحكومة الفرنسية.

3-3-1- الإنجليز

لقد حاول الأمير بعث شراكة حقيقية مع الإنجليز وقام في هذا الإطار بعدة إتصالات مع المسؤولين في الحكومة الإنجليزية عارضا تحفيزات إقتصادية هامة[2] إلا أن حكومة الإنجليزلم تعر أي إهتمام لمبادراة الأمير نظرا لأطماعها التوسعية في أوربا وتنازلت عن دورها جنوب المتوسط لصالح فرنسا على أن لا تقف هذه الأخير وجه توسعاتها في أروبا.

3-3-2- الإسبان

دعم الإسبان الحملة الفرنسية على إيالة الجزائرحيث وضعت ميناء جزر البليار[3] تحت

---

(1):امتد حكم الأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب من 1711م إلى غاية 1835م ،راجع: رود لوفيمكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلي،تر،طه فوزي،دار الفرجاني،طرابلس

(2):التميمي،عبد الجليل،المرجع السابق،ص.215.

(3):جزر البليار: هي مجموعة جزر (أرخبيل) تابعة لإسبانيا تقع في غرب المتوسط قرب الساحل الشرقي

لشبه الجزيرة الإيبرية وهي عبارة عن خمس جزر رئيسية

تصرف جيش الحملة وزودته بالإضافة إلى مستشفى ميداني بماهون،لقد سعى الأمير في فترة تواجده في المغرب إلى ربط صلات مع الحكومة الإسبانية من خلال مراسلة الملكة إيزابيلا الثانية[1] طالبا منها الوساطة بينه وبين فرنسا،كما عرض عليه إقامة شراكة إقتصادية إلا أنه لم يتلق أي رد إيجابي من الملكة،كما راسل الأمير حاكم مليلية طالبا منه الدعم وقام هذا الأخيربإستقباله في 18 جويلية 1847م[2].

إن عدم وضوح الموقف الإسبابي يرجع إلى عدة أسباب من بينها الصراع الذي كانت تعيشه إسبانيا بين أفراد العائلة المالكة،ضف إلى ذلك أطماعها التوسعية في المغرب من جانب آخر خوفها على ممتلكاتها في المغرب لإدراكها لقوة الأمير وقدرة على شن الحرب ضد الأهداف الإسبانية في المغرب وأخيرا العلاقات الوطيدة التي تجمع إسبانيا مع فرنسا لذا اتسم الموقف الإسباني بالمهادنة والمماطلة ربحا للوقت وفي المقابل أعطت الحكومة الإسبانية تعليمات صارمة لحاكم مليلية بعدم دعم الأميرعبد القادر.

3-3-3- الإمارات الإيطالية

تبنت الإمارات الإيطالية موقفا مساندا لفرنسا منذ بداية الحملة على إيالة الجزائر وقامت بدعم الجيش الفرنسي إبان الغزو من خلال وضع الموانئ تحت تصرفه وتأجيره السفن التجارية أعتبرت الحملة الفرنسية ضد الجزائر بداية لتمكين المسيحية،لذا ساندت الجيش الفرنسي وقدمت له الدعم اللوجستي،لقد تركز إهتمامناعلى بعض الدول المتوسطية من منطلق الموقف الأروبي المتماثل من غزو وإحتلال الجزائر.

خلاصة يمكن القول أن معطيات الواقع الداخلي وتحديات الظرف الخارجي حالت دون نجاح مشروع الأميرعبد القادر،رغم هذا فقد تمكن الأمير من تأسيس دولة جزائرية بمعايير حديثة وأستطاع الصمود أمام أعتى الجيوش الأروبية مدافعا عن الجزائر شعبا وأرضا

---

(1): بوعزيز،يحي،الجديد في علاقة الأمير مع إسبانيا وحكامها العسكريين مرجع سابق،ص.104.

(2): نفسه،ص.57.

وهوية،ورسخ لدى الجزائريين عقيدة الرفض التي شكلت وقود الإنتفاضات والثورات الشعبية فيما بعد،كما أن الجيل الذي تربى في حضن مقاومة الأميرحمل أبنائه وأحفاده راية الجهاد ورجع إليهم الفضل في بعث الحركة الوطنية التي أنتهت بإندلاع الثورة التحريرية الكبرى في 1 نوفمبر 1954م،لقد أدرك الأميرحجم التحديات الداخلية والخارجية فاختار وضع حد للمقاومة وإنهاء القتال بشروط يوم 23 ديسمبر1847م[2] إلا أن تنكر الفرنسي للإتفاقية حال دون مبتغاه ليمكث خمس سنوات في السجون الفرنسية بعدها أطلق نابليون الثالث سراحه ليتوجها إلى بروسة ثم إلى يستقر في آخر المطاف بدمشق أين تفرغ للعلم وناضل لأجل تحريرالعقول وأطر كوكبة من العلماء كان لها السبق في حمل مشعل النهضة العربية الحديثة كما أستطاع بفضل دهائه تجنيب المنطقة التدخل الأجنبي باعثا رسالة إلى الأجيال مفادها إذا أنهينا القتال فإن المقاومة لم تنتهي،وبعد سنوات من العطاء في الشام ينتقل الأمير عبد القادر الجزائري إلى الرفيق الأعلى إثر مرض ألم به وكان ذلك في 26 ماي 1883م[3] بدمر ضواحي دمشق،لينقل جثمانه بعد إستقلال إلى الجزائر ويعود إلى الأرض الذي دافع عنها بإستماتة منقطعة النظير.

---

(1): زروال،محمد،العلاقات الجزائرية الفرنسية (1971م – 1830م)،مطبعة دحلب،الجزائر،1994م ص.124.

(2):تشرشل،هنري،المصدر السابق،ص.249.

(3):بن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر،ج2،مصدر سابق،ص.247.

خاتمة

لقد توصلنا من خلال الدراسة إلى أن الفكرالوطني والتحرري للأميرعبد القادرجسد حلقة من حلقات تطورالأمة الجزائرية في مرحلة حرجة من تاريخها،من منطلق أن الأميرتمكن من وضع الأسس النظرية والأطرالتطبيقية لمجتمع جزائري حديث يرتكزعلى الخصوصية الجزائرية والهوية المحلية في تباينها الثقافي وتعددها الديني وتنوعها العرقي ويتجاوز الموروث الثقافي والإجتماعي الذي كرس هيمنة القبيلة ومرجعية الأفراد ومحدودية الجغرافية ويخضع لسيادة الدولة ويرتكزعلى وحدة المرجعية كما اوضحنا من خلال الدراسة خصائص الفكر الوطني للاميرعبد القادرالذي جمع بين الاصالة والتجديد وتفاعل مع معطيات الواقع الداخلي والظرف الخارجي،كما تناولت الدراسة الأبعاد المختلفة لهذا الفكر فتناولت البعد الحضاري الذي حدد إنتماء الأمة الجزائرية بالتوازي على ما يفرضه عليها موقعها من التعاطي مع ثقافة الآخر والتعامل مع الوضع الإقليمي والدولي وفق رؤية الأمير الحضارية التي حددت منطلقات النهضة الجزائرية من خلال الإنفتاح على الآخروالإستفادة من إنجازاته الحضارية كما بينت الدراسة البعد المؤسساتي في فكرالامير الوطني واوضحنا إستراتجية الأميرفي البناء الوطني المؤسساتي في هذ الإطاركشفت الدراسة عن سمات الفكر السياسي للأميرعبد القادرالذي حدد الإطارالإيديولوجي والوظيفي للدولة الجزائرية الحديثة ككيان سياسي وطني جامع يقوم على مقومات الهوية الوطنية وخصوصية المجتمع الجزائري وتوصلنا من خلال الدراسة ان النظام السياسي الذي الذي أرسى أسسه الأميرعبد القادرينبع من الإرادة الحرة للجزائريين و يرتكز على المرجعية الدينية في بعده التشريعي والقانوني وأوضحنا أن الأمير يعد مجددا في هذا المجال بحكم أنه أحيا نظام البيعة الذي ميزالحكم الراشدي،لقد استطاع الأمير ترسيخ ثقافة المشاركة السياسية من خلال تأسيس مجلس الشورى الأميري والفروع التابعة له على مستوى الإمارة وتوصلنا إلى أن أهم ما تميز به هذا الفكر الواقعية من منطلق أن الأمير تمكن من توظيف معطيات الوضع الإجتماعي والثقافي والإقتصادي للإمارة كما أن إدراك الأميرلطبيعة الواقع الذي فرضه الإحتلال الفرنسي في بناء مشروعه السياسي واعتماده المرجعية الدينية كإطار قانوني وتشريعي حدد من خلالها الحقوق والواجبات وكمصدر بنى عليه الأمير إجتهاده السياسي الذي أضفى على هذا المشروع طابع الحداثة والتجديد.

كما تناولت الدراسة الفكرالتحرري للأميرعبد القادرالذي شكل الإطارالتنظيري للمقاومة التي خاضها ضد المستعمرفي هذا الإتجاه فقد بينت الدراسة خصائص هذا الفكر المتعدد الأبعاد من خلال قراءة في التراث الفكري والأدبي والروحي للأميروالتي مكنتنا من بناء الأنموذج التحرري للأميرالذي اختزل مقاومته للمحتل،في هذا المنحى فقد بينت الدراسة طبيعة هذا النموذج الذي استمد خصوصيته من فقه الأميرورؤيته للواقع الجزائري وتحليله للظاهرة الإستعمارية وتعامله مع معطيات الظرف الخارجي،في هذا السياق تطرقنا إلى أسس ومميزات الفقه التحرري للأميرالذي ارتكزعلى:

1- فقه الواقع:لقد شكل الواقع الجزائري وفي بعده الديني والإجتماعي والإقتصادي والثقافي وفي تعامله مع ظروف الإحتلال الأساس الذي بنى عليه الفكرالتحرري للأميرعبد القادر.

2 - فقه الأولويات:استند الأمير في خياراته وقراراته إلى مبدأ الأولويات والذي بفضله تجاوزت المقاومة الوطنية العديد من العقبات.

3 - فقه الضرورات: يعتبرالإطارالذي يمكن من خلاله تفسيرالعديد من مواقف الأميرعبد القادر كمسألة إنهاء القتال.

وفق هذا المنظورفقد خلصت الدراسة إلى أنه لا يمكن فهم توجهات الأمير وأسلوبه في إدارة المقاومة والوسائل والأدوات التي وظفها دون الأخذ بعين الإعتبارالرؤية الفقهية التي ارتكزعليها فكره التحرري.

لقد استخدم الأميرشتى الوسائل لتبليغ رسالته والدفاع عن قضيته في هذا الصدد تناولت الدراسة البعد التحرري في أدب الأمير،وإنطلاقا من قراءة تحليلية في رسائله وخطبه سلطنا الضوء على بنية الخطاب التحرري وبينا خصائصه،كما تناولنا معالم التحررفي شعرالأمير أين سلطنا الضوء على دورالخطاب الشعري وأثره في بعث روح المقاومة ضد المستعمر الفرنسي،وفي بحثنا عن التحرر في تصوف الأمير تحدثنا عن التحرر في التراث الصوفي إبان العهد العثماني ثم تعرضت الدراسة لتصوف الأميروبينت طبيعته وأهم مميزاته لنخلص إلى بناء النموذج التحرري الصوفي للأمير عبد القادر .

كما كشفت الدراسة عن تجليات الفكرالوطني للأميرعبد القادرفي بعده العسكري حيث إستطاع الأميرتأسيس جيش نظامي بمعاييرحديثة عكس البعد الوطني في أهدافه وطبيعة مهامه وفي تركيبته وجغرافية إنتشاره ولضمان تفوقه العسكري تبنى الأميرسياسة قائمة على لتصنيع المحلي والإستفادة من الخبرة الأجنبية رغم حساسية الظرف،وعن الجانب الإجتماعي من فكره الوطني فقد سعي الأميرإلى إحداث تغييرجدري في البنية الإجنماعية إنتقل المجتمع الجزائري بموجبه من التأطيرالقبلي إلى الـتأطيرالمؤسسساتي ومن حكم القبيلة إلى سيادة الدولة كما أعاد صياغة العلاقات الإجتماعية وفق مبادئ العدل والمساواة والحرية وحارب كل أشكال التميزالديني وفي هذا الإطاركشفت الدراسة عن وصول اليهود إلى مراتب سامية في دولة الأميركمستشارين وممثلين للأميروأعتمد مسيحيين لتمثيله كما حاصرالتنقاضات الطبقية التي سادت واستفحلت في العهد العثماني من خلال توزيع عادل للثروات والوظائف كما رسخت سياسته الإجتماعية البعد التكافلي والتضامني،و تطرقت الدراسة إلى الأدوات والوسائل التي ارتكز عليها الأميرفي أحدات تغيير جدري في البناء الإجتماعي خلصنا من خلالها إلى توضيح أسس المنهج التغييري عند الاميرعبد القادر،أما عن الفكرالإقتصادي للأمير فقد بينت الدراسة سعي الأميرإلى دخول في شراكة متوسطية وعرض على بعض الدول الأروبية مشاريع إستثمارية ومناطق للتبادل الحرأما داخليا فقد وضع مخططا لتأمين التجارة وطرق المواصلات في شتي الإتجاهات بغرض إحداث تكامل بين الأقاليم كما وضع الأمير مسارا إستراتجيا لتحقيق الإكتفاء الذاتي ولإستكمال مظاهر السيادة الوطنية وتحقيق التوازن المالي فقد أصدرعملة وطنية وتميزت سياسته الضريبية بالإعتدال ومراعاة متغيرات الجبهة الداخلية وفي المجال الثقافي عمل الأمير على تعميم التعليم بإنشاء المدارس بغرض إحياء التراث الثقافي وإحداث القطيعة مع الممارسات الثقافية التي كرست الجمود والتقليد وعمقت التخلف في المجتمع من جهة والحفاظ على الهوية الوطنية من جهة أخرى، ومن بين النتائج الهامة التي توصلنا إليها من خلال الدراسة أن مقاومة الأمير شكلت عاملا محوريا في التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري وفي بلورة الوعي الوطني وتجسيد البعد الإنتمائي كما قدمت الدراسة تفسيرا واقعيا لعوامل التي

حالت دون إستمرارية المشروع الوطني للأمير عبد القادرعن طريق قراءة في العوائق الداخلية وتبيان طبيعة التحديات الخارجية ،في هذا

السياق واجه المشروع الوطني للأمير جملة من العقبات الداخلية أفرزها الواقع الجديد بكافة أبعادها،فالتغييرالذي أحدثه في البنى السياسية والإجتماعية بالإنتقال من مرجعية القبيلة إلى مرجعية الدولة ومن إستبداد الأفراد إلى شورى المؤسسات إصطدم بمصالح وإمتيازات ذوي النفوذ كما أثار تبني الأميرلمرجعية موحدة تنصهرفيها المرجعيات الطرقية مقاومة المرابطين وشيوخ الزوايا الذين رأوا في سعي الأميرإلى القضاء على التفاوت الطبقي وإرساء مبادئ المساواة والعدل بين مختلف الشرائح الإجتماعية تهديدا لمكانتهم وتموقعهم في المجتمع من من جانب آخرشكل الوضع الإقتصادي الموروث بثشتى إنعكساته عقبة واجهت مشروع الأمير للنهضة بالإقتصاد الوطني،كما بينت الدراسة أن الثقافة السائدة التي اتسمت بالجمود والتقليد والإنغلاق تعد من أهم العقبات التي واجهها الأميرفي سعيه لبعث نهضة فكرية وعلمية كما خلصنا من خلال الدراسة أن العامل العسكري شكل التحدي الجوهري الذي وضع في النهاية حدا لدولة الأميرومقاومته رغم الجهود المعتبرة التي بذلها الأميرلتكوين جيش حديث،هذا الأخير خاض حربا غيرمتكافئة ضد المحتل إستنزفت قدراته وإمكانياته،كما تطرقت الدراسة إلى الدورالذي لعبته الإستراتجية الإستعمارية في إفشال مشروع الأمير والتي قامت على تفكيك الجبهة الداخلية من خلال إستمالة الوجهاء وتجنيد العنصر المحلي واتخذت من النشاط الإستخباراتي أداة لمعرفه نقاط القوة ومراكز الضعف في نظام الأميرعبد القادر من جهة أخرى،لقد استغل المستعمر جنوح الأميرإلى السلم في بناء علاقات جديدة مع شيوخ القبائل وزعماء الطرق وفي تأسيس شبكة من الجواسيس التي تمكنت من إختراق مراكز القرار وجمعت معطيات بالغة الأهمية والتي على أساسها رسم الجيش الفرنسي إستراتجيته العسكرية وسياسته التفكيكية عن طريق تغدية الصراعات المحلية مما حال دون توحد المقاومة الجزائرية وبالتالي تمكن الجيش الفرنسي من القضاء على مقاومة أحمد باي في الشرق والتفرغ بعد ذلك لمقاومة كما كان لطبيعة الحرب التي شنها المستعمر تدعياتها على أوضاع الجزائريين من منطلق وحشيتها ولا أخلاقيتها في هذا الشأن فقد طبق المحتل سياسة الإبادة والتدمير الشامل إستطاع الفرنسيون بفضلها تأليب

الجبهة الداخلية وبالتالي محاصرة الأمير جيش الأميروإضعافه ومن الناحية الخارجية أسهم الوضع الدولي القائم على إختلال التوازن بين العالم الإسلامي وأوربا في إجهاض مشروع الأميرعبد القادر،بحكم العزلة والحصارالذي واجته الدولة الجزائرية الفتية نتيجة تغيرو إختلال موازيين القوى وبداية تشكل المتوسط وفق أسس جديدة صنعها الوفاق الأروبي وصاغتها الرؤية المشتركة للدول الأروبية في الحفاظ على مصالحها من جهة والتعاطي مع العالم الإسلامي من جهة خرى،وفق هذا المنظور فقد اتخذت الدول الأوربا من تردي أوضاع الخلافة العثمانية مطية للتدخل في شؤونها والهيمنة على ثرواتها مما أدى إلى إنحصارالدولة العثمانية وتقلص نفوذها في حوض المتوسط وتراجع مكانتها الدولية وتقويض سلطتها على إيالاتها،في ظل هذه المعطيات الدولية أصبح المشروع الحضاري للأميريشكل مصدر قلق للدول الأروبية والتي تعاملت معه في إطارالسياسة التي رسمتها اتجاه العالم الإسلامي مما سهل إنفراد فرنسا بالمسألة الجزائرية حيت تمكنت في هذا السياق من إفشال مبادرات الدعم وفك الحصارعن مقاومة الأميرواستعملت لهذا الغرض شتى الأساليب الدبلوماسية والعسكرية كما هو الشأن مع المغرب الذي أنخرط في المشروع الإستعماري بإعلانه الحرب على الأميرعبد القادرمما أدى إلى خنق المقاومة وإضعاف جيش الأمير،كما أرغم المحتل حكام تونس على مقاطعة الأمير ووقف كل أشكال التعاون مع الدولة الجزائرية الأمر الذي جعل من القضاء على دولة الأمير مسألة وقت،لقد بينت الدراسة أن المستعمر نجح في تغيير معادلة الصراع من خلال توريط أطراف جديدة في معركته مع الأميرالذي وجد نفسه يحارب بني وطنه وإخوته في العقيدة،مما دفع بالأمير إلى إنهاء القتال لأن من وجهة نظرالأميرالمعركة خرجت عن مسارها الحقيقي والشرعي،فقدم فضل حقن دماء المسلمين وسلامة دائرته على مواصلة المقاومة خصوصا بعد محاصرته من طرف القوات الإستعمارية المتاحالفة مع القبائل الجزائرية إلى جانب دعم الجيوش المغربية من الجهة الغربية.

إن الرؤية التي تقدمها الدراسة حول المشروع الوطني للأمير تتلخص في إبراز أهم المرتكزات التي قام عليها هذا المشروع والتي تمثلت في:

1- بناء دولة حديثة تستند على الإرادة الشعبية وتتجاوب مع المعطيات الإقليمية والدولية.

2- مجتمع جزائري يرتكزعلى الهوية الوطنية في بعدها الديني وإرثها الثقافي والتاريخي وحيزها الجغرافي.

3- بعث نهضة علمية وفكرية تكون بمثابة نواة التطورالحضاري للمجتمع الجزائري.

وعن لأسباب التي حالت دون استمرارية هذا المشروع وتطوره فتشيرالدراسة إلى أنها نتاج التحولات الخارجية وإنعكسات الواقع بكافة أبعاده على مسار الأميرالبنائي والتحرري،كما توصلنا من خلال دراستنا إلى نظرية التحررعندي لأميرعبد القادر التي إرتكزت على فهمه للظاهرة الإستعمارية وتحليله للواقع في إطار رؤية فقهية شاملة إستطاع الأمير بفضلها تكييف المتغيرات والتعامل مع المعطيات الداخلية والخارجية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة و في الأخير فقد حاولنا في هذة الرسالة المتواضعة بمعرفتنا البسيطة وبحثنا المحدود تسليط الضوء على بعض الجوانب من فكرالأميرعبد القادر والذي من وجهة نظرنا لا يزال يحتاج إلى الكثير من الدراسات الأكاديمية والتي من شأنها تبيان أهمية هذا الفكر وإسهاماته في الرصيدى الحضاري العالمي بحكم ثرائه وتعدد أبعاده.

ختاما نحمد الله تعالي الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع ونسأله تعالى أن يتجاوز عن تقصيرنا وهفواتنا.

تم بفضل الله تعالى

الملاحق

ملحق الصور

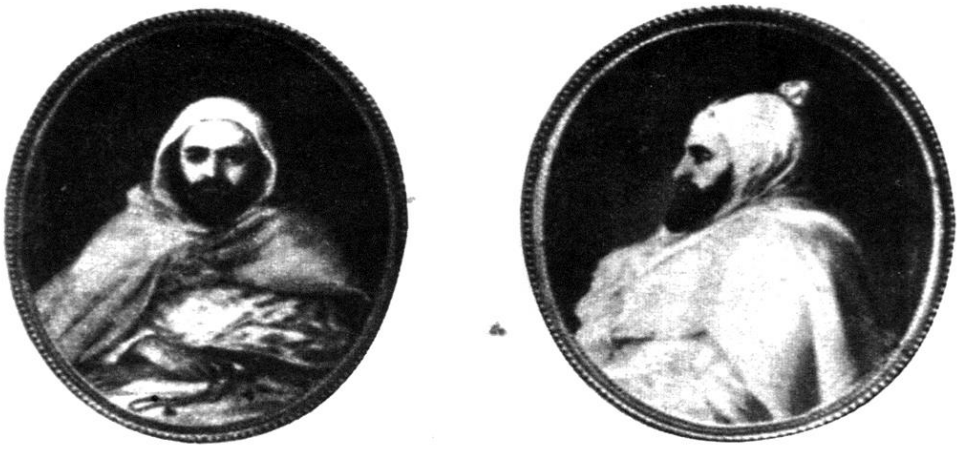

الأمير عبد القـادر في قصر أمبـواز

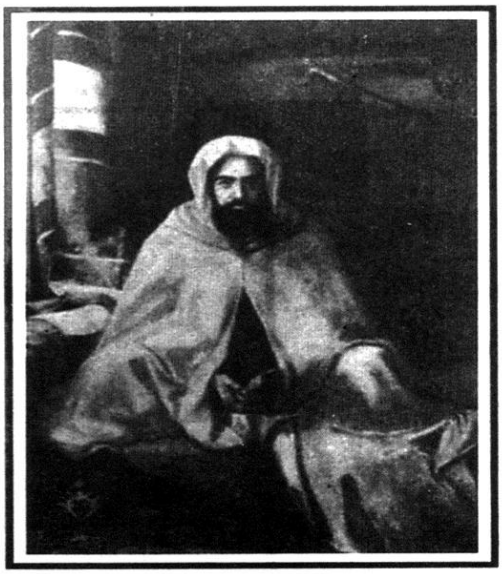

الأمير عبد القـادر سنة 1866

المصدر: بوعزيز،يحي،الأميرعبد القادر الجزائري بطل الكفاح،ص.47.

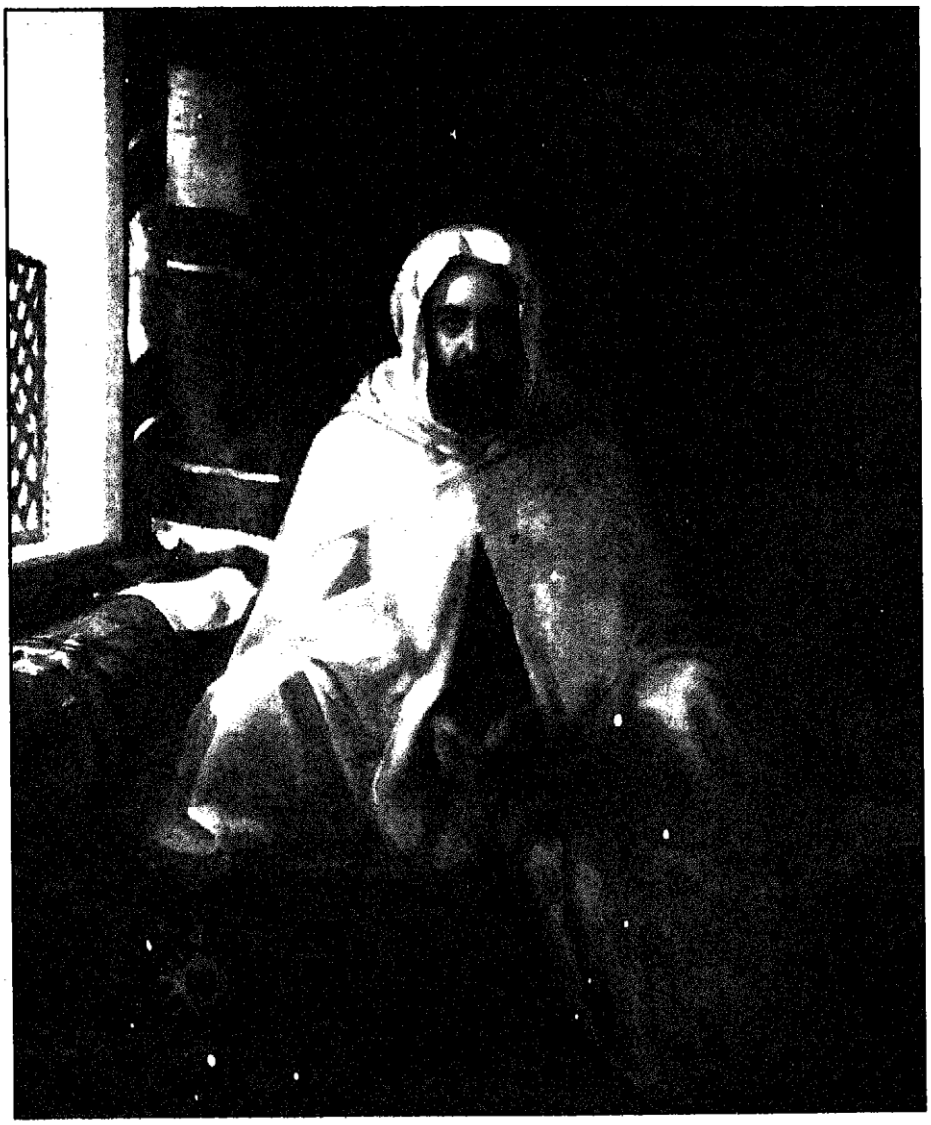

ستانيسلاس فون شلبوسكي
لوحة (٢,١٦ X ١,٧٤ م) شانتيي ـ متحف كوند

المصدر: الأمير عبد القادر الجزائري بطل الكفاح،ص.51.

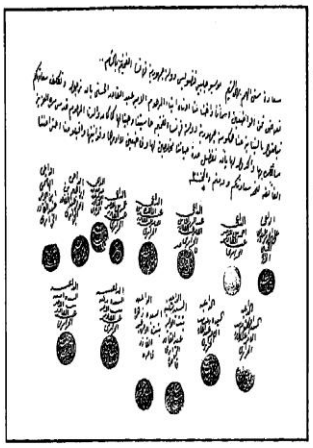

مخطوطة الصك الذي كتبه أبناء الأمير عبد القادر الجزائري بعد وفاته، معلنين ولاءهم لفرنسه (وهو محفوظ في ملفات وزارة الشؤون الخارجية الصندوق ٢٨٣ - ٢٨٤).

صورة عبد القادر بالزيت على لوحة - نحو العام ١٨٦٨
باريس - متحف الشرق الكبير

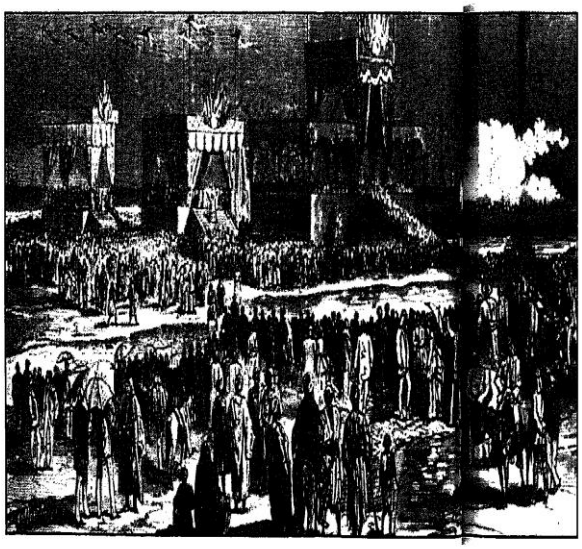

افتتاح قناة السويس: صلاة الشكر ترفع في بور سعيد بحضور امبراطور النمسه وامبراطورة الفرنسيين.

المصدر: إتين، برونو، عبد القادر الجزائري، ص.520.

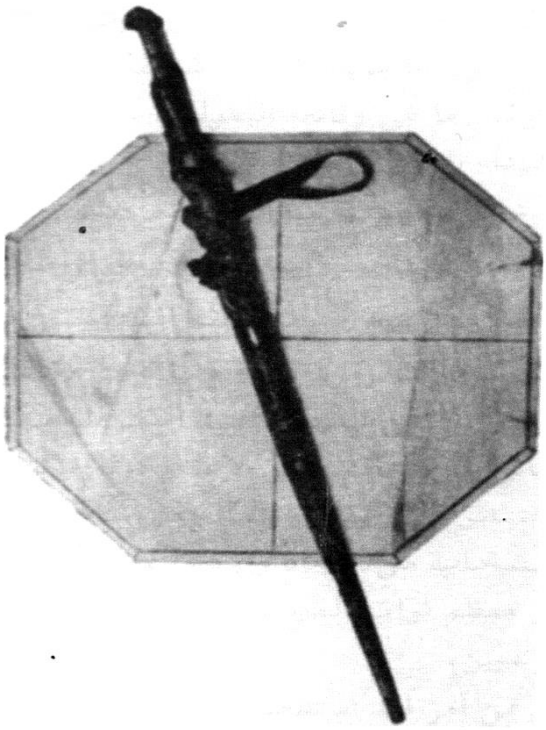

سيف الأمير عبد القادر
الذي خاض به غمار هذه الأحداث التاريخية،
وتلك الحروب التحريرية التي خرج من
جميعها مظفراً، منتصراً

المصدر: الأميرعبد القادرالجزائري بطل الكفاح،ص.103.

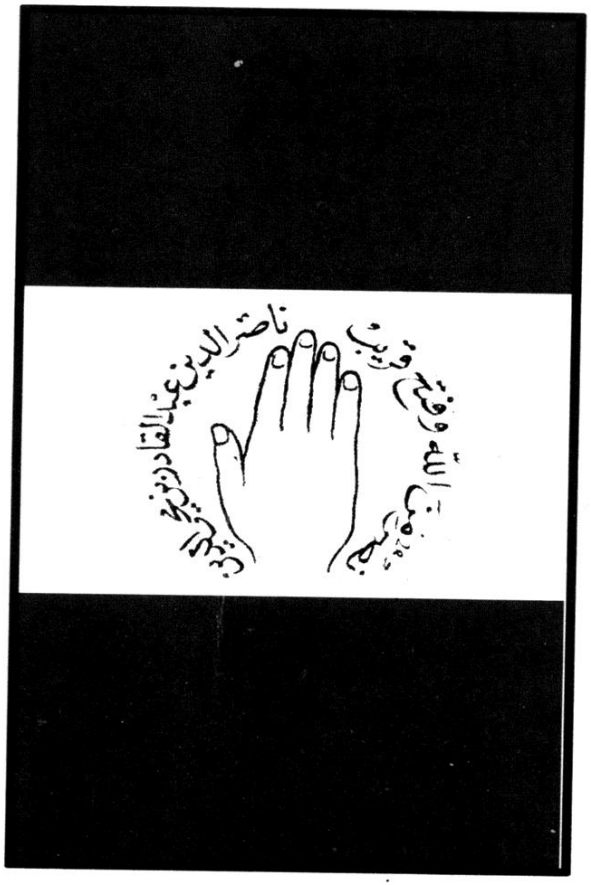

راية الأمير عَبد القادر الجزائري
1847 ـ 1832

المصدر: الأمير عبد القادر الجزائري،بطل الكفاح،ص.08.

قادة عرب: صورة مرسومة بين عامي
١٨٥٢ ـ ١٨٥٨

الخليفة بن سالم

مصطفى بن التهامي

عبد القادر

بو معزة شريف

المصدر: عصر الأمير،ص.

صورة الأمير عبدالقادر بريشة موران (١٨٥٠)

صورة الحاج أحمد باي ولد أحمد الشريف

صورة مصطفى بن إسماعيل اغا الدوائر والزمالة
زعيم قبائل المخزن

صورة المزاري أحد شيوخ قبال المخزن

المصدر: عصر الأمير،ص.363.

ملحق الرسائل

القسم العلوي من رسالة رقم 16 من الأمير عبد القادر إلى ملكة أسبانيا

بتاريخ 2 رجب 1963

المصدر: يحي،بوعزيز،مراسلات الأمير مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية،ص.89.

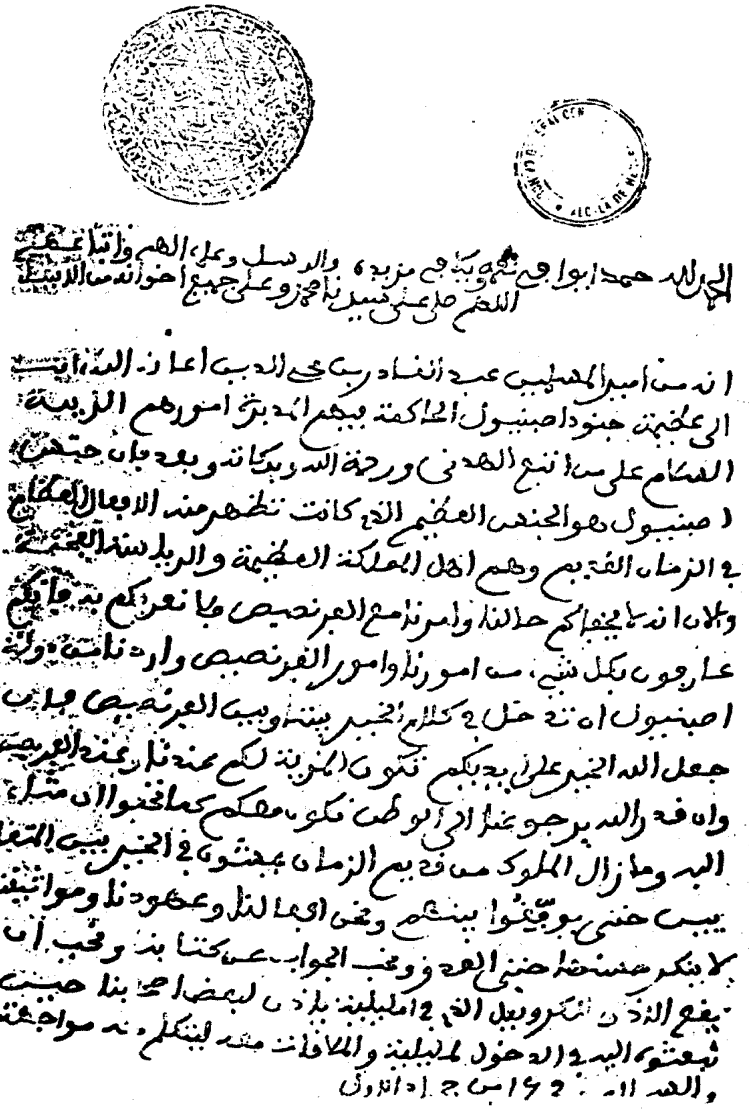

الرسالة رقم 13 من الأمير عبد القادر إلى ملكة أسبانيا إيزابيل الثانية

بتاريخ 16 جمادي الأولى 1263هـ

المصدر: مرسلات الأمير مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية،ص.67.

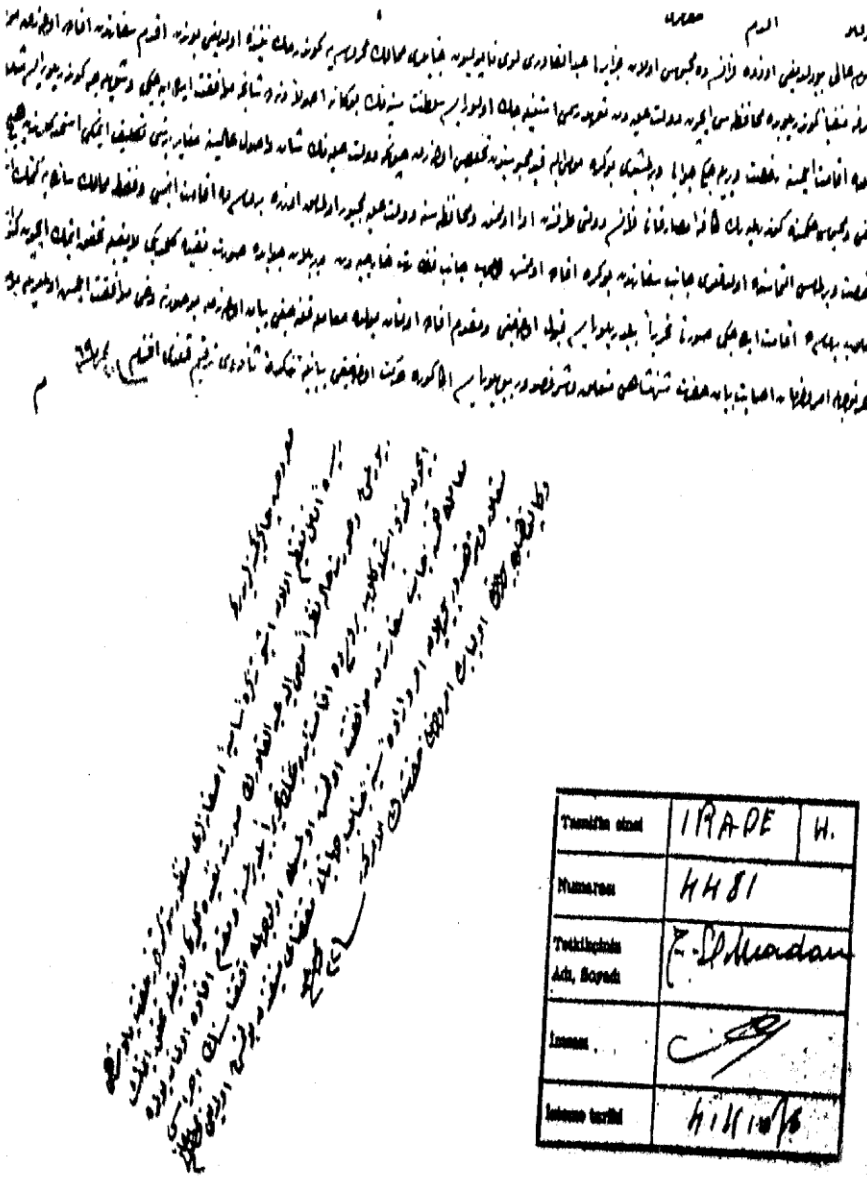

صورة عن وثيقة تتعلق بالموقف المشرف للدولة العثمانية بخصوص استقبال الأمير عبدالقادر في مدينة بورصة
بتاريخ ١٢٦٩ هجرية/ ١٨٥٢-١٨٥٣م
(ارشيف إستانبول، دفتر إدارة رقم ٤٤٨١)

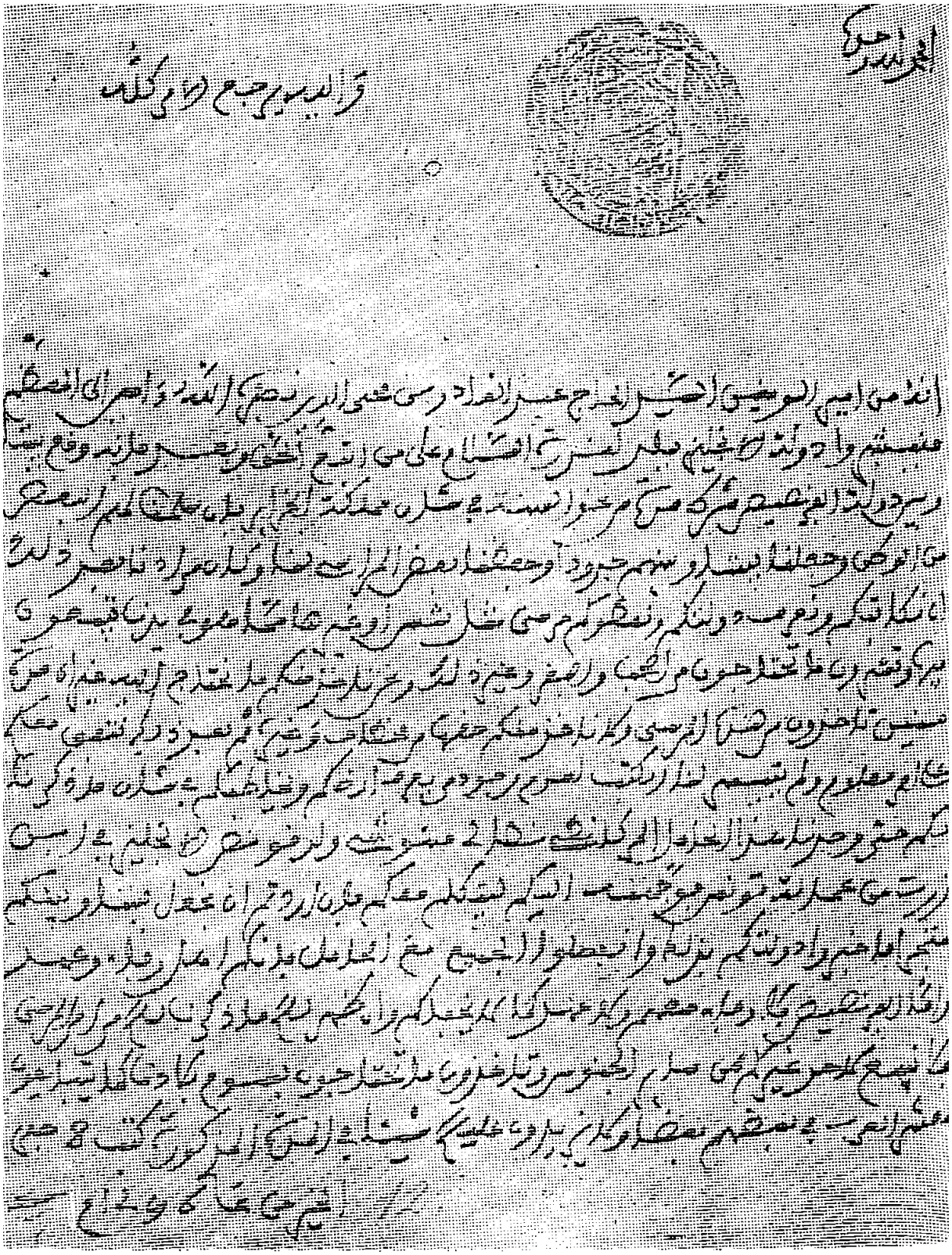

رسالة الأمير إلى الحكومة الإنجليزية

المصدر: التميمي،عبد الجليل،بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ص.203.

ملحق الخرائط

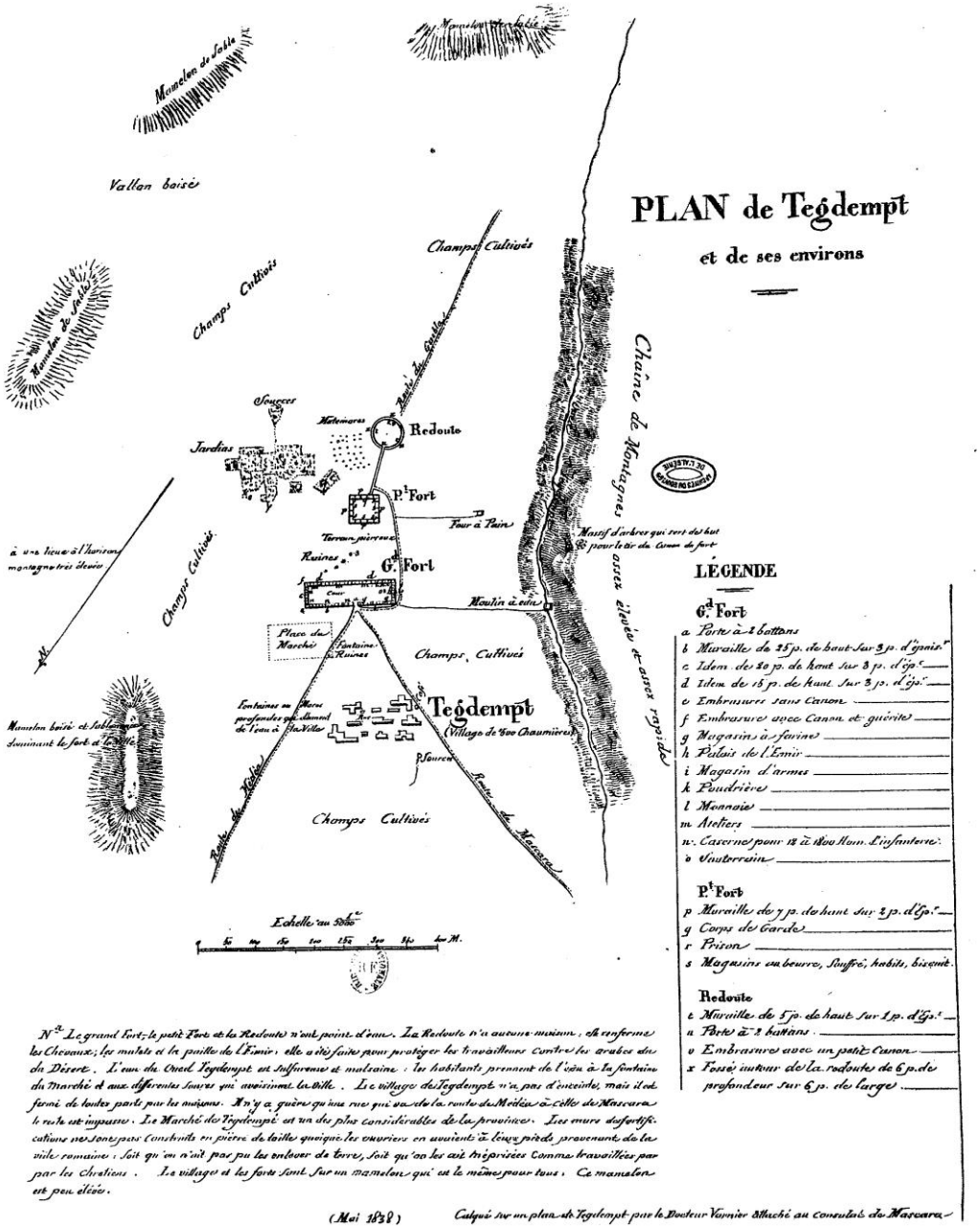

المصدر: Daumas,E,Correspondances,p.658.

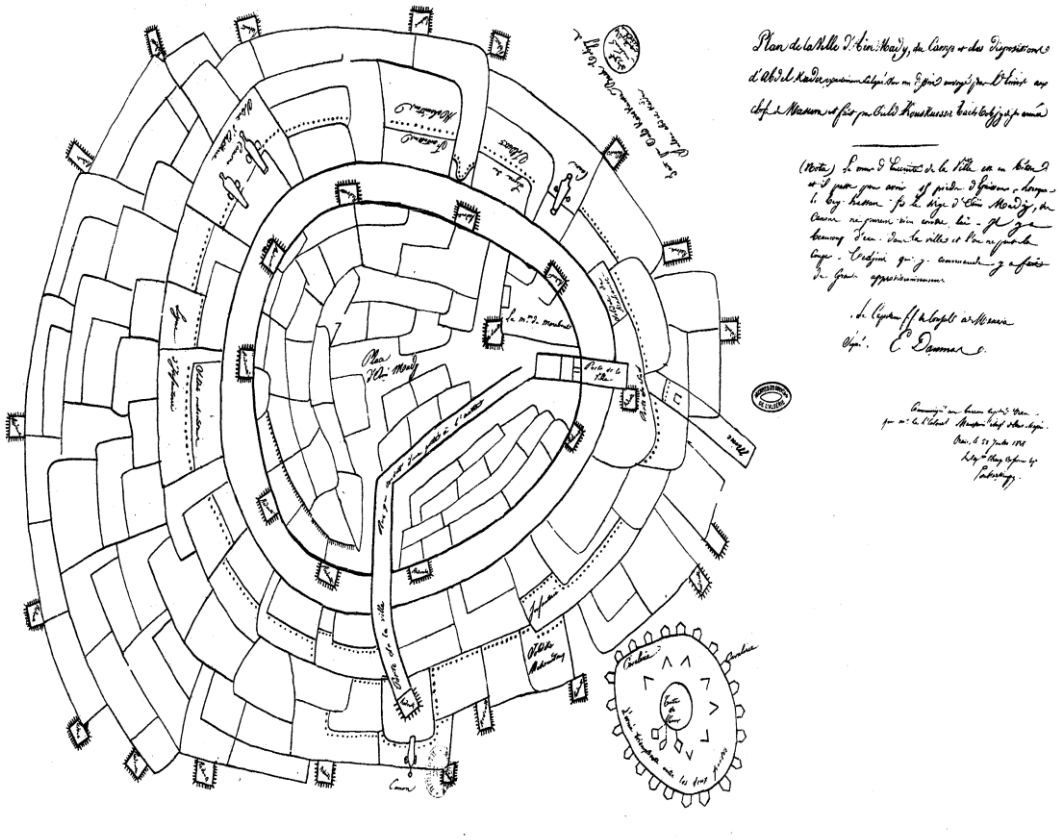

المصدر: Daumas,E,correspondances,p.660.

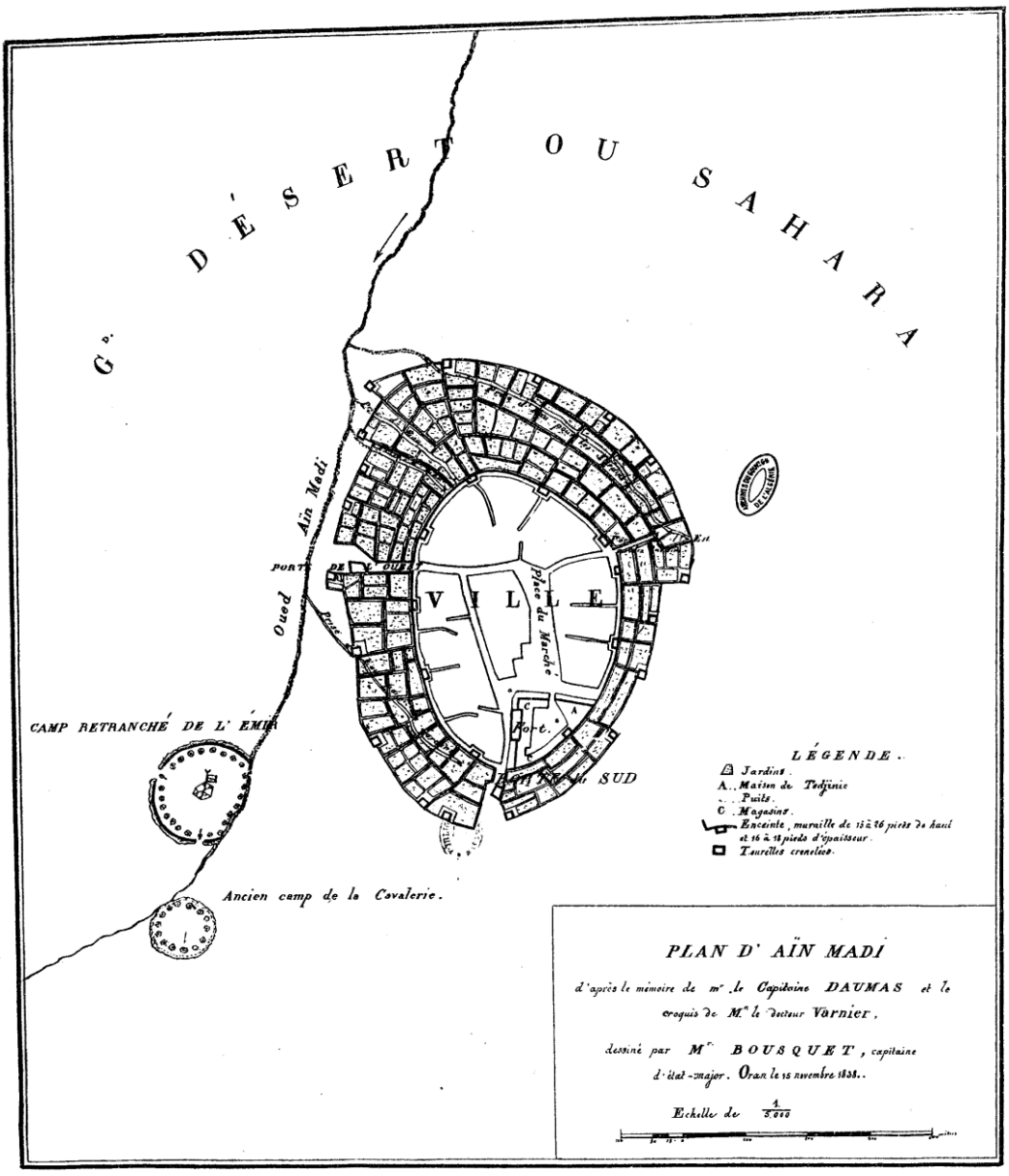

المصدر: Daumas,E,correspondance,p.661.

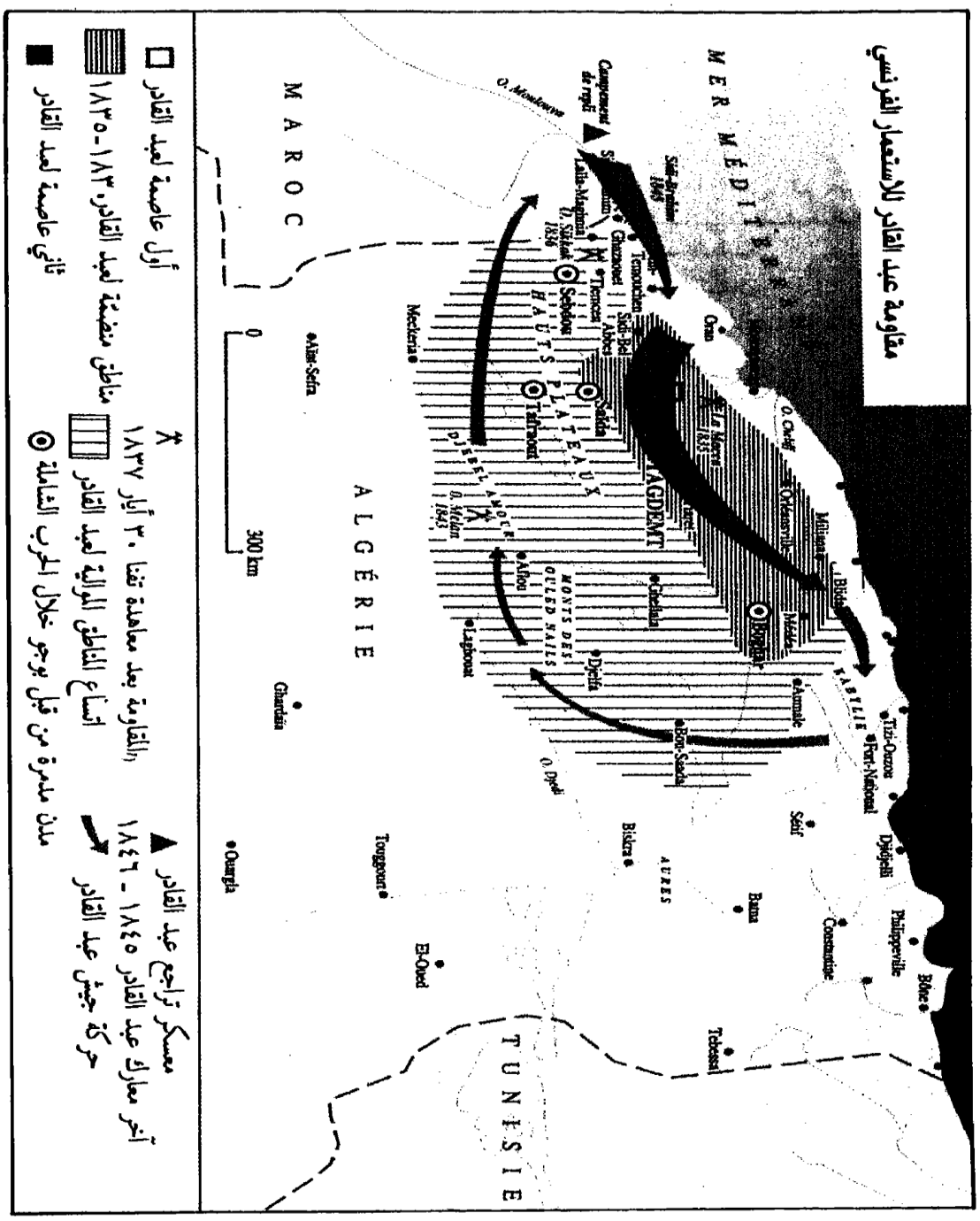

المصدر:برونو،إتين،عبد القادر الجزائري،ص.508.

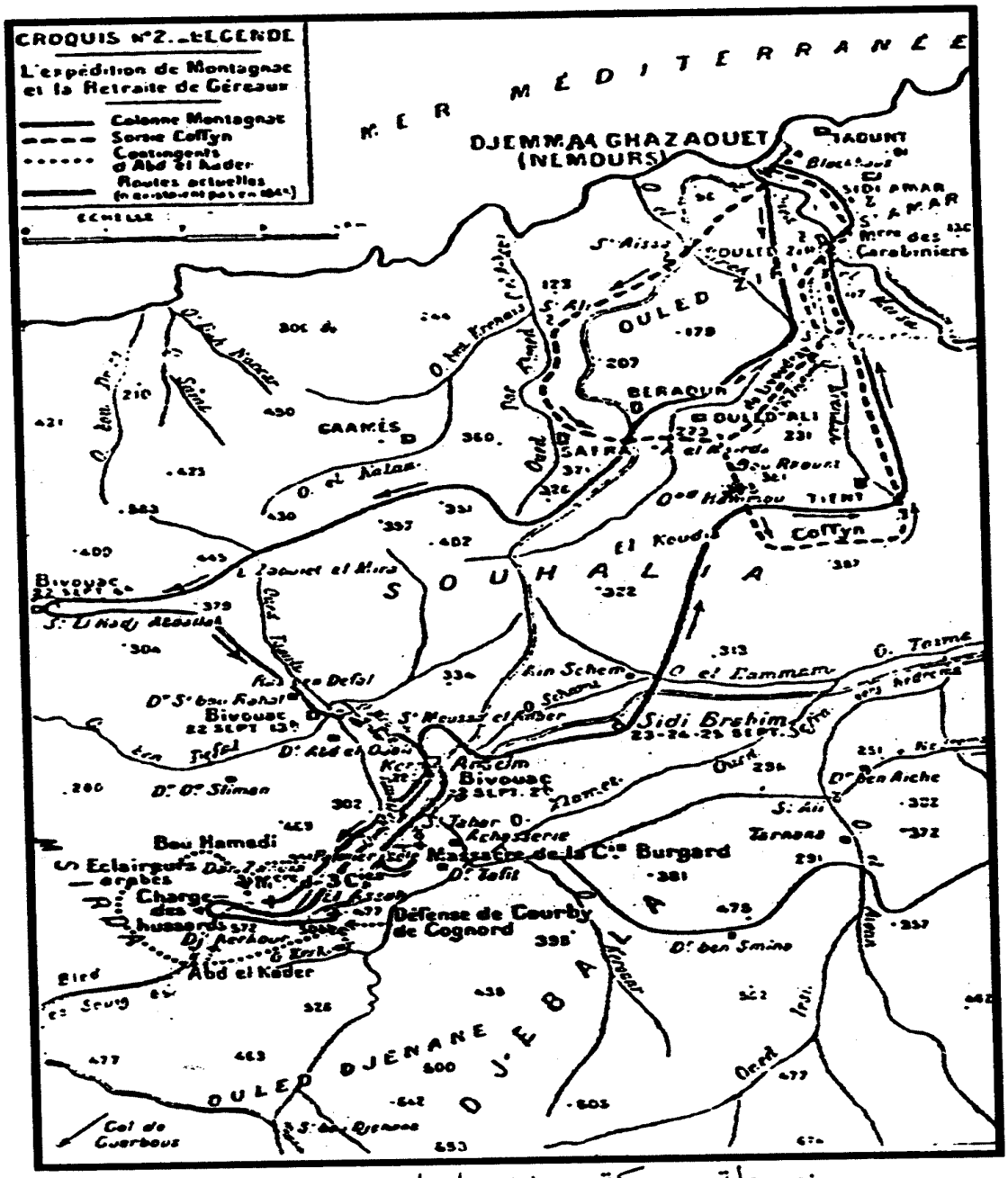

خريطة معركة سيدي إبراهيم 1845 م.

المصدر:يحي،بوعزيز،الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري،سيرته الذاتية وجهاده،ص.204.

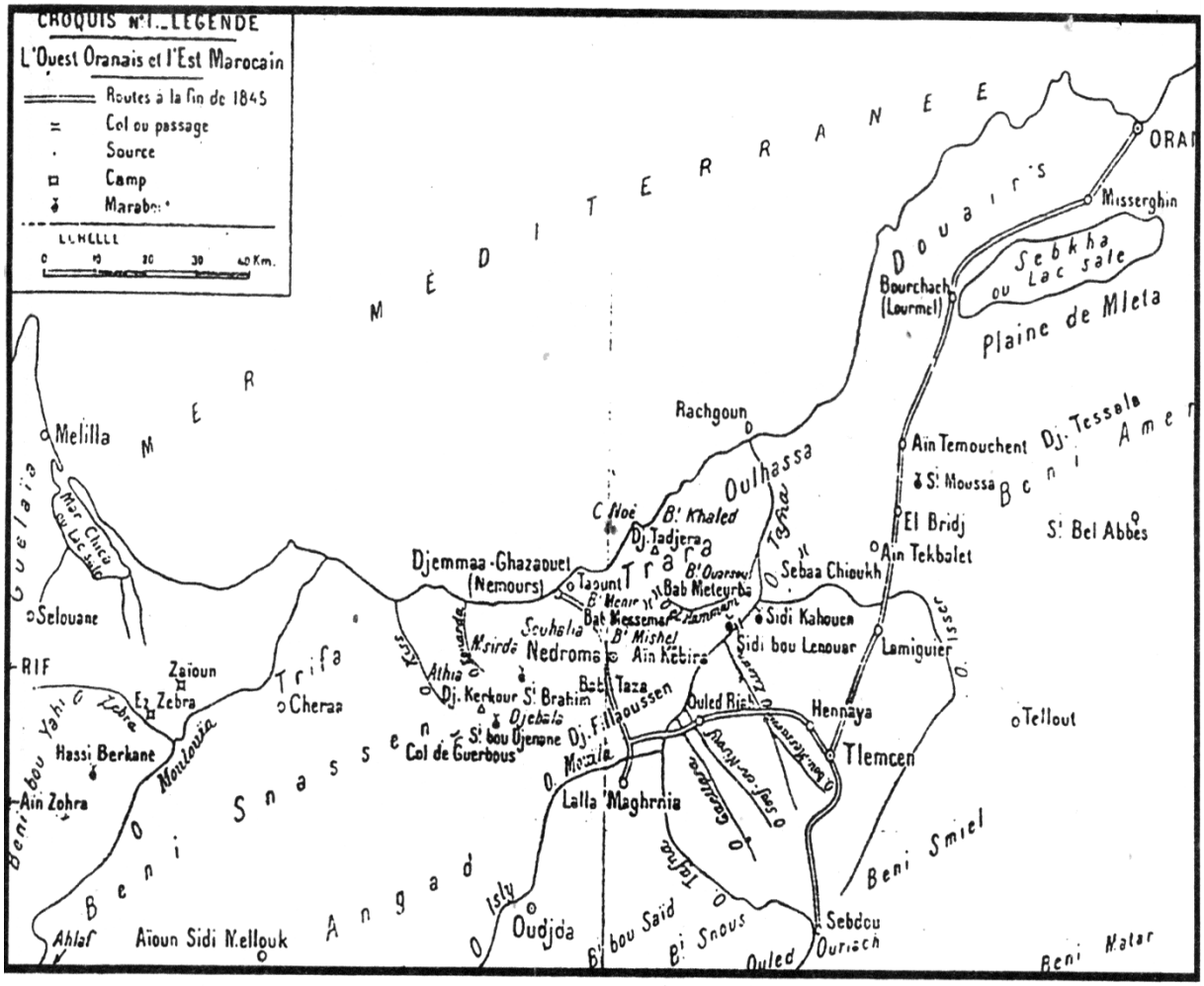

خريطة المنطقة الغربية

المصدر: الأميرعبد القادر رائد الكفاح الجزائري ،ص.203.

ببليوغرافية

القرآن الكريم،روية ورش،ط20،دار الفجر الإسلامي،دمشق،2004م.

أولا: الوثائق الأرشيفية

1- الأرشيف الوطني

سلسلة خط همايون،علبة 19،رقم.1104.

سلسلة خط همايون،علبة 22،رقم.3374.

2 -أرشيف المكتبة الوطنية

المجموعة 1642،وثيقة.06.

المجموعة 1674،وثيقة.07

المجموعة 3190،وثيقة190،وثيقة 238،وثيقة 320.

ثانيا:المصادر باللغة العربية:

1 - ابن خلدون،عبد الرحمان ،المقدمة ،ج1،ط2، دارالكتاب اللبنانى للطباعة و النشر،ط2، بيروت،1967م.

2 - ابن خلدون ،عبد الرحمان، شفاء السائل و تهذيب المسائل، ط1،دار الفكر، دمشق،1996م.

3- ابن عبد القادر،محمد،تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر،ج2،ط2،شرح وتعليق،ممدوح حقي،دار اليقظة العربية،دمشق، 1964م.

4 - ابن عبد القادر،محمد،نزهة الخاطرفي قريض الأميرعبد القادر،د.ط، مطبوعة المعارف،مصر،د.ت.

5 - بن تهامي،مصطفى،سيرة الأمير وحياته،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1995م.

6 - بن رويلة،قدور،وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب،تحقيق محمد بن عبد الكريم،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1968م.

7 - بن عبد القادر،مسلم،خاتمة أنيس الغريب والمسافر،تح.رابح بونار،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1974م.

8- بن هطال،أحمد،رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي،تح،محمد بن عبد عبد الكريم،ط1،عالم الكتب،القاهرة،1969.

9 - تشرشل،هنري،حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم أبو القاسم سعد الله،ط2،الشركة الوطنية للنشر للنشر والتوزيع،1982م.

10-الجزائري الأمير،عبد القادر،مذكرات الأمير عبد القادر،تحقيق محمد الصغير بناني،محفوظ سماتي

ومحفوظ الصالح الجون،ط2،دار الأمة، الجزائر،1998م.

11- الجزائري الأمير،عبدالقادر،المواقف،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر،1966م.

12- الجزائري الأمير،عبد القادر،ذكرى العاقل تنبيه الغافل،تحقيق ممدوح حقي،دار اليقظة العربية بيروت،1976م.

13 - الجزائري الأمير،عبد القادر،المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، محررها عبد الله الخالدي المغربي،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت.

14 - الجزائري الأمير،عبد القادر،ديوان الأمير عبد القادر،شرح وتحقيق ممدوح حقي،ط3،دار دار اليقظة العربية،بيروت،1965م.

15- الجيلاني،عبد القادر،سرالأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار،تحقيق خالد محمد عدنان الزرعي،دارالسنابل،بيروت،د.ت.

16- الجيلاني،عبدا لقادر،ديوان عبد القادر الجيلاني،تحقيق يوسف زيدان، ط1،دارالجبل،بيروت، 1998م.

17- خوجة،حمدان،المرآة،تحقيق وقديم محمد العربي الزبيري،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1982م.

18- الراشدي،أحمد بن سحنون،الثغر الجماني قي ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم أحمد البوعبدلي،قسنطينة،1973م.

47 - الزبيري،محمد العربي،مذكرة أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة،ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1981م.

19 - الزياني،محمد بن يوسف،دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران،تقديم وتحقيق المهدي البوعبدلي،ش،و،ن،ت،الجزائر،1971م.

20 -الزهار،الحاج أحمد الشريف،مذكرات،تح،توفيق المدنى،ش.و.ن.ت،الجزائر،1972م.

21 - السنوسي،محمد،الرحلة الحجازية،تحقيق علي أشنوفي،ج3،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1978م.

22- الشقراني،أحمد بن عبد الرحمن،القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط،تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني،ط1،دارالغرب الإسلامي،بيروت،1991م.

23- الكولونيل،سكوت،مذكرات عن إقامته في زمالة الأميرعبد القادر (1841)،تر إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م.

24- المزاري الآغا،بن عودة،طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر،تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز،ج1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت.

25- الناصري،أبو العباس أحمد بن خالد،الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج9،تحقيق وتعليق جعفر ناصرومحمد ناصر،دارالكتاب،الدار البيضاء،1986م.

26 - الورتلاني،الحسن،نزهة الأنظارفي فضل علم التاريخ والأخبار،تحقيق محمد بنشنب فونتانا،الجزائر،1907م.

27- ولد قاضي،أحمد،كتاب الدوائر والزمالة، تقاييد،طبع1883م.

ثالثا:المراجع باللغة العربية:

1 - أباظة، نزار،الأمير عبد القادر(العالم المجاهد)،ط1،دار الفكر،دمشق،1994م.

2 - ابن الجوزى،تلبيس إبليس،ط1،دار ابن الجوزى للنشر و التوزيع، القاهرة،2011م.

3 - ابن الجوزى،تلبيس إبليس ،ط1،دار ابن الجوزى للنشر و التوزيع، القاهرة،2011م.

4 - ابن العربى، محى الدين،اصطلاح الصوفية ضمن رسائله،ط1،بيروت،1948م.

4 - ابن تيمية،تقي الدين،علم الحديث،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1985م.

5 - ابن الجوزى،تلبيس إبليس ،ط1،دار ابن الجوزى للنشر و التوزيع، القاهرة،2011م.

4- الجوزية، ابن قيم ،محمد بن أبي بكر،الطرق الحكمية في السياسة الشرعية،تحقيق محمد بن حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية،القاهرة، 1953م.

6 - الجوزية،ابن القيم،مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و وإياك نستعين،ط3،دار الكتاب العربي، بيروت،1996م.

7 - اتين،برونو،عبد القادرالجزائري،ترميشال الخوري،ط1،دارعطية للنشر،بيروت،1977م.

8 - أزتونا،يلماز،تاريخ الدولة العثمانية،ترجمة،عدنان محمود سلمان،مؤسسة فيصل للتمويل،إستانبول، 1988م.

9 - البيطار،عبد الرزاق، حلية البشر في القرن الثالث عشر،تح محمد بهجت البيطار،ج2،مطبوعات المجمع العلمي العربي،دمشق،1963م.

10- الجيلالي،عبد الرحمن،تاريخ الجزائر العام،ج4،ط7،ديوان المطبوعات الجزائرية،الجزائر،1994م.

11- الحراني،أحمد بن عبد الحليم،السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،دار الجيل،بيروت،

12- الحراني،أحمد بن عبد الحليم،السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،دار الجيل،بيروت، 1988م.

13-الركيبي،عبد الله،الشعر الديني الجزائري الحديث،ط1،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر

14 - الحسني الجزائري،الأميرة بديعة،فكر الأمير عبد القادر الجزائري (حقائق ووثائق)،ط1 ،دار الفكر للطباعة،دمشق،2000م.

15 - الحسني ،الأميرة بديعة،الجذور الخضراء،دار السلام للترجمة والنشر،دمشق 1994م.

16- الحصري،ساطع،البلاد العربية والدولة العثمانية،دار العلم للملايين،بيروت،1960م.

17 -السليماني،أحمد،النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني،دار الكتاب ،الجزائر،1993م.

18 - الخضير،إدريس،البحث في تاريخ الجزائر الحديث،ج1،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران

19 - الطوسي،السراج،اللمع في التصوف،تح الن نكلسون، مطبعة بريا،ليدن،1914م.

20 - العسكرى،أبو هلال،كتاب الصناعتين،ط1، دار احياء الكتب العربية،سوريا،1952م.

7 - الزركشي،بدرالدين،المنثورفي القواعد،تح،تيسير أحمد محمود،ط1،ج1،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الكويت،1402ه.

21 -العربي،إسماعيل،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ، ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1982م.

22- العربي،إسماعيل،الأمير عبد القادر مؤسس دولة وقائد جيش،المطبعة الشعبية للجيش،الجزائر،2007م

23 - العربي،المنور،تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن19،دار المعرفة،لبنان،2006م,

24 - العسكرى،أبو هلال،كتاب الصناعتين،ط1،دار احياء الكتب العربية،سوريا،1952م.

25 - العسلي،بسام،الأمير عبد القادر الجزائري،دار النفائس،دمشق،1986م.

26-العشراتي،سليمان،الأمير عبد القادر السياسي،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،2000م.

27 - العشراتي،سليمان،الأمير عبد القادر،تحليل الخطاب الشعري في محطة المابعد،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،2002م.

28 - الغنام،سليمان بن محمد،قراءة جديدة لسياسة علي باشا التوسعية (1811 م-1849م) في

الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا،ط1،جدة،1980م.

29 - القرضاوي،يوسف،السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها ،ط1 مؤسسةالرسالة بيروت،2000م.

30 - القشيري،عبد الكريم، الرسالة،ط1،دار احياء التراث العربي،بيروت،لبنان،1998م.

31 - النبهاني،يوسف بن إسماعيل،جامع كرامات الأولياء،تحقيق إبراهيم عطوه عوض،ج2،المكتبة الثقافية بيروت،1991م.

32 - أمين،أحمد،ضحى الإسلام ،ط10،ج،دار الكتاب العربى،بيروت، لبنان،1987م.

33 - أمين،أحمد،ضحى الإسلام ،ط10،ج،دار الكتاب العربى،بيروت، لبنان،1987م.

34 - أوصديق،فوزي،النظام الدستوري الجزائري،ط5،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1955م.

35 - بروكلمان،كارل،تاريخ الشعوب الإسلامية،ترجمة،نبيه أمين فارس،منير البعلبكي، ط13،دارالعلم للملايين،بيروت،1998م.

36 - بن بكار،بلهاشمي،كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب،ط1، مطبعة ابن خلدون،تلمسان،1961م.

37- بن السبع،عبد الرزاق،الأميرعبد القادر الجزائري وأدبه،ط1،مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،الكويت،2000م.

38 - بن عاشور،محمد الفاضل،تراجم الأعلام،دار التونسية للنشر،1970م.

39 - بن عاشور،الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية،دار النفائس،عمان،2001م.

40 - بن عبد القادر،مسلم،خاتمة أنيس الغريب والمسافر،تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1974م.

41 - بن عبد الكريم،محمد،حمدان خوجة الجزائري،دار الثقافة للطباعة، بيروت،1974م.

42 - بوطالب،عبد القادر، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،2010م.

43 - بوعزيز،يحيى،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ج2،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1995م.

44 - بوعزيز،يحيى، ثورات القرن19و20،ج1،ط1،منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر،د.ت.

45-بوعزيز،يحيى،رواد المقاومة الوطنية فيالقرن19،ط2،دارالأمل للطباعة والنشر،الجزائر،2004م.

46 - بوعزيز،يحيى،سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية(1830- 1945م)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2007م.

47 -بوعزيز،يحيى،الأميرعبد القادر رائد الكفاح الجزائري،د.ط،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع الجزائر،1992م.

48 - بوعزيز،يحي،علاقات الجزائربممالك ودول أوربا فيما بين القرن 16م ومطلع القرن19م، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1983م.

49 - بوعزيز،يحي،بطل الكفاح الاميرعبد القادر،طبعة خاصة،دار البصائر،الجزائر،2008م.

50 - تيموربك،أحمد،أعلام الفكرالإسلامي في العصر الحديث،ط1،لجنة نشر المؤلفات التيمورية القاهرة،1968م.

51 - جورجي،زيدان،تاريخ الماسونية،ج17،دارالجيل،بيروت،1982م.

52 -جوليان،ش.أ،تاريخ إفريقيا الشمالية،تعريب مزالى محمد بن سلامة، الدارالتونسية للنشر،1978م. 1988م.

53 - حرب،أديب،التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر(1808-1847م)،ج1،ط1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983م.

54 - حساني،مختار،ثورة الأمير عبد القادر من خلال ثلاث مخطوطات، دار الحكمة،الجزائر،2007م.

حسين،محمد كامل،طائفة الدروز تاريخها وعقائدها،دارالمعارف،مصر،1962م

55 - حمادة،أحمد حمزة،الرمزالصوفى فى ديوان ابى مدين شعيب،ط1،مطبعة مزوار الجزائري، الجزائر،2009م.

56 - خير،محمد فارس،تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثمانى إلى الإحتلال الفرنسي،ط2،مكتبة الشرق، بيروت، 1970م.

57 - خلاف،عبد الوهاب،السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية،دار القلم، الكويت،1988م.

58 - خنوف،علي،السلطة في الأرياف الشمالية لبيلك الشرق الجزائر نهاية العهد العثماني وبداية

العهد الفرنسي،مطبعة العناصر،الجزائر،1999م.

59 - دودو،أبو العيد،الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمـان(1830-1855)، الشركة الوطنية للنشر والإشهار،1975م.

60- دبوز،محمدعلي،نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة،ج1،ط1، المطبعة التعاونية،الجزائر 1965م.

61 - داوود،أنس،رواد التجديد في الشعر العربي الحديث،منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ،الجماهيرية ليبيا،دت.

62 - رضا،رشيد،الخلافة،د.ط،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر، 1992م.

63- رويش،أحمد،في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني،وعبد القادر الجزائري،ط1،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت،2000م.

64- الزبيري،محمد العربي،الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1982م.

65 - زروال،محمد،العلاقات الجزائرية الفرنسية (1971م - 1830م)،مطبعة دحلب،الجزائر،1994م.

66 - زروخي،إسماعيل،الدولة في الفكر العربي الحديث،دراسة فكرية وفلسفية،ط1،دار الفجرللنشر والتوزيع،القاهرة،1999م.

67 - زوزو،عبد الحميد،نصوص ووثائق في تاريخ الجزائرالمعاصر،دارهومة للنشروالتوزيع الجزائر،2013م.

68 -زكى،مبارك،التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق،ج1،ط1،مكتبة الثقافةالدينية،مصر،1938م.

69 - سبنسر،وليام،طائفة رياس البحر،تعريب وتقديم،عبد القادر زبادية،الشركة الجزائرية للنشر و التوزيع،1980م.

- سحلي،محمد الشريف،الأميرعبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية،ترجمة حبيب شنيني،دار70 القصبة للنشر،الجزائر،2003م.

71 - سعد الله،أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1998م.

72 - سعد الله،أبو القاسم،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،د.ط،الشركة الوطنية للنشر،الجزائر،1978م.

73 - سعد الله،أبو القاسم،الحركة الوطنية،ج1،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1992م.

74 - سعد الله ،أبو القاسم ،شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون،دار الغرب ،بيروت،1986م.

78- سعيدوني،ناصر الدين،من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي،ط1،دارالغرب الإسلامي،بيروت،1999م.

79 - سعيدوني،ناصر الدين،عصر الأمير عبد القادر،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،الكويت،2000م.

80- سعيدوني،ناصر الدين،النظام المالي أواخر العهد العثماني(1792- 1830م)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985م..

81- سعيدوني،ناصرالدين،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(الفترة الحديثة المعاصرة)،ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1980م.

82 -سعيدوني،ناصر الدين،ورقات جزائرية،دار الغرب الإسلامي،بيروت،2000م.

83 -سماتي،محفوظ،الأمة الجزائرية نشاتها وتطورها،تر،محمد الضغيربناني،عبد العزيز بوشعيب المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2012م.

84 - شاكر،محمود،التاريخ الإسلامي،ج8،ط4،بيروت،2000م.

85 - شعيب،محمد بن علي،أم الحواضرفي الماضي والحاضر،مطبعة البحث ،قسنطينة،1980م.

86 - صلابي،علي ،الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ،ط4،ج1، دارالمعرفة،2006م.

87 - صادوق،محمد الحاج،مليانة وليها سيدى أحمد بن يوسف،د.م.ج،الجزائر ،1964م.

88 - ضيف،شوقي،شوقي شاعر العصرالحديث،دارالمعارف،مصر،1953م.

89 - طيف،شوقي،فصول في الشعر والنقد،دار المعارف،مصر،1971م.

90 -عباد،صالح،الجزائرخلال الحكم التركي،دارهومة للطباعة والنشر،الجزائر،2007م.

91 -عبده،محمد،الأعمال الكاملة،تحقيق،محمد عمارة،ج3،ط1،دارالشروق،بيروت،1993م.

92 - عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح،أجوبة التاسولي عن مسائل الأميرعبد القادرفيالجهاد،ط1، دارالغرب الإسلامي،بيروت،1996م.

93 - علاء ،ابوعامر،الوظيفة الدبلوماسية: نشأتها،مؤسساتها،قواعدها، قوانينها ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،عمان،2001م.

94 - عرايبية،عبد الكريم،سوريا في القرن التاسع عشر(1840-1876م)،دارالجيل ،دمشق،1961م.

95 - عطوة،عبد العال،المدخل إلى السياسة الشرعية،إدراة الثقافة والنشر، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية،الرياض،1994م.

96 - العماد طلاس،مصطفى،فارس الجزائر الأمير عبد القادر،دمشق، 1980م.

97- عمر،عمرعبد العزيز،دراسات في تاريخ العرب الحديث،من الفتح العثماني حتى نهاية القرن الثامن عشر،ج1،دارالنهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1971م.

98 - عمراني،عبد المجيد،النخبة الفرنسية والثورة الجزائرية،دار الشباب، الجزائر،د.ت.

99 - عمورة،عمار،الموجز في تاريخ الجزائر،ط1،دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر 2002م.

100- العنبري،خالد،فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة،دار المنهاج القاهرة،2004م.

101 - فوزان،صالح شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية،ط7، إدارة البحوث العلمية والإفتاء،الرياض، 2002م.

102 - فركوس،صالح،تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع الجزائر،2005م.

103 - قداش،محفوظ،عبدالقادرالجزائري،سلسلة الفن والثقافة،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر،1974م.

104- القرضاوي،يوسف،السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها ،ط1 مؤسسة الرسالة،بيروت،2000م.

105 - كوران،أرجمند،السياسة العثمانية إتجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر(1827م-1847م) ترجمة عبد الجليل التميمي،ط2،الشركة التونسية لفنون الرسم،تونس،1974م.

106 - لونيسي رابح،وأخرون،تاريخ الجزائرالمعاصر(1830م- 1989م) ،ج1،دارالمعرفة ،الجزائر 2010م.

107- الماوردي،علي بن محمد،الأحكام السلطانية،ط3،شركة الحلبي،مصر، 1973م.

108 - محمد علي الوزير،محمد السيد،الأمير عبد القادر ثقافته وأثرها في أدبه،الطباعة الشعبية للجيش الجزائري،2007م.

109 - مخزوم،محمد،أزمة الفكرومشكلات السلطة السياسية في الشرق العربي،في عصرالنهضة،معهد

الإنماء العربي،بيروت،1981م

110- المدني،أحمد توفيق،حرب الثلاثمائة بين الجزائر واسبانيا،ط3،المؤسسة الوطنية للطباعة الجزائر،1984م.

111- ملاح،أحمد،الأمير عبد القادر المتصوفة والمصلح، دار الأديب،وهران، 2007 م.

112 - مناصرية،يوسف،مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب(1847- 1882م)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1990م.

113 - الميلي،مبارك،تاريخ الجزائرالقديم والحديث ،النهضة الجزائرية ،الجزائر 1994م.

114 - النجار،عامر،الطرق الصوفية في مصر،ط1،دار المعارف،القاهرة.

115 - الناعوري،عيسى،أدب المهجر،ط2،دار المعارف،مصر،1967م.

116-هريدي،أحمد صلاح،دراسات في تاريخ العرب الحديث،دارالوفاء،القاهرة،2000م.

117 - هيرشلاغ،ز،ي،مدخل إلى التاريخ الإقتصادي الحديث للشرق،ترجمة مصطفي الحسيني،دار الحقيقة،بيروت،1973م.

118 - هيكل،أحمد،فصول في الأدب الحديث في مصر،ط3،دار المعارف،مصر،1998م.

119 - هيكل،أحمد،فصول في الأدب الحديث في مصر،ط3،دار المعارف،مصر،1998م.

120 - ولد خليفة،محمد العربي،المحنة الكبرى مدخل لدراسة وضعية لمعاناة الشعب الجزائري ومقاومته

البطولية (نصوص مختارة)،كرونولوجية جزئية،وثائق سياسية الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،الجزائر، 1999م.

121- وولف،جون،الجزائروأوربا (1500م – 1830م)،ترجمة وتعليق،أبوالقاسم سعدالله، دارالرائد الجزائر، 2009م.

<u>رابعا:مقالات باللغة العربية:</u>

1- أبوالعيد،دودو،الوجه الآخرلمقابلة تافنة،المجاهد الثقافي،العدد 8،جوان 1969م.

2 - باربريغر،أدريان،رحلة إلى معسكرالأمير عبد القادر في الونوغة والبويرة(1837- 1838م) ترجمة أبو القاسم سعد الله،مجلة الذاكرة،العدد5، أوت1988م.

3 - البرج،محمد عبد الرحمن،أسئلة الجنرال دوماس حول وضعية الأسرة المسلمة بالجزائر،في:أعمال

الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية،دار الحكمة الجزائر،عددخاص،2001م.

4 - يلحميسي،مولاي،الإستخبارات العسكرية ودورها في استراتجية الأميرعبد القادر،في أخبار معسكر،ع3، 2001م.

5 - بلغراد،محمد،الجانب الصوفي والثقافي في حياة الأمير عبد القادر الجزائري،مجلة التاريخ،عدد خاص بذكرى وفاة الأمير،1983م.

6 - بن حراث،عبد القادر،جوانب من شخصية الأمير من خلال مؤلفاته الأدبية،مجلة أمال العدد8، جويلية 1970م.

7- بوعزيز،يحيى،الطريقة القادرية والأمير عبد القادر،مجلة مسالك،تصدرعن مؤسسة الأميرعبد القادر،الجزائر،العدد3، 1998م.

8 - التركي،رابح،أعلام من الجهاد الإسلامي في الجزائر،الأمير عبد القادر وأثر البيئة الثقافية والتربية التي نشأ فيها في تكوين شخصيته،مجلة الثقافة، الجزائر ،العدد88 جويلية-أوت1985م.

9-حرب،أديب،رجال وتاريخ،عبقرية الأميرعبد القادر،مجلة أول نوفمبر، العدد161، لجزائر،1999م.

10- الخطيب،محمدالدين،الطريقة التيجانية على المشرحة،في:الفتح، العدد481 ،10 رجب،1533ه.

12- سعيدوني،ناصر الدين،النظام الضريبي للأمير،مجلة الثقافة،العدد75، 1983م.

13- سعيدوني،ناصر الدين،وضعية عشائر المخزن الإجنماعية والآثار التي تترتب عليها، المجلة التاريخية المغربية،تونس،العدد7-8،جانفي1977م.

14- شعابنة،عبد الحميد،الأمير عبد القادر المجاهد المثقف والسياسي الفارس،مجلة أول نوفمبر،عدد عدد 2001،165م.

15- شيبوط،ابراهيم،أحداث20أوت1955،مجلة أول نوفمبر،الجزائر، العدد 68.

16- الصفاقصي،عبد الكريم،محاضرة في تاريخ الأمير،مجلة البصائر، العدد12، 1947م.

17- إلعربي،إسماعيل،معاهدة تافنة،إنتصار الدبلوماسية الجزائرية،مجلة تاريخ وحضارة المغرب، تونس،العدد 14، 1974م.

18- عزوزي،علي،الأمير عبد القادر والأسرى،في:الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية،عدد خاص،عن دار الأمة،2001م.

19 - المدني،أحمد توفيق،أبطال المقاومة الجزائرية،حمدان خوجة،أحمد باي قسنطينة،الأمير عبد القادر و الدولة العثمانية،مجلة التاريخ،ع4،الجزائر،1977م.
20- مطاطلة،أحمد،نظام الإدارة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر،مجلة الذاكرة(المتحف الوطني للمجاهد)،الجزائر،العدد4، 1996م..
21- مفتاح،عبد الباقي،الأمير عبد القادر الجزائري مع الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي تصدرعن مؤسسة الأمير عبد القادر،الجزائر،1988م.
22 - مناصرية،يوسف،مهمة ليون روش في المغربومحاولة الإيقاع بين السلطان مولاي عبد الرحمان والأمير عبد القادر(1845-1847م)،في: مجلة التاريخ،عدد خاصبالذكرى المئوية لوفاة الأمير.

خامسا:القواميس والموسوعات:

1- ابن منظور،محمد بن مكرم،لسان العرب،ج3،ط1،دار صادر،بيروت، 1997م.
2 - العربي،اسماعيل،معجم الفرق والمذاهب الإسلامية،ط1،منشورات دار الآفاق، المغرب،1993م.
3- الكيالي،عبد الوهاب،الموسوعة السياسية،ج6،ط1،المؤسسة العربي للدراسات والنشر،بيروت،1990م
4 - المنجد في اللغة والإعلام،ط34،دار المشرق،بيروت،1994م.
5- الموسوعة العربية العالمية،مج1،ط2،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر،الرياض،1999م.
6- نوهض،عادل،معجم عالم الجزائر،ط1،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1971م.

سادسا: الرسائل الجامعية:

1- بجاوى،محمد،المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي، 1830 – 1930، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،قسم التاريخ،جامعة بوزريعة الجزائر،
2 - بيرم كمال،الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية ، فترة الإحتلال الفرنسي (1847م - 1954م)،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و والمعاصر،كلية الأداب والعلوم الإجتماعية،جامعة قسنطينة.
3 -بكاي،لخضر،دراسة لموقع تازا برج الأميرعبد القادر من خلال المصادر التاريخية والأبحاث الأثرية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الأثار الإسلامية معهد الأثار، جامعة الجزائر،2005م– 2006م.
4 - بلدي،عثمان،فضيلة،المنهج الصوفي عند كل من النفري والأمير عبد القادر من خلال كتابيهما المواقف مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة،كلية العلوم الإسلامية

جامعة الجزائر،2006م - 2007م.

5 - بن صحراوي كمال،أوضاع الريف في بايلك العرب الجزائري أواخر العهد العثماني،رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،كلية العلوم الإسلامية والحضارةالإسلامي، قسم التاريخ ،جامعة وهران،2012م -2013م.

6 - برادعي،بيدار كريمة،لغة الشعر الصوفي قراءة في صوفيات الأمير عبد القادر الجزائري،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،في بنية النص الصوفي في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر،جامعة أبي بكر بالقايد،تلمسان،2013م - 2014م.

7 - دحدوح،عبد القادر،إستحكامات الأمير عبد القادر(1252ه-1258ه/1836-1842)دراسة وصفية تحليلية،مذكرة لنيل شهادة الماجستير كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية،قسم أثار،جامعةالجزائر، 2004م.

8 - زكية،زهرة،التنافس الفرنسي الإنجليزي على الجزائر وموقف الباب العالي منه(1792- 1830م) رسالة ماجستير،الجزائر،1997.(عمل غير منشور).

9 - فرعون،حمو،نظرية التجلي عند الأمير عبد القادر،دراسة أنثروبولوجية،كلية العلوم الإنسانية،قسم التاريخ،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2015م - 2016م.

10- ملاح،أحمد،التصوف والإصلاح عند الأمير عبد القادر،دراسة تحليلية نقدية،رسالة ماجستير،قسم فلسفة،جامعة الجزائر،1987م.(عمل غير منشور).

11- الصم،المنور،تطور الأحداث في الشام وموقف الأمير عبد القادرالجزائري منها،رسالة دكتوراه الدور الثالث،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر،1970م.

12- قاسمي،فريدة،الدولة في فكر الأمير عبد القادر1832 – 1847 معهد الحضارةالإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي،جامعة الأمير عبد القادر،قسنطينة 1998 -1999م.

13 - شويتام أرزقي ،المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519م-1830م) رسالةدكتوراه جامعة الجزائر،2006م- 2007م.

14- شعباني،بدر الدين أسلحة الأمير عبد القادر(1248ه-1263/ه 1836م-1847)دراسة نقدية وفنية مذكرة لنيل شهادة ماجستير،قسم الأثار جامعة الجزائر،2000م- 2001م.

15 -تلمساني،بن يوسف،الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكمالعثماني،الأمير عبد القادر،الإدارة الاستعمارية)(1798- 1900م)،رسالة ماجستيرمعهد التاريخ،جامعة الجزائر،

1998م.

سابعا:المصادر باللغة الفرنسية:

1-Arnaut,T,siege d'Ain madi par hadj Abdelkader,R.A,T8,1864.

2- Berbrugger,A,ouichah el kataib reglement relatif à l'arimée de l'emir Abdelkader,T8.

3- Bel,A,la religion musulmane en barbarie du XII^{eme}au xx^{eme}siecle gautier, paris,1938.

4- Bernard(pL),les deux villes de Ténes et boumaza,bastide,Alger,1864.

5- Bidault,F,la vérité sur l'Algérie,bizon,Boujie,1871.

6- Blondel,L,nouvel aperçu sur l'Algérie,trois nécéssités en Afrique (conserver,pacifier,coloniser) ,palais royale galerie d' orléans,Paris.

7 - Brosslard,H,Les Khouans constitutions des ordres religieux musulmans en Algerie ,Bourget,alger,1859.

8-Bugeaud (T,R),Mémoire sur notre etablissement,dans la province d'Oran, ed,laguionie, Paris,1838.

9 - Cavignac,E,la regence d'Alger notes sur l'occupation, ed,Paris,1839.

10- Colombe,M,contribution à l'étude de recrutement de l'odjaq d'Alger, in,R.A,T1,87/1913..

11- Colonel,B,reconnéssance des villes fortes et batteries d'Alger ,pub par Gabriel Esquer,Paris, 1927.

12- Daumas,E,correspondances,par George Yver, typographie adolphe, jourdan,Alger,1912.

13- Daumas,E,Mœurs et cotumes,de l'Algerie,sindbad,Paris,1988,

14-De civry,E,,Napoleon,et Abdelkader,Paris,1863.

15 - De France,A,Les prisonniers d'Abdelkader ou cinq mois de captivite

chez les arabes,t_1,ed,Desessart,Paris,1837.

16- Delpech,A,histoire de l'hadj Abdelkader,par son cousin Hassin Ben Ali, R.A,T20/1876.

17 - De neuveu,Khouanes,ordre religieux chez les Musulmants de l'Algerie, 2eme ed,Imp,deGuiyot,Paris,1846,p.175.

18- De mintinpry,Souvenir d'un officier d'etat major histoire de l'etablissement de la domination francaise dans la province d'Oran, ed,quantin,Paris,1886.

19-D'estre,H,les conquerants de l'Algerie 1830-1850,op.cit,p.109.

20- (A.V),Abdelkader et les relations entre les français et les arabes en Afrique du nord,Copenhague Desmichel,L,Oran sous le commandement du general Desmichel,l ibrairie millitad'inselin,Paris.1840.

21- Duval (CH.J) – Warnier (A) , bureaux arabes et colons , CH-Schiller Foubourg,Paris,1869.

22- Emirit,M,le texte arabe du traite de la tafna, in,R.A, N°5, 1906.

23- Esterhazy , W, notice sur le maghzen d'Oran perrier , Oran , 1849.

24-Esterhazy,Wilson,de la domination turque dans la regence d'Alger, Paris,1840.

25- Foucher,V,les bureaux arabes en Algérie,biblioteque du colon ,Paris,1886.

26- Gaffarel,p,L'Algerie,Histoire,conquette et colonisation ,Imp de l'institut, 1883.

27- Grammont (H.D de), Histoire d'Alger sous la domination Turcs (1515 – 1830)
Paris, 1887.

28 - Hugonnet,Fsouvenirs d'un chef de bureau,Michel levy, Paris, 1858.

29-Kaller,E,le general de la moriciere sa vie militaire,politique et religieuse, ed,Haton,Paris, 1874,t_1,p.112.

30- Khodja,,H,Ithafmunsafan wa al udaba,SNED,Alger,1986.

31- Lapasset,F,aperçu sur l'organisation des indigènes dans les territoires millitaires et dans les territoires civils,Dubos,Alger, 1850.

32-Langlois,H,Souvenir d'un prisonier d'Abdelkader,Paris,1859.

33- Layer,E,Confreries religieuses musulmanes et Marabout,gagniard,Lion,1961

34- Patoni,F,une improvisation de l'emir Abdelkader,in,R.A, N°40,1896.

35- Pelissier de Reynaud , E,anales Algériennes , librairie millitaire,Alger,1854.

36- Rinn,L,marabouts et khouanes,étude sur l'islam en Algérie,Alger,l'imprimeur

libraire de l'académie,1884.

37- Rinn,L,l'histoire de l'insurection de(1871)en Algérie, jourdan ,Alger,1891.

38- Robiou,F,l'Algérie en(1871),victor Masson,Paris,1871.

39- Roch,L,trente - deux ans à traver l'islam(1832-1864),T1, libraire de frumun, didot,1884.

40- Rozet(C.A),voyage dans la regence d'Alger,ou description du pays,occupé, bertrand,Paris,1833.

41- Tocquville (A,de) , travail sur l'Algérie (1841) de la colonisation en Algerie, complexe,Bruxelles,1988.

42- Warnier,A.H,l'Algérie devant l'empreur challanel,Paris, 1865.

43- Yver,G,correspondance du marichal Valée,in,document inédits sur l'histoire, l'Algérie,la rose,Paris,1957.

44 - Venture,De paradis,Alger au 18emeciecle,Fagnan,Alger,1898/

ثامنا :المراجع باللغة الفرنسية:

1 - Andre,P.J, contibution a l'etude des confreries musulmanes,maison de livre,alger,1956.

2 - Azan,P,Bugeaud et l'Algerie,ed,Maginot,Paris,1930.

3-Benachenhou,A,l'état Algérienne en1830 des institutions sous l'emir Adelkader

4- Benachanhou,A connaissance du Maghreb notion d'Ethnographie sociel,ed, populaire de l'armee,Alger,1971,p.134.

5- Bernard,A,l'Agérie,felixe,alcan,Paris,1929.

6 - Berque,Jaque,l'nterieur du maghreb 16eme-19emesiecle, gallimard,Paris,1978.

7- Bontens,C,les institution Algériennes,faculté de droit,Alger, 1970.

8 -V,Domontes,le peuples de l'Algerie contemporaire,essais de demorgraphier, Alger,1906.

9 - De card,A,les traites entre la France et le Maroc;etude historique et,juridique, ed, duran Paris,1898,p.54 .

10 - Dermenghem,E,Le culte des sains dans l'histoire Magribine,Gallimare, Paris1953.

11- Ferrah,A,le temp d'une halt rencontre avec l'emir,eddition apic,Alger,2004.

12- Germain,R,la politique indigène de Bugeaud,la rose,Paris, 1955.

13- Julien(CH.A),histoire de l'Algérie contemporaire(conquete et colonisation 1827-1871),P.U.F,Paris.

14- Karchi,D,colonisation et politique d'assimilation en Algérie (1830-1962), Casbah éddition,Alger,2004.

15- Lacheraf,M,,l'Algérie nation et société,SNED,Alger,1978.

16 - La voix ,H,Catalogue de la monnaies musulmanes de la bibliotheque national,ed, Tournis Arnado,1971.

17 - Latarille,A,la compagne de 1844 du Maroc, la bataille d'Isly, ed,chapelot, paris,1912.

18- Lichtenberger,(A),les grandes figures coloniales Bugeaud, ed,polon,Paris, 1931.

19- Merad,Boudia,La formation sociale algerienne precoloniale,Essai d'analyse theorique,o,p,u,Alger,1980.

20- Mercie,,Errnest;Histoire,de l'Afrique sptentrional berberie de puis les temps les plus recules jusqua la conquete Francaise, E,leroux, T_3, Paris,1891.

21-Mercier,Ernest,Histoire de Constantine,S.N.D.Alger,1903.

22- Philipe,E,emir magnanime Abdelkader le coyant,librairie arthème fayard, Paris,1959.

23- Richard,CH,études sur l'insurection du dahra(1845-1848), Alger.

24-Robin(NJ),la grande Kabylie sous le regime turc, ed, ,Alger,1998.

25-Sehli Chériff,M ,l'emir Abdelkader mythes français et réalité Algérienne, entrepris Algérienne de presse,Alger.

26-Simian,M,Les confreries,islamique en Algerie, A,Jourdan, Alger1910.

27 - Touati,H,entre dieu et les hommes lettres saints et sorciers au Magreb 17emesiecle , Ed E.H.SS ,paris ,1994.

28 - Yacono,X,les bureaux et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du tell Algérois,la rose ,Paris,1953.

تاسعا:مقالات بالفرنسية:

1- Ajéron,CH.R,Abdelkader souvrain d'un royome arabe d'orient, in,revue de l'occudent musulman,N spéciale,1970.

2- Azan,P,le général Bugeaud(1804-1863),in,R.A,N°5,1906.

3- Azan,P,les débuts d'Abdelkader,in,bulletin de la société de geographie d'0ran,

T XII,1921.

4- Ben Cheneb,M,la guerre de cuire et l'Algérie par le cheikh Mohamed Ben Ismail,R.A,1907.

5- Bernarel,P,les grands soldas de l'Algérie,cahier de centenair de l'Algerie,$N^0$4, 1931.

6- Boyer,P,historique des bani amar d'Oranie,des origines au sénatus consult,in, Revue de l'occident musulman et de la mediterranee ,$N^0$24,1977

7 - Boyer,Pierre,contibution a l'etude de la politique religieuse des turcs dans la regenceD'alger 16eme-19emesiecle,in R.O.M.M, $N^0$1,1966.

8- Bruno,J,l'emir Abdelkader et la France,un adversaire acharnie devenue son amie fidel,in,vert et rouge,N°101,1955.

9- Callé,J,le cure de Mascara et l'emir Abdelkader(1845),R.A,$N^0$88,1944.

10- Emirit ,M,un problèm de distance morale la résistance Algérienne al'epoque d'Abdelkader,in,revue d'information héstorique ,Paris,$N^0$127 ,octobre,1953.

11- Emirit,M,la légende de Leon Roch,R.A,N°91,1947.

12-Emirit,M,toustain du miroir au pays d'Abdelkader,R.A,1955.

13- Emirit,M,le conflit franco marocain de1844 d'apré les notes de Warnier, R.A,1950.

14- Emirit,M-Perès,H,le texte arabe du traité de tafna,R.A,T94, 1950.

15- Nadir,A,les ordres religieux et la conquete française(1830- 1851),in revue, Algérienne des sciences juridiques,économique et politique,éposode 4,1972.

16 - Yver,G,les priliminaires de la négotiation de tafna,R.A, 1923.

17- Yver,G,une proclamation de l'emir aux abitants de figuig en 1836,mainscrit traduit par L,Gognalons,R.A,N°57,1913.

18- Yver,G,Abdelkader proposition faites par des aventuriers français de le lisser

(1842-1846),R.A,N°55,1911.

مواقع اللأنترنت

1 - موقع أرشيف أكس بروفانس

general de l'Algerie legislation,assemblees,conseils Gouvernement documents annexes (1832/1940)

Reference internet:ark:/61561/zh311pkw

bureaux arabes de l'Algerois registres (1830/1940)

Reference internet:ark:/61561/wu 656fob

Bureeaux arabes de l'Oranie registres (1841/1913)

Reference internet:/61561/jh328jdb

2 - موقع المكتبة الوطنية الفرنسية http://www.bnf.fr/fr/acc/x.accueil.html

3 – موقع الأرشيف التونسي http://www.archives.nat.tn/index.php?id=140&L=1

4 – موقع المسلم (موسوعة علمية صوفية شاملة) http://www.almoslem.net/index.php

5- موقع المجلات المتخصصة في العلوم الإنسانيةhttps://www.revues.org

خاتمة

لقد توصلنا من خلال الدراسة إلى أن الفكرالوطني والتحرري للأميرعبد القادرجسد حلقة من حلقات تطورالأمة الجزائرية في مرحلة حرجة من تاريخها،من منطلق أن الأميرتمكن من وضع الأسس النظرية والأطرالتطبيقية لمجتمع جزائري حديث يرتكزعلى الخصوصية الجزائرية والهوية المحلية في تباينها الثقافي وتعددها الديني وتنوعها العرقي ويتجاوز الموروث الثقافي والإجتماعي الذي كرس هيمنة القبيلة ومرجعية الأفراد ومحدودية الجغرافية ويخضع لسيادة الدولة ويرتكزعلى وحدة المرجعية كما اوضحنا من خلال الدراسة خصائص الفكر الوطني للاميرعبد القادرالذي جمع بين الاصالة والتجديد وتفاعل مع معطيات الواقع الداخلي والظرف الخارجي،كما تناولت الدراسة الأبعاد المختلفة لهذا الفكر فتناولت البعد الحضاري الذي حدد إنتماء الأمة الجزائرية بالتوازي على ما يفرضه عليها موقعها من التعاطي مع ثقافة الآخر والتعامل مع الوضع الإقليمي والدولي وفق رؤية الأمير الحضارية التي حددت منطلقات النهضة الجزائرية من خلال الإنفتاح على الآخروالإستفادة من إنجازاته الحضارية كما بينت الدراسة البعد المؤسساتي في فكرالامير الوطني واوضحنا إستراتجية الأميرفي البناء الوطني المؤسساتي في هذ الإطاركشفت الدراسة عن سمات الفكر السياسي للأميرعبد القادرالذي حدد الإطارالإيديولوجي والوظيفي للدولة الجزائرية الحديثة ككيان سياسي وطني جامع يقوم على مقومات الهوية الوطنية وخصوصية المجتمع الجزائري وتوصلنا من خلال الدراسة ان النظام السياسي الذي الذي أرسى أسسه الأميرعبد القادرينبع من الإرادة الحرة للجزائريين و يرتكز على المرجعية الدينية في بعده التشريعي والقانوني وأوضحنا أن الأمير يعد مجددا في هذا المجال بحكم أنه أحيا نظام البيعة الذي ميزالحكم الراشدي،لقد استطاع الأمير ترسيخ ثقافة المشاركة السياسية من خلال تأسيس مجلس الشورى الأميري والفروع التابعة له على مستوى الإمارة وتوصلنا إلى أن أهم ما تميز به هذا الفكر الواقعية من منطلق أن الأمير تمكن من توظيف معطيات الوضع الإجتماعي والثقافي والإقتصادي للإمارة كما أن إدراك الأميرلطبيعة الواقع الذي فرضه الإحتلال الفرنسي في بناء مشروعه السياسي واعتماده المرجعية الدينية كإطار قانوني وتشريعي حدد من خلالها الحقوق والواجبات وكمصدر بنى عليه الأمير إجتهاده السياسي الذي أضفى على هذا المشروع طابع الحداثة والتجديد.

كما تناولت الدراسة الفكرالتحرري للأميرعبد القادرالذي شكل الإطارالتنظيري للمقاومة التي خاضها ضد المستعمرفي هذا الإتجاه فقد بينت الدراسة خصائص هذا الفكر المتعدد الأبعاد من خلال قراءة في التراث الفكري والأدبي والروحي للأميروالتي مكنتنا من بناء الأنموذج التحرري للأميرالذي اختزل مقاومته للمحتل،في هذا المنحى فقد بينت الدراسة طبيعة هذا النموذج الذي استمد خصوصيته من فقه الأميرورؤيته للواقع الجزائري وتحليله للظاهرة الإستعمارية وتعامله مع معطيات الظرف الخارجي،في هذا السياق تطرقنا إلى أسس ومميزات الفقه التحرري للأميرالذي ارتكزعلى:

1- فقه الواقع:لقد شكل الواقع الجزائري وفي بعده الديني والإجتماعي والإقتصادي والثقافي وفي تعامله مع ظروف الإحتلال الأساس الذي بنى عليه الفكرالتحرري للأميرعبد القادر.

2 - فقه الأولويات:استند الأمير في خياراته وقراراته إلى مبدأ الأولويات والذي بفضله تجاوزت المقاومة الوطنية العديد من العقبات.

3 - فقه الضرورات: يعتبرالإطارالذي يمكن من خلاله تفسيرالعديد من مواقف الأميرعبد القادر كمسألة إنهاء القتال.

وفق هذا المنظورفقد خلصت الدراسة إلى أنه لا يمكن فهم توجهات الأمير وأسلوبه في إدارة المقاومة والوسائل والأدوات التي وظفها دون الأخذ بعين الإعتبارالرؤية الفقهية التي ارتكزعليها فكره التحرري.

لقد استخدم الأميرشتى الوسائل لتبليغ رسالته والدفاع عن قضيته في هذا الصدد تناولت الدراسة البعد التحرري في أدب الأمير،وإنطلاقا من قراءة تحليلية في رسائله وخطبه سلطنا الضوء على بنية الخطاب التحرري وبينا خصائصه،كما تناولنا معالم التحررفي شعرالأمير أين سلطنا الضوء على دورالخطاب الشعري وأثره في بعث روح المقاومة ضد المستعمر الفرنسي،وفي بحثنا عن التحرر في تصوف الأمير تحدثنا عن التحرر في التراث الصوفي إبان العهد العثماني ثم تعرضت الدراسة لتصوف الأميروبينت طبيعته وأهم مميزاته لنخلص إلى بناء النموذج التحرري الصوفي للأمير عبد القادر .

كما كشفت الدراسة عن تجليات الفكرالوطني للأميرعبد القادرفي بعده العسكري حيث إستطاع الأميرتأسيس جيش نظامي بمعاييرحديثة عكس البعد الوطني في أهدافه وطبيعة مهامه وفي تركيبته وجغرافية إنتشاره ولضمان تفوقه العسكري تبنى الأميرسياسة قائمة على لتصنيع المحلي والإستفادة من الخبرة الأجنبية رغم حساسية الظرف،وعن الجانب الإجتماعي من فكره الوطني فقد سعي الأميرإلى إحداث تغييرجدري في البنية الإجنماعية إنتقل المجتمع الجزائري بموجبه من التأطيرالقبلي إلى الـتأطيرالمؤسسساتي ومن حكم القبيلة إلى سيادة الدولة كما أعاد صياغة العلاقات الإجتماعية وفق مبادئ العدل والمساواة والحرية وحارب كل أشكال التميزالديني وفي هذا الإطاركشفت الدراسة عن وصول اليهود إلى مراتب سامية في دولة الأميركمستشارين وممثلين للأميروأعتمد مسيحيين لتمثيله كما حاصرالتنقاضات الطبقية التي سادت واستفحلت في العهد العثماني من خلال توزيع عادل للثروات والوظائف كما رسخت سياسته الإجتماعية البعد التكافلي والتضامني،و تطرقت الدراسة إلى الأدوات والوسائل التي ارتكز عليها الأميرفي أحدات تغيير جدري في البناء الإجتماعي خلصنا من خلالها إلى توضيح أسس المنهج التغييري عند الاميرعبد القادر،أما عن الفكرالإقتصادي للأمير فقد بينت الدراسة سعي الأميرإلى دخول في شراكة متوسطية وعرض على بعض الدول الأروبية مشاريع إستثمارية ومناطق للتبادل الحرأما داخليا فقد وضع مخططا لتأمين التجارة وطرق المواصلات في شتي الإتجاهات بغرض إحداث تكامل بين الأقاليم كما وضع الأمير مسارا إستراتجيا لتحقيق الإكتفاء الذاتي ولإستكمال مظاهر السيادة الوطنية وتحقيق التوازن المالي فقد أصدرعملة وطنية وتميزت سياسته الضريبية بالإعتدال ومراعاة متغيرات الجبهة الداخلية وفي المجال الثقافي عمل الأمير على تعميم التعليم بإنشاء المدارس بغرض إحياء التراث الثقافي وإحداث القطيعة مع الممارسات الثقافية التي كرست الجمود والتقليد وعمقت التخلف في المجتمع من جهة والحفاظ على الهوية الوطنية من جهة أخرى، ومن بين النتائج الهامة التي توصلنا إليها من خلال الدراسة أن مقاومة الأمير شكلت عاملا محوريا في التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري وفي بلورة الوعي الوطني وتجسيد البعد الإنتمائي كما قدمت الدراسة تفسيرا واقعيا لعوامل التي

حالت دون إستمرارية المشروع الوطني للأمير عبد القادرعن طريق قراءة في العوائق الداخلية وتبيان طبيعة التحديات الخارجية ،في هذا

السياق واجه المشروع الوطني للأمير جملة من العقبات الداخلية أفرزها الواقع الجديد بكافة أبعادها،فالتغييرالذي أحدثه في البنى السياسية والإجتماعية بالإنتقال من مرجعية القبيلة إلى مرجعية الدولة ومن إستبداد الأفراد إلى شورى المؤسسات إصطدم بمصالح وإمتيازات ذوي النفوذ كما أثار تبني الأميرلمرجعية موحدة تنصهرفيها المرجعيات الطرقية مقاومة المرابطين وشيوخ الزوايا الذين رأوا في سعي الأميرإلى القضاء على التفاوت الطبقي وإرساء مبادئ المساواة والعدل بين مختلف الشرائح الإجتماعية تهديدا لمكانتهم وتموقعهم في المجتمع من من جانب آخرشكل الوضع الإقتصادي الموروث بثشتى إنعكساته عقبة واجهت مشروع الأمير للنهضة بالإقتصاد الوطني،كما بينت الدراسة أن الثقافة السائدة التي اتسمت بالجمود والتقليد والإنغلاق تعد من أهم العقبات التي واجهها الأميرفي سعيه لبعث نهضة فكرية وعلمية كما خلصنا من خلال الدراسة أن العامل العسكري شكل التحدي الجوهري الذي وضع في النهاية حدا لدولة الأميرومقاومته رغم الجهود المعتبرة التي بذلها الأميرلتكوين جيش حديث،هذا الأخير خاض حربا غيرمتكافئة ضد المحتل إستنزفت قدراته وإمكانياته،كما تطرقت الدراسة إلى الدورالذي لعبته الإستراتجية الإستعمارية في إفشال مشروع الأمير والتي قامت على تفكيك الجبهة الداخلية من خلال إستمالة الوجهاء وتجنيد العنصر المحلي واتخذت من النشاط الإستخباراتي أداة لمعرفه نقاط القوة ومراكز الضعف في نظام الأميرعبد القادر من جهة أخرى،لقد استغل المستعمر جنوح الأميرإلى السلم في بناء علاقات جديدة مع شيوخ القبائل وزعماء الطرق وفي تأسيس شبكة من الجواسيس التي تمكنت من إختراق مراكز القرار وجمعت معطيات بالغة الأهمية والتي على أساسها رسم الجيش الفرنسي إستراتجيته العسكرية وسياسته التفكيكية عن طريق تغدية الصراعات المحلية مما حال دون توحد المقاومة الجزائرية وبالتالي تمكن الجيش الفرنسي من القضاء على مقاومة أحمد باي في الشرق والتفرغ بعد ذلك لمقاومة كما كان لطبيعة الحرب التي شنها المستعمر تدعياتها على أوضاع الجزائريين من منطلق وحشيتها ولا أخلاقيتها في هذا الشأن فقد طبق المحتل سياسة الإبادة والتدمير الشامل إستطاع الفرنسيون بفضلها تأليب

الجبهة الداخلية وبالتالي محاصرة الأمير جيش الأميروإضعافه ومن الناحية الخارجية أسهم الوضع الدولي القائم على إختلال التوازن بين العالم الإسلامي وأوربا في إجهاض مشروع الأميرعبد القادر،بحكم العزلة والحصارالذي واجته الدولة الجزائرية الفتية نتيجة تغيرو إختلال موازيين القوى وبداية تشكل المتوسط وفق أسس جديدة صنعها الوفاق الأروبي وصاغتها الرؤية المشتركة للدول الأروبية في الحفاظ على مصالحها من جهة والتعاطي مع العالم الإسلامي من جهة خرى،وفق هذا المنظور فقد اتخذت الدول الأوربا من تردي أوضاع الخلافة العثمانية مطية للتدخل في شؤونها والهيمنة على ثرواتها مما أدى إلى إنحصارالدولة العثمانية وتقلص نفوذها في حوض المتوسط وتراجع مكانتها الدولية وتقويض سلطتها على إيالاتها،في ظل هذه المعطيات الدولية أصبح المشروع الحضاري للأميريشكل مصدر قلق للدول الأروبية والتي تعاملت معه في إطارالسياسة التي رسمتها اتجاه العالم الإسلامي مما سهل إنفراد فرنسا بالمسألة الجزائرية حيت تمكنت في هذا السياق من إفشال مبادرات الدعم وفك الحصارعن مقاومة الأميرواستعملت لهذا الغرض شتى الأساليب الدبلوماسية والعسكرية كما هو الشأن مع المغرب الذي أنخرط في المشروع الإستعماري بإعلانه الحرب على الأميرعبد القادرمما أدى إلى خنق المقاومة وإضعاف جيش الأمير،كما أرغم المحتل حكام تونس على مقاطعة الأمير ووقف كل أشكال التعاون مع الدولة الجزائرية الأمر الذي جعل من القضاء على دولة الأمير مسألة وقت،لقد بينت الدراسة أن المستعمر نجح في تغيير معادلة الصراع من خلال توريط أطراف جديدة في معركته مع الأميرالذي وجد نفسه يحارب بني وطنه وإخوته في العقيدة،مما دفع بالأمير إلى إنهاء القتال لأن من وجهة نظرالأميرالمعركة خرجت عن مسارها الحقيقي والشرعي،فقدم فضل حقن دماء المسلمين وسلامة دائرته على مواصلة المقاومة خصوصا بعد محاصرته من طرف القوات الإستعمارية المتاحالفة مع القبائل الجزائرية إلى جانب دعم الجيوش المغربية من الجهة الغربية.

إن الرؤية التي تقدمها الدراسة حول المشروع الوطني للأمير تتلخص في إبراز أهم المرتكزات التي قام عليها هذا المشروع والتي تمثلت في:

1- بناء دولة حديثة تستند على الإرادة الشعبية وتتجاوب مع المعطيات الإقليمية والدولية.

2- مجتمع جزائري يرتكزعلى الهوية الوطنية في بعدها الديني وإرثها الثقافي والتاريخي وحيزها الجغرافي.

3- بعث نهضة علمية وفكرية تكون بمثابة نواة التطورالحضاري للمجتمع الجزائري.

وعن لأسباب التي حالت دون استمرارية هذا المشروع وتطوره فتشيرالدراسة إلى أنها نتاج التحولات الخارجية وإنعكسات الواقع بكافة أبعاده على مسار الأميرالبنائي والتحرري،كما توصلنا من خلال دراستنا إلى نظرية التحررعندي لأميرعبد القادر التي إرتكزت على فهمه للظاهرة الإستعمارية وتحليله للواقع في إطار رؤية فقهية شاملة إستطاع الأمير بفضلها تكييف المتغيرات والتعامل مع المعطيات الداخلية والخارجية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة و في الأخير فقد حاولنا في هذة الرسالة المتواضعة بمعرفتنا البسيطة وبحثنا المحدود تسليط الضوء على بعض الجوانب من فكرالأميرعبد القادر والذي من وجهة نظرنا لا يزال يحتاج إلى الكثير من الدراسات الأكاديمية والتي من شأنها تبيان أهمية هذا الفكر وإسهاماته في الرصيدى الحضاري العالمي بحكم ثرائه وتعدد أبعاده.

ختاما نحمد الله تعالي الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع ونسأله تعالى أن يتجاوز عن تقصيرنا وهفواتنا.

تم بفضل الله تعالى

فهرس الموضوعات

مقدمة

المدخل:سقوط إيالة الجزائر بين عوامل الضعف الداخلي وإنعكسات الظرف الأروبي.....10

أولا: عوامل الضعف الداخلي.....12

1- العامل السياسي.....12

1-1- تطورالنموذج السياسي العثماني في إيالة الجزائر.....12

1-2-الحكم العثماني أواخر عهد الدايات:قراءة في مؤشرات الإنهيار.....14

1-2-1- حكام الإيالة: معايير الإختيار..... 14

1-2-2- المؤمرات والإغتيالات.....14

1-2-3- الفساد السياسي والإداري.....15

2- العامل العسكري.....16

2-1-تراجع أعداد المجندين.....16

2-2- التمرد في صفوف الإنكشارية.....16

2-3- فساد المنظومة الأخلاقية للإنكشرية.....17

3- العامل الإقتصادي.....18

3-1- تراجع مداخيل الإيالة.....18

3-2- الهيمنة اليهودية على إقتصاد الإيالة.....19

3-3- تضاعف الرسم الجبائي.....20

4- العامل الإجتماعي.....21

4-1- الإنتفاضات الشعبية.....,.....21

4-1-1-الثورة الدرقاوية.....22

4-1-2- الثورة التجانية.....27

4-2- الحركات التمردية.....29

4-3- قراءة في خصائص الإنتفاضات الشعبية.....29

4-3- تردي الأوضاع الإجتماعية.....30

ثانيا: إنعكسات التحولات الأروبية على أوضاع الإيالة 1800م- 1830م.....31
1- التأثير السياسي: المسألة الجزائرية في المؤتمرات الأروبية.....31
2- التأثير العسكري.....32
2-1-النشاط الإستخباري 32
2 -2- الهجمات الأروبية.....33
2-3- تحطم الأسطول الجزائري.....33
3- التأثير الإقتصادي.....34
3 -1-تراجع الدورالإقليمي للإيالة.....34
2-3-إضطراب التجارية الخارجية.....34
3-3- أبعاد الإمتيازات الفرنسية في الإيالة.....35
الفصل الأول: خصائص فكرالأمير عبد القادر.....38
أولا: العوامل المؤثرة في فكر الأمير عبد القادر.....38
1- العامل البيئي.....38
1-1- بيئته الأسرية.....38
1-1-1- مولده ونسبه.....38
1-1-2- نشأته.....40
1-2- بيئته البدوية.....42
1-3- رحلاته.....42
2- العامل الروحي.....45
2-1- التربية الصوفية.....45
2-2- الجهاد.....49
3- العامل الثقافي.....49
3-1- محيطه الثقافي.....49
3-2- مصادر ثقافته.....52
3-3- مميزات ثقافته.....53
ثانيا: نماذج من فكرالأميرعبد القادر.....55
1- الفكرالعسكري للأمير: مؤلف وشاح الكتائب نموذجا.....55

1-1-التعريف بالمؤلف.....55
1-2- موضوعاته.....56
1-3- الدلالات.....57
2- الفكر الإسلامي للأمير: قراءة في بعض مؤلفاته.....58
2-1- المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد.....58
2-2- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.....61
2-3- مذكرات الأمير.....63
3- شعر الأمير: دراسة في الديوان.....66
3-1- التعريف بالديوان.....67
3-2- موضوعاته.....67
4- علم التصوف: المواقف أنموذجا.....72
4-1- مؤلف المواقف.....73
4-2- موضوعاته.....75
ثالثا: فكرالأميرقراءة في الأبعاد.....81
1- البعد الإنساني. 81
1-1- أخلاقيات الحرب.....81
2-2- معاملة الأسرى.....82
1-3- أحداث دمشق.....85
2- البعد التجديدي.....92
2-1- في المجال الأدبي: الشعرنموذجا.....92
2-1-1- شعرالأمير في ميزان النقد.....92
2-1-2- مظاهرالتجديد في شعر الأمير.....94
2-2- في المجال الديني.....99
2-2-1- إحياء الحكم الراشدي.....99
2-2-2- بعث علوم الحديث.....102
3- البعد الحضاري: الحوار والإنفتاح.....105

3-1- الآخرمن منظور الأميرعبد القادر:.....105
3-1-1-الحوار.....106
3-1-2- الإنفتاح.....115
الفصل الثاني: معالم التحرر في فكر الأميرعبد القادر.....120
أولا: الفقه التحرري عند الأميرعبد القادر.....120
1-مصادر فقه الأمير.....120
2-خصائص فقه الأمير.....122
3 - توظيفات الفقه التحرري عند الأميرعبد القادر.....134
3-1- الهجرة.....135
3 -2- الردة.....137
3 -3- مهادنة.....144
ثانيا: التحرر في أدب الأمير عبد القادر.....147
1- البعد التحرري في شعرالأمير.....147
2- البعد التحرري في رسائل الأمير.....150
2-1- أهداف الخطاب التحرري من خلال رسائل الأمير.....160
2-2- بنية الخطاب التحرري 160
3- البعد التحرري في خطب الأمير.....165
3-1- مرتكزات الخطاب الأميري.....165
3 -2 - مميزات خطب الأمير التحررية 168
ثالثا: التحرر في تصوف الأمير.....171
1- التحرر الصوفي في العهد العثماني: قراءة في الخصائص.....171
1-1- البعد التحرري في المقاومة الصوفية.....171
1-2- التحرر في التراث الصوفي.....173
2- التصوف أواخرالعهد العثماني: الإسهامات والإنحرفات.....176
3- طبيعة تصوف الأمير:الضوابط والمميزات.....182
3-1- الضوابط.....182

2-3 - المميزات.....184
4 - تجليات التحرر في تصوف الأمير.....198
الفصل الثالث: مظاهر الفكر الوطني عند الأمير عبد القادر.....203
أولا: المقاومة.....203
1- تبلور الفكر الوطني:الجذور والعوامل.....203
1-1- العامل الديني.....204
1-2- العامل السياسي.....205
1-3- العامل العسكري.....208
1-4- العامل الإجتماعي.....209
2 - إديولوجية المقاومة : قراءة في الأبعاد.....211
2-1- البعد الديني.....211
2-2- البعد الإنتمائي.....212
3- المسار الوطني للمقاومة.....213
3-1- جغرافية المقاومة.....213
3-2- دور المقاومة في ترسيخ الوحدة الوطنية.....225
ثانيا: نظام الحكم في عهد الأميرعبد القادر: المرجعية والمقومات.....22
1-الشرعية السياسية :قراءة في الآليات 226
2-1- نشأة الدولة الجزائرية الحديثة.....226
2-1- المشروع السياسي للأمير: المبادئ والمميزات..... 229
2 – السلطة من منظور وممارسة الأمير عبد القادر:الطبيعة والمكونات 229
2-1- التشريع في دولة الأمير عبد القادر: الأدوات والأبعاد.....23
2-2- السلطة التنفيدية في عهد الأمير:البنية والأسس.....236
3 - البعد الوطني في أنظمة الأميرعبد القادر.....244
4 - مميزات نظام الحكم في عهد الأمير عبد القادر:تجليات الحكم الراشد.....253
ثالث : دبلوماسية الأمير عبد القادر بين المقاومة السياسية والحضور الدولي 258
1 - داخليا : الحوار السياسي: المنطلقات والأسس 258
2 - خارجيا: مرتكزات الحراك السياسي المتوسطي عند الأميرعبد القادر.....274

الفصل الرابع: الفكرالوطني والتحرري عند الأميرعبد القادر بين
العقبات الداخلية والتحديات الخارجية.....284
أول: العقبات الداخلية: مقاومة الاميربين طبيعة المجتمع وانعكسات الظرف الداخلي.....284
1- المجتمع الجزائري: البنية والخصائص.....285
2-المجتمع الجزائري ومقاومة الأمير عبد القادر.....297
ثانيا: تحديات الحرب: الآليات والأبعاد.....307
1- المهادنة وأثرها في تغيير موازيين القوى.....370
2- الحرب الشاملة: قراءة في أخلقيات الحرب عند المستعمر.....310
3- التوسع اللإستعماري: الأساليب والإنعكسات 319
3-1- سياسة الإستطاان ودورها في إصعاف المقاومة.....319
3 – 2- سياسة التفكيك بين التفرقة وتوظيف العنصر المحلي.....324
4 - سياسة التفرقة وتوظيف العنصر المحلي.....324
ثالثا: التحديات الخارجية: إختلال التوازن في حوض المتوسط وبوادر نظام دولي جديد.....333
1 - التحولات الأروبية : العوامل والمظاهر.....333
1-1- العوامل.....333
1-2-المظاهر.....341
2- إنعكسات التحولات الأروبية على الوضع العالمي: الحركة الإستعمارية.....343
2 -1- أوضاع العالم الإسلامي بين التدهور الداخلي والخطر الخارجي.....344
2-2- تأثيرات التدخل الأجنبي على أوضاع العالم الإسلامي.....351
3- تدعيات الظرف الدولى على المشروع الوطني والتحرري للأمير عبد القادر.....355
الخاتمة.....362
الملاحق.....369
بيبليوغرافية.....390
..